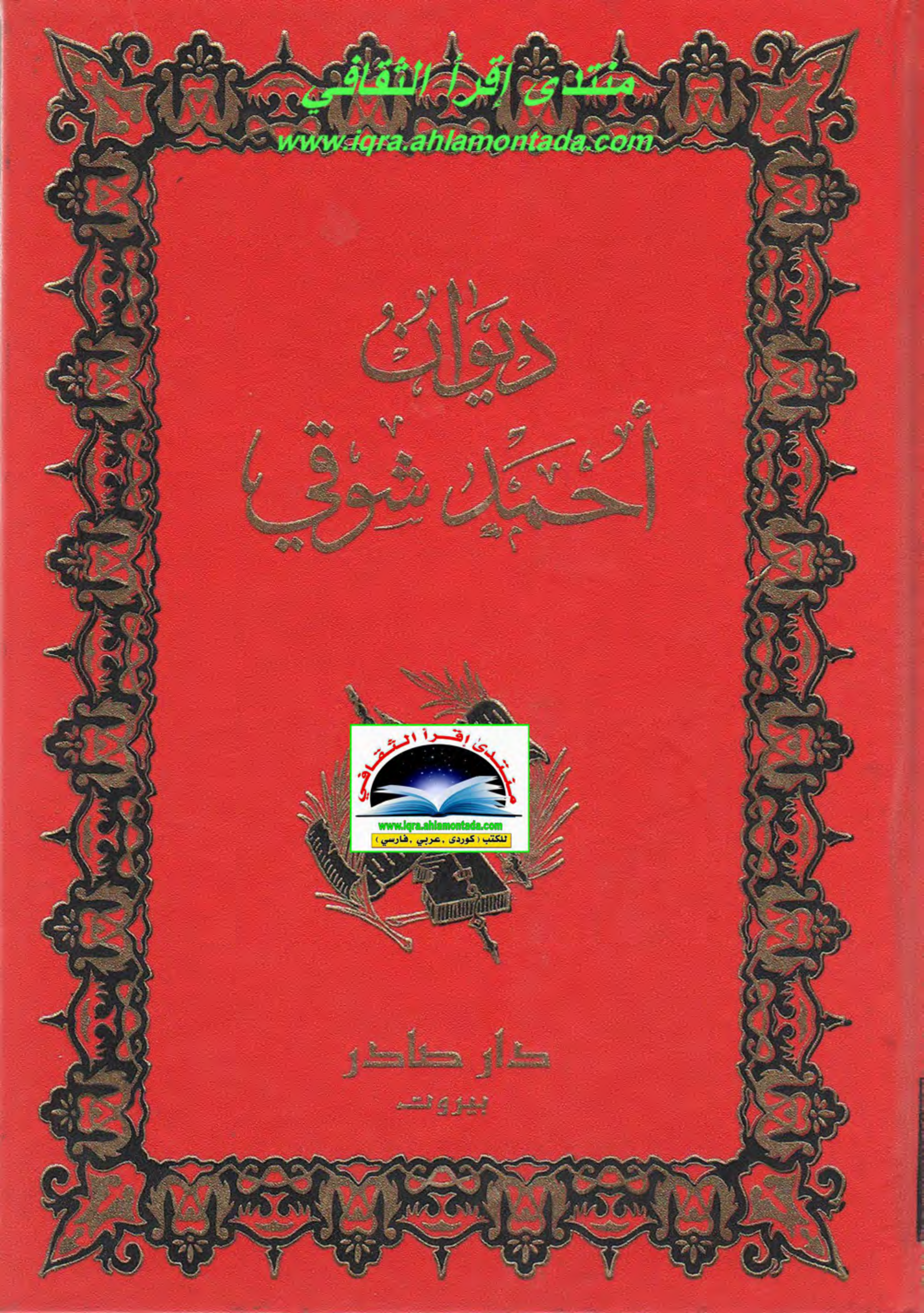
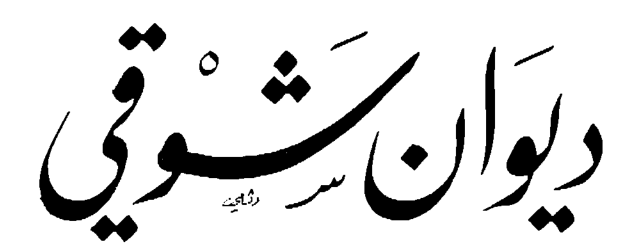


منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
ديوان
أحمد شوقي
منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى ، عربي ، فارسي)
دار صادر
بيروت



الجزء الأول

دار صادر
بيروت

أحمد شوقي

١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م / ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م

مولده

ولد أحمد شوقي في القاهرة عام ١٨٦٨م . من اسرة تركية تجري في عروقها دماء كردية وشركسية وعربية . كان جده لأبيه تركي الأصل يعمل أمين الجمارك المصرية ، وقد مات عن ثروة راضية بددها ابنه علي بك شوقي والد شاعرنا في سكرة شبابه .

أما جده لوالدته ، فكان أناضولي الأصل ، واحد أفراد الخاصة الخديوية في عهد إسماعيل ، وقد تولت جدته لأمه أمر رعايته في طفولته الأولى ، وقد ترجم شوقي نفسه في الجزء الأول من ديوان «الشوقيات» الذي صدر عام ١٨٩٨ فقال :

« . . . سمعت أبي رحمه الله يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب ويقول : إن والده قدم إلى هذه الديار يافعاً ، يحمل وصاة من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر محمد علي باشا ، وكان جدي - وأنا حامل إسمه ولقبه - يحسن كتابة العربية والتركية خطّاً وإنشاء ، فأدخله الوالي في معيّته ، ثم تداولت الأيام ، وتعاقب الولاة الفخام ، وهو يتقلّد المراتب العالية ويتقلّب في المناصب السامية ، إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية ، فكانت وفاته في هذا العمل عن ثروة راضية بددها أبي في سكرة الشباب ، ثم عاش بعمله غير نادم ولا محروم ، وعشت بظله وأنا واحده ، أسمع بما كان من سعة رزقه ، ولا أراني في ضيق حتى اندب تلك السعة . . . »

كان شوقي «وحيد» أبويه ، وقد لاقى من أسرته كل العطف والحب والعناية ، فهو لم يشعر أنه في حاجة إلى «ندب» السعة التي عاش فيها أبوه غير «محروم» . وليس هذا كل ما كان من تأثير جديه ، وإنما جعلته أسرته على صلة وثيقة بالقصر وصاحبه وبطانة القصر ورجاله .

تربيته

تلقى شوقي دروسه الإبتدائية في مدرسة الشيخ صالح حيث دخلها وهو في الرابعة من عمره ، ثم إنتقل منها إلى ما كان يسّمى «بالمبتديان» ثم إلى «التجهيزية» ، حتى إذا بلغ السادسة عشرة من عمره التحق بكلية الحقوق ، وبعد عامين من التحاقه بالكلية أنشيء فيها فرع للترجمة ، دخله وخرج منه بشهادة نهائية في الترجمة .

في العشرين من سنّه ، أرسله الخديوي توفيق إلى فرنسا على نفقته ليتم دراسة الحقوق في مونبليه جامعاً بينها وبين آداب اللغة الفرنسية ، وكانت هذه الدراسة في فرنسا أهم حادث في تكوين شخصية شوقي وتركيز ثقافته إذ تمكن على يدها من التنقل في مختلف البلدان الأوروبية من بعد ، والاتصال بحياتها الثقافية عن طريق الفرنسية ، ثم قضى عاماً في باريس حصل في نهايته على الشهادة النهائية ، ثم عاد إلى وطنه وهو «نضو فراق ، تهزه إليه الأشواق» .

أعماله

أوفده الخديوي توفيق مندوباً عن الحكومة المصرية ، إلى مؤتمر المستشرقين في جنيف الذي عقد عام ١٨٩٤ ، وهناك ألقى قصيدته الملحمية الشهيرة التي يلخص بها تاريخ وادي النيل ، والتي توّج بها ناشرو ديوانه ، الجزء الأول من «الشوقيات» ، وكان لها صدى استحسان وقبول في معظم الأوساط والمحافل الأدبية .

ثم ولي رياسة القلم الإفرنجي بمعية الخديوي عباس حلمي باشا الذي كان

كثير الرعاية له . . . وبقي في ذلك المنصب إلى أن نشبت نيران الحرب العظمى ، وخاضت تركيا غمارها مع الألمان . وكان الخديوي لا يزال مقيماً في الأستانة ، وقد كشّر للانكليز عن ناب العداوة ، فرأوا أن يخلعوه ويولوا عمّه الأمير حسين كامل باشا سلطنة مصر ، فأبى كثير من موظفي القصر البقاء في مناصبهم وفاء لمولاهم المخلوع ، وكان شوقي من عداد المستقيلين . إلاَّ أن السلطة الانكليزية لم تمهله بعد ذلك طويلاً ، إذ نصحته أن يغادر مصر إلى بلد محايد ، فاختار الأندلس ، وبقي فيها حتى وضعت الحرب أوزارها ، فعاد إلى مسقط رأسه .

عاد إلى وطنه والحركة الاستقلالية التي كان يقودها سعد زغلول في ذروة إزدهارها ومعركة المصريين مع الإنكليز المحتلين في أوّجها ، فتحول شعره إلى المناسبات السياسية والاجتماعية المختلفة ، المتنوعة ، وأخذ ولاؤه للقصر يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى الجمهور ، إلى الشعب ، إلى الحركة الإستقلالية ، وأخذت الجماهير العربية في مختلف الأقطار والبلدان تجد فيه شاعر قضاياها ومعبر عن مشاعرها .

وفي سنة ١٩٢٧ أعيد طبع «الشوقيات» وجرى له حفل تكريم توافد عليه الشعراء وأعلام الثقافة العربية من مختلف الأقطار والبلدان وبويع فيه بإمارة الشعر على لسان حافظ إبراهيم الذي أعلن بالاصالة عن نفسه . وبالنيابة عن وفود الشرق هذه البيعة :

أمير القوافي قد أتيتُ مبايعاً وهذي وفود الشرق قد بايعتْ معي

لم يبق لشوقي بعد هذا المجد سوى خمس سنوات من عمره فقط ، إنصرف خلالها إلى مراس الحياة الأدبية بجد ونشاط بعيداً عن معاناة السياسة ووظائفها ، وعمد إلى النوع الأدبي الذي افتقده العرب في تاريخهم لدى إحتكاكهم بالثقافة الغربية ، وهو الشعر التمثيلي ، فأخذ في وضع المسرحيات يحاكي بها ما عرفه لدى شعراء فرنسا ، أمثال راسين وكورني وهوغو على الأخص ، فأخرج

«مصرع كليوبترا» و«قمبيز» و«مجنون ليلى» و«عنترة» كما أخرج مسرحية نثرية «أميرة الأندلس» وقضى نحبه وهو يعمل في مأساة شعرية لم تكتمل .

وفي صباح ١٤ تشرين أول «أكتوبر» ١٩٣٢ أسلم الروح وهو ملء الأسماع في دنيا العرب ، واشهر من أنشدها الشعر .

مؤلفاته

أما مؤلفات شوقي فإنها قد نشرت كلّها وهي :

١ – الشوقيات – أربعة أجزاء –
٢ – دول العرب وعظمة الإسلام
٣ – أميرة الأندلس – مسرحية نثرية –
٤ – مصرع كليوبترا
٥ – مجنون ليلى
٦ – عنترة
٧ – الست هدى – ملهاة –
٨ – قمبيز
٩ – علي بك الكبير ، أو دولة المماليك
١٠ – حديث بنتاؤر – رواية نثرية –
١١ – عذراء الهند – رواية نثرية –
١٢ – لادياس وورقة الآس – رواية نثرية –
١٣ – أسواق الذهب – حكم منثورة .

رشيد حبيب الأشقر

كبار الحوادث في وادي النيل *

هَمَّت الفُلكُ ، واحتواها الماءُ   وحَدَاها بمن تُقِلُّ الرجاءُ
ضربَ البحرُ ذو العُباب حَوَاليْـ   ـها سماءً قد أكبرَتها السماءُ[1]
ورأى المارقون من شَرَك الأر   ضِ شباكاً تمدّها الدأْماءُ[2]
وجبالاً موائجاً في جبالٍ   تتدجَّى كأنها الظلماءُ
ودَويًّا كما تأهَّبت الخيـ   ـلُ وهاجت حُماتَها الهيْجاءُ
لُجَّةٌ عند لجةٍ عند أُخرى   كهضاب ماجت بها البيْداءُ
وسَفِينٌ طوراً تَلوحُ . وحيناً   يتولّى أشباحَهنَّ الخفاءُ
نازلاتٌ في سيرها صاعداتٌ   كالهوادي يَهُزُّهنّ الحُداءُ[3]
ربِّ . إن شئتَ فالفضاءُ مَضِيقٌ   وإذا شئتَ فالمضيقُ فضاءُ
فاجعل البحرَ عصمةً . وابعث الرحـ   ـمةَ فيها الرياحُ والأنواءُ
أنت أُنسٌ لنا إذا بَعُدَ الأنـ   ـسُ ، وأنت الحياةُ والإحياءُ
يتولَّى البحارَ – مهما ادلهمَّت –   منك في كل جانب لأْلاءُ
وإذا ما عَلَت فذاك قيامٌ   وإذا ما رَغَتْ فذاك دعاءُ[4]
فإذا راعها جلالُك خرّتْ   هيبةً ، فهْيَ والبساطُ سواءُ
والعريضُ الطويل منها كتابٌ   لك فيه تحيةٌ وثناءُ

* قالها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد في مدينة جنيف في سبتمبر سنة ١٨٩٤ وكان مندوباً للحكومة المصرية فيه .

١ العباب : ارتفاع السيل أو الموج .
٢ مرق السهم من الرمية مروقاً : نفذ فيها وخرج من الجانب الآخر .
٣ الهوادي : أول رعيل من الإبل .
٤ رغا : ضج في صوته .

يازمانَ البحارِ . لولاك لم تُفْـ ـجَع بنُعْمى زمانها الوَجْناءُ[1]
فقديماً عن وَخْدِها ضاق وجهُ الـ ـأرضِ ، وانقاد بالشِّراع الماءُ
وانتهت إمْرَةُ البحار إلى الشر ق . وقام الوجود فيما يشاءُ
وبنيْنا . فلم نُخَلِّ لبانٍ وعلونا . فلم يَجُزْنا علاءُ
وملكنا . فالمالكون عبيد والبرايا بأسرهم أُسَراءُ
قل لبانٍ بنى . فشاد . فغالى : لم يجز مصر في الزمان بِناءُ
ليس في الممكنات أن تنقل الأجبـ ـالُ شُمًّا . وأن تُنالَ السماءُ[2]
أجْمَل الجنّ عن عزائم فرعو ن . ودانت لبأْسها الآناءُ
شاد ما لم يَشِدْ زمانٌ . ولا أنـ ـشأ عصرٌ . ولا بنى بنّاءُ
هيكلٌ تُنْثَر الدياناتُ فيه فهي والناسُ والقرونُ هَباءُ
وقبورٌ تحَطُّ فيها الليالي ويُوارَى الإصباح والإمساءُ
تشفق الشمس والكواكبُ منها والجديدان ، والبِلى ، والفناءُ
فأعذُر الحاسدين فيها إذا لا مُوا . فصعبٌ على الحسودِ الثَّناءُ
زعموا أنها دعائمُ شِيدَتْ بيَدِ البَغْيِ . مِلْؤها ظلماءُ
دمّر الناسُ والرعيّةُ في تشـ ـييدها . والخلائقُ الأُسَراءُ
أين كان القضاءُ . والعدلُ . والحكـ ـمة . والرأْي . والنُّهى . والذكاءُ
وبنو الشمس من أعزّة مصرٍ والعلومُ التي بها يُستضاءُ
فادَّعَوْا ما ادّعى أصاغرُ آثيـ ـنا . ودعواهمُ خَناً وافتراءُ[3]
ورأوا للذين سادوا وشادوا سُبَّةً أن تُسخَّرَ الأعداءُ
إن يكن غيرَ ما أتَوْه فَخارٌ فأنا منك – يا فخارُ – بَراءُ
ليت شعري . والدهرُ حربُ بنيه وأياديه عندهم أفياءُ

١ الوجناء : الناقة الشديدة .
٢ الشم : جمع أشم ، وهو المرتفع .
٣ الخنا : الفحش في الكلام .

ما الذي داخلَ الليالِيَ منا | في صبانا ، ولليالي دهاءُ ؟
فَعَلا الدهرُ فوقَ علياءِ فرعو | نَ ، وهمَّتْ بمُلْكِهِ الأرزاءُ ؟
أعلنت أمرَها الذئابُ ، وكانوا | في ثيابِ الرُّعاة من قبل جاءُوا[1]
وأتى كلُّ شامتٍ من عِدَا المُلْـ | ـكِ إليهم ، وانضمّت الأجزاءُ
ومضى المالكون ، إلا بقايا | لهُمُ في ثرَى الصعيد التجاءُ
فعلى دولةِ البُناةِ سلامٌ | وعلى ما بنى البناةُ العَفاءُ
وإذا مصرُ شاةُ خيرٍ لراعي السـ | ـوءِ ، تُؤذيَ في نسلها وتُساءُ
قد أذلّ الرجالَ ، فَهْيَ عبيدٌ | ونفوسَ الرجالِ ، فَهْيَ إماءُ
فإذا شاء فالرقابُ فداه | ويسيرٌ إذا أراد الدماءُ
ولــقومٍ نوالُــه ورضـاه | ولأقوامٍ الــقِلَى والجفاءُ
فــفــريق ممتَّــعون بمصر | وفريقٌ في أرضهم غرباءُ
إن ملكتَ النفوسَ فابْغِ رضاها | فلها ثورةٌ ، وفيها مَضاءُ
يسكن الوحش للوثوب من الأسـ | ـر ، فكيف الخلائقُ العقلاءُ ؟
يحسب الظالمون أن سيسودو | ن ، وأن لن يُؤيَّد الضعفاءُ
والليالي جوائرٌ مثلَما جا | روا ، وللدهر مثلهم أهواءُ

* * *

لبثت مصرُ في الظلام ، إلى أن | قيل : مات الصباحُ والأضواءُ
لم يكن ذاك من عمًى ، كلُّ عينٍ | حَجَبَ الليلُ ضوءها عمياءُ
ما نراها دعا الوفاءُ بنيها | وأتاهم من القبور النداءُ
ليزيحوا عنها العدا ، فأزاحوا | وأُزيحت عن جفنها الأقذاءُ

١ ملوك الرعاة أو الهكسوس : فاتحون من آسية انتهزوا فرصة الضعف الذي حل بالبلاد على أثر انقضاء عهد الأسرة الثانية عشرة والتنازع الذي حدث على الملك بين طبقة الأشراف ، فغزوها في سنة ١٦٧٥ ق.م.

وأُعيد المجدُ القديم ، وقامت   في معالي آبائها الأبناءُ
وأتى الدهر تائباً بعظيمٍ   من عظيمٍ ، آباؤه عظماءُ
مَنْ كرمسيسَ في الملوك حديثاً   ولـرمسيسٍ الملوكُ فِداءُ[1]
بايعته القلوبُ في صُلب سيتي   يوم أن شاقها إليه الرجاءُ
واستعدّ العُبَّادُ للمولد الأكـ   ـبر ، وازَّيَّنت لَه الغبراءُ
جَلّ سيزوستريسُ عهْداً ، وجَلَّتْ   في صباه الآياتُ والآلاءُ
فسمعنا عن الصبيِّ الذي يعـ   ـفو ، وطبعُ الصِّبا الغشوم الإباءُ
ويرى الناسَ والملوكَ سواءً   وهل الناسُ والملوكُ سواءُ ؟
وأرانا التاريخُ فرعونَ يمشي   لم يَحُل دون بِشْرِه كبرياءُ

* * *

يولد السيدُ المتوَّجُ غضًّا   طهَّرته في مهدها النعْماءُ
لم يغيِّرْه يومَ ميلاده بؤ   سٌ ، ولا ناله وليداً شقاءُ
فإذا ما المملِّقون تولَّوْ   ه تَوَلّى طباعه الخيلاءُ
وسرى في فؤاده زخرفُ القو   ل ، تراه مستعذَباً وهو داءُ
فإذا أبيضُ الهديل غرابٌ   وإذا أبْلَجُ الصباح مَساءُ[2]

* * *

جَلَّ رمسيسُ فِطْرةً ، وتعالى   شيعةً أن يقوده السفهاءُ
وسما للعُلا ، فنال مكاناً   لم ينله الأمثال والنُّظَراءُ
وجيوش ينْهضْنَ بالأرض ملكاً   ولـواءٌ مـن تحتـه الأحياءُ

....

١ هو رمسيس الثاني ابن سيتي الأول : أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المصرية ، ولي عرش مصر وهو صغير ، واستمر حكمه من سنة ١٢٩٢ – ١٢٢٥ قبل الميلاد ، ويعرف برمسيس الأكبر ، لما اكتسبه من الشهرة الفائقة التي جعلت كثيراً من الناس يزعمون أنه أعظم ملوك مصر ، والذي كون له هذه الشهرة الكبيرة تلك المباني العديدة التي شيدها في جميع أنحاء البلاد .

٢ الهديل : ذكر الحمام .

ووجود يُساس . والقول فيه ما يقول القضاة والحكماء
وبناءٌ إلى بناءٍ ، يودُّ الخلْـ ـدُ لو نال عمرَه والبقاء
وعلومٌ تُحيي البلاد . وبنتَا هُورُ فخرُ البلادِ . والشعراء[1]
إيه سيزوستريس . ماذا ينال الـ ـوصفُ يوماً . أو يبلغ الإطراء
كَبُرتْ ذاتك العليَّة أن تُحـ ـصِي ثَناها الألقابُ والأسماء
لك آمُونُ . والهلالُ إذا يكـ ـبرُ . والشمسُ . والضحى . آباء[2]
ولك الريفُ . والصعيدُ . وتاجا مصرَ . والعرشُ عالياً . والرداء
ولك المنشآت في كل بحر ولك البرُّ أرضُه والسماء
ليت لم يُبْلِكَ الزمانُ . ولم يَبْـ ـلَ لِمُلْكِ البلادِ فيك رجاء
هكذا الدّهرُ : حالةٌ ثم ضدٌّ ما لحال مع الزّمان بقاء

* * *

لا رَعاكَ التاريخُ يا يومَ قمبيـ ـزَ ، ولا طَنْطنت بك الأنباء[3]
دارت الدّائراتُ فيك . ونالت هذه الأُمَّةَ اليدُ العَسْراء
فبمصر مما جنيتَ لمصرٍ أيُّ داءٍ . ما إن إليه دواء
نكدٌ خالدٌ ، وبؤسٌ مقيم وشقاءٌ يَجِدّ منه شقاء
يَوم مَنْفِيسَ ، والبلادُ لكسرى والملوكُ المطاعةُ الأعداء[4]

١ بنتاهور : شاعر مصري قديم .
٢ آمون اله الشمس في اعتقاد القدماء ، وقد كان القدماء يعتقدون أن الملوك نسل الآلهة التي أشير إليها في هذا البيت بالشمس والقمر .
٣ قمبيز : أحد ملوك الفرس ، استولى على مصر سنة ٥٢٥ ق.م، وسلك في المصريين مسلك العسف والظلم ، وخرب المعابد والهياكل ، وقتل العجل أبيس اله المصريين وغير ذلك . ويوم قمبيز هو اليوم الذي انتصرت فيه جيوشه على جيوش أبسمتيك آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين في الفرما ومنف ، والذي أخذ فيه الملك أسيراً فأذيق من الذل ما سترى .
٤ منفيس : هي منف وكانت العاصمة حينئذ . وكسرى : لقب لكل ملك من ملوك الفرس ، والمراد به هنا قمبيز .

يأمر السيفُ في الرِّقاب . وينهي ولمصرٍ على القَذَى إغضاءُ
جِيء بالمالك العزيز ذليلاً لم تُزلزِلْ فؤادَه البأساءُ
يُبصِر الآلَ إذ يُراح بهم في موقف الذّل عَنْوَةً ، ويُجاءُ
بنتُ فرعونَ في السلاسل تمشي أزعج الدهرَ عُرْيُها والحفاءُ[1]
فكأنْ لم ينهض بهَوْدجها الدهـ ـرُ ، ولا سار خلفها الأُمراءُ

وأبوها العظيم ينظر لما رُدِّيتْ مثلما تُردَّى الإماءُ[2]
أُعطيتْ جَرَّةً . وقيل : إليكِ النهـ ـرَ . قُومي كما تقوم النساءُ
فمشت تُظهر الإباء . وتحمي الدَّمْـ ـعَ أن تَسترِقَّه الضَّرَاءُ
والأعادي شواخصٌ . وأبوها بيَدِ الخَطب صخرةٌ صمَّاءُ[3]
فأرادوا لينظروا دمع فرعو نَ . وفرعونُ دمعُه العنقاءُ
فأرَوْهُ الصَّديقَ في ثوب فقر يسأل الجَمْعَ . والسؤالُ بلاءُ
فبكى رحمةً . وما كان مَن يبـ ـكي . ولكنَّما أراد الوفاءُ
هكذا الملكُ والملوكُ . وإن جا ر زمانٌ . ورَوَّعتْ بَلْواءُ

* * *

لا تسلني : ما دولة الفرس ؟! ساءت دولةُ الفرس في البلاد . وساءُوا[4]
أُمةٌ همُّها الخرائب تُبليـ ـها . وحَقُّ الخرائب الإعلاءُ
سَلَبَتْ مصرَ عِزَّها . وكستها ذِلَّةً ما لها الزمانَ انقضاءُ
وارتوى سيفُها . فعاجلها اللـ ـه بسيف ما إن له إرواءُ
طِلْبَةٌ للعبادِ كانت لإسكنـ ـدر في نَيْلها اليدُ البيضاءُ

---

١ الحفا (مقصورة ومدت) : المشي بلا خف ولا نعل .
٢ وتردى : أصلها تتردى ، أي تلبس الرداء .
٣ شواخص : جمع شاخص وهو الناظر بحيث لا تطرف عيناه .
٤ يعود الضمير هنا إلى الفرس أنفسهم .

شادَ إسكندرٌ لمصر بناءً   لم تَشِدْهُ الملوكُ والأمراءُ
بلداً يَرْحلُ الأنامُ إليه   ويحجُّ الـــطُّلابُ والحكماءُ
عاش عمراً في البحر ثغرَ المعالي   والمنارَ الذي به الاهتداءُ
مطمئنًّا من الكتائب والكتْـ   ـب بما ينتهي إليه العَلاءُ
يبعث الضوء للبلاد ، فتسري   في سناه الفهومُ والفهماءُ
والجواري في البحر يُظهرن عز الـ   ـملك ، والبحرُ صَوْلَةٌ وثراءُ[1]
والرعايا في نعمة ، ولبَطْليـ   ـمُوسَ في الأرض دولةٌ علياءُ[2]
فقضى الله أن تضيّع هذا الـ   ـملكَ أنثى صَعْبٌ عليها الوفاءُ[3]
تخذِتها رُوما إلى الشرّ تمهيـ   ـداً ، وتمهيدُه بأُنثى بلاءُ
فتناهَى الفسادُ في هذه الأر   ض ، وجاز الأبالسَ الإغواءُ
ضيَّعتْ قيصرَ البريةِ أُنثى   يا لَرَبّي مما تجرّ النساءُ[4]
فتنت منه كهف روما المُرَجَّى   والحُسامَ الذي به الاتقاءُ
قاهرَ الخصم والجَحافِلِ مهما   جَدَّ هوْلُ الوَغى وجدّ اللقاءُ
فأتاها من ليس تملكه أُنـ   ـثى ، ولا تسترقُّه هَيْفاءُ[5]
بطلُ الدولتين ، حامي حِمى رُو   ما . الذي لا تقوده الأهواءُ[6]

١ الجواري : السفن .
٢ بطليموس : حاكم مصر بعد الإسكندر ومؤسس دولة البطالسة التي استمرت من سنة ٣٢٣ ق.م، إلى سنة ٣٠٠ ق.م إذ سقطت في عهد كليوباترة .
٣ كليوباترة : هي آخر ملكة حكمت مصر من دولة البطالسة ، وقد هام بها قيصران : يوليوس ، وهو الذي انتهت بموته الجمهورية الرومانية ، وكانت صنيعة له ، وانطونيوس ، وهو الذي أنشأ بالاشتراك مع اكتافيوس الأمبراطورية الرومانية ، وقد كان هيام الأخير بها سبباً لغزو أكتافيوس لمصر وانتصاره على كليوباترة ، التي حاولت عبثاً أن تؤثر في قلبه بجمالها ، فانتحرت بأن وضعت على صدرها حية وانتحر انطونيوس .
٤ المقصود بقيصر هنا : انطونيوس .
٥ أكتافيوس قيصر .
٦ الدولتان : دولة الغرب ، ودولة الشرق .

أخذَ الملكَ ، وهْيَ في قبضة الأفـ ـعى عن الملك والهوى عمياءُ[1]
سلبتها الحياةَ ، فاعجبْ لرَقْطا ء أراحت منها الورى رقطاءُ
لم تُصِب بالخِداع نُجْحاً ، ولكن خدعوها بقولهم : حسناءُ
قتلت نفسها ، وظنت فداءً صَغُرت نفسُها ، وقلّ الفداءُ
سل كِلوبَترَةَ المكايدِ : هلّا صدّها عن ولاءِ روما الدهاءُ ؟
فبروما تأيّدت ، وبروما هي تشقى ، وهكذا الأعداءُ
ولروما المُلْكُ الذي طالما وَا فاهُ في السرّ نُصْحُها والولاءُ
وتولّت مصراً يمينٌ على المصـ ـريِّ من دون ذا الورى عَسْراءُ
تُسمِعُ الأرضُ قيصراً حين تدعو وعقيمٌ من أهل مصر الدعاءُ
ويُنيلِ الورى الحقوقَ ، فإن نا دته مصرُ فأُذْنُه صَمّاءُ
فأصبري مصرُ للبلاءِ ، وأنّى لكِ ؟ والصبرُ للبلاء بلاءُ
ذا الذي كنتِ تَلتجينَ إليه ليس منه إلى سواه التجاءُ

* * *

ربِّ ، شُقت العبادَ أزمانَ لا كتـ ـبٌ بها يُهتدَى ، ولا أنبياءُ[2]
ذهبوا في الهوى مذاهبَ شتّى جمعتها الحقيقةُ الزهراءُ[3]
فإذا لقّبوا قويّا إلٰهاً فله بالقُوَى إليك انتهاءُ
وإذا آثروا جميلاً بتنْزيـ ـهٍ ، فإن الجمالَ منك حِباءُ[4]

١ هي : أي كليوباترة .
٢ شاقة الحب إليه : هاجه ، والمراد بالكتب الكتب الإلهية التي تنزلت على الأنبياء .
٣ الحقيقة الزهراء : هي وجود الله وتوحيده ، ولقد تنوعت ديانة قدماء المصريين ، فكانوا في أول أمرهم يعتقدون بوجود إله واحد ، ورمزت له كل قبيلة برمز خاص ، ثم رمزوا لصفات هذا الإله برموز صارت بعدئذ معبودات ، ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التي لها تأثير محسوس في حياتهم كالشمس والقمر والنيل ، ثم اعتقدوا بحلول الآلهة في أجساد الحيوان ، فعبدوا العجل (أبيس) والقط والكلب وما إلى ذلك .
٤ الحباء : العطاء .

وإذا أنشئوا التماثيل غُرًّا   فـإلـيك الـرُّموزُ والإيماءُ
وإذا قدَّروا الكواكبَ أربا   باً ، فمنك السَّنا ، ومنك السناءُ[1]
وإذا ألَّهوا النباتَ ، فمِن آ   ثار نُعماك حُسْنُهُ والنَّماءُ
وإذا يمَّموا الجبال سجوداً   فـالمراد الجلالـةُ الشـمـاءُ
وإذا تُعبَد البحارُ مع الأسـ   ـماك ، والعاصفاتُ ، والأنواءُ
وسباعُ السماءِ والأرض ، والأر   حامُ ، والأمهاتُ ، والآباءُ
لِـعُلاك المذكَّـراتُ عـبيدٌ   خُضَّعٌ ، والمؤنَّثاتُ إماءُ[2]
جمع الخَلْقَ والفضيلةَ سِرٌّ   شَفَّ عنه الحجابُ فهو ضياءُ

* * *

سجدت مصرُ في الزمان لإيزيـ   ـسَ الندَى ، مَنْ لها اليدُ البيضاءُ
إنْ تَلِ البَرَّ ، فالبلادُ نُضارٌ   أو تَلِ البحرَ ، فالرياحُ رُخاءُ
أو تلِ النفسَ ، فهْيَ في كل عضو   أو تَلِ الأُفْقَ ، فهْيَ فيه ذُكاءُ[3]
قيل : إيزيس رَبَّةَ الكونِ ، لولا   أن تَوَحَّدْتِ ، لم تَكُ الأشياءُ
واتخذتِ الأنوارَ حُجْباً ، فلم تبـ   ـصرك أرضٌ ، ولا رأتكِ سماءُ
أنتِ ما أظهر الوجودُ وما أخـ   ـفى ، وأنت الإظهارُ والإخفاءُ
لك آبيسُ ، والمُحَبَّبُ أوزيـ   ـريسُ ، وابناه ، كلُّهم أولياءُ
مُثِّلت للعيون ذاتُكِ ، والتمـ   ـثيلُ يُدني مَنْ لا له إدناءُ
وادّعاكِ اليونان من بعد مصر   وتلاه في حُبِّك القدماءُ
فإذا قيل : ما مفاخر مصر ؟   قيل : منها إيزيسُها الغرّاءُ

* * *

١ السنا : الضوء . والسناء : الرفعة .
٢ المذكرات ما كان من هذه الآلهة مذكراً .
٣ ذكاء : من أسماء الشمس .

رَبِّ ، هذي عقولنا في صِباها ... نالها الخوف ، واستباها الرجاءُ
فعشِقناكَ قبل أن تأتِيَ الرُسْـ ... ـلُ ، وقامت بحبك الأعضاءُ
ووصلنا السُّرى ، فلولا ظلام الـ ... ـجهل لم يَخْطُنا إليك اهتداءُ
واتخذنا الأسماء شتّى ، فلما ... جاء موسى انتهت لك الأسماءُ
حَجَّنا في الزمان سحراً بسحرٍ ... واطمأنت إلى العصا السعداءُ
ويريد الإلهُ أن يُكرَمَ العقـ ... ـلُ ، وألا تُحقَّر الآراءُ
ظنّ فرعونُ أن موسى له وا ... فٍ ، وعند الكرام يُرجى الوفاءُ
لم يكن في حسابه يومَ رَبَّى ... أنْ سيأتي ضدَّ الجزاءِ الجزاءُ
فرأى اللهُ أن يعقَّ ، ولِلّـ ... ـه تُقي – لا لغيره – الأنبياءُ
مصر موسى عند انتماءٍ ، وموسى ... مِصرُ إن كان نسبةٌ وانتماءُ
فبه فخرُها المؤيَّدُ ، مهما ... هُزَّ بالسيد الكليم اللواءُ[1]
إن تكن قد جفته في ساعة الشك ... فحظُّ الكبير منها الجفاءُ
خِلَّة للبلاد يشقى بها النا ... سُ ، وتشقى الديارُ والأبناءُ
فكبيرٌ ألّا يُصانَ كبيرٌ ... وعظيمٌ أن يُنْبَذ العظماءُ

* * *

وُلد الرِّفقُ يوم مولدِ عيسى ... والمروءاتُ ، والهدى ، والحياءُ
وازدهى الكونُ بالوليد ، وضاءت ... بسناه من الثرى الأرجاءُ
وسرت آية المسيح ، كما يسـ ... ـري من الفجر في الوجود الضياءُ
تملأُ الأرضَ والعوالمَ نوراً ... فالثرى مائج بَهاً وضَّاءُ
لا وعيدٌ ، لا صولة ، لا انتقام ... لا حسام ، لا غزوة ، لا دماءُ
مَلَكٌ جاور الترابَ ، فلما ... ملّ نابت عن التراب السماءُ
وأطاعته في الإله شيوخٌ ... خُشَّعٌ ، خُضَّعٌ له ، ضعفاءُ

[1] هز الكوكب : انقض . والمراد : مهما خذل .

أذعن الناس والملوك إلى ما رسموا ، والعقول ، والعقلاءُ
فلهم وقفة على كلّ أرض وعلى كلّ شاطىءٍ إرساءُ
دخلوا ثيبةً ، فأحسن لقيا هم رجالٌ بثيبةٍ حكماءُ[1]
فهموا السرَّ حين ذاقوا ، وسهلٌ أن ينالَ الحقائقَ الفُهماءُ[2]
فإذا الهيكلُ المقدَّسُ دَيْرٌ وإذا الدير رَوْنَقٌ وبهاءُ
وإذا ثيبةٌ لعيسى ، ومنفيـ ـسُ ، ونِيلُ الثراء ، والبطحاءُ
إنما الأرضُ والفضاءُ لربّي وملوكُ الحقيقة الأنبياءُ
لهم الحبُّ خالصاً من رعايا هم ، وكُلٌّ الهوى لهم والوَلاءُ
إنما ينكر الدياناتِ قومٌ هم بما ينكرونه أشقياءُ

* * *

هرِمَت دولةُ القياصر ، والدّو لاتُ كالناس ، داؤهُنَّ الفَناءُ[3]
ليس تغني عنها البلادُ ولا ما لُ الأقاليم إن أتاها النداءُ
نال روما ما نال من قبلُ آثيـ ـنا ، وسيمَتْهُ ثيبةُ العَصماءُ
سُنّةُ الله في الممالك من قبـ ـلُ ومن بعد ، ما لِنُعمى بقاءُ

* * *

أظلم الشرقُ بعد قيصرَ والغر بُ ، وعمَّ البريّةَ الإدجاءُ
فالورى في ضلاله مُتَمادٍ يفتك الجهلُ فيه والجهلاءُ
عرّف اللهَ ضِلَّةً ، فهو شخص أو شِهاب ، أو صخرة صمّاءُ
وتولّى على النفوس هوى الأو ثان ، حتى انتهت له الأهواءُ
فرأى اللهُ أن تُطَهَّر بالسيـ ـف ، وأن تَغسِلَ الخطايا الدماءُ
وكذاك النفوسُ وهي مِراضٌ بعضُ أعضائها لبعضٍ فِداءُ

....

١ ثيبة : عاصمة من عواصم مصر القديمة .
٢ السر : أي سر عبادة الله على دين المسيح .
٣ دولة القياصرة : الدولة الرومانية .

لم يعادِ اللهُ العبيدَ ، ولكن شَقِيَت بالغباوةِ الأغبياءُ

وإذا جلَّت الذنوبُ وهالتْ فمن العدل أن يَهُول الجزاءُ

أشرق النورُ في العوالم لمّا بشَّرتْها بأحمدَ الأنباءُ

باليتيم الأُمِّيِّ ، والبَشر المو حَى إليه العلومُ والأسماءُ

قُوَّةُ الله إن تولَّتْ ضعيفاً تعبتْ في مِراسه الأقوياءُ

أشرفُ المرسلين ، آيتُه النط قُ مُبيناً ، وقومُه الفصحاءُ

لم يَفُهْ بالنوابغ الغُرِّ حتى سبق الخلقَ نحوَه البلغاءُ

وأتتْه العقولُ مُنقادةَ اللُّ بِّ ، ولبَّى الأعوانُ والنصراءُ

جاء للناس ، والسرائرُ فوضى لم يؤلِّف شتاتَهُنَّ لواءُ

وحِمى الله مستباحٌ ، وشرعُ اللـ ـه ، والحقُّ ، والصوابُ وراءُ

فلِجبريلَ جَيْئةٌ ، ورَواحٌ وهبوطٌ إلى الثرى ، وارتقاءُ

يُحْسَب الأُفْقُ في جَناحيه نورٌ سُلِبتْه النجومُ والجوزاءُ

تلك آيُ الفُرْقانِ ، أرسلها اللـ ـهُ ضياءً يَهدي به من يشاءُ[1]

نَسَخَتْ سنةَ النبيين والرسـ ـلِ ، كما ينسخ الضياءَ الضياءُ

وحماها غُرٌّ ، كرامٌ ، أشدّا ءُ على الخصم ، بينهم رُحَماءُ

أُمةٌ ينتهي البيان إليها وتؤول العلومُ والعلماءُ

جازت النجمَ ، واطمأنَّتْ بأُفْقٍ مطمئنٌّ به السَّنى والسناءُ

كلّما حثَّت الركابَ لأرضٍ جاور الرشدُ أهلَها والذكاءُ

وعلا الحقُّ بينهم ، وسما الفضـ ـلُ ، ونالت حقوقَها الضعفاءُ

تحملُ النجمَ ، والوسيلةَ ، والميـ ـزانَ من دينها إلى من تشاءُ

وتُنيلُ الوجودَ منه نظاماً هو طِبُّ الوجودِ ، وهو الدواءُ

يرجع الناسُ والعصورُ إلى ما سَنَّ ، والجاحدون ، والأعداءُ

١ الآي : جمع آية .

فيه ما تشتهي العزائم إن هـ ـمَّ ذووها ويشتهي الأذكياءُ
فلِمن حاول النعيمَ نعيمٌ ولمن آثر الشقاء شقاءُ
أَيَرَى العُجْمُ مِنْ بني الظلِّ والما ءِ عجيباً أن تُنجِب البيداءُ
وتُثيرُ الخيامُ آسادَ هيجا ءِ تراها أسادَها الهيجاءُ
ما أنافتْ على السواعد حتى الـ ـأرضُ طُرًّا في أسرِها والفضاءُ
تشهد الصينُ ، والبحارُ ، وبغدا دُ ، ومصرٌ ، والغربُ . والحمراءُ[1]
من كعَمْرو البلادُ ، والضادُ ممّا شاد فيها ، والمِلَّةُ الغرّاءُ ؟
شاد للمسلمين ركناً جَساماً ضافيَ الظلِّ . دأْبُه الإيواءُ
طالما قامت الخلافةُ فيه فاطمأَنَّتْ . وقامت الخلفاءُ
وانتهى الدِّينُ بالرجاءِ إليه وبنو الدِّينِ إذ هُمُ ضعفاءُ
مَنْ يَصُنْهُ يَصُنْ بقيَّةَ عزٍ غَيَّضَ التُّركُ صفوَه والثّواءُ
فابكِ عمراً إن كنت مُنْصِف عمرو إن عمراً لنيرٌ وضّاءُ
جاد للمسلمين بالنيل ، والنيـ ـلُ لمن يقتنيه أفريقاءُ
فهي تعلو شأْناً إذا حُرِّرَ النيـ ـلُ ، وفي رِقِّه لها إزراءُ

* * *

واذكر الغُرَّ آلَ أيوبَ ، وامدحْ فمن المدح للرجال جزاءُ[2]
هم حماةُ الإسلام ، والنفرُ البيـ ـضُ ، الملوكُ ، الأعزّةُ ، الصُّلَحَاءُ
كلَّ يومٍ بالصالحيّة حصنٌ وببُلبَيسَ قلعةٌ شمّاءُ
وبمصرٍ للعلم دارٌ ، ولِلضيفـ ـان نارٌ عظيمةٌ حمراءُ
ولأعداءِ آل أيوب قتلٌ ولِأسراهُمُ قِرًى وثَراءُ

١ الحمراء : قصر مشهور بالأندلس .
٢ يشير إلى الدولة الأيوبية التي أسسها صلاح الدين الأيوبي ، وحكمت مصر من سنة ١١٧١ إلى سنة ١٢٥٠ م .

يعرف الدينُ مَنْ صلاحٌ ؟ ويدري — من هو المسجدان والإسراءُ ؟
إنه حصنُه الذي كان حصناً — وحِماه الذي به الاحتماءُ
يوم سار الصليبُ والحاملوه — ومشى الغربُ : قومُه ، والنساءُ
بنفوس تجول فيها الأماني — وقلوبٍ تثور فيها الدماءُ
يضمرون الدمارَ للحقِّ . والنا — سِ ، ودينِ الذين بالحق جاءُوا
ويهدُّون بالتلاوة والصُّلـ — ـبان ما شاد بالقنا البنَّاءُ
فتلقّتهمُ عزائمُ صدق — نُصَّ للدين بينهنّ خِباءُ
مَزَّقتْ جمعَهم على كل أرضٍ — مثلَما مزّق الظلامَ الضياءُ
وسَبَتْ أمْردَ الملوك . فردّتـ — ـه وما فيه للرعايا رجاءُ[1]
ولو أنَّ المليكَ يبتّ أذاه — لم يُخَلِّصه من أذاها الفداءُ
هكذا المسلمون والعربُ الخا — لون ، لا ما يقوله الأعداءُ
فبهم في الزمان بِنا الليالي — وبهم في الورى لنا أنباءُ
ليس للذل حيلةٌ في نفوس — يستوي الموت عندها والبقاءُ

* * *

واذكر الترك . إنهم لم يُطاعوا — فيرى الناسُ أحسنوا أم أساءُوا
حكمت دولةُ الجراكس عنهم — وهي في الدّهر دولةٌ عَسْراءُ[2]
واستبدّت بالأمر عنهم ، فـ «با — شا» التُّرْكِ في مصرَ آلةٌ صمَّاءُ
يأْخذ المالَ من مواعيدَ ما كا — نوا لها مُنْجزين ، فهْيَ هَباءُ
ويسومونه الرضا بأُمور — ليس يَرضى أقلَّهن الرضاءُ

---

١ سبى العدو : أسره ، وأمرد الملوك لويس التاسع ملك فرنسا وكان من أبطال الصليبيين . أسره توران شاه في موقعة المنصورة الفاصلة ثم فدى نفسه وبقية أهله وعساكره بمبلغ ١٠ ، ٠٠٠ ، ٠٠٠ فرنك .
٢ الجراكس : المماليك .

فيُداري ليعصِم الغدَ منهم   والمداراةُ حكمــةٌ ودهــاءُ
وأتى النَسرُ ينهب الأرض نهباً   حوله قومُه ، النسورُ ظِماءُ[1]
يشتهي النيلَ أن يشيد عليه   دولةً عرضُها الثرى والسماءُ
حَلمت رومةٌ بها في الليالي   ورآها القياصرُ الأقوياءُ
فأتت مصرَ رُسْلُهم تتوالى   وترامت سودانها العلماءُ
ولو استُشْهدَ الفرنسيسُ روما   لأتَتْهم من رومةَ الأنباءُ
علمت كل دولة قد تولت   أننا سمُّها ، وأنّا الوباءُ
قاهرُ العصرِ والممالِك ، نابلـ   ـيونُ ولّتْ قوّادُه الكبراءُ
جاء طيشاً ، وراح طيشاً ، ومن قبـ   ـلُ أطاشت أُناسَها العلياءُ
سكتتْ عنه يومَ عيَّرها الأهـ   ـرامُ ، لكنْ سكوتُها استهزاءُ
فهْي تُوحي إليه أن تلك واتر   لو فأين الجيوشُ أين اللواءُ؟[2]
وأتى المُنتمي لأمّة عثما   نَ عليٌّ مَنْ يعرفُ الأحياءُ[3]
ملكُ الحِلم والعزائم إن عُدَّ   تْ ملوك الزمان والأُمراءُ
رام بالريف والصعيد أموراً   لم تَنَلْ كنهَ غورها الأَغبياءُ[4]
رام تاجَيْهما وعرش المعالي   ويروم العظائم العظماء
أملٌ أبيضُ الخلالِ رفيعٌ   صغَّرته الأَذلة الأَشقياء
فكفاه أن جاء مَيْتًا فأحيا   وكفى مصرَ ذلك الإحياء

* * *

---

١ النسر : نابليون بونابرت .

٢ واترلو (في ١٨ يونيو سنة ١٨١٥) موقعة دارت رحاها بين نابليون وولنجتون القائد الانكليزي الشهير فانتصر الأخير بمساعدة بلوخر القائد الروسي وكان من نتائج هزيمة نابليون في هذه الموقعة أسره ونفيه إلى جزيرة (سنت هيلانة) حيث قضى البقية من حياته .

٣ علي : أي محمد علي باشا .

٤ الغور : العمق .

واذكر العادل الكريم سعيداً إن قوماً له انتَمَوْا سُعداءُ
المهيبُ اللواءِ والسيفِ في السلـ ـمِ، المفدَّى فما له أعداءُ
عرَبيٌّ زمانَه عُمَريٌّ عهده فيه رحمةٌ ووفاءُ
مثلما شاءت الأراملُ والأيـ ـتامُ والبائسون والضعفاءُ
جمع الزاخرِيْن كَرْهاً فلا كا نا ولا كان ذلك الالتقاءُ[1]
أحمرٌ عند أبيض للبرايا حِصَّةُ القطرِ منهما سوداءُ[2]
وغزير الهدى مَن الحمد والتو فيق صيغت لذاته الأسماءُ
بثَّتِ العدلَ راحتاهُ وعزَّت في حِماه العلومُ والعلماءُ
إن أتاها فليس فيها ببادٍ أو جناها فذا الورى شركاءُ[3]
أخطأَ الأقربونَ موضعَها الدا ني وفازت بِنَيْلِه البعَداءُ
لا يَلُمْ بعضكم على الخطب بعضاً أيها القومُ كلُّكُم أبرياءُ
ضَلَّة زانها الشقاء لمصر ومن الذنب ما يجيء الشقاءُ[4]
وقضى اللهُ للعزيز بنصرٍ فأتى نصرُه وكان القضاءُ

* * *

يا عزيزَ الأنام والعصر سمعاً فلقد شاق منطقي الإصغاءُ
إن عصراً مولاي فيه المرجَّى أنا فيه القريضُ والشعراءُ

١ يريد بالزاخرين : البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، والإشارة إلى قناة السويس .
٢ أحمر : أي البحر الأحمر . وأبيض : أي البحر الأبيض المتوسط .
٣ يشير إلى احتلال الجنود الانجليزية لمصر في عهد توفيق باشا بعد الثورة العرابية .
٤ أجاء فلاناً : اضطره .

هذه حكمتي وهذا بياني   لي به نحو راحتيك ارتقاءُ[1]
ألثُم السُّدة التي إنْ أنلْها   تهوَ فيها وتسجدُ الجوزاءُ[2]
سائلاً أن تعيش مصرُ، ويبقى   لك منها ومن بنيها الولاءُ
كيف تشقى بحب «حلمي» بلاد   نحن أسيافُها و«حلمي» المضاءُ

١ الراحة : الكف .
٢ السدّة : باب الدار ، أو المظلة فوقه .

الهمزية النبوية

وُلد الهدى ، فالكائناتُ ضياءُ — وفَمُ الزّمان تبسُّمٌ وثناءُ
الرُّوحُ والملأُ الملائكُ حَوْلَهُ — للدِّين والدنيا به بُشَراءُ[1]
والعرشُ يزهو ، والحظيرةُ تَزْدَهي — والمنتهى ، والسِّدْرَةُ العصماءُ[2]
وحديقةُ الفرقان ضاحكةُ الربى — بالترجمانِ ، شَذِيَّةٌ ، غنَّاءُ
والوحْيُ يقطرُ سَلْسَلاً من سلسلٍ — واللوحُ والقلمُ البديعُ رُواءُ[3]
نُظِمَتْ أسامي الرُّسْلِ فهي صحيفة — في اللوح ، واسمُ محمدٍ طُغراءُ[4]
اسمُ الجلالة في بديع حروفهِ — ألِفٌ هنالك ، واسمُ طَه الباءُ

* * *

يا خير من جاء الوجودَ ، تحية — من مُرسَلين إلى الهدى بك جاؤوا
بيت النبيّين الذي لا يلتقي — إلا الحنائف فيه والحنفاءُ[5]
خيرُ الأُبوةِ حازَهم لَكَ آدمٌ — دونَ الأنام ، وأحرزتْ حَوَّاءُ
هم أدركوا عِزَّ النبوَّةِ وانتهت — فيها إليكَ العِزَّةُ القعساءُ[6]
خُلِقَتْ لبيتك ، وهو مخلوقٌ لها — إن العظائِمَ كفؤها العظماءُ

١ الروح الأمين : لقب جبريل . والملأ : الأشراف . والملائك : الملائكة . وبشراء : جمع بشير .
٢ سدرة المنتهى : يقال انها شجرة نبق على يمين العرش .
٣ الرواء : ماء الوجه وحسن المنظر .
٤ الطغراء : ما يسميه العامة «طرة» وأصلها طغرى بالقصر .
٥ الحنيف : الصحيح الميل إلى الإسلام وكل من كان على دين إبراهيم عليه السلام ، والجمع حنفاء .
٦ القعساء : المنيعة الثابتة .

بكَ بَشَّرَ اللهُ السماءَ فَزُيِّنَتْ   وتضوَّعت مسكاً بكَ الغبراءُ
وبدا مُحَيَّاكَ الذي قَسَماتُه   حق ، وغُرَّتُه هُدًى وحَياءُ[1]
وعليه من نورِ النُّبُوَّةِ رَوْنقٌ   ومن الخليل وهَدْيِه سِيماءُ[2]
أثنى المسيحُ عليه خلف سمائه   وتهلَّلت واهتزَّتِ العذراءُ[3]
يومٌ يتيهُ على الزمان صَباحُه   ومَساؤه بمحمدٍ وَضَّاءُ
الحقُّ عالي الركنِ فيه ، مُظَفَّرٌ   في المُلْكِ ، لا يعلو عليه لواءُ
ذُعِرت عروشُ الظالمين ، فزُلزِلت   وعَلَتْ على تِيجانِهم أصْداءُ
والنارُ خاويةُ الجوانب حولَهُمْ   خَمَدَت ذوائبُها ، وغاض الماءُ[4]
والآيُ تَتْرَى ، والخَوارقُ جَمَّةٌ   جبريلُ رَوَّاح بها غَدَّاءُ
نِعمَ اليتيمُ بَدَت مَخايلُ فضلِه   واليُتمُ رزقٌ بعضُه وذَكاءُ
في المهد يُستَسْقَى الحيَا برجائه   وبقصدِهِ تُستَدْفَعُ البَأْساءُ
بِسوى الأمانة في الصِّبا والصدقِ لم   يعرفْه أهلُ الصدقِ والأُمناءُ
يا مَنْ له الأخلاقُ ما تهوَى العلا   منها وما يَتعشَّقُ الكبراءُ
لو لم تُقِم ديناً ؛ لقامت وحدَها   ديناً تُضيءُ بنوره الآناءُ
زانتك في الخلقِ العظيمِ شمائلٌ   يُغرَى بهنَّ ويُولَعُ الكرماءُ
أما الجمالُ ؛ فأنت شمسُ سمائه   وملاحةُ الصِّدِّيقِ منك أياءُ[5]
والحسنُ من كرم الوجوهِ ، وخيرُه   ما أُوتِيَ القُوَّادُ والزعماءُ
فإذا سَخَوتَ بلغتَ بالجود المدى   وفعلتَ ما لا تفعلُ الأنواءُ
وإذا عَفَوْت فقادراً ، ومقدّراً   لا يستهين بعفوك الجُهلاءُ

[1] القسمة ما بين الوجنتين والأنف .
[2] الخليل : إبراهيم عليه السلام .
[3] العذراء : السيدة مريم .
[4] الذوائب : جمع ذؤابة ، وهي أعلى كل شيء والمراد بالذوائب هنا ألسنة اللهيب .
[5] أياء الشمس وأياتها : نورها وحسنها .

وإذا رحِمت فأنت أُمٌّ ، أو أبٌ   هذان في الدنيا هما الرُّحَماءُ
وإذا غَضِبْتَ فإنما هي غَضْبَةٌ   في الحق ، لا ضِغنٌ ولا بغضاءُ
وإذا رضيتَ فذاك في مرضاته   ورِضَى الكثير تَحلُّمٌ ورياءُ
وإذا خطبتَ فللمنابر هِزَّةٌ   تَعرو النَّدِيَّ ، وللقلوب بكاءُ
وإذا قضيتَ فلا ارتيابَ ، كأنما   جاء الخصومَ من السماءِ قضاءُ
وإذا حمَيْتَ الماء لم يُورَدْ ، ولو   أن القياصِرَ والملوكَ ظِماءُ
وإذا أجَرتَ فأنتَ بيتُ اللهِ ، لم   يدخل عليه المستجيرَ عداءُ
وإذا ملكتَ النفسَ قُمْتَ بِبِرِّها   ولو آن ما ملَكت يداك الشاءُ
وإذا بنيتَ فخيرُ زَوْجٍ عِشرةً   وإذا ابتنيْتَ فدونَك الآباءُ[1]
وإذا صَحِبتَ رأى الوفاء مُجَسَّمًا   في بُرْدِك الأصحابُ والخلطاءُ
وإذا أخذتَ العهدَ ، أو أعْطَيتَه   فجميعُ عَهدِك ذِمَّةٌ ووفاءُ
وإذا مَشَيْتَ إلى العدا فغَضَنْفَرٌ   وإذا جريْتَ فإنكَ النكباءُ[2]
وتَمُدُّ حِلمَكَ للسفيهِ مُدارياً   حتى يضيق بِعرضِكَ السفهاءُ
في كل نفْسٍ من سُطاكَ مَهابةٌ   ولكل نفسٍ في نداكَ رجاءُ
والرأْيُ لم يُنضَ المُهَنَّدُ دونه   كالسيف لم تضرب به الآراءُ[3]

* * *

يأَيُّها الأمِّي ، حَسْبُكَ رتبةٌ   في العلم أن دانَتْ بك العلماءُ[4]
الذكرُ آيةُ ربِّكَ الكبرى التي   فيها لباغي المعجزاتِ غَناءُ
صَدْرُ البيانِ له إذا التقت اللُّغى   وتقدّم البلغاءُ والفصحاءُ

١ بنى بأهله : زف إليهم . وابتنى : صار له بنون .
٢ النكباء : ريح بين ريحين .
٣ نضا السيف من غمده : سله .
٤ دان به : اتخذه ديناً .

نُسِختْ به التوراةُ وهي وضيئةٌ ... وتخلَّف الإنجيلُ وهو ذُكاءُ[1]
لما تمشَّى في الحجاز حكيمُه ... فُضَّت عُكاظُ به . وقام حِراءُ[2]
أزرى بمنطِقِ أهلِهِ وبيانِهم ... وحيٌ يُقَصِّرُ دونه البلغاءُ
حسدوا ، فقالوا : شاعرٌ ، أو ساحرٌ ... ومن الحسود يكون الاستهزاءُ
قد نال بالهادي الكريم وبالهدى ... ما لم تنل من سُؤدد سيناءُ
أمسى كأنك من جلالك أُمَّةٌ ... وكأنه مِنْ أنسِه بَيداءُ
يُوحَى إليك الفوزُ في ظلماته ... متتابعاً ، تُجْلى به الظلماءُ
دينٌ يُشيَّد آيةً في آية ... لبنائه السُّوراتُ والأضواءُ
الحقُّ فيه هو الأساسُ ، وكيف لا ... والله جلَّ جلاله البنَّاءُ ؟
أما حديثُكَ في العقول فَمَشْرَعٌ ... والعلمِ والحِكمُ الغوالي الماءُ
هو صِبغةُ الفرقان ، نفحةُ قُدْسِه ... والسين من سوراته والراءُ
جَرتِ الفصاحةُ من ينابيع النُّهَى ... من دَوْحه . وتفجَّى الإنشاءُ
في بحرِهِ للسابحين بِه على ... أدبِ الحياةِ وعلمِها إرساءُ
أتت الدُّهور على سُلافته ، ولم ... تَفْنَ السُّلافُ ، ولا سلا النُّدَماءُ[3]

* * *

بك يا ابن عبد الله قامتْ سَمْحَةٌ ... بالحقِّ من مِلَلِ الهدى غرَّاءُ[4]
بُنِيَتْ على التوحيد ، وهي حقيقةٌ ... نادى بها سُقْراطُ والقدماءُ
وَجَدَ الزُّعافَ من السُّموم لأجلها ... كالشُّهدِ ، ثم تتابعَ الشّهَداءُ
ومشى على وجه الزمان بنورها ... كُهَّانُ وادي النيل والعُرَفاءُ
إيزيسُ ذاتُ الملك حين توحَّدَتْ ... أخذت قِوامَ أُمورِها الأشياءُ[5]

---

١ ذكاء : من أسماء الشمس .
٢ حراء : الغار الذي كان يتعبد فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم ونزل عليه فيه الوحي .
٣ السلاف والسلافة : أفضل الخمر .
٤ السمحة : الملة التي ليس فيها ضيق .
٥ إيزيس : من آلهة المصريين القدماء .

لما دعوتَ الناسَ لبَّى عاقلٌ   وأصمَّ منك الجاهلين نداءُ
أبَوْا الخروجَ إليك من أوهامهم   والناسُ في أوهامهم سُجناءُ
ومن العقول جَداولٌ وجَلامِدٌ   ومن النفوس حرائرٌ وإماءُ
داءُ الجماعةِ من أرسطاليس لم   يُوصَف له حتى أتيتَ دواءُ
فرسمتَ بعدَك للعبادِ حكومةً   لا سُوقةٌ فيها ولا أُمراءُ
اللهُ فوقَ الخلقِ فيها وحدَهُ   والناسُ تحت لوائها أكفاءُ
والدِّينُ يُسْرٌ ، والخلافةُ بيعةٌ   والأمرُ شُورَى ، والحقوقُ قضاءُ
الاشتراكيون أنتَ إمامُهم   لولا دعاوى القوم والغُلَواءُ
داويْتَ مُتَّئِداً ، وداوَوْا طَفْرةً   وأخفُّ من بعضِ الدواءِ الداءُ
الحربُ في حقٍّ لديك شريعةٌ   ومن السُّمومِ الناقعاتِ دواءُ
والبِرُّ عندكَ ذِمَّةٌ ، وفريضةٌ   لا مِنَّةٌ ممنونةٌ وجَباءُ
جاءتْ فوحَّدَت الزكاةُ سبيلَه   حتى الْتقى الكرماءُ والبخلاءُ
أنصفتَ أهلَ الفقرِ من أهلِ الغنى   فالكلُّ في حقِّ الحياة سواءُ
فلو أنَّ إنساناً تخيَّرَ مِلَّةً   ما اختار إلا دينَكَ الفقراءُ

* * *

يأيها المُسرَى به شرفاً إلى   ما لا تنالُ الشمسُ والجوْزاءُ
يتساءلون – وأنتَ أطهرُ هيكلٍ   بالروح أو بالهيكل الإسراءُ ؟
بهما سَموْتَ مُطَهَّرَيْن . كلاهما   نورٌ ، وريحانيَّة ، وبهاءُ
فضلٌ عليكَ لذي الجلالِ ومِنَّةٌ   واللهُ يفعل ما يرى ويشاءُ
تغشى الغُيوبَ من العوالم . كلَّما   طُوِيَتْ سماءٌ قُلِّدَتْكَ سماءُ
في كل مِنطقةٍ حواشي نورها   نونٌ . وأنت النقطةُ الزهراءُ
أنت الجمالُ بها . وأنت المجتلي   والكفُّ . والمِرآةُ . والحسناءُ
اللهُ هيَّأ من حظيرةِ قُدسه   نزلاً لذاتك لم يَجُزْهُ علاءُ
العرشُ تحتكَ سُدَّةً وقوائماً   ومناكبُ الروحِ الأمينِ وِطاءُ

والرُّسْلُ دون العرش لم يُؤذَنْ لهمْ حاشا لغيركَ موعدٌ ولقاءُ

* * *

الخيلُ تأْبى غيرَ أحمدَ حامياً وبها إذا ذُكِر اسْمُه خيَلاءُ
شيخُ الفوارسِ يعلمون مكانَه إن هَيَّجت آسادَها الهَيْجاءُ
وإذا تَصدَّى للظُّبي فمُهنَّدٌ أو للرِّماح فَصَعْدَةٌ سمراءُ[1]
وإذا رمَى عن قوسه فيمينُهُ قَدَرٌ ، وما ترمي اليمينُ قضاءُ
من كل داعي الحق هِمَّةُ سيفِه فلِسيفه في الراسيات مَضاءُ
ساقي الجريح ومُطعمُ الأسرى ، ومَنْ أمِنَت سَنابكَ خيلِه الأشلاءُ
إنَّ الشجاعةَ في الرجال غلاظةٌ ما لم تزنها رأفةٌ وسخاءُ
والحرب من شرف الشعوب ، فإن بَغَوْا فالمجدُ مما يدَّعون بَراءُ
والحربُ يبعثُها القويُّ تجبُّراً ويَنوءُ تحتَ بَلائِها الضُّعَفاءُ
كم من غَزاةٍ للرسول كريمةٍ فيها رِضًى للحقِّ أو إعلاءُ
كانت لجند الله فيها شِدَّةٌ في إثْرِها للعالمين رَخاءُ
ضربوا الضَلالةَ ضربةً ذهبت بها فعَلى الجهالةِ والضلالِ عَفاءُ
دَعَموا على الحرب السلامَ ، وطالما حَقَنت دِماءً في الزمان دِماءُ

* * *

الحقُّ عِرضُ الله ، كلُّ أبيَّةٍ بين النفوس حِمًى له وَوِقاءُ
هل كان حولَ محمدٍ من قومه إلا صَبيٌّ واحد ونساءُ ؟
فدعا ، فلبَّى في القبائل عُصبةٌ مُستضعَفون ، قلائلٌ أنضاءُ[2]
رَدُّوا ببأس العزم عنه من الأذى ما لا تَرُدُّ الصخرةُ الصماءُ

[1] الظبي : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، والصعدة : القناة المستوية .
[2] النضو : المهزول من الإبل وغيرها .

والحقُّ والإيمانُ إن صُبَّا على ... بـرد فـفـيـه كَتِيبةٌ خرساءُ
نسفوا بناء الشِّرْك ، فهو خرائبٌ ... واستأْصلوا الأصنامَ ، فهي هَباءُ
يمشون تُغضِي الأرضُ منهم هيبةً ... وبهم حِيالَ نعيمِها إغضاءُ
حتى إذا فُتِحَتْ لهم أطرافُها ... لم يُطْغِهِم تَرَفٌ ولا نَعْماءُ
يا مَنْ لهُ عِزُّ الشفاعةِ وَحْدَهُ ... وهُو المُنَزَّهُ ، ما له شُفَعاءُ
عرشُ القيامَة أنتَ تحت لوائه ... والحوْضُ أنتَ حِيالَهُ السَّقاءُ
تروي وتسقي الصالحين ثوابَهم ... والصالحاتُ ذخائرٌ وجزاءُ
ألمثل هذا ذُقتَ في الدنيا الطَّوى ... وانشقَّ مِن خَلَقٍ عليكَ رِداءُ ؟
لي في مديحك يا رسُولُ عرائسٌ ... تُيِّمْنَ فيك ، وشاقَهنَّ جَلاءُ
هُنَّ الحسانُ ، فإن قبلتَ تكرُّماً ... فمُهورُهُنَّ شَفاعَةٌ حَسناءُ
أنت الذي نَظمَ البريَّةَ دينُهُ ... ماذا يَقول ويَنظم الشُّعراءُ ؟
المُصلِحون أصابعٌ جُمِعت يَداً ... هي أنت ، بَلْ أنت اليَدُ البيضاءُ
ما جئتُ بابكَ مادحاً ، بل داعياً ... ومن المديح تضرُّعٌ ودُعاءُ
أدعُوك عن قومي الضِّعافِ لأزمةٍ ... في مثلها يُلْقَى عليك رَجاءُ
أدَرى رسُولُ اللهِ أنّ نفوسَهم ... ثِقَةٌ ، ولا جَمع القلوبَ صفاءُ
رقدُوا ، وغرَّهُم نعيمٌ باطلٌ ... ونعيمُ قومٍ في القيُود بلاءُ

* * *

ظلمُوا شريعتَك التي نلنا بها ... ما لم ينل في رومةَ الفقهاءُ
مشتِ الحضارةُ في سَناها ، واهتدى ... في الدِّين والدُّنيا بها السعداءُ
صلى عليك اللهُ ما صحِب الدُّجى ... حادٍ ، وحنَّت بالفلا وَجْناءُ[1]
واستقبل الرِّضْوانَ في غُرفاتِهم ... بجِنان عَدْنٍ آلُك السُّمحاءُ
خيرُ الوسائل ، مَنْ يقع منهُم على ... سَبب إليك فحسبِيَ الزَّهراءُ

---

[1] الوجناء : الناقة الشديدة .

صدى الحرب *

بسيفِك يعلو الحقُّ ، والحقُّ أغلَب ... ويُنصَرُ دينُ اللهِ أيّانَ تَضْرِبُ
وما السيفُ إلا آيةُ المُلكِ في الورى ... ولا الأمرُ إلا للذي يتغلّب
فأدِّبْ به القومَ الطُّغاةَ ؛ فإنه ... لنِعْمَ المربي للطغاةِ المؤدِّب
وداوِ به الدُّولاتِ من كلّ دائها ... فنعم الحسامُ الطبُّ والمُتطَبِّب
تنامُ خُطوبُ المُلك إن بات ساهراً ... وإن هو نام استيقظت تتألّب
أمِنّا الليالي أن نُراع بحادثٍ ... وأرمينيا ثكلى ، وحوران أشيَبُ
ومملكةُ اليونانِ محلولةُ العُرَى ... رجاؤك يعطيها ، وخوفُك يسلب
هدَدْت أميرَ المؤمنين كيانَها ... بأسْطَعَ مثلِ الصبح لا يتكذَّب[1]
وما زال فجراً سيفُ عثمانَ صادقاً ... يُساريه من عالي ذكائكَ كوكب[2]
إذا ما صَدَعْتَ الحادثاتِ بحدِّه ... تكشَّفَ داجي الخطبِ ، وانجاب غَيْهب
وهاب العدا فيه خلافتَك التي ... لهم مأرُبٌ فيها ولله مأرُب

* * *

أبوة أمير المؤمنين

سما بكَ يا عبدَ الحميدِ أُبُوَّةٌ ... ثلاثون ، خُضَّارُ الجلالة غُيَّب
قياصرُ أحياناً ، خلائفُ تارةً ... خواقينُ طوراً ، والفَخار المقلَّب

....

* في وصف الوقائع العثمانية اليونانية .
١ الخطاب للسلطان عبد الحميد .
٢ معناه : لكل فجر كوكب يسايره ويصحبه ، وفجر هذا السيف رأيك الوضاء ، وما منحت من نادر الذكاء .

نجومُ سعودِ الملك ، أقمارُ زَهوِهِ لو أن النجومَ الزُّهْرَ يجمعُها أب
تواصَوْا به عصراً فعصراً ، فَزاده مُعَمَّمُهم من هَيبةٍ والمُعصَّب[1]
همُ الشمسُ ، لم تبرح سماواتِ عزِّها وفينا ضُحاها والشعاعُ المحبَّب

الجلوس الأسعد

نهضتَ بعرشٍ ينهض الدهرُ دونه خشوعاً ، وتخشاه الليالي وترهَب
مَكِينٍ على متن الوجود ، مُؤيَّدٍ بشمسِ استواءٍ مالها الدهرَ مغرب
تَرَقَّت له الأسواءُ ، حتّى ارتقيتَه فقمتَ بها في بعضِ ما تتنكَّب
فكنتَ كعين ، ذاتِ جَرْيٍ ، كمينةٍ تفيض على مرِّ الزمانِ وتعْذُب
موكَّلةٍ بالأرض ، تنسابُ في الثرى فيحيا ، وتجري في البلاد فتُخْصِب
فأحييتَ ميْتاً ، دارسَ الرسم ، غابراً كأنك فيما جئتَ عيسى المقرّب[2]
وشِدْتَ مناراً للخلافةِ في الورى تشرِّقُ فيهم شمسُه ، وتُغرِّب
سهرتَ ، ونام المسلمون بغبطةٍ وما يزعجُ النوامَ والساهرُ الأب ؟
فنبَّهَنا الفتحُ الذي ما بفجرهِ ولا بك – يا فجرَ السلامِ – مُكذِّب

حلم عظيم وبطش أعظم

حُسامُك من سقراطَ في الخطب أخْطَبُ وعودُك من عُود المنابر أصْلَبُ
وعزمُك من هوميرَ أمضى بديهةً وأجلى بياناً في القلوب ، وأعذب[3]

١ معممهم : ذو العمامة منهم ، وكذا المعصب ، هو أيضاً المتوج ، والعمامة والعصابة والتاج مما لبس سلاطين آل عثمان .
٢ الرسم : ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الدار . ودرس : أي بلي وعفا .
٣ هوميرٍ أكبر شعراء اليونان الأقدمين .

وإن يذكروا إسكندراً وفتوحَه فعهدُك بالفتح المحجَّل أقرب[1]
ومُلكُك أرقى بالدليل حكومةً وأنفذُ سهماً في الأُمور ، وأصوَب
ظهرتَ أميرَ المؤمنين على العدا ظهوراً يسوءُ الحاسدين ويُتعِب
سلِ العصرَ ، والأيامَ ، والناسَ : هل نَبا لرأْيك فيهم ، أو لسيفكَ مَضْرِب
همُ مَلأُوا الدنيا جَهاماً ، وراءه جهامٌ من الأعوان أهذَى وأكذب[2]
فلما استللْتَ السيفَ أخلَبَ برقُهمْ وما كنتَ – يا برقَ المنيَّةِ – تُخلِب[3]
أخذتَهُمُ ، لا مالكين لحَوْضِهم من الذَّوْدِ إلا ما أطالوا وأسهبوا
ولم يتكلّف قومُك الأُسْدُ أُهبةً ولكنَّ خُلْقاً في السباع التأهُّب
كذا الناسُ : بالأخلاق يبقى صلاحُهم ويذهبُ عنهم أمرُهم حين تذهب
ومِن شرف الأوطان ألا يفوتَها حسامٌ مُعِزٌّ ، أو يَراعٌ مهذَّب

معجزات الجنود على الحدود

ملكتَ سَبِيلَيْهمْ : ففي الشرق مَضْرِبٌ لجيشك ممدودٌ ، وفي الغرب مَضْرب
ثمانون ألفاً أُسدُ غابٍ ، ضَراغِمٌ لها مِخْلَبٌ فيهم ، وللموتِ مخلب
إذا حَلمتْ فالشرُّ وسْنانُ حالمٌ وإن غضبتْ فالشرُّ يقظانُ مُغضب
فَيالِقُ أفشى في البلاد من الضُّحى وأبعدُ من شمس النهار وأقرب
وتُصبح تلقاهم ، وتُمسي تصدُّهم وتظهر في جِدِّ القتال وتلعب
تلوح لهم في كلِّ أُفقٍ ، وتعتلي وتطلع فيهم من مكانٍ ، وتغرب
وتُقدِم إقدامَ الليوثِ ، وتنثني وتُدبرُ علماً بالوغَى ، وتُعقِّب[4]

....

١ المحجل : المضيء المشرق .
٢ الجهام : السحاب العظيم الذي لا ماء فيه . وهذى في الكلام : أكثر منه في خطأ .
٣ أخلب برقهم : بطل وعيدهم وتخلب ، أي تخدع .
٤ أدبر : ولى . وتعقب : أي تعود .

وتملكُ أطرافَ الشعاب ، وتلتقي ... وتأْخذُ عفواً كلَّ عالٍ ، وتغصِب
وتغشى أبيّاتِ المعاقل والذُّرا ... فثيِّبُهُنَّ البكْرُ ، والبكرُ ثيِّب[1]
يقودُ سراياها ، ويحمي لواءها ... سديدُ المرائي في الحروب ، مُجرِّب
يجيءُ بها حيناً ، ويرجعُ مرةً ... كما تَدفعُ اللّجَّ البحارُ وتَجْذِب
ويرمي بها كالبحر من كلِّ جانبٍ ... فكلُّ خميسٍ لجةٌ تتضرب[2]
ويُنفذُها من كلِّ شعب ، فتلتقي ... كما يتلاقى العارضُ المتشعِّب
ويجعلُ ميقاتاً لها تَنبري له ... كما دارَ يَلْقَى عقربَ السَّيْرِ عقرب[3]
فظلت عيونُ الحرب حَيْرَى لما ترى ... نواظرَ ما تأْتي الليوثُ وتُغرِب[4]
تبالغَ بالرامي ، وتزهو بما رمى ... وتعجَبُ بالقُوّاد ، والجندُ أعجب
وتُثني على مُزْجِي الجيوشِ بيلدز ... ومُلْهِمِها فيما تنال وتكسِب[5]
وما الملك إلا الجيش شأْناً ومظهراً ... ولا الجيشُ إلا رَبُّهُ حين يُنسب

زينب بني عثمان

تُحذِّرني من قومِها التُّركِ زَيْنَبُ ... وتُعجِمُ في وصف الليوثِ وتُعرِبُ
وتُكْثِرُ ذكرَ الباسلين ، وتنثني ... بعزٍّ على عزِّ الجمال ، وتُعجب
وتسحبُ ذيلَ الكبرياءِ ، وهكذا ... يَتِيهُ ويختالُ القويُّ المغلَّب
وزينبُ إن تاهت ، وإن هي فاخرت ... فما قومُها إلا العَشِيرُ المحبَّب
يؤلِّف إيلامُ الحوادثِ بيننا ... ويجمعُنا في الله دينٌ ومذهب

١ الثيب : نقيض البكر .
٢ الخميس : الجيش .
٣ انبرى له : اعترض .
٤ أغرب الرجل : أتى بشيء غريب .
٥ أزجى الجيش : ساقه .

نما الوُدُّ حتى مَهَّد السبْلَ للهوى فما في سبيل الوصل ما يُتصَعَّب
ودانى الهوى ما شاء بيني وبينها فلم يبق إلا الأرضُ ، والأرضُ تقرب

الحالة في بحر الروم

ركبتُ إليها البحرَ ، وهو مَصِيدةٌ تُمَدُّ بها سفْنُ الحديد ، وتُنْصَب
تروح المنايا الزُّرْقُ فيه : وتغتدي وما هي إلا الموجُ يأْتي ، ويذهب
وتبدو عليه الفلكُ شتَّى ، كأنها بُؤُوزٌ تراعيها على البعد أعقُب[1]
حواملُ أعلامِ القياصرِ ، حُضَّرٌ عليها سلاطينُ البريَّةِ ، غُيَّب
تُجاري خُطاها الحادثاتِ ، وتقتفي وتطفو حواليها الخطوبُ ، وترسُب
ويوشِك يجري الماءُ من تحتها دماً إذا جَمَعَتْ أثقالَها تترقَّب
فقلت : أأشراطُ القيامة ما أرى أم الحربُ أدنى من وَريدٍ وأقرب ؟[2]
أماناً أماناً لُجَّةَ الرُّومِ للورى لوَ آن أماناً عند دأْماء يُطْلَب[3]
كأني بأحداثِ الزمانِ مُلمَّةً وقد فاض منها حوضُك المتضرِّب
فأُزْعِجَ مَغبُوطٌ ، ورُوِّع آمنٌ وغالَ سلامَ العالمين التعصُّب
فقالت : أطلتَ الهمَّ ، للخلق ملجأٌ أبرُّ بهم من كلِّ برٍّ وأحدب
سَلامُ البرايا في كَلاءةِ فرْقَدٍ بيلدزَ لا يغفو ، ولا يتغيَّب[4]
وإن أميرَ المؤمنين لوابلٌ من الغوثِ ، مُنْهَلٌ على الخلقِ ، صَيِّب
رأى الفتنةَ الكبرى ، فوالى انهمالَه فبادت ، وكانت جمرةً تتلهَّب

....

١ بؤوز : جمع باز وأعقب جمع عقاب ، وكلاهما من جوارح الطير .
٢ الأشراط : جمع شرط ، وهو العلامة .
٣ لجة الروم : بحر الروم .
٤ كلاءة : أي حفظ .

منعة السواحل العثمانية

فما زلتُ بالأهوالِ حتى اقتحمتُها وقد تُرْكِبُ الحاجاتُ ما ليس يُرْكَب
أخوض الليالي من عُبابٍ ، ومن دُجًى إلى أُفقٍ فيه الخليفةُ كوكب
إلى مُلكِ عثمانَ الذي دونَ حوضه بناءُ العوالي المشمخِرُّ المُطَنَّب
فلاح يناغي النجمَ صَرْحٌ مثقّبٌ على الماءِ ، قد حاذاه صَرْحٌ مُثقب
بروجٌ أغارتها المَنونُ عيونَها لها في الجواري نظرةٌ لا تُخيَّب
رواسي ابتداعٍ في رواسي طبيعةٍ تكادُ ذراها في السحاب تغيَّب
فقمتُ أُجيلُ الطرْفَ حيرانَ قائلاً : أهٰذي ثغورُ الترك أم أنا أحسب ؟
فمثلَ بناءِ التركِ لم يَبْنِ مشرقٌ ومثلَ بناءِ التركِ لم يَبْنِ مغرب
تَظَلُّ مَهولاتُ البوارج دونَهُ حوائرَ ، ما يدرين ماذا تحَرِّب ؟
إذا طاش بين الماء والصخرِ سهمُها أتاها حديدٌ ما يطيشُ ، وأسرب[1]
يُسدّده عزريلُ في زيٍّ قاذفٍ وأيدي المنايا ، والقضاءُ المُدرَّب
قذائفُ تخشى مُهْجَةُ الشمسِ كلَّما عَلَتْ مُصْعِداتٍ ، أنها لا تُصَوَّب[2]
إذا صُبَّ حاميها على السفنِ انثنت وغانمُها الناجي ، فكيف المخيَّب ؟
سلِ الرُّومَ : هل فيهنَّ لِلفلك حيلةٌ وهل عاصِمٌ منهنّ إلا التنكُّب ؟[3]
تذبذبَ أسْطولاهُمُ فدعتهما إلى الرُّشدِ نارٌ ثَمَّ لا تَتَذَبذب
فلا الشرْق في أُسطوله مُتقي الحِمى ولا الغرْبُ في أُسطوله مُتهيِّب

١ الأسرب : الرصاص .
٢ معناه : إذا ارتفعت هذه القنابل خشيت الشمس أن تخطىء هدفها وأن تستمر صاعدة فتصيب مهجتها .
٣ الضمير في «فيهن» ومنهن راجع للقنابل . والتنكب : العدول والتجنب .

زينب المطوعة في موقعة

وما راعني إلّا لواءٌ مُخَضَّبٌ   هنالك يَحميه بَنانٌ مُخَضَّب[1]
فقلتُ : من الحامي ؟ أليثٌ غضنفرٌ   من التُرْك ضارٍ ، أم غزال مُربّب ؟
أم الملكُ الغازي المجاهدُ قدْ بَدا   أم النجمُ في الآراد ، أم أنتِ زَينب ؟
رفعْتِ بنات الترك ، قالت : وهل بنا   بناتِ الضواري أن نَصول تَعَجُّب ؟
إذا ما الديار استصرخت بدرتْ لها   كرائِمُ منها بالقَنا تتنقَّب
تقرِّبُ ربّاتُ البعُولِ بعولَها   فإن لم يكُنْ بعْلٌ فنفساً تُقرِّب
ولاحتْ بآفاقِ العدُوِّ سَرِيَّةٌ   فوارسُ تبْدُو تارةً ، وتحجَّب
نواهضُ في حزْنٍ كما تنهضُ القَطا   رواكِضُ في سَهل كما انساب ثعْلب[2]
قليلون من بُعدٍ ، كثيرون إن دنوْا   لهم سَكَنٌ آناً ، وآناً تَهيُّب
فقالت : شهدتَ الحرب أو أنتَ مُوشك   فَصِفْنا ، فأنتَ الباسلُ المتأدّب
ونادت ، فلبّى الخيلُ من كل جانبٍ   ولبّى عليها القَسْوَرُ المترقِّب
خِفافاً إلى الداعي ، سِراعاً ، كأنّما   من الحرب داعٍ للصلاة مُثَوِّب
مُنيفين من حول اللواء ، كأنهم   له معقِلٌ فوق المعاقل أغلب
وما هي إلا دعوةٌ وإجابةٌ   ان التحمت ، والحربُ بَكرٌ وتَغْلِب[3]
فأبصرتُ ما لم تُبصرا من مَشاهدٍ   ولا شهدَت يوماً مَعَدٌّ ويَعْرُب

---

١ اللواء المخضب : هو الراية العثمانية الحمراء . ويحميه بنان مخضب : أي أنثى مخضوبة البنان .
٢ الحزن : ما غلظ من الأرض .
٣ بكر وتغلب : قبيلتان لم تقف بينهما العداوة عند حد ، فتشبيه المقاتلين بهما جيد .

مضيق ملونا

جبالَ ملونا ، لا تخوري وتجزعي　　إذا مال رأسٌ ، أو تضعضع منكب
فما كنتِ إلا السيفَ والنارَ مركباً　　وما كان يستعصي على الترك مركَب
عَلَوْا فوقَ علياءِ العدوِّ ، ودونه　　مَضِيقٌ كحلق الليث ، أو هو أصعب
فكان صراط الحشر ، ما ثَمَّ ريبةٌ　　وكانوا فريقَ الله ، ما ثَمَّ مُذنِب
يَمرُّونَ مَرَّ البرقِ تحت دُجُنَّةٍ　　دُخاناً ، به أشباحُهم تتجلبب
حثيثين من فوق الجبال وتحتها　　كما انْهارَ طَوْدٌ ، أو كما انهال مِذنَب[1]
تُمِدُّهُمُ قُذَّافُهم ورُماتُهم　　بنارٍ كنيران البراكين تدأب
تُذَرَّى بها شُمّ الذُّرا حين تعتلي　　ويسفحُ منها السفْحُ إذ تتصبب
تُسمَّر في رأْسِ القِلاع كُراتُها　　ويسكن أعجازَ الحصونِ المُذَنَّب[2]
فلما دجى داجي العَوانِ وأطبقت　　تبلَّج والنصرَ الهلالُ المحجَّب
ورُدَّت على أعقابها الرومُ ، بعد ما　　تناثر منها الجيش ، أو كاد يذهب
جناحين في شِبه الشباكَيْن من قنا　　وقَلْباً على حَرِّ الوغى يَتقلَّب
على قُلَل الأجبالِ حَيْرَى جموعُهم　　شواخصُ ، ما إن تهتدي أين تذهب ؟[3]
إذا صعدت ؛ فالسيفُ أبيضُ خاطِفٌ　　وإن نزلتْ ؛ فالنارُ حمراءُ تَلهب
تطوَّعَ أسراً منهمُ ذلك الذي　　تَطَوَّعَ حرباً ، والزمانُ تَقلُّب
وتمَّ لنا النصر المبين على العِدا　　وفتْحُ المعالي ، والنهارُ المذهَّب
فجئتُ فتاةَ التركِ أجزي دِفاعَها　　عن المُلكِ والأوطانِ ما الحقُّ يُوجِب

١ المذنب : مسيل الماء إلى الأرض .
٢ المذنب : ذو الذنب من القنابل الكبيرة .
٣ القلة : أعلى الرأس .

فقبَّلتُ كفًّا كان بالسيف ضارباً ... وقبَّلتُ سيفاً كان بالكفِّ يضرب
وقلتُ : أفي الدنيا لقومِكِ غالِبٌ ... وفي مثل هذا الحِجْر رُبُّوا وهذِّبوا ؟
رويْداً بني عثمان في طلب العلا ... وهيهاتَ ، لم يستبقَ شيءٌ فيُطلب
أفي كلِّ آنٍ تغرِسون ، ونجتني ... وفي كل يومٍ تفتحون ، ونكتبُ ؟
وما زلتُمُ يسقيكمُ النصرُ خمرَهُ ... وتسقونه ، والكلُّ نشوان مصأب[1]
إلى أن أحلَّ السُّكْرَ مَن لا يُحلُّه ... ومدّ بساطَ الشُّربِ من ليس يشرَب

الحاج عبد الأزل باشا

وأشمَطَ سوَّاسِ الفوارسِ أشْيبُ ... يسيرُ به في الشَّعب أشْمَطُ أشيبُ[2]
رَفيقا ذهابٍ في الحروب وجَيئةٍ ... قد اصطحبا ، والحرُّ للحرِّ يصحَب
إذا شهداها جددا هِزَّة الصِّبا ... كما يتصابَى ذو ثمانينَ يطرب
فيهتزُّ هذا كالحسام ، وينثني ... وينفر هذا كالغزال ، ويلعب
توالى رصاصُ المطلِقين عليهما ... يُخضِّل من شيبهما ويُخضِّب
فقيل : أنِلْ أقدامَكَ الأرضَ ، إنها ... أبرُّ جواداً إن فعلتَ وأنجب
فقال : أيرضى واهبُ النصر أننا ... نموت كموتِ الغانياتِ ونعطَب ؟
ذروني وشأْني والوَغى ، لا مبالياً ... إلى الموت أمشي ، أم إلى الموت أركب ؟
أيحملني عُمْراً ، ويحمي شبيبتي ... وأخذُلُه في وهْنِه وأُخيِّب ؟[3]
إذا نحن متنا فادفنونا ببقعة ... يظلُّ بذكرانا ثراها يُطيَّب

١ المصاب : من شرب حتى ارتوى .
٢ الأشمط : الذي يخالط بياض رأسه سواد ، والمراد بالأول : الفارس وبالثاني : فرسه .
٣ الوهن : الضعف ، والمعنى : ليس من الوفاء ، ولا من حسن الجزاء أن يكون نصيبه مني في شيبه الترك والخذلان ، وقد كان نصيبي منه الصبر على الأهوال ، والمعاونة على القتال .

ولا تعجبوا أن تبسلَ الخيلُ ، إنها لها – مثلُ ما للناس – في الموت مَشرب
فاتا أمامَ اللهِ موتَ بسالةٍ كأنهما فيه مِثالٌ منصَّب
وما شهداءُ الحربِ إلا عمادُها وإن شيَّدَ الأحياءُ فيها وطنَّبوا
مِدادُ سِجلِّ النصرِ فيها دِماؤهم وبالتِّبر من غالي ثَراهُم يُترَّب
فهل من ملونا موقفٌ ومَسامعٌ ومن جبليها منبرٌ لي فأخطب ؟
فأسأل حِصْنَيْها العجيبين في الورى ومدخلَها الأعصى الذي هو أعجب ؟
وأستشهد الأطوادَ شماء . والذرا بَواذِخَ ، تُلْوِي بالنجوم وتجذب ؟[1]
هل البأس إلا بأْسُهم وثباتُهم ؟ أو العزمُ إلا عزمُهم والتلبُّب ؟[2]
أو الدينُ إلا ما رأت من جهادهم ؟ أو المُلكُ إلا ما أعزُّوا وهيَّبوا ؟
وأيُّ فضاءٍ في الوَغى لم يُضَيِّقوا ؟ وأيُّ مَضيق في الورى لم يُرحِّبوا ؟
وهل قبلهم مَنْ عانقَ النارَ راغباً ولو أنه عَبَّادُها المترهِّب ؟
وهل نال ما نالوا من الفخر حاضرٌ ؟ وهل حُبِيَ الخالون منه الذي حُبوا ؟[3]
سلاماً ملونا . واحتفاظاً . وعصمةً لمن بات في عالي الرضى يتقلب
وضنِّي بعظمٍ في ثراك مُعظَّمٍ يُقرِّبه الرَّحمٰنُ فيما يُقرِّب

هزيمة طرناو

وطرناوُ إذ طارَ الذهولُ بجيشها وبالشَّعب فوضى في المذاهب يذهب
عَشيَّةَ ضاقت أرضُها وسماؤها وضاق فضاءٌ بين ذاك مُرحَّب

١ الشماء : المرتفعة .
٢ التلبب : من تلبب الرجل للحرب : تحزم وتشمر لها .
٣ حباه الشيء : أعطاه إياه .

خَلَتْ من بني الجيش الحصونُ ، وأقفرت مساكنُ أهليها ، وعمَّ التخرُّب
ونادى منادٍ للهزيمة في المَلا وإنّ مُنادي التُّرْكِ يدنو ويقرب
فأعرضَ عن قُوّاده الجندُ شارداً وعلَّمه قُوّادُه كيف يهرب
وطار الأهالي ، نافرين إلى الفَلا مثينَ ، وآلافاً تَهيمُ وتسرُب
نَجَوْا بالنفوس الذاهِلاتِ ، وما نَجَوْا بغير يَدٍ صِفْر ، وأُخرى تقلب
وطالت يَدٌ للجمع في الجمع بالخنا وبالسلبِ ، لم يَمْدُدْ بها فيه أجنَب[1]
يسيرُ على أشلاءِ والِده الفتى ويَنْسَى هناكَ المُرْضَعَ الأُمُّ والأب
وتمضي السرايا واطئاتٍ بخيلها أراملَ تبكي ، أو ثواكلَ تندب
فمِنْ راجلٍ تَهوي السّنون برجلهِ ومِنْ فارسٍ تَمشي النساءُ ، ويَركب
وماضٍ بمال قد مضى عنه مالُه ومُزْجٍ أثاثاً بين عينيه يُنهَب
يكادون من ذُعرٍ تفرُّ ديارهم وتنجو الرواسي لو حَواهُنَّ مَشعب[2]
يكاد الثرى من تحتِهم يَلِجُ الثرى ويَقضِم بعضُ الأرضِ بعضاً ويقضِب
تكادُ خُطاهم تسبق البرقَ سرعةً وتذهب بالأبصار أيّان تذهب
تكاد على أبصارهم تقطع المدى وتنفذ مرماها البعيدَ وتحجُب
تكاد تَمسُّ الأرضَ مَسّاً نِعالُهم ولو وجدوا سُبْلاً إلى الجو نكَّبوا
هزيمة من لا هازمٌ يستحِثُّه ولا طاردٌ يدعو لذاك ويوجب
قعدنا ، فلم يعدمْ فتى الروم فَيْلَقاً من الرعب يغزوه ، وآخرَ يسلُب
ظفِرنا به وجهاً ، فظن تعقُّباً وماذا يزيد الظافِرين التعقُّب ؟
فولَّى ، وما ولَّى نظامُ جنودهِ ويا شؤْمَ جيشٍ للفرار يرتِّب
يسوق ويَحْدو للنجاةِ كتائباً له موكب منها ، وللعار موكب
منظمة من حوله ، بَيْدَ أنها تودُّ لو انشقَّ الثرى فتُغيَّب

[1] معناه تعدى بعضهم على بعض بالفحش والسب . والأجنب الأجنبي ، والمراد : الترك .
[2] الرواسي : الجبال .

مؤزرة بالرُّعب ، ملدوغة به ... في كل ثوبٍ عقرب منه تَلْسِب[1]
ترى الخيل من كلِّ الجهاتِ تَخَيُّلاً ... فيأخذ منها وهْمُها والتهيُّب
فمِن خلفِها طوراً ، وحيناً أمامها ... وآونةً من كلِّ أوْبٍ تَألَّب
فوارسُ في طولِ الجبالِ وعرْضِها ... إذا غاب منهم مِقْنَبٌ لاح مِقْنَب
فهما تهِمْ يسنحْ لها ذو مُهنَّدٍ ... ويخرجْ لها من باطن الأرض مِحْرَب[2]
وتَنْزلْ عليها من سماءِ خيالِها ... صواعقُ فيهنّ الردى المُتَصبِّب
رُؤًى إن تكنْ حقًّا يكنْ من ورائِها ... ملائكةُ اللهِ الذي ليس يُغلب[3]

التلاقي على سهل فرسالا

وفرسالُ إذ باتوا وبتنا أعادِياً ... على السهل لُدًّا ، يرقبون ، ونرقبُ
وقام فتانا الليلَ يَحْمِي لواءه ... وقامَ فتاهم ليلَه يتلعَّب
توسّدَ هذا قائِمَ السيفِ يتَّقي ... وهذا على أحلامِه يتحسَّب
وهل يستوي القِرنان : هذا مُنعَّمٌ ... غَرِيرٌ ، وهذا ذو تجاريبَ قُلَّب ؟
حمينا كِلانا أرض فِرسالَ والسما ... فكلٌّ سبيل بين ذلك مَعْطَب
ورُحنا يَهُبُّ الشر فينا وفيهمُ ... وتَشْمُل أرواحُ القتال وتجنُب
كأنا أُسودٌ رابضاتٌ ، كأنهم ... قطيعٌ بأقصى السهل ، حيران ، مُذئِب
كأن خيام الجيش في السهل أينُق ... نواشِزُ ، فوضى ، في دجى الليل شُزَّب[4]
كأن السرايا ساكناتٍ مواثجاً ... قطائعُ ، تعطَى الأمنَ طوراً ، وتُسْلَب

[1] أزره : غطاه وقواه . وتلسب : أي تلدغ .
[2] المحرب : الشجاع الشديد في الحرب .
[3] الرؤى : جمع رؤيا ، وهي المنام .
[4] الأينق : جمع ناقة . ونواشز : مرتفعة .

كأن القَنا دون الخيام نوازلا جداولُ ، يُجريها الظلامُ ، ويسكب
كأن الدُّجى بحر إلى النجم صاعد كأن السرايا موجهُ المتضرِّب
كأن المنايا في ضمير ظلامِهِ همومٌ بها فاض الضمير المحجَّب
كأنّ صهيل الخيل ناعٍ مبشرٌ تراهنّ فيها ضُحَّكاً وهي نُحَّب[1]
كأن وجوه الخيل غُرٌّ وسيمةٌ دَرارِيُّ ليل طُلَّعٌ فيه ثُقَّب
كأن أُنوف الخيل حَرَّى من الوغى مجامرُ في الظلماءِ تهْدا وتلهب
كأن صدور الخيل غُدْرٌ على الدُّجى كأن بقايا النضْج فيهن طُحْلُب
كأن سَنى الأبواق في الليل برقُه كأن صداها الرعدُ للبرق يصحب
كأن نداء الجيش من كل جانبٍ دويُّ رياح في الدجى تتذأب[2]
كأن عيون الجيش من كل مذهب من السهل جنٌّ جُوَّلٌ فيه جُوَّب[3]
كأن الوغى نارٌ ، كأن جنودنا مجوسٌ إذا ما يَمَّموا النار قرَّبوا[4]
كأن الوغى نار ، كأن الردّي قِرَى كأن وراء النار حاتِمَ يأْدِب[5]
كأن الوغى نار ، كأن بني الوغى فَراشٌ ، له في ملمس النار مأْرَب
وثبْنا يضيق السهل عن وثباتنا وتقدُمُنا نارٌ إلى الروم أوْثَب
مشت في سراياهم ، فحلَّت نظامَها فلما مشيْنا أدبرتْ ، لا تُعقِّب

غضب دوموقو

رأى السهلُ منهم ما رأى الوعرُ قبله فياقوم ، حتى السهلُ في الحرب يصعبُ؟

---

١ نحب : أي متحبات باكيات .
٢ تذأب الريح : تجيء مرة كذا ومرة كذا .
٣ عيون الجيش : أرصاده وجواسيسه .
٤ قربوا لله : قدموا له القربان .
٥ القرى : ما قرى به الضيف ، أي قدم له . وحاتم : هو حاتم الطائي المضروب به المثل في الجود .

وحصنٍ تسامى من دموقو ، كأنه   مُعَشَّش نسرٍ ، أو بهذا يلقب
أشمُّ على طَوْدٍ أشمَّ ، كلاهما   مَنون المُفاجي ، والحِمامُ المرحِّب
تكادُ تقاد الغاديات لربِّه   فيُزْجِي ، وتَنْزِمُّ الرياحُ فيركب[1]
حمَته ليوثٌ من حديدٍ تركَّزت   على عَجَل ، واستجمعتْ تترقب
تثور وتستأْني ، وتنأى وتَدَّني   وتغدو بما تغدي ، وترمي وتنشب[2]
تأبّى ، فظنّ العالمونَ استحالةً   وأعيا على أوهامهم ، فتريَّبوا
فما في القوى أن السماواتِ تُرْتقى   بجيشٍ ، وأن النجم يُغْشى فيُغضب
سموتمْ إليه ، والقنابلُ دونه   وشهبُ المنايا ، والرصاص المُصَوَّب
فكنتم يواقيتَ الحروبِ كرامةً   على النار ، أو أنتم أشدُّ وأصلَب[3]
صعدتم ، وما غيرُ القنا ثَمَّ مَصعدٌ   ولا سُلَّمٌ إلا الحديدُ المذرب[4]
كما ازدحمتْ بيزان جَوٍّ بمَوْرِدٍ   أو ارتفعت تلْقَى الفريسةَ أعقب
فما زلتُم حَتى نزلتم برُوجَه   ولم تحتضرْ شمس النهار فتغرب
هنالك غالي في الأماديحُ مَشرقٌ   وبالغ فيكم آلَ عثمان مَغرب
وزيدَ حمى الإسلام عزًّا ومَنْعةً   ورُدَّ جِماحُ العصر ، فالعصر هَيِّب
رفعنا إلى النجم الرؤوسَ بنصركم   وكنا بحكمِ الحادثاتِ نصوِّب
ومن كان منسوباً إلى دولةِ القنا   فليس إلى شيءٍ سوى العزِّ يُنْسَب

أحلام اليونان

فيا قوم ، أين الجيش فيما زعمتُمُ ؟   وأين الجواري ، والدفاعُ المركَّبُ ؟

١ الغاديات : جمع غادية ، وهي السحابة تنشأ غدوة .
٢ استأنى : انتظر . وأدنى : اقترب .
٣ يقال : ان الياقوت لا يحترق بالنار .
٤ الحديد المذرب : المسموم ، وذرب السيف : حده .

وأين أميرُ البأسِ والعزمِ والحِجى ؟ وأين رجاءٌ في الأمير مُخيِّب ؟
وأين تُخومٌ تستبيحون دَوْسَها ؟ وأين عصاباتٌ لكم تتوثَّب ؟[1]
وأين الذي قالت لنا الصحْفُ عنكم وأسند أهلوها إليكم فأطنبوا ؟
وما قد روى بَرْقٌ من القولِ كاذبٌ وآخرُ من فعلِ المحبِّين أكذب
وما شِدتُمُ من دولة عرضُها الثرى يدين لها الجنسانِ : تُرْكٌ وصَقْلب
لها علمٌ فوق الهلال ، وسُدَّةٌ تُنَصُّ على هام النجوم ، وتُنصَب
أهذا هو الذُّود الذي تدّعونه ونصرُ «كريدٍ» ، والولا ، والتحبُّب ؟
أهذا الذي للمُلكِ والعِرضِ عندكم وللجار إن أعيا على الجار مَطلب ؟
أهذا سلاحُ الفتح ، والنصر والعلا ؟ أهذا مطايا مَنْ إلى المجد يركب ؟
أهذا الذي للذكر خلَّب معشرٌ على ذكرهم يأْتي الزمانُ ويذهب ؟
أسأْتم ، وكان السوءُ منكم إليكمُ إلى خير جار عنده الخيرُ يُطلَب
إلى ذي انتقامٍ ، لا ينام غريمُه ولو أنه شخصُ المنام المحجَّب
شقيتم بها من حيلة مستحيلة وأين من المُحتال عنقاءُ مُغرِب ؟[2]
فلولا سيوفُ التركِ جرّبَ غيرُكم ولكن من الأشياء ما لا يجرّب

عفو القادر

فعفواً – أميرَ المؤمنين – لأُمَّةٍ دعَتْ قادراً ، ما زال في العفو يرغب
ضربتَ على آمالِها ، ومآلها وأنتَ على استقلالها اليومَ تَضْرب
إذا خان عبدُ السوءِ مولاه مُعْتَقاً فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذَّب ؟

١ التخوم : الحدود .
٢ عنقاء مغرب : طائر من طيور الأساطير .

ولا تضربَنْ بالرأي مُنحَلَّ ملكِهم ... فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذَّب ؟
لقد فنِيَت أرزاقُهم ، ورجالُهم ... وليس بفانٍ طَيْشُهم ، والتقلُّب
فإن يجدوا للنفس بالعوْدِ راحةً ... فقد يشتهي الموتَ المريضُ المعذَّب
وإن همّ بالعفو الكريم رجاؤهم ... فمن كَرَمِ الأخلاقِ أن لا يُخَيَّبوا
فما زلتَ جارَ البرِّ ، والسيِّدَ الذي ... إلى فضله من عدله الجارُ يهرب
يُلاقي بعيدُ الأهلِ عندكَ أهلَهُ ... ويمرحُ في أوطانه المتغرّب

إلتماس القبول

أمولاي غنَّتك السيوفُ فأطربت ... فهل لِيراعي أن يُغني فيُطرب
فعندي – كما عند الظُّبا – لك نَغْمَةٌ ... ومختلِفُ الأنغامِ للأُنس أجلب[1]
أعرّب ما تُنشي عُلاك ، وإنه ... لفي لُطفه ما لا ينال المُعرّب
مدحتك والدنيا لسانٌ ، وأهلُها ... جميعاً لسانٌ ، يمليان ، وأكتب
أناولُ من شعر الخلافةِ ربَّها ... وأكسو القوافي ما يدوم فيقشب[2]
وهل أنت إلا الشمسُ في كل أُمةٍ ؟ ... فكلُّ لسانٍ في مديحك طيِّب
فإن لم يَلقَ شعري لبابك مِدحةً ... فمُرْ ينفتِح بابٌ من العذرِ أرحَب
وإني لطيرُ النيلِ ، لا طير غيرُه ... وما النيلُ إلا مِن رياضِك يُحسَب
إذا قلتُ شعراً فالقوافي حواضر ... وبغدادُ بغدادٌ ، ويثرب يثرب
ولم أعدم الظلَّ الخصيبَ ، وإنما ... أُجاذِبُكَ الظلَّ الذي هو أخصب
فلا زلت كهف الدين ، والهاديَ الذي ... إلى اللهِ بالزُّلْفَى له نتقرّب

١ الظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف أو السنان .
٢ يقشب الشيء : يجعله جديداً .

انتصار الأتراك في الحرب والسياسة

اللهُ أكبر ، كمْ في الفتح من عَجَب يا خالدَ التُّرْكِ جَدِّدْ خالدَ العَرَب[1]
صلحٌ عزيزٌ على حرب مُظَفَّرةٍ فالسيفُ في غمدِهِ . والحقُّ في النُّصُب
يا حُسنَ أُمْنِيَّةٍ في السيفِ ما كذَبَت وطيبَ أُمنِيَّةٍ في الرأْيِ لم تَخِب
خُطاك في الحق كانت كلُّها كَرَماً وأنتَ أكرمُ في حَقْن الدَّمِ السَّرِب
حَذوتَ حربَ الصلاحيِّين في زَمَن فيهِ القتالُ بلا شرع . ولا أدب
لم يَأْت سيفُكَ فحشاءَ ، ولا هتكتْ قناكَ من حُرمَةِ الرُّهبان والصُّلُب
سُئِلْت سِلماً على نصر ، فجُدتَ بها ولو سُئِلتَ بغيرِ النصر لم تُجِب[2]
مَشيئةٌ قَبِلَتْها الخيلُ عاتبةً وأذعن السيفُ مَطْوِيًّا على غَضَب
أتيتَ ما يشبه التقوى وإن خُلِقت سيوفُ قومِك لا ترتاحُ للقُرَب
ولا أزيدُك بالإسلام معرفةً كلُّ المروءةِ في الإسلام والحسب
مَنَحْتَهُمْ هُدْنة من سيفك التُمِسَت فهَبْ لهم هُدْنةً من رأْيك الضَّرِب
أتاهُمُ منك في «لوزانَ» داهيةٌ جاءت به الحربُ من حَيَّاتها الرُّقُب[3]
أصَمُّ ، يسمعُ سرَّ الكائدين له ولا يضيق بجَهْر المُحْنَق الصَّخِب
لم تَفترق شهواتُ القوم في أرَب إلا قضى وَطَراً من ذلك الأَرَب
تدرَّعَتْ للقاءِ السِّلم «أنْقرةٌ» ومهَّدَ السيفُ في لوزان للخُطَب
فقل لِبانٍ بقولٍ رُكنَ مملكةٍ على الكتائب يُبنَى المُلكُ ، لا الكتُب

١ خالد الترك : يراد به الغازي مصطفى باشا كمال ، وخالد العرب : هو خالد بن الوليد وله في الحروب الإسلامية صوت بعيد .
٢ الضمير في « بها » : للسلم بالكسر والفتح مؤنثة : بمعنى الصلح والسلام .
٣ الرقب : جمع رقيب ، وهي الحية الخبيثة . والمقصود بالداهية : عصمت باشا مندوب الترك في مؤتمر (لوزان) ، والمشهور عنه أن في سمعه ضعفاً ، لا تصل إليه إلا الأصوات العالية .

لا تَلْتَمِس غَلَباً للحقِّ في أُمَمٍ — الحقُّ عندهُمُ معْنًى من الغَلب
لا خيرَ في مِنبَر حتى يكون له — عُودٌ من السُّمْرِ ، أو عودٌ من القُضُب[1]
وما السلاحُ لقوم كلُّ عُدّتِهِم — حتى يكونوا من الأخلاقِ في أُهُب
لو كان في النابِ دون الخُلقِ مَنْبَهَةٌ — تساوت الأُسْدُ والذُّؤبانُ في الرُّتَب
لم يُغنِ عن قادة اليونان ما حشدوا — من السلاح ، وما ساقوا من العُصَب
وتَرَكُهُم «آسيا الصغرى» مُدجَّجَةً — كشُكْنَة النحل ، أو كالقُنْفُذ الخشب
للتُرْك ساعاتُ صبرٍ يومَ نَكْبتِهم — كُتِبْنَ في صحف الأخلاقِ بالذهب
مغارمٌ ، وضحايا ما صَرَخْنَ ، ولا — كُدِّرن بالمَنّ ، أو أُفْسِدْنَ بالكذب
بالفعلِ والأثرِ المحمود تعرفها — ولستَ تعرفها باسمٍ ولا لقب
جُمعنَ في اثنين : من دينٍ ومن وَطَنٍ — جمعَ الذبائح في اسم الله والقُرَب[2]
فيها حياةٌ لشعبٍ لم يمُتْ خُلُقاً — ومَطمحٌ لقَبيل ناهضٍ أرب
لم يَطْعَم الغِمْضَ جَفْنُ المسلمين لها — حتى انجلى ليلُها عن صُبْحِهِ الشَّنِب
كُنَّ الرجاء ، وكُنَّ اليأسَ ، ثم محا — نورُ اليقين ظلامَ الشك والرِّيَب
تلمَّس التركُ أسباباً ، فما وجدوا — كالسيف من سُلَّم للعزّ ، أو سَبَب
خاضوا العَوانَ رجاءَ أن تُبَلِّغَهم — عبْرَ النجاةِ ، فكانت صخرةَ العَطب[3]
سفينةَ اللهِ لم تُقهر على دُسُر — في العاصفات ، ولم تُغلَبْ على خُشب
قد أمَّن اللهُ مجراها . وأبدلها — بحسن عاقبةٍ من سوءِ مُنقلَب
واختار رُبَّانَها من أهلها . فنجت — من كَيْد حامٍ ، ومن تضليل مُنْتَدَب
ما كان ماءُ «سَقاريّا» سوى سَقَرٍ — طغت ، فأغرقت الإغريقَ في اللهب
لما انبَرَتْ نارُها تبغيهُمُ حَطَباً — كانت قِيادتُهم حَمَّالَةَ الحطب

[1] السمر : الرماح ، والقضب : السيوف .
[2] القرب : جمع قربة ، وهي ما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى من أعمال البر والطاعة .
[3] الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى . وعبر الوادي (بالفتح والكسر) : شاطئه .

سَعَتْ بهم نَحوَكَ الآجالُ يومئذٍ يا ضلَّ ساعٍ بداعي الحَين مُنجذِبِ
مَدُّوا الجُسورَ ، فحلَّ اللهُ ما عقدوا إلا مسالكَ فِرعَوْنيّة السَّرَب
كَرْبٌ تغشاهم من رأْي ساسَتِهم وأشأمُ الرأْيِ ما ألقاكَ في الكُرَب
هم حسَّنوا للسواد البُلْهِ مملكةً من لِبْدة الليث أو من غِيلِهِ الأشِب[1]
وأنشأوا نُزهةً للجيش قاتلةً ومَنْ تنزَّه في الآجام لم يَؤُب
ضَلَّ الأميرُ ، كما ضَلَّ الوزيرُ بهم كلا السَّرابَيْنِ أظْماهم ، ولم يَصُب
تجاذباهم كما شاءا بمختلف من الأمانيِّ والأحلامِ مُختلِب
وكيف تلقي نجاحاً أُمةٌ ذهبتْ حِزْبَيْنِ ضِدَّيْنِ عند الحادث الحزب ؟
زحفتَ زحفَ أتيٍّ غيرِ ذي شَفَقٍ على الوهاد ولا رِفْقٍ على الهِضَب
قذفتَهم بالرياح الهُوج مُسرَجةً يَحملن أُسْدَ الشّرى في البَيْضِ واليَلَب[2]
هَبَّت عليهم ، فذابوا عن معاقلهم والثلجُ في قُلَل الأجبال لم يَذُب
لمّا صدَعتَ جناحَيْهم وقَلْبَهُمُ طاروا بأجنحة شتى من الرُّعب
جَدَّ الفِرارُ ، فألقى كلُّ معتقل قناتَهُ ، وتخلى كل مُحتقِب[3]
ياحُسْنَ ما انسحبوا في مَنْطِقٍ عَجَبٍ تُدعى الهزيمةُ فيه حُسنَ مُنسَحَب
لم يَدْرِ قائدُهم لما أحطْتَ به هبطتَ من صُعُدٍ أم جئتَ من صَبَب ؟[4]
أخذتَه وهو في تدبير خُطَّتِهِ فلم تتمّ ، وكانت خطةَ الهرب
تلك الفراسخُ من سهل ومن جبلٍ قرّبْتَ ما كان منها غيرَ مقترِب
خَيْلُ الرسولِ من الفولاذ معدِنُها وسائر الخيل من لحمٍ ومن عصب
أفي ليالٍ تجوب الراسياتِ بها وتقطع الأرضَ من قُطْبٍ إلى قُطُب ؟
سل الظلام بها : أيُّ المعاقل لم تَطِر ، وأيُّ حصونِ الروم لم تَثِب ؟

....

١ اللبدة : شعر وبرة الليث ، ويضرب بها المثل في المنعة ، فيقال : أمنع من لبدة الأسد .
٢ الشرى : مأسدة يضرب بها المثل بجانب الفرات .
٣ المحتقب : المدخر ، ويقال : احتقب فلان الشيء : ادخره أو احتمله خلفه .
٤ الصبب : ما انحدر من الأرض .

آلت لئن لم تَرِد «أزميرَ» لانزلتْ ماءً سواها ، ولا حلَّت على عُشُب
والصبر فيها وفي فرْسانها خُلُقٌ توارثوه أباً في الروع بعد أب
كما وُلِدتُم على أعرافِها وُلِدَت في ساحة الحرب ، لا في باحة الرَّحَب[1]
حتى طلعتَ على «أزميرَ» في فلكٍ من نابه الذكر لم يَسمُك على الشهُب
في موكبٍ وقف التاريخ يَعرضه فلم يُكذِّب ، ولم يذممْ ، ولم يُرِب
يومٌ «كبدرٍ» ، فخيلُ الحق راقصةٌ على الصعيد ، وخيل الله في السُّحُب
غُرٌّ ، تظلِّلُها غرّاءُ ، وارفةٌ بَدريّةُ العُودِ ، والدِّيباجِ ، والعَذَب
نَشوى من الظفَر العالي ، مُرَنَّحةٌ من سَكْرة النصر ، لا من سكرة النَّصَب
تذكُّر الأرض ما لم تنس من زبدٍ كالمِسك من جنبات السُّكْب مُنسكب[2]
حتى تعالى أذانُ الفتح ، فاتَّأدَت مَشْيَ المُجَلّيِّ إذا استولى على القصب

* * *

تحيةً — أيُّهَا الغازي — وتهنئةً بآية الفتح تبقى آيةَ الحِقب
وقيِّماً من ثناءٍ ، لا كِفاء له إلا التعجبُ من أصحابك النُّجُب
الصابرين إذا حلَّ البلاءُ بهم كالليث عَضَّ على نابيْه في النُّوَب
والجاعلين سيوفَ الهند ألسنَهم والكاتبين بأطراف القنا السُّلُب
لا الصعبُ عندهمُ بالصعبِ مركبُه ولا المُحالُ بمستعصٍ على الطَّلب
ولا المصائبُ إذ يرمي الرجالُ بها بقاتلاتٍ إذا الأخلاقُ لم تُصَب
قُوَّاد معركةٍ ، ورُوَّادُ مهلَكةٍ أوتادُ مملكةٍ ، آسادُ مُحتَرَب
بلوتهم ، فتحدَّث : كم شَدَدْتَ بهم من مُضمَحِلٍّ ؟ وكم عمَّرت من خرب ؟
وكم ثَلمتَ بهم من مَعقِلٍ أشِبٍ ؟ وكم هزمتَ بهم من جَحْفَل لَجِب ؟
وكم بنيتَ بهم مجداً فما نَبَسوا ؟ في الهدم ما ليس في البنيان من صخب

١ الأعراف : جمع عرف ، وهو شعر عنق الفرس .
٢ السكب : فرس من أفراس النبيّ .

مِن فَلٍّ جيشٍ ، ومن أنقاض مملكةٍ ومن بقية قومٍ جئتَ بالعجب
أخرجت للناس من ذلٍّ ، ومن فشلٍ شعباً وراء العوالي غيرَ مُنْشَعِب
لما أتيتَ ببدرٍ من مطالعها تَلفَّتَ البيتُ في الأستار والحجب
وهشَّت الروضةُ الفيحاءُ ضاحكةً إن المنوّرة المسكيّة التُرب
ومَسَّت الدارُ أزكى طيبها ، وأتت بابَ الرسول . فمسَّت أشرفَ العتب
وأرّجَ الفتحُ أرجاء الحجازِ ، وكم قضى الليالِيَ لم يَنْعَمَ . ولم يَطِب
وأزَّيَّنتْ أُمَّهاتُ الشرق ، واستبقت مهارجُ الفتحِ في المَوْشِيّة القشُب
هَزَّتْ دِمَشْقُ بني أيوبَ ، فانتبهوا يهنئون بني حمدانَ في حلب
ومسلمو الهند والهندوسُ في جَذَلٍ ومسلمو مصر والأقباطُ في طرب
ممالكٌ ضمّها الإسلامُ في رَحِمٍ وشيجةٍ ، وحواها الشرقُ في نسب[1]
من كل ضاحيةٍ ترمي بمكتحل إلى مكانكَ . أو ترمي بمختضب
تقول : لولا الفتى التركيُّ حل بنا يومٌ كيوم يهوٍ كان عن كَثَب

[1] الرحم الوشيجة : المتصلة القرابة .

بعد المنفى*

أنادي الرسمَ لو ملكَ الجوابا　　وأجزيهِ بدمعيَ لو أثابا
وقَلَّ لحقِّه العبراتُ تجري　　وإن كانت سَوادَ القلبِ ذابا
سبقنَ مُقبِّلاتِ التُّربِ عني　　وأدّينَ التحيةَ والخطابا
نثرت الدمعَ في الدِّمن البوالي　　كنظمي في كواعبها الشَّبابا[1]
وقفتُ بها كما شاءت وشاءوا　　وقوفاً عَلَّمَ الصبرَ الذّهابا
لها حَقٌّ ، وللأحباب حقٌّ　　رشفتُ وصالَهم فيها حبابا
ومَنْ شكرَ المناجمَ مُحسِناتٍ　　إذا التبرُ انجلى ؛ شكر الترابا
وبين جوانحي وافٍ ، ألوفٌ　　إذا لمح الديارَ مضى ، وثابا
رأى مَيْلَ الزمان بها ، فكانت　　على الأيام صحبتُه عتابا

* * *

وداعاً أرضَ أندلسٍ ، وهذا　　ثنائي إن رَضيتِ به ثوابا
وما أثنيتُ إلا بعد علمٍ　　وكم من جاهلٍ أثنى فعابا
تخِذْتُكِ موئلاً ، فحللتُ أندَى　　ذراً من وائلٍ ، وأعزَّ غابا[2]

* كانت هذه القصيدة فاتحة شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس ، وقد أشاد فيها بذكر تلك البلاد شكراً لها وعرفاناً بجميلها ، ثم انتقل إلى استقبال بلاده بعد تلك الغيبة الطويلة ، وعرج على مسألة التموين التي كانت حينئذ شغل البلاد الشاغل وقد أنشدت هذه القصيدة في اجتماع لجان التموين (بالأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠) .

١ الدمن : آثار الديار . والكواعب من الجواري : ناهدات الثدي .

٢ وأل : طلب النجدة . والموئل : الملجأ . ووائل : جبل . وسميت به قبيلة من العرب .

مُغرِّبُ آدمٍ من دارِ عَدْنٍ قضاها في حِماكِ ليَ اغترابا[1]
شكرتُ الفُلكَ يومَ حَوَيْتِ رَحْلي فيا لمُفارِقٍ شَكَرَ الغُرابا !
فأنتِ أرحتِني من كل أنْفٍ كأنف الميْتِ في النَّزْعِ انتصابا
ومنظرِ كلِّ خوانٍ ، يراني بوجه كالبَغيِّ رمى النِّقابا
وليس بعامرٍ بنيانُ قومٍ إذا أخلاقُهُم كانت خرابا

* * *

أحقٌّ كنتِ للزهراءِ ساحاً وكنتِ لساكن الزاهي رحابا ؟
ولم تك جورُ أبهى منكِ وَرْداً ولم تكُ بابلٌ أشهى شرابا ؟
وأنَّ المجدَ في الدنيا رحيقٌ إذا طال الزمانُ عليه طابا ؟
أُولئك أُمةٌ ضربوا المعالي بمشرقها ومغربها قِبابا
جرى كدراً لهم صفوُ الليالي وغايةُ كلِّ صفو أن يُشابا
مُشيِّبةُ القُرون أُديلَ منها ألم تَرَ قَرْنَها في الجوِّ شابا ؟[2]
مُعلَّقةٌ تَنَظَّرُ صولجاناً يخرُّ عن السماءِ بها لِعابا
تُعَدُّ بها على الأُممِ الليالي وما تدري السنينَ ولا الحسابا

* * *

ويا وطني ، لقيتُك بعد يأسٍ كأني قد لَقِيتُ بك الشبابا
وكلُّ مسافرٍ سيؤوبُ يوماً إذا رُزِقَ السلامةَ والإيابا
ولو أني دُعيتُ لكنتَ ديني عليه أُقابلُ الحتمَ المُجابا
أُديرُ إليكَ قبلَ البيتِ وجهي إذا فهتُ الشهادةَ والمتابا
وقد سَبقتْ ركائبيَ القوافي مُقلَّدَةً أزِمَّتَها ، طِرابا

١ إن الله الذي أخرج آدم من الجنة ليجعل الأرض منفاه .
٢ أدال الله فلاناً من فلان : نزع الدولة من الثاني وحولها إلى الأول ، والكلام على الشمس .

تجوبُ الدهرَ نحوكَ ، والفيافي وتقتحمُ الليالِيَ ، لا العُبابا
وتُهديك الثناء الحرّ تاجاً على تاجَيْكَ مُؤتلقاً عُجابا

* * *

هدانا ضوءُ ثغرِكَ من ثلاثٍ كما تهدي المنوَّرةُ الركابا
وقد غشى المنارُ البحرَ نوراً كنار الطُّور جَلَّلتِ الشِّعابا
وقيل : الثَّغرُ ، فاتَّأدتْ ، فأرْسَت فكانت من ثراكَ الطُّهرِ قابا
فصفحاً للزمانِ لصبحِ يومٍ به أضحى الزمانُ إليّ تابا
وحيّا اللهُ فِتياناً سِماحاً كَسَوْا عِطفِيَّ من فخرٍ ثيابا
ملائكة إذا حفُّوكَ يوماً أحبَّكَ كلُّ من تلَقى ، وهابا
وإن حملتْكَ أيديهم بحوراً بلغت على أكُفِّهِمُ السحابا
تَلَقَّوْني بكل أغرَّ زاهٍ كأن على أسِرَّته شهابا
ترى الإيمانَ مؤتلقاً عليه ونورَ العلم ، والكرمَ اللُّبابا
وتلمحُ من وضاءةِ صفحتَيْه مُحيَّا مِصرَ رائعةً كَعابا
وما أدبي لما أسْدَوْه أهلٌ ولكن مَنْ أحبَّ الشيءَ حابى
شبابَ النيل ، إن لكم لصوتاً مُلبِّياً حين يُرفعُ ، مُستجابا
فهزُّوا العرشَ بالدعوات حتى يخفِّفَ عن كنانتِه العذابا
أمِنْ حربِ البسوسِ ، إلى غَلاءٍ يكادُ يُعيدُها سبعاً صِعابا ؟
وهل في القومِ يوسفُ يتّقيها ويُحسنُ حِسبةً ، ويرى صوابا ؟
عبادكَ – رَبِّ – قد جاعوا بمصرٍ أنيلاً سُقْتَ فيهم ، أم سَرابا ؟
حنانَكَ ، واْهدِ للحسنى تِجاراً بها ملكوا المرافِقَ والرقابا
ورقِّقْ للفقير بها قلوباً مُحجَّرةً ، وأكباداً صِلابا
أمَنْ أكلَ اليتيمَ له عقابٌ ومن أكل الفقيرَ فلا عقابا ؟
أُصيبَ من التجار بكل ضارٍ أشدَّ من الزمان عليه نابا

يكاد إذا غذاه ، أو كساه ينازعه الحشاشةَ والإهابا[1]
وتسمعُ رحمةً في كل نادٍ ولستَ تحِسُّ للبرِّ انتدابا
أكلٌّ في كتاب الله إلا زكاةَ المال ليست فيه بابا ؟
إذا ما الطامعون شكَوْا وضجّوا فدعهُم ، واسمع الغرْثى السغابا[2]
فما يبكون من ثُكْلٍ ، ولكن كما تصفُ المعدِّدةُ المصابا
ولم أر مثلَ سُوقِ الخيرِ كَسْباً ولا كتجارة السوءِ اكتسابا
ولا كأُولئك البؤساءِ شاءً إذا جوَّعتها انتشرَتْ ذئابا
ولولا البِرُّ لم يُبعثْ رسولٌ ولم يَحمِلْ إلى قومٍ كتابا

....

١ الحشاشة : بقية الروح في المريض ، والاهاب : الجلد .
٢ الغرثى : جمع غرثان ، وهو الجائع .

ذكرى المولد

سلُوا قلبي غداةَ سلا وتابا ... لعلَّ على الجمالِ له عِتابا
ويُسألُ في الحوادثِ ذو صوابٍ ... فهل ترك الجمالُ له صوابا ؟
وكنتُ إذا سألتُ القلبَ يوماً ... تولّى الدمعُ عن قلبي الجوابا
ولي بين الضلوعِ دمٌ ولحمٌ ... هما الواهي الذي ثَكِلَ الشبابا[1]
تسرّب في الدموعِ ، فقلتُ : ولّى ... وصفّق في الضلوعِ ، فقلتُ : ثابا
ولو خُلقت قلوبٌ من حديدٍ ... لما حَملتْ كما حَمل العذابا
وأحبابٍ سُقيتُ بهم سُلافاً ... وكان الوصلُ من قِصَرٍ حَبابا
ونادَمْنا الشبابَ على بِساطٍ ... من اللذاتِ مختلفٍ شرابا
وكلُّ بساطِ عيشٍ سوف يُطوى ... وإن طال الزمانُ به وطابا
كأن القلبَ بَعدهمُ غريبٌ ... إذا عادَتْه ذكرى الأهلِ ذابا
ولا يُنْبيكَ عن خُلُقِ الليالي ... كمن فقد الأحِبَّةَ والصَّحابا
أخا الدنيا ، أرى دنياكَ أفْعى ... تُبدّل كلَّ آونةٍ إهابا
وأن الرُّقْطَ أَيْقَظَ هاجعاتٍ ... وأترَعَ في ظلالِ السلمِ نابا[2]
ومِن عجبٍ تُشيِّب عاشقِيها ... وتُفنيهم ، وما بَرِحت كَعابا[3]
فمن يغترّ بالدنيا فإنّي ... لبستُ بها فأبليتُ الثيابا
لها ضَحِكُ القِيانِ إلى غَبيٍّ ... ولي ضحكُ اللبيبِ إذا تغابى[4]
جنيتُ برَوْضِها ورداً ، وشوكاً ... وذقتُ بكأْسِها شُهْداً ، وصابا

١ الواهي : الضعيف . وثكل الشباب : فقده . والمقصود بالدم واللحم هنا القلب .
٢ الرقط : جمع رقطاء ، وهي الحية على جلدها سواد مشوب بالبياض .
٣ الكعاب : الجارية الناهد .
٤ القيان : جمع قينة ، وهي الأمة المغنية .

فلم أرَ غيرَ حكمِ الله حكماً ولم أرَ دون بابِ الله بابا
ولا عظَّمْتُ في الأشياءِ إلّا صحيحَ العلم ، والأدبَ اللُّبابا
ولا كرّمتُ إلّا وجهَ حُرٍّ يُقلِّد قومَه المِنَنَ الرِّغابا
ولم أرَ مثلَ جمعِ المالِ داءً ولا مثلَ البخيلِ به مُصابا
فلا تقتلْك شهوتُه ، وزِنْها كما تزنُ الطعامَ أو الشرابا
وخُذْ لبنيك والأيامِ ذخراً وأعطِ اللهَ حِصَّتَه احتسابا[1]
فلو طالعتَ أحداثَ الليالي وجدتَ الفقرَ أقربَها انتيابا
وأن البرَّ خيرٌ في حياةٍ وأبقى بعد صاحبِه ثوابا
وأن الشرَّ يصدعُ فاعلِيه ولم أرَ خيِّراً بالشر آبا
فرِفقاً بالبنينِ إذا الليالي على الأعقاب أوقعتِ العقابا
ولم يتقلدوا شكرَ اليتامى ولا ادّرعوا الدعاء المستجابا
عجبتُ لمعشرٍ صلُّوا وصاموا ظواهرَ ، خشيةً وتُقًى كِذابا
وتُلفيهم حِيالَ المالِ صُمًّا إذا داعي الزكاةِ بهم أهابا
لقد كتموا نصيبَ الله منهُ كأن اللهَ لم يُحْصِ النِّصابا
ومَنْ يَعْدِلْ بحبِّ اللهِ شيئاً كحبِّ المالِ ، ضَلَّ هوًى وخابا
أراد اللهُ بالفقراء بِرًّا وبالأيتام حُبًّا وارتبابا[2]
فرُبَّ صغيرِ قومٍ علَّموه سَما وحَمى المُسوَّمَةَ العِرابا
وكان لقومه نفعاً وفخراً ولو تركوه كان أذًى وعابا[3]
فعلِّم ما استطعت ، لعلّ جيلاً سيأتي يُحدِثُ العَجَبَ العُجابا
ولا تُرهِقْ شبابَ الحيِّ يأساً فإن اليأسَ يخترمُ الشبابا
يريد الخالقُ الرزقَ اشتراكاً وإن يكُ خصَّ أقواماً وحابى

....

١ احتسب عند الله أمراً : قدمه .
٢ ارتب الصبيّ ارتباباً : رباه حتى أدرك .
٣ حاباه : اختصه ومال إليه .

فما حَرَمَ المجدَّ جَنَى يديه ولا نسيَ الشقيَّ ، ولا المُصابا
ولولا البخلُ لم يَهْلِكْ فريقٌ على الأقدار تلقاهُم غِضابا
تعبتُ بأهله لَوْماً ، وقبلي دُعاةُ البرِّ قد سئموا الخطابا
ولو أني خطبتُ على جمادٍ فجَرْتُ به الينابيعَ العِذابا
ألم تَرَ للهواءِ جري فأفضى إلى الأكواخ ، واخترق القبابا ؟
وأن الشمسَ في الآفاق تَغشى حِمى كِسرى ، كما تغشى اليبابا ؟
وأن الماء تروي الأُسْدُ منهُ وَيَشفي من تَلَعْلُعِها الكلابا ؟
وسَوّى اللهُ بينكمُ المنايا ووسَّدَكُم مع الرسْلِ الترابا
وأرسَلَ عائلاً منكم يتيماً دنا من ذي الجلال فكان قابا
نبيُّ البرِّ ، بيَّنَهُ سبيلاً وسنَّ خِلالَه ، وهَدى الشِّعابا
تفرق بعدَ عيسى الناسُ فيه فلما جاء كان لهم مَتابا
وشافي النفسِ من نزَغاتِ شرٍّ كشافٍ من طبائعها الذئابا[1]
وكان بيانُه للهدْيِ سُبْلاً وكانت خَيْلُه للحق غابا
وعَلَّمنا بِناء المجْدِ ، حتى أخذنا إمْرَةَ الأرضِ اغتصابا
وَما نيلُ المطالب بالتّمني ولكن تؤخذُ الدنيا غِلابا
وما استعصى على قومٍ مَنالٌ إذا الإقدامُ كان لهم رِكابا

* * *

تجلَّى مولد الهادي ، وعمَّت بشائرُه البواديَ والقِصابا[2]
وأسدَتْ للبريةِ بنتُ وَهْبٍ يداً بيضاء ، طوّقتِ الرقابا[3]
لقد وضعته وهّاجاً ، منيراً كما تلدُ السماواتُ الشهابا

١ النزغات : الوساوس .
٢ القصابا : جمع قصبة ، وهي المدينة .
٣ بنت وهب : السيدة آمنة ، أمه صلى الله عليه وسلم .

فقام على سماءِ البيتِ نوراً		يضيءُ جبالَ مكة والنقابا
وضاعت يَثرِبُ الفيحاءُ مِسْكاً		وفاحَ القاعُ أرجاءً وطابا[1]
أبا الزهراءِ ، قد جاوزتُ قدري		بمدحك ، بَيْدَ أن ليَ انتسابا
فما عرفَ البلاغة ذو بيانٍ		إذا لم يَتَّخِذْكَ له كتابا
مدحتُ المالكين ، فزدتُ قدراً		فحين مدحتُكَ اقْتَدْتُ السحابا
سألتُ الله في أبناءِ ديني		فإن تكن الوسيلةَ لي أجابا
وما للمسلمين سواكَ حصنٌ		إذا ما الضرُّ مسَّهُم ونابا
كأن النحسَ حين جرى عليهم		أطار بكل مملكةٍ غُرابا
ولو حفظوا سبيلك كان نوراً		وكان من النحوس لهم حجابا
بنيْتَ لهم من الأخلاق ركناً		فخانوا الركن ، فانهدم اضطرابا
وكان جَنابُهم فيها مَهيباً		ولَلأخلاقُ أجدرُ أن تُهابا
فلولاها لساوى الليثُ ذئباً		وساوى الصارمُ الماضي قِرابا[2]
فإن قُرنت مكارمُها بعلمٍ		تذلَّلتِ العلا بهما صعابا
وفي هذا الزمان مَسيحُ علمٍ		يرد على بني الأُمم الشبابا

[1] ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .
[2] الصارم : السيف . والقراب : الغمد .

مشروع ملنر *

إثْنِ عنانَ القلبِ ، واسْلَمْ به من رَبْرَبِ الرملِ ، ومن سِرْبِهِ
ومِن تثنِّي الغِيدِ عن بانِه مُرتَجَّةَ الأرداف عن كُثْبه[1]
ظِباؤه المنكسِراتُ الظُّبا يَغْلِبْنَ ذا اللُّبِّ على لُبِّه
بيضٌ ، رِقاق الحسن في لمحةٍ من ناعم الدرِّ ، ومن رَطْبِه
ذوابلُ النرجسِ في أصلِه يَوانعُ الوردِ على قُضْبِه
زِنَّ على الأرض سماء الدُجى وزِدْن في الحسن على شُهْبه
يمشين أسراباً ، على هِينةٍ مشيَ القطا الآمِنِ في سِربه[2]
من كلِّ وَسْنانٍ بغير الكرى تنتبهُ الآجالُ من هُدْبه
جَفنٌ تلقَّى مَلَكا بابلٍ غرائبَ السحرِ على غَرْبه[3]
يا ظَبْيَةَ الرملِ ، وُقيتِ الهوى وإن سعتْ عيناكِ في جَلبه
ولا ذرَفتِ الدمع يوماً ، وإن أسرفتِ في الدمع ، وفي سكبه
هذي الشواكي النُّحْلُ صِدْنَ امْرأً مُلْقَى الصِّبا ، أعزلَ من غرْبه
صَيادَ آرامٍ ، رماه الهوى بشادنٍ لا بُرء من حُبِّه[4]

* في سنة ١٩١٩ ثارت البلاد في طلب استقلالها ، وسافر الوفد المصري لعرض قضية البلاد في مؤتمر السلام في « فرساي » ، وتلقى هناك دعوة من لورد « ملنر » وزير المستعمرات الإنكليزية إذ ذاك ، ليتفق معه على مركز البلاد وتحديد علاقة انكلترا بها ، فتمخضت المحادثات بينهما عن مشروع قدمه لورد ملنر ، واتفق مع الوفد على عرضه على البلاد لأخذ رأيها فيه مع التزام الحيدة ، فانتدب الوفد أربعة من أعضائه للقيام بهذه المهمة ، وقد كانت الأفكار يومئذ متجهة إلى أن المشروع يصلح أساساً للمفاوضة ببعض تعديلات .

١ الغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة اللينة الأعطاف .
٢ الهينة (بالكسر) : السكينة والوقار .
٣ هاروت وماروت : الملكان اللذان أنزل عليهما السحر . وغرب العين : مقدمها أو مؤخرها .
٤ آرام : جمع رئم ، وهو الظبي الخالص البياض . والشادن : ولد الظبية .

شابٌ ، وفي أضلُعه صاحبٌ　　خِلْوٌ من الشيب ؛ ومن خَطبِه
واهٍ بجنبي ، خافقٌ ، كلما　　قلتُ : تناهَى ، لَجّ في وثْبِه
لا تنثني الآرامُ عن قاعِه　　ولا بناتُ الشوْقِ عن شِعْبِهْ
حمَّلتُه في الحبّ ما لم يكن　　ليحملَ الحبُّ على قلبِه
ما خَفّ إلا للهوى والعلا　　أو لجلال الوفد في رَكْبِه
أربــعــةٌ تجمــعــهــم همّةٌ　　ينقلُها الجيل إلى عَقبِه[1]
قِطارُهم كالقَطر هزَّ الثرى　　وزاده خِصباً على خِصْبِه
لولا استلامُ الخلقِ أرْسانه　　شبّ ، فنال الشمسَ من عُجْبِه
كُلُّهُمُ أغيرُ من وائلٍ　　على حِماه ، وعَلى شَعبه
لو قدَرُوا جاءُوكُمُ بالثرى　　من قُطبِه مُلكا إلى قُطبه
وما اعتراضُ الحظِّ دون المنى　　من هفوةِ المُحْسِنِ أو ذنبه
وليس بالفاضلِ في نفسِه　　من يُنكر الفضل على ربّه
ما بالُ قومي اختلفوا بينهم　　في مِدحةِ المشروع أو ثَلبه ؟
كأنهم أسرى ، أحاديثُهم　　في لِيْنِ القيد ، وفي صُلبه
يا قومُ ، هذا زمنٌ قد رمَى　　بالقَيْدِ ، واستكبر عن سَحْبه
لو أنّ قيداً جاءه من عَلٍ　　خشيتُ أن يأْبى على ربه
وهذه الضجةُ من ناسِه　　جـنـازةُ الرّق إلى تُـربـه
من يخلع النِّيرَ يَعشْ بُرهةً　　في أثر النِّير ، وفي ندبه[2]
يا نَشأ الحيّ ، شبابَ الحِمَى　　سُلالةَ المشرق من نُجْبه[3]
بني الأُولى أصبحَ إحسانُهم　　دارت رحَى الفنّ على قطبه
موسى وعيسى نشآ بينهم　　في سَعَة الفِكر وفي رُحْبه

....

١ يريد بالأربعة : الأعضاء المندوبين لعرض المشروع . والعقب : الولد ، وولد الولد .
٢ النير : الأخشبة المعترضة في عنق الثورين بأداتها .
٣ النجب : جمع نجيب . وهو الكريم الحسيب .

وعالَجا أولَ ما عالجا　　من عللِ العالَم أو طبِّه[1]
ما نَسيَتْ مصرُ لكم برَّها　　في حازبِ الأمر وفي صعبه
مزّقتمُ الوهْمَ ، وألفتمُ　　أهـلَّـةَ الله على صُلبه
حتى بنيتمْ هرماً رابعاً　　من فِئةِ الحقِّ ومن حزبه
يومٌ لكم يَبقى كبدرٍ على　　أنصار سعدٍ ، وعلى صحبه[2]
قد صارت الحالُ إلى جِدّها　　وانتبه الغافلُ من لعبه
اللّيْثُ ، والعالمُ من شرقه　　في هيبة الليثِ إلى غربه[3]
قضى بأن نبني على نابه　　مُلكَ بَنينا ، وعلى خِلبه
ونبلُغَ المجدَ على عينه　　وندخل العصرَ إلى جَنبه
ونصلَ النازلَ في سلمه　　ونقطعَ الداخلَ في حربه
ونصرفَ النيلَ إلى رأْيه　　يَقْسِمُه بالعدل في شِرْبِه
يُبيحُ أو يَحمي على قُدْرةٍ　　حقَّ القُرى والناس في عذبه
أمرٌ عليكم أو لكم في غد　　ما ساء أو ما سَرّ من غبِّه
لا تستقِلُّوه ، فما دهرُكم　　بحاتم الجود ولا كعبه[4]
نسمعُ بالحقِّ ، ولم نطَّلعْ　　على قَنا الحقِّ ، ولا قُضْبه
ينال باللين الفتى بعضَ ما　　يعجز بالشدّة عن غصْبه
فإن أنستم فليكن أنسُكم　　في الصبر للدهر ، وفي عَتبه
وفي احتشام الأُسْدِ دون القَذى　　إذا هي اضطُرّت إلى شُربِه
قد أسقط الطَّفرَةَ في ملكه　　من ليس بالعاجز عن قلبه
يا رُبّ قيدٍ لا تُحِبّونه　　زمانُكم لم يتقيَّدْ به

[1] الطب : الشهوة ، وهو أيضاً علاج الجسم والنفس .
[2] بدر : أكبر وقعة انتصر فيها الإسلام على أعدائه .
[3] الليث : الأسد البريطاني وهنا يبدأ الشاعر في سرد نقط المشروع الهامة .
[4] حاتم طي ، وكعب بن مامة : من أجواد العرب .

ومطلبٍ في الظنِّ مستبعدٍ كالصبح للناظرِ في قربه
واليأسُ لا يجمُلُ من مؤمن ما دام هذا الغيبُ في حُجْبه

مشروع ٢٨ فبراير

أُعِدَّت الراحةُ الكبرى لمن تعبا وفاز بالحقِّ من لم يأْلُهُ طلبا[١]
وما قضت مصرُ من كلٍّ لُبانتها حتى تجرَّ ذيولَ الغبطةِ القُشبا[٢]
في الأمرِ ما فيه من جدٍّ ، فلا تقفوا من واقع جزعاً ، أو طائر طَربا
لا تُثْبِتُ العينُ شيئاً ، أو تحقِّقه إذا تحيَّر فيها الدمعُ واضطربا
والصبحُ يُظلم في عينيك ناصعُهُ إذا سدلتَ عليكَ الشكَّ والريبا[٣]
إذا طلبتَ عظيماً فاصبرنَّ له أو فاحشدنَّ رماح الخطِّ والقُضُبا[٤]
ولا تعِدَّ صغيراتِ الأُمورِ له إن الصغائرَ ليست للعلا أهُبا
ولن ترى صحبةً تُرضي عواقبُها كالحقِّ والصبرِ في أمر إذا اصطحبا

١ لم يأل : لم يقصر . قال تعالى (لا يألونكم خبالا) وهذا البيت من الحكم الغالية التي لا تتاح لغير أمير الشعراء ، فكم وراء جهاد الحياة من راحة وكم وراء الضعف من قوة .
٢ اللبانة : الحاجة . والقشب جمع قشيب : الجديد . وفي هذا البيت استفزاز للهمم وبيان لأن سبيل المجد طويل وميدانه متسع .
٣ الريب : جمع ريبة ، مثل سدرة وسدر : الظن . وكم من رجل تسد أمامه كوى الحياة وتضيق عليه الأرض بما رحبت ولا سبب لهذا إلا الشكوك والأوهام .
٤ الخط : موضع باليمامة ينسب إليه على لفظه ، فيقال : رماح خطية والرماح لا تنبت به ولكنه ساحل للسفن التي تحمل القنا إليه وتعمل به . وقال الخليل : إذا جعلت النسبة إسماً لازماً قلت : خطية ، بكسر الخاء . ولم تذكر الرماح وهذا كما قالوا : ثياب قبطية (بالكسر) فإذا جعلوه اسماً حذفوا الثياب وقالوا قبطياً (بالضم) ، فرقا بين الأسم والنسبة ، وما أحسن أن تنتشر هذه الحكم بين أفراد أمتنا الناهضة حتى تعرف حقوقها وواجباتها .

إن الرجالَ إذا ما أُلجِئوا لَجأوا   إلى التعاون فيما جَلَّ أو حَزَبا

* * *

لا ريبَ أن خُطا الآمالِ واسعةٌ   وأن ليلَ سُراها صُبْحُهُ اقتربا[1]
وأن في راحتيْ مصرٍ وصاحبها   عهداً وعقداً بحقٍّ كان مغتصبا
قد فتّحَ الله أبواباً ، لعل لنا   وراءها فُسَحَ الآمالِ والرحبا
لولا يدُ الله لم ندفع مناكبَها   ولم نعالج على مصراعِها الأربا
لا تعدمُ الهمةُ الكبرى جوائِزَها   سيّانِ من غَلَبَ الأيام أو غلبا
وكلُّ سَعْيٍ سيجزي اللهُ ساعيَهُ   هَيهاتَ يذهبُ سعْي المحسنين هَبا
لم يُبرمِ الأمرَ حتى يستبينَ لكم   أساء عاقبةً ، أمْ سَرَّ مُنقلبا ؟
نلتم جليلاً ، ولا تُعطونَ خردلةً   إلا الذي دفع الدستورُ أو جَلَبا
تمهدتْ عقباتٌ غيرُ هينةٍ   تلقي ركابُ السُّرى من مثلها نصبا
وأقبلتْ عقباتٌ لا يذللها   في موقف الفصل إلا الشَّعبُ مُنتخَبا
له غداً رأْيُه فيها وحِكمتُه   إذا تمهّل فوق الشوكِ أو وثبا
كم صعَّب اليومُ من سهل هممتَ به   وسهل الغدُ في الأشياء ما صعُبا
[illegible] الجهودَ ، وخلوها منكَّرَةً   لا تملأوا الشَّدْق من تعريفها عجبا
أفي الوغى ورحَى الهيجاء دائرةٌ   تُحصون من مات أو تُحصون ما سُلِبا ؟
خلُّوا الأكاليل للتاريخ ، إن له   يداً تؤلّفها دُرًّا ومخشَلَبا
أمرُ الرجال إليه ، لا إلى نفرٍ   من بينكم سَبَق الأنباء والكتبا
أملى عليه الهوى والحقدُ ، فاندفعت   يداه ترتجلانِ الماء واللهَبا
إذا رأيتَ الهوى في أُمَّةٍ حكَماً   فاحكمْ هنالك أن العقلَ قد ذهبا

١ السرى : جمع سرية بضم السين وفتحها . يقال : سرينا سرية من الليل . وكان الشاعر أراد حفز الهمم وشحذ العزائم لاجتلاء صبح الآمال .

قالوا : الحمايةُ زالت ، قلتُ : لا عجبٌ بل كان باطلُها فيكم هو العجبا
رأسُ الحمايةِ مقطوعٌ ، فلا عَدِمَتْ كنانةُ الله حزْماً يقطع الذنَبا
لو تسألون ألِنْبي يوم جَنْدَلَها : بأيِّ سيفٍ على يافوخِها ضربا[1] ؟
أبالذي ي جرّ يومَ السّلمِ مُتَّشِحاً أم بالذي هزَّ يومَ الحربِ مُختضِبا ؟
أم بالتكاتُفِ حول الحق في بلد من أربعين ينادِي الويلَ والحربا ؟
يا فاتحَ القدس ، خَلِّ السيفَ ناحيةً ليسَ الصليبُ حديداً كان ، بل خشبا
إذا نظرتَ إلى أين انتهت يدُهُ وكيفَ جاوز في سلطانه القُطُبا
علمت أن وراء الضعف مقدرةً وأنّ للحق – لا للقوةِ – الغلبا

* * *

يا بنَ السَّنى عالياً ، والعزِّ مُمتَنِعاً والبأسِ مُحتَدِماً ، والعرفِ مُنسكبا[2]
قياصِرِ النيل من أعلاه مُنفجراً إلى مَطارِحِهِ في المِلحِ مُنسربا[3]
والقاهرين على الروميِّ ما تركتْ سفينُهم ثَبَجاً فيه ولا عُبُبَا[4]
قد جلَّلَ التركَ أحياناً لواؤُهم وما تلفَّتَ حتى ظَلَّلَ العَرَبا
إن الجلالةَ في ناديكَ سائلةٌ ألم تكنْ لكَ حتى رُمْتَها لَقَبا[5]
بُردُ الجلالةِ جلَّ الله ناسجهُ لبستَه نسباً في المهد أو حَسَبَا
ما زال قبلك إسماعيلُ يَنْشُره حتى طَوَى في ثُنَى أذياله الشُّهُبا[6]

١ جندلها : أرداها ، واليافوخ : مقدم الرأس .
٢ السنى : مقصور ، ضوء البرق ، والسناء ، من الرفعة ، ممدود . والعرف : العطاء .
٣ طرح الشيء وبالشيء : رماه ، وبابه قطع .
٤ الرومي: بحر الروم ، وهو البحر الأبيض المتوسط . وثبج كل شيء : وسطه . وعبب (بضمتين) : المياه المتدفقة .
٥ يشير إلى وقائع إبراهيم وما كان للأسرة المحمدية العلوية من الفتوح في حصون الأتراك ، وكذا ما كان لهم مع العرب الوهابيين .
٦ الثنى : الأثناء .

باهِ الملوكَ بهذا التاجِ إنَّ له … في جوهر الشمسِ لا في الماسِ مُنْتَسَبا
وتِهْ عليهم بعرشٍ غيرِ ذي لِدةٍ … من عهدِ خوفو على الماءِ استوى عجبًا[1]
لو استطعْنَا لزدنا فيه قائمةً … ولاتخذْنَا له أمَّ السُّها عَتَبًا[2]

* * *

أتى لك الملكُ منضورَ الزمانِ ترى … على جوانبه آذارَ أوْ رَجَبا[3]
فاملأْ بحِلمِك من صفوٍ لياليَهُ … واجعلْ حواشيَ دُنياهُ هي الرَّغَبا[4]
واحملْ نوائبَ قومٍ أنت سيّدُهُم … وسيّدُ القومِ أقْضَاهُمْ لمَا وَجَبا
لقد بَدَأْتَ فأَتْمِمْ غيرَ مُدَّخِرٍ … جُهداً ولا همةً لا تعرفُ التعبَا
هَذي الفُتوحُ كتابٌ أنتَ حلْيتُه … جهودُ آلِكَ فيه فُصِّلَتْ ذَهَبَا
أُمنيةٌ دأبتْ مصرٌ لتُدرِكَها … واللهُ والناسُ في إنصاف من دأَبا
ولم ترَ الشعبَ مجموعاً ومُفترِقاً … إلاّ على جانبيها انضمَّ وانشعبا
يا رُبَّ من مات في شَرْخِ الشبابِ بها … ومَنْ قضى دونها جَوْعانَ مُغْتَرِبا
وصابرٍ تَلْهَجُ الدنيا بنكبَتِه … تَخَالُه من جميل الصبر ما نُكِبا
وهمّةٍ كُتِبَت بالتبرِ من نَشَإٍ … قد وُورِيَ السجنَ أو قد وُورِيَ التُّرَبا[5]

* * *

١ اللدة : الترب ، وهو الذي يولد مع الإنسان . وخوفو : هو صاحب الهرم الأكبر ومؤسس الأسرة الرابعة المصرية . والمراد بالماء هنا : النيل .
٢ السها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى ، ويضرب به المثل في تناهي الارتفاع .
٣ المنضور : الذي صير ناضراً . وآذار : مبدأ الربيع في الشهور العبرية .
٤ الرغب : المرغوب النهج .
٥ النشأ : جمع ناشيء ، وهو الذي جاوز حدّ الصغر . والترب : جمع تربة ، وهي المقبرة .

فـؤادُ ، حلَّيْتَ جيدَ النيل مَأْثرةً حذوتَ في صَوغِها آباءك النُّجُبا
ما زلتَ في السِلمِ تغزو كُلَّ مُعْضِلَةٍ بالحِلْمِ حتى اقتحمت المعقِلَ الأَشِبا[1]
وإنّ للمجدِ آفاتٍ إذا جُمِعَتْ وجدتهُنَّ اثنتين : الحقدَ والغَضَبا
إن سَرَّكَ الملكُ تَبْنيهِ على أُسُسٍ فاستنهِضِ البانِيَيْن : العلمَ والأدَبا
وارفعْ لهُ من حبال الحقِّ قاعدةً ومُدَّ من سبب الشُّورَى له طُنُبا[2]

* * *

قلْ للكنانةِ قولَ الصدقِ من مَلِكٍ مؤيَّدٍ بالهُدَى لا ينطقُ الكَذِبَا
دارُ النيابةِ قد صُفَّتْ أرائكُها لا تُجْلِسُوا فوقَها الأحجارَ والخُشُبا
اليومَ يا قومُ إذ تَبْنونَ مَجلِسَكم تَبْنُونَ للعقِبِ الأيامَ والْحِقَبَا[3]
فما هو الفردُ إن شِئْتُمْ سَمَا صَعَداً إلى الثُّرَيَّا وإن شِئْتُمْ هَوَى صَبَبَا[4]
وإن رضيتُمْ عَمَرْتُم ركنَهُ ثقةً وإن غَضِبْتُمْ تركتُم ركنَهُ خَرِبَا
وإنما هو سلطانٌ يُدانُ له إذا تكفَّلَ بالأعباء وانْتَدَبَا
يقول عنكم ويقضي غيرَ مُتَّهَمٍ العهدُ ما قال والميثاقُ ما كَتَبَا

١ المعقل : الحصن .
٢ الطنب : الوتد ، أو الحبل الذي يشدّ به سرادق البيت .
٣ العقب : الولد وولد الولد . والحقب : جمع حقبة ، وهي مدّة من الدهر لا حدّ لها ، وقد تطلق على السنة .
٤ الصبب : تصبب نهر أو طريق يكون في حدور .

الله والعلم *

لمن ذلكَ الملكُ الذي عزَّ جانبُه ؟ لقد وعظ الأملاكَ والناسَ صاحبُهُ
أمُلْكُكَ يا ادواردُ ، والملكُ الذي يَغار عليه ، والذي هو واهبه ؟[1]
أراد به أمراً ، فجلَّتْ صُدورُه فأتْبعه لُطفاً ، فجلَّت عواقبه
رمى ، واستردَّ السهمَ ، والخلقُ غافلٌ فهل يتَّقيه خلقُه أو يُراقبه ؟[2]
أيبطُل عيدُ الدهرِ من أجل دُمَّل وتخبو مجاليه ، وتُطوَى مواكبه ؟
ويرجع بالقلب الكسيرِ وفودُه وفيهم مصابيحُ الورى وكواكبه ؟
وتسمو يد الدهر ارتجالاً بيأْسها إلى طُنُبِ الأقواسِ ، والنصرُ ضاربه ؟
ويستغفر الشعبُ الفخورُ لربِّه ويجمع من ذيل المخيلةِ ساحبه ؟
ويُحجبُ ربُّ العيد ساعةَ عيدِه وتنقص من أطرافهن مآربه ؟
ألا هكذا الدنيا ، وذلك وُدُّها فهلّا تأنّى في الأمانيِّ خاطبه ؟[3]
أعدّ لها إدوردُ أعيادَ تاجه وما في حساب الله ما هو حاسبه
مشَتْ في الثرى أنباؤها ، فتساءلت مشارقُه عن أمرها ، ومغاربه[4]
وكاثر في البرِّ الحصى مَن يَجوبُه وكاثر مَوْجَ البحر في البحر راكبه

* نظمت هذه القصيدة بمناسبة تتويج الملك ادوارد السابع وتأجيل إقامة الحفلة لإصابة جلالته بدمل وذلك في سنة ١٩٠٢ .

١ الملك الذي يغار عليه والذي هو واهبه : هو الله تعالى .

٢ استرد السهم : رده وأرجعه إليه .

٣ الود : هو المودة .

٤ الثرى : التراب والمراد الأرض .

إلى موكب لم تُخرجِ الأرضُ مثلَه ... ولن يتهادى فوقها ما يقاربه[1]
إذا سار فيه سارت الناسُ خلفه ... وشدَّت مغاويرَ الملوك ركائبُه[2]
تحيطُ به كالنّمل في البرّ خيلُه ... وتملأُ آفاقَ البحار مراكبه
نظامُ المجالي وللمواكبِ حلَّةُ ... زمانٌ وشيكٌ رَيبُه ونوائبه
فبينا سبيلُ القومِ أمنٌ إلى المنى ... إذا هو خوفٌ في الظنون مذاهبه
إذا جاءت الأعياد في كل مسمعٍ ... تجوبُ الثّرى شرقاً وغرباً جوائبه
رجاءٌ فلم يلبث ، فَخَوْفٌ فلم يدم ... سل الدَّهْرَ : أيُّ الحادثين عجائبه ؟
فياليت شعري : أين كانت جنودُه ؟ ... وكيف تراخت في الفداءِ قواضبه ؟
ورُدّت على أعقابهن سفينُهُ ... وما ردّها في البحر يوماً مُحارِبه ؟
وكيف أفاتته الحوادث طِلْبَةً ... وما عوّدْته أن تفوت رغائبه ؟
لكَ الملكُ يامن خَصَّ بالعزِّ ذاتَه ... ومَنْ فوقَ آراب الملوكِ مآربه[3]
فلا عرشَ إلا أنتَ وارثُ عِزّهِ ... ولا تاجَ إلا أنت بالحق كاسبه
وآمنتُ بالعلمِ الذي أنت نورُه ... ومنك آياديه ، ومنكَ مناقبه
تُؤامنُ مِن خَوفٍ به كلّ غالبٍ ... على أمره في الأرض ، والدّاءُ غالبه
سلوا صاحب المُلكين هل مَلك القُوى ... وأُسدُ الشرى تعنو له وتحاربه ؟
وهل رفع الداءَ العُضالَ وزيرُه ؟ ... وهل حجب البابَ الممنَّعَ حاجبه ؟
وهل قدّمت إلا دعاةً شعوبُه ... وساعفَ إلا بالصلاة أقاربه ؟
هنالك كان العلمُ يُبلي بلاءه ... وكان سلاح النفس تغني تجاربه

* * *

١ يتهادى : يمشي مشياً غير قوي متمايلاً . وما يقاربه : أي ما يدانيه .
٢ شد الشيء : أوثقه ، ومنه شد الرحال .
٣ خصه بالشيء : جعله له دون سواه . والآراب : جمع أرب ، وهو الحاجة .

كريمُ الظُّبا ، لا يقرب الشرَّ حَدُّه   وفي غيره شرُّ الورى ومَعاطبه[1]
إذا مرَّ نحوَ المرءِ كان حياتَه   كأصبَع عيسى نحو مَيْت يخاطبه
وأيسرُ من جُرح الصدودِ فعالُه   وأسهل من سيفِ اللِّحاظ مَضاربه
عجيبٌ ! ! يُرجَّى «مِشرطاً» أو يهابه   مَن الغربُ راجيه ، مَن الشرقُ هائبه ؟[2]
فلو تُفتدى بالبيضِ والسُّمرِ فِديَةٌ   لألْقَتْ قَناها في البلاد كتائبه
ولو أن فوق العلم تاجاً لتوّجوا   طبيباً له بالأمس كان يصاحبه
فآمنتُ بالله الذي عزّ شأنُه   وآمنتُ بالعلم الذي عزّ طالبه

١ كريم الظبا : من إضافة الصفة للموصوف : أي الظبا الكريمة ، والظُّبى: جمع ظبة ، وهي حد السيف أو السنان أو نحو ذلك .
٢ المشرط : المبضع الذي يفتح به الطبيب الجراحات .

ذكرى كانارفون

في الموت ما أعيا وفي أسبابه ... كل امرئٍ رهنٌ بطَيِّ كتابِه
أسَدٌ لَعَمْرُكَ ، من يموتُ بظُفْره ... عند اللقاءِ ، كمن يموت بنابه[1]
إن نام عنك ؛ فكلُّ طبٍّ نافعٌ ... أو لم ينمْ ، فالطبُّ من أذنابه
داءُ النفوس ، وكلُّ داءٍ قبلَه ... هَمٌّ نَسِينَ مَجيئه بذَهابه
النفسُ حربُ الموتِ ، إلا أنها ... أتتِ الحياةَ وشُغْلَها من بابه
تَسع الحياةَ على طويل بلائها ... وتضيقُ عنه على قصير عذابه[2]
هو منزلُ الساري ، وراحةُ رائح ... كثُرَ النهار عليه في إتعابه
وشفاءُ هٰذي الروحِ من آلامها ... ودواءُ هذا الجسم من أوْصابه[3]
من سرَّه ألّا يموتَ ؛ فبالعلا ... خَلَدَ الرجالُ ، وبالفعالِ النابه[4]
ما مات من حاز الثرى آثارَه ... واستولت الدنيا على آدابه
قل للمُدِلِّ بمالِه وبجاهه ... وبما يُجِلُّ الناسُ من أنسابه
هذا الأديمُ يَصدُّ عن حُضَّارِه ... وينامُ مِلءَ الجفن عن غُيَّابه[5]
إلّا فتًى يمشي عليه مُجدِّدًا ... ديباجَتَيْهِ ، مُعَمِّراً لخرابه[6]

---

١ لعمرك : يقول النحاة : أنه قسم ، اللام فيه لتوكيد الابتداء . وهو مبتدأ خبره محذوف .
٢ بلاء الحياة : ما فيها من ألم وهم . أي أن النفس تسع الحياة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهي ، وتضيق عن الموت وتأباه وهو ليس فيه إلا شيء من الألم قصير .
٣ وشفاء هذه الروح ، إلى آخر البيت : متصل بالبيت الذي قبله . والأوصاب : الأوجاع . جمع وصب .
٤ الفعال النابه : الفعل الشريف المذكور .
٥ الأديم : الجلد المدبوغ ، وقد يطلق على وجه الأرض .
٦ الديباجتان : الخدان .

صادت بقارعةِ الصعيدِ بَعوضةٌ في الجَوِّ صائدَ بازِه وعُقابه
وأصاب خُرطومُ الذبابة صفحةً خُلقتْ لسيف الهندِ أو لذُبابِه
طارت بخافية القضاء ، ورَأْرَأت بكريمتيْه ، ولامست بلُعابه
لاتَسمعنّ لعُصبةِ الأرواحِ ما قالوا بباطل علمهم وكِذابه[1]
الروحُ للرحمٰن جل جلالُه هي من ضنائن علمه وغيابه
غُلِبوا علىٰ أعصابهم ، فتوهَّموا أوهامَ مغلوبٍ على أعصابه

* * *

ما آبَ جبّارُ القُرونِ ، وإنّما يومُ الحساب يكون يومَ إيابه[2]
فذروه في بلد العجائب مُغمَداً لا تشهَروه كأمس فوق رقابه[3]
المستبدُّ يطاقُ في ناووسه لا تحت تاجيه وفوق وِثابه
والفردُ يؤمَن شرُّه في قبره كالسيفِ نامَ الشرُّ خلفَ قِرابه
هل كانَ توتَنْخٌ تقمَّص روحَهُ قُمُصَ البعوض ومُستَخَسَّ إهابه ؟
أو كان يَجزيكَ الردى عن صُحبةٍ وهو القديم وفاؤه لصحابه ؟
تالله لو أهدي لك الهرمَيْنِ مِن ذهب ، لكان أقلَّ ما تُجزَى به
أنت البشير به ، وقَيِّمُ قَصره ومُقدَّم النبلاءِ من حُجّابه[4]
أعْلَمْتَ أقوامَ الزمانِ مكانَه وحَشَدْتَهم في ساحِه ورحابه
لولا بَنانُك في طلاسِمِ تُربه ما زاد في شرف على أترابه[5]

* * *

١ العصبة من الرجال : ما بين العشرة إلى الأربعين ، والمراد هنا الجماعة بغير عدد .
٢ آب : رجع . جبار القرون : يريد توت عنخ آمون ، يوم الحساب : اليوم الآخر .
٣ ذروه : اتركوه . بلد العجائب : الأقصر ، لما فيها من عجائب الآثار . مغمداً : أي باقياً في قبره كما يبقى السيف في غمده . لا تشهروه ، من شهر السيف إذا سله .
٤ البشير : المبشر بالخير ، قيم القصر : سائس أمره . النبلاء : جمع نبيل ، وهو الذكي النجيب .
٥ البنان : أطراف الأصابع ، مفردها : بنانة .

أخنَى الحِمامُ على ابن هِمّةِ نفسهِ ... في المجد ، والباني على أحسابه[1]
الجائب الصخرَ العتيدَ بحاجرٍ ... دبّ الزمانُ وشبّ في أسرابه
لو زايلَ الموتى مَحاجرَهم به ... وتلفّتوا ؛ لتحيّروا كضِبابه
لم يَأْلُهُ صبراً ، ولم يَنِ هِمّةً ... حتى انثنى بكنوزِه ورِغابه
أفضى إلى خَتْم الزمان ففضّه ... وحبا إلى التاريخ في محرابه
وطوى القرونَ القَهْقَرَى ، حتى أتى ... فرعونَ بين طعامه وشرابه
المَنْدَلُ الفيّاحُ عودُ سريره ... واللؤلؤ اللمّاحُ وشْيُ ثيابه[2]
وكأن راحَ القاطفين فَرغن من ... أثماره صُبحاً ومن أرطابه
جدثٌ حوى ما ضاق غُمدانٌ به ... من هالة المُلكِ الجسيمِ وغابه[3]
بنيانُ عُمرانٍ ، وصَرْحُ حضارةٍ ... في القبر يلتقيان في أطنابه
فترى الزمانَ هناك قبلَ مَشيبه ... مثلَ الزمانِ اليومَ بعد شبابه
وتحسُّ ثَمَّ العلمَ عند عُبابه ... تحت الثرى والفنّ عند عجابه

* * *

ياصاحبَ الأُخرى ، بلغتَ مَحلَّةً ... هي من أخي الدنيا مُناخُ ركابه
نُزُلٌ أفاق بجانبيه من الهوى ... من لا يُفيقُ ، وجدّ من تَلعابه
نام العدوُّ لديه عن أحقاده ... وسلا الصديقُ به هوى أحبابه

١ أخنى عليه : أهلكه . الحمام : الموت . الأحساب : جمع حسب ، وهو ما للرجل من مفاخر الآباء ، أو هو دين الرجل أو ماله .
٢ المندل : العود المعروف بطيب رائحته . الفياح : الفياض بنشره ، وطيبه اللماح : الشديد اللمعان ، وشي الثوب : نقشه وتحسينه . والضمير في « سريره » و « ثيابه » لفرعون .
٣ الجدث : القبر . حوى الشيء : أحرزه . غمدان : قصر كان مشهوراً . يرجحون أن يشرح بن الحارث بن صيفي بن سبأ جد بلقيس ملكة اليمن ، هو الذي بناه وجعل له أربعة وجوه : أحمر ، وأبيض ، وأصفر ، وأخضر ، وبنى داخله قصراً بسبعة سقوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعاً وقيل : كان ارتفاع السقف مائتي ذراع . الهالة : دارة القمر .

الراحةُ الكبرى مِلاكُ أديمه　　والسلوةُ الطُّولَى قِوامُ ترابه

* * *

وادي الملوك بكتْ عليكَ عيونُه　　بمُرَقْرَق كالمزنِ في تَسكابه[1]
ألقى بياضَ الغَيم عن أعطافه　　حزناً ، وأقبل في سواد سحابه
يأسٌ على حرباءِ شمسِ نهاره　　ونزيل قِيعَتِه ، وجار سرابه[2]
ويودُّ لو أُلْبِست من بَرْدِيِّه　　بُرْدَيْنِ ، ثم دُفنتَ بين شعابه
نوّهتَ في الدنيا به ، ورفعتَه　　فوق الأديم ، بطاحِه ، وهِضابه
أخرجتَ من قبرٍ كتابَ حضارةٍ　　الفنُّ والإعجازُ من أبوابه
فصَّلته ، فالبرقُ في إيجازه　　يُبنَى البريدُ عليه في إطنابه
طلعا على لوزانَ والدنيا بها　　وعلى المحيط وما وراء عُبابه[3]
جئتَ الشعوبَ المحسنين بشافع　　مِنْ مثل مُتْقَنِ فَنِّهم ولُبابه
فرفعتَ رُكناً للقضية ، لم يكن　　سَحبانُ يرفعُه بسحر خطابه

---

١ دمع مرقرق ، أي دائر في حملاق العين .

٢ الحرباء : اسم للذكر ، والأنثى حرباءة ، وهي حيوان اسمه أم حبين . يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون بحرها ألواناً مختلفة ، وهو يضرب مثلاً في التقلب . السراب : ما تراه نصف النهار من شدة الحر كأنه ماء يلصق بالأرض .

٣ طلعا : أي البريد والبرق ، لوزان مدينة في سويسرا ، كان بها مجلس الدول الذي تمّ فيه الصلح بين تركية واليونان ١٩٢٢ ، وإلى هذا المجلس يشير بقوله (والدنيا بها) .

أيها العمال

أيُّها العمالُ ، أفنوا الـ ـعمرَ كدًّا واكتسابا
واعمروا الأرضَ ، فلولا سعيُكم أمسَت يَبابا
إن لي نصحاً إليكم إن أذِنْتُم وعِتابا
في زمان غَبِيَ النا صحُ فيه ، أو تغابى
أين أنتم من جدود خلدوا هذا الترابا ؟
قلَّدوه الأثرَ المُعْـ ـجِزَ ، والفنَّ العُجابا
وكَسَوْهُ أبدَ الدهـ ـر من الفخر ثيابا
أتْقَنوا الصنعَةَ ، حتى أخذوا الخلدَ اغتصابا
إن للمتقِن عند الله والناسِ ثوابا
أتْقِنُوا ، يُحْبِبْكُمُ اللـ ـهُ ، ويرفعْكم جنابا
أرضيتم أن تُرى مصـ ـرُ من الفن خرابا ؟
بعد ما كانت سماءً للصناعاتِ وغابا ؟

* * *

أيها الجمعُ ، لقد صر تَ من المجلس قابا
فكنِ الحُرَّ اختياراً وكن الحُرَّ انتخابا
إن للقوم لعيْناً ليس تألوكَ ارتقابا
فتوقع أن يقولوا : مَنْ عن العمالِ نابا ؟
ليس بالأمر جديراً كلُّ مَنْ ألقى خطابا
أو سخا بالمال ، أو قدّ م جاهاً وانتسابا

أو رأى أُمَّيَّةً ، فاخـ ـتلب الجهلَ اختلابا
فتخيَّرْ كلَّ من شـ ـبَّ على الصدق وشابا
واذكرِ الأنصارَ بالأمـ ـسِ ، ولا تَنْسَ الصِّحابا
أيها الغادون كالنحـ ـلِ ارتيـاداً وطلابـا
في بكور الطير للرز قِ مجيـئـاً وذهـابـا
اطـلبوا الحقّ برفق واجعلوا الواجبَ دابا[1]
واستقيموا يفتحِ اللـ ـه لكم باباً فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا اللـ ـهَ ، أو تُرضوا الكتابا
إنها رجس ، فطُوبى لامـرئٍ كـف وتـابا
تُرعِشُ الأيدي ، ومن ير عش من الصناعِ خابا
إنما العاقلُ مَن يجـ ـعلُ للدهر حسابا
فاذكروا يومَ مَشيبٍ فيه تَبكون الشبابا
إن للسنّ لهمَّـا حين تعلو وعذابا
فاجعلوا من مالكم للشيب والضعف نِصابا
واذكروا في الصحة الدا ءَ إذا ما السُّقمُ نابا
واجمعوا المال ليومٍ فيه تَلْقَوْن اغتصابا
قد دعاكم ذنبَ الهيـ ـئةِ داعٍ فأصابا
هي طاووسٌ ، وهل أحـ ـسنُه إلا الذُّنابَى ؟

١ أي دأبا ، وخففت للضرورة .

نجاة *

هنيئاً أميرَ المؤمنين ، فإنّما نجاتُك للدّين الحنيف نجاةُ
هنيئاً لطه ، والكتابِ ، وأُمةٍ بقاؤكَ إبقاءٌ لها وحياة[1]
أخذتَ على الأقدار عهداً ومَوْثقاً فلستَ الذي تَرقى إليه أذاة
ومن يكُ في بُرْدِ النبيّ وثوبهِ تَجُزْهُ إلى أعدائه الرَّميّات[2]
يكاد يسيرُ البيتُ شكراً لربه إليكَ ، ويسعى هاتفاً عرفاتُ[3]
وتستوهب الصفحَ المساجدُ خُشَّعاً وتبسط راحَ التَّوْبة الجَمعات
وتستغفرُ الأرضُ الخصيبُ وماجنت ولكنْ سقاها قاتلون جُناة
وتُثْني من الجرحى عليك جراحُهم وتأْبى من القَتْلي لكَ الدعوات
ضحكتَ من الأهوال ، ثم بكيتَهم بدمع جرتْ في إثره الرَّحمات
تُثابُ بغاليه ، وتُجزَى بطُهْرِه إلى البعث أشلاءٌ لهم ورُفات
وما كنتَ تُحييهم ، فكِلْهم لربهم فما مات قومٌ في سبيلك ماتوا[4]
رمتهم بسهم الغدر عند صَلاتهم عصابةُ شرٍّ للصلاة عداة
تبرَّأ عيسى منهمُ وصِحابه أأتْباعُ عيسى ذي الحنانِ جُفاة ؟

* ألقيت على جلالة الخليفة قذيفة في سبتمبر ١٩٠٥ ، ثم شاء الله أن يكتب له النجاة من شرها ، فكتب الشاعر يهنئه .
١ طه : من أسماء النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم . الكتاب : القرآن الكريم . والأمة : المسلمون جميعاً .
٢ البرد : ثوب مخطط .
٣ البيت : الكعبة . عرفات : مكان على مقربة من مكة ، الوقوف به ركن من أركان الحج .
٤ كلهم لربهم من وكل إليه الأمر : أي تركه له وفوضه إليه .

يُعادون دِيناً ، لا يُعادون دولةً لقد كذبت دعوى لهم وشكاة
ولا خيرَ في الدنيا ، ولا في حقوقها إذا قيل : طُلّابُ الحقوقِ بُغاة
بأيِّ فؤادٍ تَلتقي الهولَ ثابتاً وما لِقلوب العالمين ثَبات ؟
إذا زُلزلتْ من حولك الأرضُ ، رادها وقارُك حتى تسكنَ الجَنَبات[1]
وإن خرجت نارٌ فكانت جهنما تُغذّى بأجساد الورَى وتُقات
وترتجُّ منهَا لُجَّةٌ ، ومدينةٌ وتَصلي نواحٍ حَرَّها ، وجِهات
تمشيتَ في بُرْدِ الخليل ، فخضتَها سلاماً وبرداً حولك الغَمَرات
وسرتَ ومِلءُ الأرض حولك أدْرُعٌ ودرعُك قلبٌ خاشعٌ وصَلاةُ
ضحوكاً ، وأصنافُ المنايا عَوابسٌ وقوراً ، وأنواعُ الحُتوفِ طُغاة
يحوطك إن خان الحُماةَ انتباهُهُم ملائكُ من عند الإِلٰه حُماة
تشير بوجهٍ أحمديٍّ ، مُنوِّرٍ عيونُ البرايا فيه منحسرات[2]
يحيِّي الرعَايا ، والقضاءُ مُهلِّلٌ يحييه ، والأقدارُ معتذِرات
نجاتُكَ نُعْمى للالٰه سنِيّةٌ لها فيك شكرٌ واجبٌ وزكاة
فصيِّر أميرَ المؤمنين ثناءها مآثِرَ تُحيي الأرضَ وهي موات
إذا لم يُفتنا من وجودك فائت فليس لآمالِ النفوس فوات
بَلوْناكَ يقظانَ الصوارمِ والقَنا إذا ضَيَّعَ الصِّيدَ الملوكَ سُبات
سهرتَ ، ولذَّ النومُ – وهوَ مَنيَّةٌ – رَعايا تولَّاها الهوى ورُعاةُ
فلولاكَ مُلكُ المسلمين مُضيَّعٌ ولولاكَ شملُ المسلمين شَتات
لقد ذهبت راياتُهم غير رايةٍ لها النصرُ وَسْمٌ والفتوحُ شِيات
تَظل على الأيام غرَّاء ، حُرَّةً محجَّلةً في ظلها الغزَوات

١ زلزلت الأرض : أرجفت . راد الأرض : تفقدها ليرى هل تصلح للنزول بها . الوقار : الحلم والرزانة . والجنبات : النواحي ، جمع جنبة .
٢ وجه أحمدي : منسوب إلى أحمد . وهو النبيّ صلى الله عليه وسلم ، نسبة تشريف وتبعية .

حَنيفيَّةٌ ، قد عزَّها ، وأعزَّها ثلاثون مَلْكاً ، فاتِحون ، غُزاة[1]
حماها ، وأسماها على الدهر منهمُ ملوكٌ على أملاكه سَرَوات
غمائمُ في مَحْلِ السنين ، هواطلٌ مصابيحُ في ليل الشكوكِ ، هُداة
تهادت سلاماً في ذَراك مطيفةً لها رغباتُ الخلقِ ، والرهبات
تموتُ سِباعُ الجوِّ غَرْثَى حيالَها وتحيا نفوسُ الخَلقِ والمُهجات[2]
سننْتَ اعتدالَ الدهر في أمر أهله فبات رَضِيًّا في ذراكِ ، وباتوا
فأنتَ غمامٌ ، والزمانُ خميلةٌ وأنتَ سِنانٌ ، والزمانُ قَناة
وأنتَ مِلاك السلم إن مادَ رُكنُه وأشفقَ قُوَّام عليه ثقات
أكان لهذا الأمر غيرك صالحٌ وقد هَوَّنَتْه عندك السنوات ؟
ومَن يَسُس الدنيا ثلاثين حِجَّةً تُعِنْهُ عليها حكمةٌ ، وأناة
ملكتَ – أميرَ المؤمنينَ – ابنَ هانئٍ بفضلٍ ، له الألبابُ مُمْتَلَكاتُ
وما زلتُ حَسّانَ المقام ، ولم تزل تليني ، وتسري منكَ لي النفحاتُ[3]
زَهدتُ الذي في راحتيك ، وشاقني جوائزُ عند الله مُبْتَغَياتُ[4]
ومَنْ كان مثلي أحمدَ الوقتِ ؛ لم تجزْ عليه – ولو من مثلك – الصدقاتُ
ولي دُرَرُ الأخلاق في المدح والهوى وللمُتنبي دُرَّةٌ ، وحَصاة
نجت أُمةٌ لما نجوتَ ، ودُوركت بلادٌ ، وطالت للسرير حياة
وصِينَ جلالُ الملك ، وامتدّ عزُّه ودام عليه الحسنُ والحسنات
وأُمِّنَ في شرق البلادِ وغربها يتامى على أقواتهم ، وعُفاة
سلاميَ عن هذا المقامِ مُقصِّر عليكَ سلامُ الله والبرَكات

---

١ الحنيفية : المائلة إلى الإسلام الثابتة عليه . وهو وصف للراية أيضاً . عزّها : قوّاها . أعزّها : أجلّها. ملكاً : لغة في ملك .
٢ السباع : جمع سبع ، وهو المفترس من الحيوانات مطلقاً والمراد بسباع الجو سباع الطير .
٣ ما زلت حسان المقام : أي ما زلت قائماً منك مقام حسان من النبيّ عليه الصلاة والسلام حسان بن ثابت الشاعر والصحابي .
٤ زهدت الشيء : تركته ورغبت عنه .

إلى عرفات

إلى عرفاتِ اللهِ يا بن محمدٍ   عليك سلامُ اللهِ في عرفاتِ[1]
ويومَ تُولّي وجهةَ البيت ناضراً   وسيمَ مجالي البشر والقسماتِ
على كلِّ أُفْقٍ بالحجاز ملائكٌ   تـزُفُّ تحايا الله والبركـاتِ
إذا حُديَتْ عيسُ الملوك ، فإنهم   لعيسك في البيداءِ خيرُ حُداةِ
لدى الباب جبريلُ الأمين ، براحِهِ   رسائـلُ رحمانـيّـةُ النَّـفحـاتِ
وفي الكعبة الغرّاء ركنٌ مُرَحِّبٌ   بكعبةِ قُصّادٍ ، ورُكْنِ عُفاةِ
وما سكبَ الميزابُ ماءً ، وإنما   أفاض عليك الأجرَ والرَّحماتِ
وزمزمُ تجري بين عينيْك أعيناً   من الكَوْثرِ المعسولِ مُنفجِراتِ[2]
ويرمون إبليسَ الرجيمَ ، فيصطلي   وشانيكَ نيراناً من الجَمراتِ
يُحيِّيكَ طَهَ في مضاجع طُهره   ويعلم ما عالجتَ من عقباتِ[3]
ويُثني عليكَ الراشدون بصالحٍ   ورُبَّ ثناءٍ من لسانِ رُفاتِ[4]
لك الدينُ يا ربَّ الحَجيج ، جمعتَهم   لبيتٍ طَهورِ السّاحِ والعَرَصاتِ
أرى الناسَ أصنافاً ، ومن كل بقعةٍ   إليك انتهَوْا من غربَةٍ وشتاتِ

١ عرفات : اسم موضع وقوف الحاج ، على مقربة من مكة ، وهو اسم واحد في صورة الجمع .
٢ زمزم : بئر عند الكعبة ، والكوثر : نهر في الجنة ، والكثير من الماء ، والمعسول : الحلو .
٣ يحييك : من حياه إذا قال له : حياك الله ، أي أطال عمرك . وطه : اسم النبيّ عليه الصلاة والسلام .
٤ يثني عليك الراشدون : يذكرونك بخير ، والراشدون : الخلفاء الأربعة بعد النبيّ ، وهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي . والرفات : ما بلي من جسم الإنسان بعد موته .

تساوَوْا ، فلا الأنسابُ فيها تفاوتٌ   لديك ، ولا الأقدارُ مختلفات
عَنَتْ لك في التُّرْب المقدَّسِ جبهةٌ   يَدينُ لها العاني من الجبهات
مُنَوَّرَةٌ كالبدر ، شَمَّاءُ كالسُّها   وتُخفَض في حَقٍّ ، وعند صلاة
دعاني إليكَ الصالحُ ابنُ محمـد   فكان جوابي صالحَ الدعوات[1]
وخيّرني في سابحٍ أو نجيبةٍ   إليكَ فلم أخترْ سوى العبَرات[2]
وقدَّمتُ أعذاري وذُلّي وخَشيتي   وجئت بضعفي شَافِعاً وشكاتي[3]
ركائبُ عبـاس العُلاَ كِسرَويةٌ   ولكن لذي سيفٍ ورب قَناةِ[4]
وفي رَاحتي ماضٍ إذا ما هَزَزْته   تركتُ عدُوّ الله في السَّكَراتِ[5]
أتيت به يا رب نور وحكمة   ونزهتَه عن ريبةٍ وأذاةِ[6]

١ الصالح ابن محمد ، يريد الخديو عباس حلمي . والصالح : صفة من الصلاح . صالح الدعوات ، أي الدعوات الصالحة .

٢ خيرني : جعل لي الخيار . السابح هنا : سفينة البحر . النجيبة : مؤنث النجيب ، وهو الكريم من الإنسان والحيوان . والمراد : مطية نجيبة . العبرات : الدموع .

٣ الأعذار : جمع عذر . الذل : ضدّ العز . الخشية : الخوف . الضعف : ضدّ القوّة . الشافع : الشفيع . الشكاة : الشكوى . يقول في هذه الأبيات الثلاثة : إن الخديو دعاه إلى الحج معه وخيره في أن يركب سفينة البحر أو مطية البر ، فأجابه بأن دعا له دعاء صالحاً ، واختار التخلف مع البكاء وقدّم أعذاراً مقبولة وبسط ذله لله وخشيته منه واستشفع عنده تعالى بما به من ضعف وما له من شكوى .

٤ ركائب : جمع ركوبة ، وهو الدابة المعينة للركوب . عباس : اسم الخديو . العلا : الرفعة والشرف . كسروية : منسوبة إلى كسرى ، وهو اسم ملك من الفرس . والمعنى أنها ركائب ملك . رب قناة : صاحب رمح .

٥ الراحة : الكف . الماضي : السيف . هزرته : حركته . السكرات : جمع سكرة ، وهي غشية الموت واختلاط العقل لشدّته . والمراد بهذا الماضي الذي في راحته : القلم .

٦ أتيت به ، الضمير «للماضي» في البيت المتقدّم . والمعنى : أعطيتنيه . نزهته : نحيته وباعدته . الأذاة : المكروه .

ويارِبِّ ، لو سخَّرتَ ناقةَ صالحٍ   لعبدك ؛ ما كانت من السَّلِسات
ويا ربِّ ، هل سيارة أو مطارةٌ   فيدنو بعيدُ البيدِ والفَلَوات ؟
ويا ربِّ ، هل تُغني عن العبد حَجَّةٌ   وفي العمر ما فيه من الهفوات ؟
وتشهدُ ما آذيتُ نفساً ، ولم أضِرْ   ولم أبْغِ في جَهري ، ولا خطراتي
ولا غلبتني شِقوةٌ أو سعادةٌ   على حكمةٍ آتيتَني وأناة
ولا جال إلا الخيرُ بين سرائري   لدى سُدةٍ خيريَّةِ الرغبات
ولا بتُّ إلا كابن مريم ، مشفقاً   على حُسَّديه ، مستغفراً لعداتي[1]
ولا حُمِّلَتْ نفسٌ هوىً لبلادها   كنفسيَ ، في فِعلي ، وفي نفثاتي
وإني – ولا مَنٌّ عليك بطاعة –   أُجِلُّ ، وأُغلي في الفروض زكاتي[2]
أُبلغُ فيها وهي عدل ورحمة   ويتركها النُّسّاك في الخلوات
وأنت وَليّ العفو ، فامحُ بناصعٍ   من الصفح ما سوَّدتُ من صفحاتي
ومَنْ تضحَكِ الدنيا إليه فيغتَرر   يمتْ كقتيل الغيد بالبسمات[3]

* * *

وركب كإقبالِ الزمان ، مُحجَّل   كريمِ الحواشي ، كابرِ الخطوات
يسيرُ بأرض أخرَجتْ خيرَ أُمَّة   وتحت سماءِ الوحي والسورات[4]
يُفيض عليها اليُمْنَ في غدواته   ويُضفي عليها الأمنَ في الرّوحات

١ ابن مريم : عيسى عليه السلام . ومشفقاً على حسدي : حريصاً على صلاحهم .
٢ الفروض : ما فرضه الله من العبادات الخمس ، والزكاة أحد هذه الفروض .
٣ الغيد : جمع غيداء ،وهي المرأة الطويلة العنق ، والتي تنثني ليناً ، والتي لطفت بشرتها وكمُل حسنها .
٤ يسير بأرض : يريد أرض الحجاز ، ويريد بخير أمة العرب خاصة والمسلمين عامة . والوحي : أصله كل ما ألقيته إلى غيرك ، ثم غلب على ما يلقى للأنبياء من عند الله . والسورات : هي سورات القرآن : جمع سورة .

مشى الأروعُ العباس فيه يحفُّه — خميسانِ من جُندٍ ومن سَرَوات[1]
تكادُ تضيءُ الأرضُ تحت ظِلاله — وتُخرِجُ عِقياناً مكانَ نبات[2]
ومن يمش في أرض الإمام محمـدٍ — يسرْ بين أقيالٍ وبينَ ولاة[3]
وأمُّ أمير النيل في الركبِ هالةٌ — من العز في أترابها الخَفِرات[4]
أقلّت عُلاها في خِباءٍ من القنا — هوادجُ كالإيوانِ ذي الشُّرُفات[5]
تُجلُّ نساء المؤمنين ثناءها — ويبسُطن راحَ الحمدِ مبتهِلات[6]
أخذن بتقواها وسرن بهَدْيها — ومنها علمنَ البِرَّ والصدَقات[7]

١ الأروع من الرجال : من يعجبك بشجاعته أو بحسنه وجهارة منظره . العباس : اسم الخديو الأخير . يحفه : يحدق به . الخميسان : تثنية خميس ، وهو الجيش . السروات : جمع سرى ، وهو سيد القوم ورئيسهم . وضمير «مشى الأروع العباس فيه» يرجع إلى الركب .
٢ الظلال : جمع ظل : العقيان : الذهب الخالص .
٣ الإمام محمد ، يريد محمد رشاد أو محمداً الخامس ، وهو الخليفة يومئذ . الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك مطلقاً ؛ وقيل : من ملوك اليمن ؛ وقيل : هو الرئيس دون الملك . الولاة : جمع وال ، وهو حاكم البلد المتسلط عليه .
٤ أم أمير النيل ، والدة الممدوح وقد كانت معه في الحج . الهالة : دارة القمر . الأتراب : جمع ترب ، وهو من ولد مع الإنسان في زمن واحد . يقال : فلانة ترب فلانة . الخفرات : جمع خفرة ، وهي الشديدة الحياء .
٥ أقلّت : حملت . العلا : الرفعة والشرف . الخباء في أصله : بيت من الوبر أو الصوف . القنا : الرماح . الهوادج : جمع هودج ، وهو محمل تركب فيه النساء له قبة ويستر بالثياب . الإيوان: بيت عظيم يبنى طولاً . الشرفات ، بفتح الراء : مثلثات متقاربة تبنى في القصر ؛ واحدتها : شرفة ؛ وبضمها : جمع شرفة ، وهي ما أشرف من بناء القصر .
٦ تجل، من الإجلال ، وهو الإعظام . ثناءها : أي الثناء عليها . الراح : جمع راحة ، وهي الكف . مبتهلات : داعيات بإخلاص ، من الابتهال ، وهو أن يدعو الله بتضرع وإخلاص واجتهاد .
٧ أخذن بتقواها : أي عملن مثلها أعمال التقوى والصلاح . الهدى : الطريقة والسيرة .

مواكبُ لم تُعهد لغير زُبَيْـدةٍ ببغدادَ في الأعيادِ والجُمُعات[1]
أعادت حديثَ الخيزُران وعزّها وما أغدقتْ من أنعُمٍ وهِبات[2]
تريكَ القرى آثار جدّيْك عندها وما أسلَفا من حِجةٍ وغَزاة[3]
هما أمَّنا البيتَ الحرامَ وأنقذا ربوعَ الهدى من مُفسِدين عُصاة[4]
تدولُ أحاديثُ الرجالِ وتنقضي ويبقى حديثُ الفضلِ والحسنات[5]

---

١ مواكب : جمع موكب ، وهو الجماعة ركباناً ومشاة ؛ وقيل : ركاب الإبل للزينة : زبيدة : امرأة هارون الرشيد الخليفة العباسي ، وأم ابنه الأمين الذي استخلفه بعده ، وبنت جعفر ابن الخليفة المنصور العباسي . فهي أم ملك وزوجة ملك وحفيدة ملك ، وفي هذه الصفات تشاركها والدة الخديو عباس . وقد كانت زبيدة ذات خير وفضل . ولها في هذا الباب حديث طويل . بغداد : حاضرة العراق وكانت مقرّ ملك العباسيين . الأعياد : جمع عيد . الجمعات ، صلوات الجمعة .

٢ حديث الخيزران : خبرها ، أمي سارت بسيرتها فأعادت بذلك حديث الناس فيها . والخيزران ، ابنة عطاء ، هي زوجة المهدي الخليفة العباسي ، وأم الهادي ، وكان خليفة ، وهارون الرشيد ، وكان خليفة أيضاً . وكانت المواكب لا تنصرف عن بابها لكثرة ما تقضيه من حاجات الناس . أغدقت : أكثرت . الأنعم : قيل جمع نعمة ، وقيل : لجمع نعماء ، ومعناهما واحد ، وهو الصنيعة واليد الصالحة أو ما ينعم به على المرء . الهبات : جمع هبة ، وهي العطية .

٣ القرى : جمع قرية . الآثار : جمع أثر ، وهو ما بقي من رسم الشيء : جدّيك : الخطاب للخديو . والمراد بجدّيه : جدّه محمد علي الكبير وجدّه إبراهيم بن محمد علي ، فإنّ الأوّل أرسل الثاني على رأس جيش إلى الحجاز لقتال الوهابيين فكان له النصر عليهم في مواقع يطلب خبرها في مواطنه . ما أسلفا : أي ما قدما . الحجة : المرة من الحج . الغزاة : اسم من الغزو ، وهو السير إلى قتال الأعداء في ديارهم .

٤ أمّنا البيت الحرام ، أي جعلاه آمناً . والبيت الحرام: الكعبة . ربوع : جمع ربع ، وهو الدار . مفسدين : جمع مفسد . عصاة : جمع عاص .

٥ تدول : تنقلب من حال إلى حال . أحاديث الرجال : أخبارهم .

وجادا لـطـه بالأساطيلِ دُمِّرَت وما بخلاً بالجيش ذي الهَبَوات[1]
ومن عجبِ التاريخ ترقى إليهما أقاويلُ قومٍ بالنميمِ مُشاة[2]
وسيانِ عندي من أحبَّ ومن قلى إذا أُخِذَ الأحبابُ بالشُّبُهات[3]

* * *

إذا زرتَ يا مولايَ قبرَ محمدٍ وقبَّلتَ مثوَى الأعظُمِ العطرات[4]
وفاضت مع الدمع العيونُ مهابةً لأحمدَ بينَ السِّترِ والحُجرات
وأشرق نورٌ تحت كلّ ثَنِيَّةٍ وضاع أريجٌ تحت كل حَصاة
لمُظهر دينِ الله فوق تَنُوفَةٍ وباني صروحِ المجدِ فوق فلاة
فقل لرسولِ الله : ياخَيْرَ مُرسَل أبثُّك ما تدري من الحسرات
شعوبُك في شرقِ البلادِ وغربِها كأصحابِ كهفٍ في عميق سُبات
بأيْمَانهم نوران : ذكرٌ ، وسنَّةٌ فما بالُهم في حالكِ الظلمات ؟
وذلك ماضي مَجدِهم وفَخارِهم فما ضرَّهم لو يعملون لآتي ؟
وهذا زمانٌ ؛ أرضُه ، وسماؤه مجالٌ لِمِقدامٍ كبيرِ حياة
مشى فيه قومٌ في السماء ، وأنشأوا بوارجَ في الأبراج ممتنِعات
فقل : ربِّ وَفِّق للعظائم أُمتي وَزَيِّنْ لها الأفعالَ والعزمات

---

١ جادا : تكرّما . طه : اسم النبي ﷺ. الأساطيل : جمع أسطول ، وهو الطائفة من السفن . الهبوات : جمع هبوة ، وهي الغبرة .
٢ ترقى : ترتفع . والمراد تُقال فيهما . الأقاويل : جمع أقوال ، فهي جمع الجمع . النميم : اسم من النم . وهو السعي بالحديث لإيقاع فتنة ووحشة .
٣ سيان : مثلان ، وأحدهما سيء ، وهو المثل . قلى : أبغض . الشبهات : جمع شبهة ، وهي ما يكون ظاهراً في الرجل من مأخذ في حاله والتباس في أمره .
٤ إذا زرت يا مولاي : الخطاب للخديو . والمثوى : المقام .

مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات*

قُم حَيِّ هذي النَّيِّراتِ حَيِّ الحسانَ الخيِّراتِ
وٱخفض جبينَك هَيبةً لِـلـخُـرَّد المتـخفِّـرات[1]
زيْنِ المقاصِرِ والحِجا لِ ، وزيْن محرابِ الصلاة
هـذا مـقـامُ الأُمـهـا تِ ، فهل قدرت الأُمهات ؟
لا تَلْغُ فيه ، ولا تقل غيرَ الفواصلِ مُحْكَمات
وإذا خطبتَ فلا تكن خَطْباً على مِصرَ الفتاة
اذكرْ لها اليابانَ ، لا أُممَ الهوى المتهتِّكات
ماذا لَقِيتَ من الحضا رة يا أخيَّ التُّرهات
لم تلقَ غيرَ الرقِّ من عُسْرٍ على الشرقيِّ عات
خُذ بالكتابِ ، وبالحديـ ـثِ ، وسيرةِ السلَف الثِّقات
وارجع إلى سنن الخليـ ـقةِ ، واتّبعْ نُظمَ الحياة
هذا رسولُ الله ، لم يُنقص حقوقَ المؤمنات
العلمُ كان شريعةً لـنسـائـه المتـفـقِّـهات
رُضْنَ التجارَةَ ، والسيا سةَ ، والشؤونَ الأُخريات
ولـقـد علت ببـنـاتـهِ لُجَج العلوم الزاخرات
كانت (سكينةُ) تملأُ الدنيـ ـا ، وتهزأُ بالرُّواة[2]

* ألقيت هذه القصيدة في جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الأزبكية .
١ الخرد : العذارى ، والمتخفرات : المستحييات .
٢ سكينة : هي بنت الحسين بن الإمام علي وحفيدة الرسول صلى الله عليه وسلم .

روت الحديثَ ، وفسرتْ آيَ الكتاب البيِّنات
وحضارةُ الإسلام تنـ ـطقُ عن مكان المسلمات
بـغـدادُ دارُ الـعـالما تِ ، ومنزلُ المتأدِّبات[1]
ودِمشقُ تحتَ أُمَيَّـةٍ أُمُّ الجواري النابغات[2]
ورياضُ أندلسٍ نَمَيْـ ـنَ الهاتفاتِ الشاعرات[3]

* * *

أُدْعُ الرجالَ لينظروا كيف اتحادُ الغانيات ؟
والنفع كيف أخَذن في أسبابه متعاونات ؟
لما رأين نَدَى الرِّجا لِ تفاخُراً ، أو حبَّ ذات ؟
ورأين عندهُمُ الصنا ئعَ والفنونَ مُضيَّعات
والبِرَّ عند الأغنيا ءِ من الشؤون المهمَلات
أقبلن يَبنين المنا ئِرَ للنجاح مُوَفَّقات

* * *

للصالحاتِ عقائلِ الـ ـوادي هوًى في الصالحات
اللهُ أنبتهنَّ في طاعاته خيرَ النبات
فأتينَ أطيبَ ما أتى زَهَرُ المناقِب والصِّفات
لم يكفِ أن أحسنَّ ، حـ ـتى زِدْنَ حَضَّ المحصنات ؟
يمشين في سوقِ الثوا بِ ، ملزِماتٍ ، رابحات

١ بغداد : مقر ملك العباسيين بالعراق . والمتأدِّبات : المتعلمات الأدب .
٢ دمشق : مقر الأمويين في الشام .
٣ أندلس : بلاد في غربِ أوروبا . هي الآن مملكة اسبانيا أو بعضها ، وكانت قديماً مقر ملك إسلامي عظيم ، أول من دخلها ونقل إليها حضارة الإسلام ، وأنشأ بها ذلك الملك ، هو عبد الرحمن الداخل الأموي المسمّى صقر قريش .

يَلْبَسْن ذُل السائلا ت ، وما ذَكرن البائسات
فوجوهُهُنَّ وماؤها سِتْرٌ على المتجمّلات
مصرُ تُجدّد مجدَها بنسائها المتجدِّدات
النافرات من الجُمو د ، كأنه شَبَحُ المَمات
هل بينهنَّ جوامداً فرقٌ وبين المُومِيات ؟[1]
لما حضنَّ لنا القضـ ـيَّةَ كن خير الحاضِنات
غذَّيْنَها في مهدِها بلبانِهِنَّ الطاهرات
وسبقْن فيها المُعْلَميـ ـنَ إلى الكريهة مُعْلَمات
يَنْفُثْنَ في الفِتيان من رُوح الشجاعة والثَّبات
يَهْوَيْنَ تقبيل المُهنَّـ ـد ، أو مُعانقةَ القناة
ويَرَيْن حتى في الكرى قُبَلَ الرجال مُحرَّمات

١ الموميات : واحدتها مومياء : وهي يونانية ، معناها حافظ الأجسام ، وتطلق اليوم على الأجسام المحنطة .

خلافة الاسلام *

عادتْ أغاني العرسِ رَجْعَ نُواحِ ونُعيتِ بين معالمِ الأفراحِ
كُفِّنتِ في ليلِ الزفافِ بثوبه ودُفنتِ عند تبلُّجِ الإصباحِ
شُيِّعتِ من هَلَعٍ بعَبْرةِ ضاحكٍ في كلِّ ناحيةٍ ، وسكرةِ صاحِ
ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ ، ومنابرٌ وبكتْ عليك ممالكٌ ، ونواحِ
الهندُ والهةٌ ، ومصرُ حزينةٌ تبكي عليك بمدمعٍ سَحّاحِ[1]
والشامُ تسألُ ، والعراقُ ، وفارسٌ أمَحا من الأرضِ الخلافةَ ماحِ ؟
وأتتْ لكِ الجُمَعُ الجلائلُ مأتماً فقعدن فيه مَقاعدَ الأنواحِ[2]
يا لَلرِّجالِ لحُرَّةٍ مَوْءُودةٍ قُتلتْ بغيرِ جريرةٍ وجُناحِ
إنَّ الذين أسَتْ جراحَكِ حربُهم قتلتْكِ سلمُهمو بغيرِ جراحِ
هتكوا بأيديهم مُلاءةَ فخرِهم مَوْشيَّةً بمواهبِ الفتّاحِ
نزعوا عن الأعناقِ خيرَ قِلادةٍ ونَضَوْا عن الأعطافِ خيرَ وِشاحِ
حَسَبٌ أتى طولُ الليالي دونَه قد طاحَ بين عشيةٍ وصباحِ
وعَلاقةٌ فُصِمَتْ عُرَى أسبابِها كانتْ أبرَّ علائقِ الأرواحِ

....

* ما كاد العالم الإسلامي يفرح بانتصار الأتراك على أعدائهم في ميدان الحرب والسياسة ، ذلك النصر الحاسم ، الذي كان حديث الدنيا ، والذي تمّ على يد مصطفى باشا كمال في سنة ١٩٢٣ ، حتى أعلن هذا إلغاء الخلافة ، ونفى الخليفة من بلاد الأتراك ، فنظم الشاعر هذه القصيدة ، يرثي فيها الخلافة ، وينبه ممالك الإسلام إلى إسداء النصح للغازي ، لعله يبني ما هدم ، وينصف من ظلم .

١ الوالهة : الحزينة ، أو التي ذهب عقلها حزناً .

٢ الجمع : واحدتها جمعة ، وهي الصلاة المفروضة بهذا الاسم . والأنواح : النائحات .

جَمَعَت على البرِّ الحُضورَ ، وربما جمَعتْ عليه سرائرَ النزَّاح
نظمت صفوفَ المسلمين وخَطْوَهم في كلِّ غُدوةِ جُمعة ورواح
بكت الصلاةُ ، وتلك فتنةُ عابثٍ بالشرع ، عِرْبيدِ القضاءِ ، وَقاح[1]
أفتى خُزَعْبِلَةً ، وقال ضلالةً وأتى بكفر في البلادِ براح[2]
إنَّ الذين جرى عليهم فقهُهُ خُلقوا لفِقه كتيبة وسلاح
إن حدّثوا نطقوا بخُرْسٍ كتائبٍ أو خوطبوا سمِعوا بصُمٍّ رِماح
أستغفرُ الأخلاقَ ، لستُ بجاحدٍ من كنتُ أدفعُ دونَه وألاحي
مالي أُطوِّقُهُ الملامَ وطالما قلَّدتُه المأْثورَ من أمداحي ؟
هو ركنُ مملكة ، وحائطُ دُولةٍ وقريعُ شهباءِ ، وكبشُ نِطاح
أأقولُ مَن أحيا الجماعةَ مُلحِدٌ وأقولَ مَن رد الحقوقَ إباحي ؟
الحقُّ أولى من وليِّك حرمةً وأحقُّ منك بنصرةٍ وكِفاح
فامدح على الحقِّ الرجالَ ولُمْهُمو أو خَلِّ عنك مَواقفَ النصاح
ومِن الرجالِ إذا انبريتَ لهدمهم هرمٌ غليظُ مناكِبِ الصُّفاح
فإذا قذفتَ الحق في أجلاده ترك الصراعَ مُضعْضَعَ الألواح
أدُّوا إلى الغازي النصيحةَ يَنتصحْ إن الجوادَ يثوبُ بعد جِماح[3]
إن الغرورَ سقى الرئيسَ بِراحِه كيف احتيالُك في صريع الراح ؟
نقل الشرائعَ ، والعقائدَ ، والقرى والناسَ نقلَ كتائبٍ في الساح
تركتُهُ كالشبح المؤلَّهِ أُمَّةٌ لم تَسْلُ بعدُ عبادَةَ الأشباح
هُم أطلقوا يده كقيصرَ فيهمو حتى تناول كلَّ غيرِ مباح
غرَّته طاعاتُ الجُموعِ ، ودولةٌ وجد السوادُ لها هَوَى المُرتاح

....

١ العربيد : الشرير ، والكثير العربدة ، وهي سوء الخلق من السكر .
٢ الخزعبلة : الفكاهة ، والمزاح ، أما الباطل : فهو الخزعبيل والخزعبل . ويقال جاء بالكفر براحاً : أي بيناً ، وقيل : جهاراً .
٣ الغازي : مصطفى كمال ، وهو أيضاً المراد بالرئيس في البيت الثاني .

وإذا أخذتَ المجدَ من أُمَيَّةٍ		لم تُعطَ غيرَ سَرابِه اللمّاح
منْ قائِلٌ للمسلمين مقالةً		لم يوحِها غيرَ النصيحة واحِ ؟
عهدُ الخلافةِ فيَّ أوّلُ ذائدٍ		عن حوضها ببراعة نضّاح
حبٌّ لذاتِ اللهِ كان ، ولم يزل		وهوًى لذاتِ الحقِّ والإصلاح
إني أنا المصباحُ ، لست بضائعٍ		حتى أكونَ فراشةَ المصباح
غزواتُ (أدهَمَ) كُلِّلت بذوابلٍ		وفتوحُ أنورَ فُصِّلت بِصفاحِ
ولَّتْ سيوفُهما ، وبان قناهُما		وشبا يَراعي غيرُ ذاتِ بَراح
لا تَبذلوا بُرْدَ النبي لِعاجزٍ		عُزُّلٍ ، يدافِعُ دونَه بالراح
بالأمس أوهى المسلمين جراحةً		واليوم مدّ لهم يَدَ الجرّاح[1]
فلتَسمَعُنّ بكل أرضٍ داعياً		يدعو إلى الكذّابِ أو لسَجاح
ولتشهدُنّ بكل أرض فِتنةً		فيها يباعُ الدِّين بيعَ سَماح
يُفتَى على ذهبِ المُعزِّ وسيفِه		وهوَى النفوس ، وحِقْدِها المِلْحاح

١ بالأمس أوهى . . . الخ :. الموصوف بهذا العمل هو حسين بن علي أيضاً ، وهو إشارة إلى خروجه على المسلمين وموالاته أعداءهم في الحرب الكبرى .

محمد علي باشا الكبير

عَلَمٌ أنتَ في المشارق مفردْ لكَ في العالمينَ ذكرٌ مُخَلَّدْ[1]
حبذا دُولةٌ وملكٌ كبيرٌ أنتَ باني رُكنَيْهما يا محمد
ولواءٌ في البرِّ والبحر يُعطى مَظهَرَ الشمسِ في الوجودِ وأزيد
تُدخِلُ الأرضَ فيه قُطراً فقُطراً مُدخَلَ الناسِ في شريعةِ أحمد
تَملأُ الأرضَ صافناتٍ وتُجرى لَكَ في البحرِ كلَّ بُرجٍ مُشيَّد[2]
هكذا فلينلْ سماءَ المعالي من سعَى في الورَى لمجدٍ وسؤدد
همةٌ تبتني لممالكَ شما ءَ ، ورأيٌ يسوسُهنَّ مُسدّد[3]
وثباتٌ في الحادثاتِ وعزمٌ مثلُ ريبِ الزمانِ لا يتردّد
تضعُ السيفَ موضعاً يرتضيه ومنَ البأسِ ما يُذَمُّ ويُحمَد
وتصونُ النَّوالَ عن حسنِ صُنعٍ لكَ يُنسى ونعمةٍ لك تُجحَد[4]
لا تُبالي بحاسدٍ وعدوٍّ آية الفضلِ أن تُعادَى وتُحسد
همةُ الفاتحين حكمٌ وقهرٌ ولكَ الهمّةُ التي هيَ أبعد
ليس من يفتحُ البلادَ لتشقى مثلَ مَن يفتحُ البلادَ لتَسعد
علمت مصرُ والحجازُ وأرضُ النـ ـوب والشامُ أن عهدكَ عَسجد[5]

١ العلم : سيد القوم . المخلد : الدائم الباقي .
٢ الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . البرج : الحصن ، والمراد سفينة الحرب .
٣ الشماء : العالية ، وهي وصف الهمة . المسدّد : المقوّم .
٤ النوال : العطاء .
٥ العسجد : الذهب ؛ وقيل الجوهر كله ، كالدرّ والياقوت .

أنت إن أُحصيَ النوابغُ في المُـ ـلكِ كَريمُ الثنا على الدهر أوحَد
أيَّدتهم قرابةٌ وقبيل وأرى اللّٰه وحدَه لك أيَّد
فتولاك والليالي حُبالى وتولاّكَ والحوادثُ تولد
ورمَى عنكَ والملوكُ رماة نصفُهم واجِدون والنصفُ حُسّد[1]
ركنَ مصر أقمت بعد انقِضاضٍ أمةٌ جُمِّعت وأمرٌ توحد

* * *

يا مُديمَ الرقادِ في خير مَرقد قُم فما حَلَّ قبلك الأرضَ فرقد[2]
وانظر الشرْقَ كَيف أصبح يهوى وانظر الغربَ كيف أصبحَ يَصعد
وتأمل ممالكاً وبلاداً لمسَ الدهرُ عِقدَها فتبدّد
كنتَ تحميه والسيوفُ عوارٍ من له اليوم بالحُسام المجرّد؟[3]
ينشرُ النورَ والحضارةَ فيه كلّما زوَّدَ الشعوب تزود
وترى الأمرَ بين قلبٍ ذكيّ في يديه وبين جَفن مُسهَّد
يا عصامَ الملوكِ هل كنتَ تسلو عن عروشِ الملوك أو كنتَ تَزهد[4]
صغَّر الجاهلون بالنفس مسعا كَ وعُذرُ النفوسِ فيه ممهَّد
ما سمِعْنا بفاتح سلَّ سيفاً يأخذُ الملكَ حدُّهُ ثم أغمد
حالة سامها الأمـينَ أخوه وأمورٌ بها أميـةُ يشهد[5]

---

١ واجدون : غاضبون .
٢ الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به .
٣ يريد بالحسام المجرّد : صاحبه ، أو يريد أن محمد علي هو ذلك الحسام الذي يتمناه لحماية الشرق من جديد .
٤ عصام : مضرب المثل في علوّ الفرد بنفسه لا بنسبه .
٥ سامه الشيء : أراده عليه . الأمين : الخليفة العباسي ابن هرون الرشيد . وأمية ، جدّ الأمويين الذين قاتلوا العلويين على الملك حتى نالوه .

ثبتَ في فتنةِ الحجاز إليهم حين أخمدتَها ولم تك تخمَد[1]
وأتاهم بعُذرِه لك بيتٌ كلما جنّدوا إلى الحربِ جنّد[2]
يحفظ الملكَ ملكَ مصر عليهم جوهراً فوق تاجهم يتوقّد
زعموا الشرقَ من فِعالك قَلْقاً وأرى الشرقَ في يمينك أقعد[3]
جئته بالحياةِ والنور والتمـ ـدينِ والرأي والقنا والمهنّد
كان بينَ الورى بركنٍ فعزّزْ تَ بثانٍ والركنُ بالركنِ يشتد[4]

* * *

شرفاً في الزمانِ آلَ عليّ جدُّكم سيدُ الملوك المسوَّد
ارجعوا في العُلا إليه ورُوموا نهجَهُ ، نهجه الذي كان أقصد[5]
ألبِسوه كما كساكم فَخاراً كلّما رثّت الثيابُ تجدّد
واملأوا مسمعَ الزمانِ حديثاً كدويٍّ الخِضَمُّ أرغى وأزبد[6]
إنما الناسُ أمةٌ لا يموتو ن وأخرى تمرّ مرًّا وتَنفَد
وأرى جدّكم على الدهر حيًّا خالدَ الذكر والثناء المردّد
كلّما مرّ من مساعيه قرن مرّ يزهد بعقدهنّ المنضّد[7]

....

١ ثبت : أي رجعت . فتنة الحجاز : هي الحرب التي أثارها الوهابيون على الدولة التركية في الحجاز فلم يهزمهم فيها إلا جيش مصري أرسله محمد علي وجعله تحت قيادة ابنه إبراهيم .
٢ يريد أن هذا البيت الذي طالما نصر الأتراك أتاهم بعذره حيثما انقلب عليهم .
٣ أقعد ، أي أمكن وأثبت .
٤ عززت بثانٍ ، أي عززته .
٥ النهج : الطريق . أقصد : أقوم .
٦ الخضم : البحر.
٧ القرن من الزمان : مائة سنة . المنضّد : المنسّق بعضه إلى بعض .

مُشرقاً من ثنائه مُستَضيئاً من بنيه بكلّ أبلجَ أصعد[1]
يتحداه في فخارٍ ويسرى في منارٍ على طريقٍ معبّد[2]
يا كريمَ الجدودِ عش لبلادٍ عيشُها في ذَرَى جدودك أرغد[3]
ذاقت الأمنَ في ظلال عليٍّ حين لا أمنَ في المشارق يُورد
مائة أحصيت على حكمه فيـ ـها وآثارُه بها لا تعدّد
فلهُ معهدٌ على كلّ أرضٍ ولهُ آيةٌ على كل معهد
ولنا في علاكَ منه بديلَ علمٌ أنت في المشارقِ مفرد

١ الأبلج : المشرق المنير . أصعد : أكثر صعوداً وارتقاء .
٢ طريق معبّد : مذلّل .
٣ الذّرى : هو الملجأ .

الخديو اسماعيل

حُلمٌ مدّه الكرَى لك مدا وسُدًى ترتجي لحلْمكَ ردا[1]
وحياة ما غادرت لك في الأحـ ـياء قبلاً ولم تَذَر لكَ بعدا[2]
لم يرَ الناسُ مثلَ أيام نعما كَ زماناً ولا كبؤسِكَ عهدا[3]
كنتَ إن شئتَ بُدِّلَ السعد نحساً وإذا شئتَ بُدِّلَ النحسُ سَعدا[4]
قائماً بالعطاء والسّلب فينا كالليالي أو أنتَ أكبرُ أيْدا[5]
يتمشى القضاء خَلف نواهيـ ـكَ حديدَ الأظفارِ يطلبُ صيدا[6]
ويُظِلُّ السراةَ منك كريمٌ رضيتْ رفدَه العنايةُ رِفدا[7]

....

١ الحلم : ما يراه النائم في نومه . مدّه : بسطه وأطاله . الكرى : النوم . وسدى ترتجي لحلمك ردًا ، أي وترتجي عودة هذا الحلم رجاء .

٢ غادرت : تركت . الأحياء : جمع حي . قبلاً ، أي أحداً قبلاً ، فهو صفة لمحذوف ، ومثله : «بعدا» في آخر البيت . والمعنى : لم تغادر أحداً متقدّماً عليك ولا متأخراً عنك وله مثل صفاتك وأفعالك .

٣ النعمى : الدعة واليد الصالحة . والبؤس : اشتداد الحاجة . والمعنى : لم ير الناس أيام رخاء كالأيام التي كنت فيها وادعاً سعيداً بنعماك ، ولا عهد شدّة كالعهد الذي أصابك فيه البؤس .

٤ السعد : اليمن . والنحس ، ضدّه .

٥ العطاء : ما يعطى من مال ونحوه . السلب : انتزاع الشيء قهراً . الأيد : القوّة .

٦ النواهي : جمع ناهية ، من قولهم «ما تنهاه عنا ناهية» أي ما تكفه كافة ، ومنه أوامر الله ونواهيه . حديد الأظفار : مشحوذها .

٧ الرفد : العطاء والصلة . السراة : جمع سري ، وهو السخي في مروءة .

ومُعزٍّ يصيِّرُ القيد تاجاً ومُذلٌّ يُصيِّرُ التاجَ قيدا
أنت من مثَّل السعادةَ لو لم يَكُ ذاكَ النعيمُ أخذاً وردّا[1]
قصدَ الدهرُ منك ركنَ المعالي ورمى طَوْدَها الذي كان طودا[2]
وأتى مظهرَ البلاد ومجدَ النـ ـيل والداءِ والدواءِ فردَّى [3]
والأبيَّ الذي أبى العصرَ في الملـ ـك شريكاً ، لو انّ ذلك أجدى [4]
لم يَنُؤْ بالجبالِ دَيْناً ولكن ودَّ منه الغريمُ ما لم يودّا[5]
يا أجلَّ الكِرامِ وجهاً وجاهاً وأبرَّ الورى حفيداً وجَدّا[6]
وكَبيرَ الحياة في العصرِ والعا ليَ فيه فما أرى لك نِدّا[7]
أين كسرى وأين قيصرُ ممّا نلتَ بالمجدِ أو بلغتَ مُجِدّا[8]
لَبِسَ الشرقُ من لقائكَ تاجاً وتَلقَّى أعوامَ رُشدِك عِقدا[9]

---

١ مثّل السعادة : أبانها وصوّرها للناس حتى كأنهم ينظرون إليها . النعيم : الدعة والمال .
٢ ركن المعالي : جانبها الأقوى . المعالي : جمع معلاة ، وهي الرفعة والشرف . الطود : الجبل العظيم .
٣ المظهر : مكان الظهور في علو . المجد : العز والرفعة . فردّى ، من رداه : أي أسقطه .
٤ الأبيّ : الذي لا يرضى الدنيّة كبراً وامتناعاً . أي لم يرضه . أجدى: أنفع .
٥ لم ينؤ بالجبال دينا ، أي لم يجد جهداً ولا مشقة في النهوض بالدين ولو أنه كان ثقيلاً كالجبال ، ولكن الغرماء طلبوا منه ما يعجز القادرين . الغريم : صاحب الدين ، وكذلك من عليه الدين ، فهو من الأضداد .
٦ أجلّ الكرام : أعظمهم . الجاه : القدرة والمنزلة . أبرّ الورى : أكثرهم برًّا . الحفيد : ولد الولد .
٧ العالي : المرتفع . الند : المثل .
٨ كسرى : لقب كل ملك من ملوك العجم . قيصر : لقب كل ملك من ملوك الروم . نلت : أدركت وأصبت . مُجِدّاً : أي محققاً ما أردته ومحكماً له .
٩ الرشد : الاستقامة على طريق الحق . العقد : القلادة .

وجرتْ فيهِ بالسعُودِ جَوارٍ لكَ مَنَّيْنَ مصرَ مُلكاً ومجدا[1]
ومَليكاً كما تَشاءُ معاليـ ـها خَفيفَ الخُطا يُحاوِلُ قصدا[2]
كلَّ يومٍ صَرْحٌ يُشيَّدُ للعلـ ـمِ وظلٌّ يُمَدّ في مصرَ مدّا[3]
ولـواءٌ وعُدَّةٌ وعـديدٌ ونظامٌ نَرَى به الشُهبَ جُندا[4]
وغزَاةٌ في البِيضِ والسودِ تَبغي مصرُ فيها مُجدَّداً مستردّا[5]
وبريدٌ لها تسيلُ به القُضْـ ـبُ وثانٍ بالبرقِ أجْرى وأهدى[6]
وخُطوطٌ بها التّنائي تَدانٍ وبخارٌ به الأقاليمُ تَنْدَى[7]

---

١ جرت فيه ، أي في الشرق . السعود : جمع سعد ، وهو اليمن . جوارٍ : جمع جارية ، وتطلق على السفينة والشمس أيضاً . منّين مصر ملكاً ومجدا ، أيْ جعلن الملك والمجد أمنية لها .

٢ ومليكاً ، أي ومنيتها مليكاً . الخُطا : جمع خطوة ، وهي ما بين القدمين . القصد ، إما قصد الطريق ، وهو استقامتها ، وإما ضد الإفراط والتوغل .

٣ الصرح : القصر وكل بناء عالٍ . يشيد : يطول ويرفع ، أو يطلى بالشيد ، وهو الجص . يمدّ في مصر : يبسط فيها .

٤ اللواء : العلم ، وهو دون الراية . العدّة : الاستعداد وما أُعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح . العديد : اسم من العدّ . الشهب : جمع شهاب ، وهو الكوكب مطلقاً .

٥ الغزاة : اسم من الغزو . تبغي : تطلب . مجدّداً ومستردّا، صفتان لموصوف محذوف ، أي تبغي مجداً مجدّداً مستردّاً .

٦ البريد : أصله الرسول ثم استعمل في المسافة التي يقطعها ، وتوسع في استعماله على مقتضى الحاجة ، فسمي به النظام الذي تنقل به الرسائل وهو ما يسمى «بوسته» . والقضب : جمع قضيب ، ومن معانيه : الغصن المقطوع ، وهو أقربها إلى المعنى المراد هنا ؛ فإنه يريد قضبان الحديد التي تمدّ فوق الأرض تسير فوقها القطر البخارية ، فهي تشبه الأغصان . وثان ، يعني وشيء ثان هو أشدّ جرياً وأكثر اهتداء من البريد ، وذلك هو التلغراف .

٧ وخطوط ، أي خطوط السكة الحديدية . التنائي : التباعد . التداني : التقارب . البخار : ما يرتفع من الماء كالدخان ، وهو الذي يدفع قطر السكة الحديدية في سيرها . الأقاليم : جمع إقليم ، وهو قسم من الأرض يختص باسم يتميز به عن غيره . تندى : يصيبها الندى .

وبيوتٌ لله تُرفعُ فيها وقصورٌ تُشادُ للحُكم شَيْدا[1]
ورجالٌ تَشِبُّ في خدمة البا بِ كما شبَّت الأهلّةُ مُردا[2]
وأمانيُّ للرعيّة تُوفَى وحُقوقٌ في كلّ يومٍ تُؤدّى[3]
ووفودٌ إلى الممالك تُزْجَى وثمينٌ إلى الخَواقين يُهدَى[4]
وثناءٌ تَسْمُو له صحفُ العصـ ـرِ وذِكرٌ يسيرُ مِسكاً ونَدّا[5]
وبناءٌ بالمأثُراتِ جسامٌ يورِث الدهرَ والأحاديثَ وَجدا[6]
من رآه يقولُ أخلِقْ باسما عيلَ أن يستَوي على العصرِ فردا[7]
يا كبيرَ الفؤادِ والهمِّ والآ رابِ مهلاً مهلاً ، رويداً رويدا[8]

---

١ بيوت الله : المساجد . ترفع فيها ، في مصر . قصور : جمع قصر . تشاد : ترفع وتطول .

٢ تشب في خدمة الباب ، أي يدركهم الشباب وهم مرد قائمون في خدمته . والمراد : أنها شبت كذلك في خدمته ولا تزال تخدمه . ويريد بالباب : باب الممدوح . الأهلّة : جمع هلال ، وهو القمر في الليلة الأولى إلى الثالثة . المرد : جمع أمرد ، وهو الشاب طر شاربه ولم ينبت .

٣ الأماني : جمع أمنية ، وهي البغية وما يتمنى أيضاً . توفي : تنجز وتتمّ . تؤدي : تقضي .

٤ وفود : جمع وافد ، وهو الرسول القادم ، أو جمع : وفد ، وهو قوم يفدون على الملك ، أي يأتون إليه . تزجى : تساق . الثمين : المرتفع الثمن . الخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من الترك . يهدى ، أي يبعث إليهم إكراماً .

٥ الثناء : الحمد . تسمو له : ترفع له . المسك : هو طيب . الند : عود يتبخر به ، وقيل هو العنبر .

٦ المأثرات : جمع مأثرة ، وهي المكرمة المتوارثة . الجسام : العظيم الضخم ، وهو وصف لبناء . الوجد : من معانيه الغنى والسعة ، وهو المراد هنا .

٧ من رآه ، أي هذا البناء . أخلق به ، أي ما أخلقه وأجدره . يستوي : يستقر أو يستولي . فرداً : أي منفرداً .

٨ الهم : ما يجيل الرجل فكره فيه ليفعله ويقوم به . الآراب : جمع أرب ، وهو الحاجة . مهلاً مهلاً : أي افعل ما تريد في سكينة ورفق . رويداً رويداً .

لم تكن حقبة أساءتْ عليًّا في جَنَى عُمرِهِ لتحفظَ وِدّا[1]
خذلت منه واحدَ التركِ والعُربِ وسامتْ سيفَ المشارقِ غمدا[2]
لا غراماً بحاسديه ولكن رَهباً أن يَبلغَ الشرقُ قصدا[3]
ولأنت ابنُه الذكيُّ فهلا جئتَ بالطَّلْبةِ الطريقَ الأسدا[4]
فتأنيتَ والتأنّي فـلاحٌ وهو يا ثاقبَ النُّهى بكَ أجدى[5]
وحميتَ الأيديَ العَواتيَ أن تدنو وأن تَعتلي وأن تَتصَدّى[6]
بالغتْ بعد لينها لكَ في العُسـرِ وصار الوعيدَ ما كان وَعدا[7]
وإذا العصرُ والملوكُ خصومٌ لكَ والناسُ والمحبون أعدا[8]
فتركتَ السَّريرَ مضطَرِبَ الأحـوالِ من نأيِ ربِّهِ ليس يُهدى[9]

....

١ الحقبة من الدهر : مدّة لا وقت لها ، وهي السنة أيضاً . أساءت علياً : أصابته بسوء . ويريد بعلي : محمد علي ، جدّ الخديو إسماعيل . والمراد أن الزمن الذي أساء إلى جدّك ولم يكرمه لأعماله العظيمة لا يبقي لك على ودّ ولا محاسنة .

٢ خذلت واحد الترك ... الخ : تركت نصره ولم تعنه . سامت سيف المشارق غمدا ، أي أرادته على أن يبقى في غمده .

٣ الغرام بالشيء : الولوع به . الرهب : الخوف . القصد ، يريد به المقصود .

٤ الذكي : السريع الفطنة . الطلبة هي ما طلبته من شيء . الأسد : المستقيم .

٥ تأنيت : ترفقت وتنظرت . النهى : العقل . يقال : عقل ثاقب ، أي حازم . أجدى : أي أنفع .

٦ حميت الأيدي : منعتها . العواتي : جمع عاتية ، من العتو ، وهو الاستكبار وتجاوز الحدّ . تدنو : تقرب . تعتلي : من اعتلى الشيء : أطاقه وغلبه . تتصدّى : تتعرض .

٧ بالغت : من بالغ في الأمر ، اجتهد فيه ولم يقصر . العسر : ضيق ذات اليد . الوعيد : التهديد .

٨ العصر : الدهر . الخصوم : جمع خصم ، من المخاصمة ، وهي المنازعة والمجادلة . أعدا ، أي أعداء ، جمع عدوّ .

٩ السرير : تخت الملك . النأي : البعد . ربه : صاحبه . يهدى ، من هداه : أرشده .

لم تكن مَن جَنى عليه ولكن عوّدتْه الأيامُ أن تستبِدّا[1]
منعتْ مصرُ أن تُتوَّجَ مصرٌ وأبى النيلُ أن يُحرِّرَ وِردا[2]
كان يرجو الزمانُ يا ناظمَ البحـ ـرين أن تَنظِمَ الممالكَ عِقدا[3]
صلةً للأنام بات بها الو دّ شتاتاً وأصبحَ الرحبُ سدّا[4]
إنّ ماءً أجْرَت يداك لَنَرجُو أن سيُحيي البلادَ من حيثُ أردى[5]
ولو انّا صُنّا وصُنتَ لعِشنا الـ ـدهرَ في العزِّ والسيادةِ رَغدا[6]
نهضتْ مصرُ بالزمانِ نزيلاً وبأهليهِ يومَ ذلك وَفدا[7]
خطروا بين زاخِرَيْنِ ولاقوا ثالثاً من نَداك أحلى وأندى[8]

---

١ لم تكن من جنى عليه ، أي من أذنب له . تستبد ، من الاستبداد ، وهو الانفراد بالشيء وعدم تركه .

٢ منعت ، من المنع : وهو الحرمان من الشيء والكفّ عنه . تتوّج ، من توّجه ، ألبسه التاج . أبى : لم يرض . يحرّر ، أي يجعله حرًّا . الورد : الإشراف على الماء .

٣ يا ناظم البحرين ، من نظم الشيء : ألفه وضم بعضه إلى بعض . العقد : القلادة . وناظم البحرين : الخديو إسماعيل ، وذلك أنه فتح قناة السويس فوصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر .

٤ صلة ، مصدر وصل الشيء بالشيء ، إذا جمعهما ولاءم كليهما بالآخر . الأنام : الخلق . شتاتاً : متفرّقاً . والرحب : الواسع . والمعنى أن هذه القناة التي فتحها فصارت طريقاً تصل العالم ببعضه كانت سبباً في التقاطع والبغضاء بينهم وصار بها كل رحب من الأمور مغلقاً أمام غير الأقوياء منهم .

٥ أردى : أهلك . يقول : إنا نرجو أن تجد البلاد حياتها بهذا الماء الذي أجريته فوصلت به ذينك البحرين وكان فيه ردى البلاد . ويريد الماء الذي يجري في القناة ، أو القناة نفسها .

٦ أي لو أنك كنت قد حفظت القناة ولو أننا حفظناها أيضاً ولم نفرط نحن ولا أنت فيها لعشنا أبد الدهر عيشاً طيباً في عزّ وسعادة .

٧ نهضت : قامت . النزيل : الضيف . يوم ذلك : الإشارة إلى يوم افتتاح القناة . الوفد : القوم يفدون على الملك .

٨ خطروا ، أي الأقوام الذين جاءوا وفداً ، وهو من خطر الرجل ، إذا اهتز في مشيته وتبختر . زاخرين : أي بحرين زاخرين ، من زخر البحر ، إذا طغى وتملأ . ثالثاً ، أي بحراً ثالثاً . نداك : كرمك .

بين فُلكٍ يجري وآخرَ راسٍ ولواءٍ يحدو وآخرَ يُحدَى [1]
وملوكٍ صيدٍ يُراحُ بهم في واسعِ الرّيفِ والصعيدِ ويُغدى [2]
صورٌ لم يكُنَّ حقًّا وحُلمٌ فُجعَ الصبحُ فيه لما تَبدّى [3]
وقناطيرُ يجفلُ الحصرُ عنها كل يومٍ تعدُّها مصرُ عدًّا [4]
ليتَ شعري هل ضعنَ في الماءِ، أم هل يُضمرُ الماءُ للودائعِ ردًّا! [5]
ليُعيدنّها إلينا بوقتٍ زمنٌ طالما أعاد وأبدى [6]
وملكتَ السودانَ في الطولِ والعر ضِ وفي شأنِه المعظمِ عَبدا [7]
نلتَ بالمالِ والدِما منه أرضاً بجبال الياقوتِ والدرِّ تُفدى [8]
ثم نظَّمته ممالكَ كانت نارُ تَنظيمها سلاماً وبَردا [9]

....

١ الفلك : السفينة . وآخر راسٍ : من رست السفينة ، إذا وقفت على الأنجر ، وهو المرساة ، ويتخذ من خشب يفرغ بينه الرصاص المذاب فيصير كصخرة . يحدو ويحدي ، من حدوته على كذا ، أي بعثته .

٢ الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك ؛ وقيل له أصيد ، لأنه يمشي فلا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً . الريف : أرض ذات خصب وزرع ، ومنه ريف مصر ، وهو المعنى هنا . الصعيد : مصر العليا . يراح بهم ويغدى ، أي يذهبون بهم ويجيئون .

٣ صور : جمع صورة . فجع ، من الفجيعة ، وهي الرزيئة .

٤ قناطير : جمع قنطار . والمراد : قناطير من المال . يجفل الحصر ، أي يشرد ويفرّ .

٥ ليت شعري ، ليت علمي ، أي ليتني أعلم . ضعن : أي القناطر . يضمر ، من أضمر في نفسه شيئاً : عزم عليه . الودائع : جمع وديعة ، وهي ما يترك عند إنسان أمين .

٦ ليعيدنّها ، من أعاد الشيء : أرجعه . زمن : فاعل يعيدنها . طالما : هي طال موصولة بها «ما» الكافة فأصبحت مستغنية عن الفاعل ، لأن الكلام محمول على النفي .

٧ في الطول والعرض ، أي ملكتَه كله .

٨ الياقوت ، من الجواهر ، الواحدة ياقوتة . الدرّ : اللؤلؤ ، الواحدة درّة . تفدى : تستنقذ .

٩ نظمه ممالك ، أيْ جعله ممالك مجتمعة بعضها إلى بعض . والممالك : جمع مملكة ، وهي ما تحت أمر الملك من البلاد والعباد . سلاماً وبرداً ، أي سلامة وهناءة .

فَهنِئْنا به السعادةَ عمراً وأُصبنا بهِ المُعينَ المُمِدّا[1]
وطريقَ البلاد نحو المعالي وسِياجاً لملكِ مصرٍ وحَدا[2]
ليتَ لم تغشَ بعده في حماها حبَش المكرِ والخديعةِ أسدا[3]
سلبوا مصرَ أيّ جيشٍ كريم كان للمجد والفخارِ أُعِدّا
أنتَ أنشأتَه فلم ترَ مصرٌ جَحفلاً بعده ولم ترَ جُندا[4]
وتوليتَه بعطفِكَ والبـ ـرّ وبالمكرُمات لم تألُ جهدا[5]
مُستعيراً من الزمان مِثالاً سارياً في ضيائه مُستَمِدّا[6]
فهوى جيشُك العظيم ومالت رايةٌ كان حقُّها أن تُسدّا[7]
ونفضتَ اليدين يأساً على الرغـ ـمِ كأن لم تَجِد من الصبرِ بُدّا[8]
وإذا لم يكن من الله عونٌ فاطِّراحُ الآمالِ بالنفس أبدى[9]
ما لعصرٍ رآك في العز لا يُر سلُ دمعاً ولا يبلُّ خدّا؟[10]

---

١ فهنئنا به السعادة ، أي ذقنا به السعادة . أصبنا المعين الممدّا ، أي وجدنا به العون والمدد ، من أمدّه ، إذا أعانه وأغاثه .

٢ وطريق البلاد ، أي وأصبنا به أيضاً طريق البلاد . السياج : ما يحاط به حول الشيء . الحدّ : الحاجز بين الشيئين .

٣ لم تغش : من غشي المكان أتاه . الحبش : سكان الحبشة . وفي البيت إشارة لغزو مصر للحبشة في عهد إسماعيل . وما أصاب جيشها هناك .

٤ الجحفل : الجيش .

٥ توليته بعطفك ، أي أوليته عطفك . لم تألُ جهداً ، أي لم تقصر في جهدك .

٦ مستعيراً ، من استعار الشيء منه ، طلب إعارته إياه . المثال : صفة الشيء وصورته .

٧ فهوى ، أي فسقط . والهوى : السقوط إلى أسفل .

٨ نفضت اليدين ، أي نفضت يديك من اليأس . كناية عن التسليم وترك المقاومة . كأن لم تجد من الصبر بدًّا ، أي مفرًّا .

٩ العون : الإعانة . اطراح الآمال : إبعادها . أبدى ، أي أجدر .

١٠ ما لعصر ... الخ ، تعجب من أن عصره الذي رأى عزّه وقوّة سلطانه لا يبكي لما أصابه بعد ذلك العز ، فهو يقول : أي شيء دهى العصر حتى غفل عن البكاء والأسى .

أين ودٌّ عهدتَ منه وعطفٌ ووَلاءٌ مؤكّد كان أبدى[1]
وملوكٌ له أتتكَ وسادا تٌ حداها إليكَ وفداً فوَفدا؟[2]
أبت الناسُ فيكَ للناسِ إلاّ أن يجاروا الزمان وصلاً وصدّا[3]
فرأيتَ الحميمَ أوّلَ جافٍ ووجدتَ الوليَّ في البؤسِ ضِدّا[4]
ورجالاً لولاكَ لم يعرفوا العيـ ـشَ أبوْا أن يقدِّموا لك حمدا
ما رأوا بعدَكَ الأمورَ ولكن يُحسنون الكفرانَ حلاً وعقدا[5]
بان مجدُ البلاد إذ بِنتَ، والصفـ ـوُ، وكان الرجاءُ حيًّا فأودى[6]
ودهتكَ الخطوبُ فيها فلم تتـ ـرُكْ صواباً لنا ولم تُبقِ رشدا[7]
ولقِينا من الحوادثِ ما لم يكُ يعيا به دهاؤُكَ ذَودا[8]
فبكَى البائسون منكَ حُساماً طالما قدَّ هامةَ الخطبِ قدّا[9]
وبصيراً إذا المشوراتُ لم تُنـ ـجِدْ ذويها ساسَ الأمورَ مُسِدّا[10]

---

١ الود : المودة . ولاء مؤكد : أي قوي ، كان أبدى : أي كان أبداه وأظهره .
٢ وملوك ... الخ : أي وأين ملوك العصر الذين جاءوك والسادات الذين ساقهم إليك وفوداً متعاقبين .
٣ أبت الناس فيك للناس ، أي من أجل الناس . الوصل : ضدّ الهجران . والصدّ : الإعراض .
٤ الحميم : الصديق والقريب الذي تهتم بأمره . جاف : من الجفاء ، وهو الإعراض وقطع المودة . الولي : القريب والنصير . الضدّ : المخالف .
٥ الكفران : جحود النعمة .
٦ بان : بعد . إذ بنتَ : أي وقت أن بعدت . أودى : هلك .
٧ دهتك : أصابتك . الصواب : ضدّ الخطأ . الرشد : ضدّ الغيّ .
٨ يعيا به : يعجز به ولم يطق احكامه . الدهاء : جودة الرأي . الذود : الطود .
٩ الحسام : السيف . قدّ هامة الخطب : شقّها طولاً أو قطعها مستأصلاً . الهامة : رأس كل شيء .
١٠ المشورات : جمع مشورة ، وهي اسم من أشار عليه بكذا . وساس الأمور : دبّرها وأحسن القيام بها . مسدًّا ، من أسدّ في قوله ، إذا أصاب .

صَغُر الجهلُ أن يُشيرَ بَنُوهُ إنه لُقِّبَ العدوَّ الألَدّا[1]
نَكَدٌ كلُّه وإنّ يداً بيضا ءَ تَجري على يديهِ لسَوْدا[2]
طالما دمَّر الممالكَ تدميـ ـراً وهدَّ البلادَ والناسَ هدّا[3]

* * *

نازِحَ الدار ما لبيْنِكَ حدٌّ ولقربِ الديار زادَكَ بُعدا؟[4]
هكذا من قَضَى حنيناً وشوقاً وأنيناً مع الظلامِ وسُهدا[5]
شاكياً للبنينَ والأمر والصحـ ـةِ والجاهِ والشَّبيبَةِ فقدا[6]
ومُقيماً على اعتزالٍ بأرضٍ كان فيها الغمامَ مهما تَبدّى[7]
عُدْ إلى مصركَ الوفيةِ وانزل في ثَراها واسكن من المهدِ لحدا[8]
لا تقل أعرضتْ بلادي وصدَّت مصرُ خير هوًى وأكرمُ عَهدا[9]
وقبيحٌ بالدارِ أن تعرِفَ البغـ ـضَ وبالمهدِ أن يباشرَ حقدا[10]
غفَرَت مصرُ ما مضى لعليٍّ وبَنيهِ وللحفيدِ المُفَدّى[11]

---

١ بنو الجهل : الجهلاء . لقِّب ، أي جعل لقبه العدوّ . ومرجع الضمير للجهل .
٢ النكد : شدّة العيش وعسره . والسودا : السوداء ، والضمير للجهل .
٣ دمر الممالك : أهلكها . الهدّ : تكسير البناء .
٤ نازح الدار : بعيدها . البين : الفراق . ولقرب الديار ، أي وما لقرب الديار ... الخ .
٥ الحنين : الاشتياق . الأنين : التأوّه والتصويت من الوجع . السهد : الأرق .
٦ شاكياً للبنين ... الخ ، أي شاكياً فقد هؤلاء جميعاً .
٧ الاعتزال : التنحي عن الشيء . الغمام : السحاب الأبيض . تبدّى : ظهر .
٨ الثرى : التراب من المهد ، أي من مهدك الذي درجت فيه . لحداً : قبراً .
٩ أعرضت وصدّت ، كلاهما يؤدي معنى الآخر .
١٠ البغض : ضدّ الحب . الحقد : الانطواء على البغضاء .
١١ غفرت : عفت . علي ، المراد به : محمد علي ، جدّ إسماعيل . الحفيد : ولد الولد ، وهو إسماعيل .

ولآثارك الجلائـل فيها ولجسمٍ من نأيها خرّ هدّا[1]

* * *

يا خليليَّ لا تذمّا ليَ المو ت فإني من لا يَرى العيش حَمَدا[2]
لا أقولُ اسكُنا إلى هذه الدا رِ غروراً ولا أقولُ استعدّا[3]
أنا من لا يُرى الفرارَ من المو تِ ومن لا يرى من الموتِ بدّا[4]
أنا من بلَّ دمعُه المهدَ بالأمـ ـسِ ولولا التعليلُ لم يأوِ مهدا[5]
ودَعته النساءُ من حيثُ بشّرْ نَ، وليداً جمَّ الحياةِ مُفدّى[6]
وتولّته في البداية أثدا ءٌ تُدِرُّ الردى وتحسَبُ شَهدا[7]
والذي تُبصَرانِ لي من رضاءٍ حرمةٌ للحياة عندي تُؤدّى[8]

---

١ ولآثارك الجلائل ، أي العظيمات . النأي : البعد . خرّ : سقط من أعلى إلى أسفل ، ومنه «فكأنما خرّ من السماء» . ومعناه أيضاً : انكب على الأرض . ومنه خرّ ساجداً .

٢ لا تذما ، من الذم ، وهو ضدّ المدح .

٣ اسكنا إلى هذه الدار ، من سكن إلى الشيء : ارتاح له . استعدّا : من الاستعداد ، وهو التهيؤ للأمر .

٤ الفرار : الهرب . من لا يرى من الموت بدًّا ، أي مناصاً .

٥ المهد : المكان الذي يهيأ للطفل ويوطأ له . التعليل : من علّله بالشيء ، أي شغله به وأطمعه فيه .

٦ وليداً : مولوداً . جمّ الحياة : كثيرها وقويّها . مفدّى : من فداه ، أي قال له : جعلت فداك .

٧ وتولته : عطف على «دعته» في البيت الذي قبله . البداية : الابتداء . أثداء : جمع ثدي . الردى : الهلاك . الشهد : العسل ما دام لم يعصر من شمعه .

٨ الحرمة : الذمة والمهابة ، أي وما تبصر أنه من رضائي ليس إلا قياماً بما للحياة من حرمة عندي .

سنَّ أهلي وأهلُ هند لقاءً فمن البرِّ أن أجاملَ هِندا [1]

وأسوقَ المهرَ المسمَّى هموماً وعناءً مع الزمانِ وكَدّا [2]

إنما الموتُ منتهى كلِّ حيٍّ لم يُصبْ مالكٌ من الملكِ خُلدا [3]

سنةُ اللهِ في العبادِ وأمرٌ ناطقٌ عن بقائِه لن يُردا

وإلى اللهِ ترجعُ النفسُ يوماً صدقَ اللهُ والنبيّونَ وَعدا

---

١ سنّ أهلي ... الخ ، أي وضعوا لنا سنة ، وهي اللقاء . ويريد «بهند» الحياة . المجاملة : إحسان العشرة .

٢ المهر : ما يجعل للمرأة صداقاً من مال ونحوه . والمهر المسمى : هو الذي يذكر في مجلس العقد .

٣ لم يصب ، أي لم ينل . الخلد : البقاء .

تكريم *

بأبي وروحي الناعماتِ الغيدا ... الباسماتِ عن اليتيمِ نضيدًا
الرانياتِ بكلِّ أحورَ فاترٍ ... يذرُ الخليَّ من القلوب عميدا[1]
الراوياتِ من السُّلاف محاجراً ... الناهلات سوالفاً وخدودا
اللاعباتِ على النسيم غدائراً ... الراتعات مع النسيم قُدودا
أقْبَلْن في ذهب الأصيلِ ووشْيِه ... مِلْءَ الغلائلِ لؤلؤاً وفريدا
يَحدِجْنَ بالحدَقِ الحواسِدِ دُمْيَةً ... كظِباءِ وجْرَةَ مُقْلَتَيْنِ وجيدا[2]
حَوَتِ الجمالَ فلو ذهبتَ تَزيدُها ... في الوهمِ حُسناً ما استطعتَ مزيدا
لو مرَّ بالولدان طَيْفُ جمالِها ... في الخلدِ خرّوا رُكَّعاً وسُجودا
أشهى من العودِ المرنِّم منطقاً ... وألذُّ من أوتاره تغريدا
لو كنتَ سعداً مُطْلِقَ السجناءِ ، لم ... تُطْلِق لساحِرِ طرْفِها مصفودا[3]
ما قصَّر الرؤساءُ عنه ، سعى له ... سعدٌ ، فكان مُوفَّقا ورشيدا
يامصرُ ، أشبالُ العَرينِ ترعرعت ... ومشتْ إليك مِن السجون أُسودا
قاضي السياسةِ نالَهمْ بعقابِه ... خَشِنَ الحكومةِ في الشباب عَتيدا

* في وزارة سعد زغلول باشا سنة ١٩٣٤ أطلق سجناء ، كانت المحاكم العسكرية الانجليزية قد أدانتهم في مؤامرة شاع يومئذ أنها مبالغ فيها ، وقد احتفل شباب البلاد بنجاة إخوانهم ، فرجوا صاحب الديوان أن يشاركهم في هذا الاحتفال ، فنظم هذه القصيدة ، مشيراً فيها إلى أهم ما كان يشغل بال الناس في ذلك العهد من الحوادث .

١ الرانيات : اللاتي يدمن النظر بطرف ساكن .

٢ وجرة : موضع بين مكة والبصرة ، تسكنه الظباء والوحوش .

٣ المصفود : الموثق المغلل .

أتَتِ الحوادثُ دون عقدِ قضائه فانهار بيِّنةً ، وذُلَّ شهيدا
تقضي السياسةُ غيرَ مالكةٍ لِمَا حكمتْ به نقضاً ولا توكيدا
قالوا : أتنْظمُ للشباب تحيةً تَبْقى على جيدِ الزمان قصيدا ؟
قلتُ : الشبابُ أتمُّ عِقدَ مآثرٍ من أن أزيدهمو الثناء عقودا
قَبِلَتْ جُهُودَهُم البلادُ ، وقبَّلتْ تاجاً على هاماتهمْ معقودا
خرجوا ، فما مدّوا حناجِرَهم ، ولا مَنُّوا على أوطانهم مجهودا
خفيَ الأساسُ عن العيون تواضعاً من بعد ما رفع البناء مَشيدا
ما كان أفطنَهم لكلِّ خديعةٍ ولكلِّ شرٍّ بالبلاد أُريدا
لما بنى الله القضيةَ منهمُ قامت على الحقِّ المبينِ عَمُودا[1]
جادوا بأيام الشبابِ ، وأوشكوا يتجاوزون إلى الحياةِ الجودا
طلبوا الجلاء على الجهادِ مَثُوبةً لم يطلبوا أجْرَ الجهادِ زهيدا[2]
واللهِ : ما دون الجلاءِ ويومِهِ يومٌ تُسميهِ الكِنانةُ عيدا
وجَدَ السجينُ يداً تُحَطِّمُ قيْدَهُ من ذا يُحطِّمُ للبلاد قيودا ؟
ربحت من التصريح أن قيودها قد صِرْنَ من ذهبٍ ، وكُنّ حديدا[3]
أوَ ما تَرَوْن على المنابع عُدَّةً لا تنجلي ، وعلى الضّفاف عديدا ؟[4]
يا فِتيةَ النيل السعيدِ : خذوا المدى واستأْنِفوا نَفَسَ الجهادِ مَديدا
وتنكَّبوا العدوان ، واجتنبوا الأذى وقفوا بمصرَ الموقِفَ المحمودا
الأرضُ أليَقُ منزلاً بجماعة يبغون أسبابَ السماءِ قُعودا
أنتم غداً أهلُ الأُمور ، وإنما كنّا عليكم في الأُمور وُفُودا
فابنوا على أُسُس الزمان وروحِهِ رُكنَ الحضارة باذخاً وشديدا

١ القضية : السياسة المصرية .
٢ يريد بالجلاء جلاء الجنود الانجليزية المحتلة عن أرض البلاد .
٣ تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .
٤ منابع النيل .

الهدمُ أجملُ من بناية مُصْلح يَبْني على الأُسُسِ العتاقِ جديدا
وجْهُ الكنانةِ ليس يُغْضِبُ ربَّكم أن تجعلوه كوجهه معبودا
ولُّوا إليه في الدُّروس وُجُوهَكم وإذا فرغتمُ ، واعبدوه هُجودا
إنَّ الذي قسمَ البلادَ حباكمُ بلداً كأوطان النجومِ مَجيدا
قد كان – والدنيا لُحُودٌ كلُّها – للعبقريةِ والفنونِ مُهودا

* * *

مجدُ الأُمور زوالُه في زَلَّةٍ لا تَرْجُ لِاسْمكَ بالأُمور خلودا
الفردُ بالشُّورى ، وباسم نَديِّها لُفِظَ الخليفةُ في الظلام شريدا
خلعتهُ دون المسلمينَ عصابةٌ لم يجعلوا للمسلمين وجودا
يقضون ذلك عن سوادٍ غافلٍ خُلِق السوادُ مُضلَّلاً وَمَسودا[1]
جعلوا مشيئتَهُ الغبيَّةَ سُلَّماً نحو الأُمور لمَن أراد صعودا
إني نظرتُ إلى الشعوب فلم أجدْ كالجهل داءً للشعوب مُبيدا
الجهلُ لا يلِدُ الحياةَ مواتُهُ إلا كما تَلِدُ الرِّمامُ الدودا[2]
لم يخلُ من صُوَرِ الحياةِ ، وإنما أخطاهُ عُنصرُها ، فمات وليدا
وإذا سبى الفردُ المُسلَّطُ مجلساً ألفيتَ أحرارَ الرجال عبيدا
ورأيت في صدر النَّديِّ مُنَوَّماً في عُصْبةٍ يتحرّكون رُقودا
الحقُّ سهمٌ ، لا تَرِشْهُ بباطلٍ ما كان سهمُ المُبْطِلين سديدا[3]
والعبْ بغير سلاحه ، فلَربّمَا قتلَ الرجالَ سلاحُهُ مردودا

١ سواد الناس : عامتهم .
٢ موات الجهل : الخراب الذي يحدث بسببه . والرمام : جمع رمة ، وهي العظام البالية ، والمراد بها هنا الجيفة .
٣ راش السهم يريشه : ألصق عليه الريش حتى يكون أكثر نفاذاً .

على سفح الأهرام*

قِف ناجِ أهرامَ الجلالِ ، ونادِ : هل من بُناتِكَ مجلسٌ أو نادي؟
نشكو ، ونَفزعُ فيه بين عيونهم إن الأُبوّةَ مفزعُ الأولاد
ونبثُّهم عبثَ الهوى بتُراثهم من كل مُلقٍ للهوى بقياد
ونُبينُ كيف تفرّقَ الإخوانُ في وقتِ البلاءِ تفرُّقَ الأضداد[1]
إن المغالِطَ في الحقيقةِ نفسه باغٍ على النفسِ الضعيفةِ عاد

* * *

قل للأعاجيبِ الثلاثِ مقالةً من هاتفٍ بمكانهن وشاد[2]
لله أنتِ ، فما رأيتُ على الصفا هذا الجلالَ ولا على الأوتاد
لكِ كالمعابدِ روعةٌ قدسيّةٌ وعليكِ روحانيّةُ العبّاد
أُسِّسْتِ من أحلامِهم بقواعد ورُفعتِ من أخلاقهم بِعماد

* * *

تلك الرمالُ بجانبيكِ بقيةٌ من نعمةٍ ، وسماحةٍ ، ورماد[3]
إن نحن أكرمنا النزيلَ حِيالَها فالضيفُ عندك موضِعُ الإرفاد
هذا الأمين بحائطيكِ مطوِّفاً متقدّمَ الحُجّاجِ والوُفّاد ؟
إن يعدُه منكِ الخلودُ ؛ فشعرُه باقٍ ، وليس بيانُه لنفاد

* أمين أفندي الريحاني أديب من أدباء لبنان ، وفد إلى مصر فأقام له بعض الأدباء حفلاً على سفح الأهرام ، شاطرهم إياه صاحب الديوان .

١ نبين : مضارع أبان الشيء : أوضحه . والبلاء : الغم يبلي الجسم .

٢ الأعاجيب الثلاث : يريد بها الأهرام الثلاثة .

٣ السماحة : موافقة الرجل على ما يراد منه .

إيه أمينُ ، لمستَ كلَّ مُحجَّبٍ في الحسن من أثر العقول وبادي
قم قبِّل الأحجارَ والأيدي التي أخذَتْ لها عهداً من الآباد[1]
وخُذ النبوغَ عن الكِنانة ، إنها مَهْدُ الشموسِ ، ومَسْقَطُ الآراد
أمُّ القِرى – إن لم تكن أمَّ القُرى – ومثابةُ الأعيان والأفراد[2]
ما زال يغشى الشرقَ من لمحاتها في كل مُظلِمةٍ شُعاعٌ هادي
كم من جَلائِل أنعُم لمحمدٍ بل كم لإسماعيلَ بيض أيادي[3]
لولا اهتمامُهما لظلّ الشرقُ في وادٍ وأبناء الزمان بوادي[4]

* * *

رفعوا لكَ الريحان كاسمك طيِّباً إن الـعَمارَ تحيـةُ الأمجاد
وتخيَّروا للمِهرجان مكانَه وجعلتُ موضعَ الاحتفاءِ فؤادي[5]
سلفَ الزمان على المودّة بيننا سنواتُ صحوٍ بل سناتُ رقاد
وإذا جمعتَ الطيباتِ رددتها لعتيقِ خمرٍ أو قديم وداد
يا نجمَ سوريًّا – ولست بأوّلٍ – ماذا نَمَتْ من نيِّرٍ وقّاد ؟
اطْلُعْ على يَمَنٍ بيُمنك في غدٍ وتجلَّ بعد غدٍ على بغداد
وأجلْ خيالَك في طُلولِ ممالِكٍ مما تجوبُ ، وفي رُسُومِ بلاد

١ الآباد : جمع أبد ، وهو الدهر .

٢ القرى : الضيافة ، أو ما قرى به الضيف ، والقرى : جمع قرية .

٣ أنعم : جمع نعماء ، وهي اليد البيضاء الصالحة . محمد : هو محمد علي مؤسس بيت الملك في مصر . اسماعيل : هو الخديو اسماعيل . بيض أياد ، أي أيادٍ بيض ، من إضافة الصفة للموصوف .

٤ لولا اهتمامهما ، أي اهتمام محمد علي واسماعيل . في وادٍ : المراد في ناحية ، وأبناء الزمان ، أي أبناء العصر من غير أهل الشرق في ناحية أخرى . والمعنى أن عناية اسماعيل وجده محمد علي هي التي أشركت الشرق في علوم الغرب ومعارفه ووسائل رقيّه .

٥ المهرجان : هو عيد الفرس وكان يوافق أول الشتاء ، ثم صار في الخريف .

وسل القبورَ – ولا أقول سل القُرى – هل من ربيعة حاضرٌ أو بادي
سترى الديار من اختلافِ أُمورها نَطَقَ البعيرُ بها ، وعَيَّ الحادي

* * *

قضَّيْتَ أيامَ الشباب بعالم لبس السنين قشيبةَ الأبراد[1]
ولدَ البدائعَ والروائعَ كلها وعَدَتْهُ أن يَلدَ البيانَ عوادي
لم يخترع شيطانَ حسان ، ولم تُخرج مصانعُه لسانَ زياد[2]
اللهُ كرّم بالبيان عصابةً في العالمينَ عزيزَةَ الميلاد
هوميرُ أحدثُ من قرونٍ بعدَه شعراً ، وإن لم تَخلُ من آحاد[3]
والشعرُ في حيث النفوسُ تَلَذُّه لا في الجديدِ ، ولا القديمِ العادي
حقٌّ العشيرة في نبوغِك أوّلٌ فانظر ، لعلك بالعشيرَة بادي
لم يَكفِهم شطرُ النبوغِ ، فزدهُمُ إن كنت بالشطرين غيرَ جواد
أو دَعْ لسانَك واللغاتِ ، فربَّمَا غنَّى الأصيلُ بمنطِقِ الأجداد
إن الذي ملأ اللغاتِ محاسناً جعلَ الجمالَ وسرَّه في الضاد[4]

١ قضيت : خطاب للريحاني ، والعالم الذي قضى به أيام شبابه هو أمريكا التي قام بها .
٢ لم يخترع . . . الخ : يريد أنه عالم لم يرتق في اختراعه إلى حيث يبتدع البلاغة اللسانية التي كرم الله بها العرب . وحسان : الشاعر الصحابي المعروف . وزياد : هو زياد بن أبي سفيان ، كان من أخطب العرب .
٣ هومير : شاعر يوناني قديم ، كان شعره قصصاً يضمنه وصف الأبطال والإشادة بذكرهم ، وهو صاحب الإلياذة ، يريد أن شعره – على أنه قديم – أجود من شعر الذين جاءوا بعده ، وإن كانت أيامهم لم تخل من شعراء مجيدين هم آحاد في عددهم .
٤ الضاد : اللغة العربية ، وإنما سميت كذلك لأن الضاد لا توجد في لغة سواها ، ولا يقوى أهل اللغات الأخرى على النطق بها .

المطرية تتكلم *

يا ناشرَ العلم بهذي البلادْ   وُفِّقتَ ، نشرُ العلم مثلُ الجهاد
بانيَ صروحِ المجدِ ، أنتَ الذي   تبني بيوتَ العلم في كل ناد
بالعلم سادَ الناسُ في عصرهم   واخترقوا السبعَ الطِّباقَ الشِّداد
أيطلب المجدَ ويبغي العلا   قومٌ لسوقِ العلم فيهم كساد ؟
نَـقَّادُ أعمالك مُغْلٍ لها   إذا غلا الدرُّ غلا الانتقاد
ما أصعبَ الفعلَ لمن رامه   وأسهلَ القولَ على من أراد
سمعاً لشكوايَ ، فإن لم تجد   منك قبولاً ؛ فالشكاوي تُعاد
عدلاً على ما كان من فضلكم   فالفضلُ إن وُزِّع بالعدلِ زاد
أسمعُ أحياناً ، وحيناً أرى   مدرسةً في كلِّ حيٍّ تُشاد
قَدَّمْتَ قبلي مدناً أو قُرى   كنتُ أنا السيفَ ، وكنّ النِجاد
أنا التي كنت سريراً لمن   ساد كـإدوَرْدَ زماناً وشاد[1]
قد وحدّ الخالقَ في هيكلٍ   من قبل سقراطَ ومن قبل عاد
وهـذب الهنـدُ ديانـاتِهـم   بكل خافٍ من رموزي وباد
ومن تلاميذي موسى الذي   أُوحيَ مِنْ بعدُ إليه فهاد[2]
وأرضعَ الحكمَةَ عيسى الهدى   أيامَ تُربي مهدُه والوساد[3]

* « أحس صاحب الديوان أيام كان يسكن (المطرية) بحاجة هذا البلد إلى مدرسة تهذب أبناءه ، فناشد وزير المعارف يومئذ (سعد زغلول باشا) على لسان المطرية أن يقوم بإنشاء هذا الأثر الجليل » .

١ ادورد : ملك الانجليز .

٢ موسى : النبيّ عليه السلام . وأوحى إليه : أنزل الله عليه الوحي .

٣ عيسى : ابن مريم عليه السلام .

مدرستي كانت حياضَ النُّهى | قرارةَ العرفان ، دارَ الرشاد[1]
مشايخُ اليونان يأتونها | يُلقون في العلم إليها القِياد
كنا نُسميهم بصِبيانه | وصِبيتي بالشيب أهل السداد

* * *

ذلك أمسي ، ما به ريبةٌ | ويوميَ القبة ذات العماد
أصبحتُ كالفردوسِ في ظلها | من مِصرَ للخنكا لِظِلي امتداد
لولا جُلَى زيتونيَ النَّضْرِ ، ما | أقسمَ بالزيتونِ ربُّ العباد[2]
الواحةُ الزَّهراء ذات الغنى | تُربي التي ما مثلها في البلاد
تُريكَ بالصبح وجُنح الدُّجى | بدورَ حسن ، وشموسَ اتقاد

* * *

بَنيَّ – يا سعدُ – كزُغْبِ القَطا | لا نقَّص اللهُ لهم من عِداد
إن فاتكَ النسلُ فأكْرِمْ بهم | ورُبَّ نَسلٍ بالندى يُستفاد
أخشى عليهم من أذًى رائحٍ | يجمعهم في الفجر والعصر غاد
صفيرُهُ يَسلُبني راحتي | ويمنعُ الجفنَ لذيذَ الرقاد
يعقوبُ من ذئب بكى مُشفِقاً | فكيفَ أنيابُ الحديد الحِداد ؟[3]
فانظرْ – رعاك اللهُ – في حاجهم | فنظرةٌ منكَ تُنيلُ المراد
قد بسطوا الكفَّ على أنهم | في كرم الراح كصوْبِ العِهاد
إن طُلب القسط فما منهمُ | إلا جوادٌ عن أبيه الجواد

....

١ مدرسة المطرية القديمة : إحدى مدارس العلم الكبرى عند المصريين القدماء وكان يقصدها الطلاب من بلاد اليونان وغيرها .
٢ الزيتون : شجر مثمر معروف ، وثمره يسمّى زيتوناً أيضاً ، وتسمّى به ضاحية أخرى من ضواحي القاهرة مجاورة للقبة .
٣ يعقوب : النبيّ أبو يوسف ، بكى على يوسف حين رجع إليه أبناؤه أخوة يوسف ، فأخبروه أن الذئب أكله ، وقد كان يخاف عليه هذا من قبل ، وقصة ذلك مبسوطة في كتب التاريخ الديني .

الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد

سلْ «يَلْدِزاً» ذاتَ القصورِ هل جاءها نبأُ البدور ؟[1]
لو تستطيعُ إجابةً لبكتْك بالدَّمع الغزير
أخنى عليها ما أناخ على الخَوَرْنَق والسَّدير[2]
ودها الجزيرةَ بعد إسماعيل والملكِ الكبير[3]
ذهب الجميعُ ، فلا القصورُ تُرى ، ولا أهلُ القصور
فلكٌ يدورُ سعودُه ونحوسُه بيد المدير
أين الأوانسُ في ذُرا ها من ملائكة وحور ؟[4]
المترَعاتُ من النعيمِ ، الراوياتُ من السرور
العاثراتُ من الدلالِ ، الناهضاتُ من الغرور
الآمراتُ على الولاةِ ، الناهياتُ على الصدور
الناعماتُ ، الطيباتُ العَرْفِ ، أمثالُ الزهور
الذاهلاتُ عن الزمانِ بنشوة العيشِ النضير
المشرفاتُ — وما انتقلن — على الممالكِ والبحور

١ يلدز – في لغة الترك : اسم نجم ، وقد سمّي به قصر عظيم في الآستانة ، كان يسكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه .

٢ الخورنق : قصر كان في الحيرة بالعراق للملك النعمان الأكبر أحد ملوك بني المنذر . والسدير : قصر كان بالحيرة أيضاً للمناذرة .

٣ الجزيرة : هي جزيرة الروضة في النيل شرقي القاهرة ، وكان بها قصر عظيم من قصور الخديو إسماعيل .

٤ الأوانس : جمع آنسة ، وهي الطيبة النفس . والحور : جمع حورية ، وهي المرأة البيضاء الناعمة .

من كل بلقيسٍ على كرسيٍّ عِزَّتِها الوثير[1]
أمضى نفوذاً من زُبَيْـ ـدَةَ في الإمارةِ والأمير[2]
بين الرّفارف ، والمشا رفِ ، والزخارف ، والحرير
والروض في حجم الدنا والبحرُ في حجم الغديرِ
والدرِّ مؤتلقِ السنا والمسكِ فيّاحِ العبير
في مسكنٍ فوق السِّما كِ ، وفوق غاراتِ المغيرِ
بين المعاقل ، والقَنا والخَيل ، والجمِّ الغفير
سَمَّوْهُ يَلْدِزَ ، والأُفو لُ نهايةُ النجمِ المغير

* * *

دارت عليهنّ الدَّوا ئرُ في المخادع والخدور
أمسيْن في رِقِّ العبيـ ـل وبتْنَ في أسرِ العشير
ما ينتهين من الصلا ةِ ضراعةً ومن النذور
يطْلُبن نُصرةَ ربِّهن وربُّهن بلا نصير[3]
صبغ السوادُ حَبيرَهُنَّ وكان من يَقَقِ الحُبور
أنا إن عجزتُ فإن في بُرْدَيَّ أشعرَ من جَرير
خَطْبُ الإمامِ على النّظيـ ـم يعزُّ شرحاً والنثير
عظةُ الملوك ، وعِبْرَةُ الـ أيام في الزمنِ الأخير
شيخُ الملوكِ وإن تضعـ ـضع في الفؤادِ وفي الضمير
نستغفرُ المولى لـه والله يعفو عن كثير
ونراه عند مُصابه أولى ببـاكٍ أو عَذير

١ بلقيس : ملكة سبأ من أرض اليمن ، وقصتها مع الملك سليمان مبسوطة في كتب التاريخ الديني .
٢ زبيدة : زوجة الخليفة هارون الرشيد .
٣ ربهن : سيدهن ، وهو السلطان عبد الحميد .

ونصونُــه ، ونُــجِــلُّــه بين الشماتَــةِ والــنــكير
عبدَ الحميد ، حسابُ مثـ ـلِكَ في يدِ الملكِ الغفور
سُدْتَ الـثلاثينَ الطوا لَ ، ولسْنَ بالحُكم القصير
تنهـي وتأمر ما بدا لك في الكبير وفي الصغير
لا تستشيرُ وفي الحِمى عددُ الكواكب من مُشير
كم ' سبَّحوا لك في الروا ح ، وألَّهوكَ لدى البُكور
ورأيتَـهـم لك سجـداً كسجود موسى في الحضور[1]
خفضوا الرؤوسَ ووتَّروا بالـذل أقواسَ الظـهور
ماذا دهاك من الأمو ر وكنتَ داهيةَ الأمور ؟
ما كنتَ إن حدثَتْ وجلَّتْ بــالجزوع ولا الـعَـثور
أين ' الرَّوِيَّةُ ، والأنا ةُ ، وحكمةُ الشيخ الخبير ؟
إنَّ ' القضاء إذا رمى دكَّ القواعد من ثَبير[2]
دخلوا السرير عليكَ يحـ ـتكمون في ربِّ السرير
أعْظِمْ بهم من آسريـ ـنَ وبالخليفةِ من أسير
أسدٌ هَصورٌ أنشبَ الـ ـأظفارَ في أسدٍ هَصور
قالوا : اعتزِل . قلتَ : اعتزلـ ـتُ . الحكمُ لله القدير
صبروا لـدولتكَ السنيـ ـنَ ، وما صبرتَ سوى شهور
أوذيتَ من دُستورهــم وحننتَ للحكم العسير
وغضبتَ كـالمنصورِ أو هارون في خالي العصور[3]
ضَنُّوا بِضائعِ حقِّهم وضننتَ بالدنيا الغَرور
هلا احتفظتَ به احتفا ظَ مُرحِّبٍ فرِحٍ قرير ؟

---

١ كسجود موسى في الحضور : أي حضوره حين تجلّى له الله فكلمه .
٢ ثبير : جبل معروف .
٣ أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد : من الخلفاء العباسيين .

هو حِلْيَةُ المَلِكِ الرشيـ ـدِ ، وعِصْمَةُ المَلكِ الغرير
وبــه يُـبـارَكُ في المما لكِ والملوكِ على الدهور

* * *

يٰــأيها الجيشُ الــذي لا بالدّعيِّ ، ولا الفَخور
يخفي ، فإن رِيعَ الحمى لفتَ البـريَّةَ بـالظـهور
كالليث ، يسرفُ في الفِعا لِ ، وليس يُسرف في الزئير
الخاطب الـعـلـياء بالـ أرواح غـالـيـةِ المهور
عند المُهيمن ما جرى في الحقِّ من دَمِكَ الطَّهور
يتلو الزمانُ صحيفةً غـرًّا مُـذهَّبةَ السُّطور
في مدح أنورِكَ الجريـ ء ، وفي نِيازِيكَ الجسور
يا شوكت الإسلام ، بل يا فاتحَ البلدِ العسير[1]
وابنَ الأكارم من بني عُمَرَ الكريمِ على البشير[2]
الـقـابضين على الصَّليـ ـل كجَدِّهم ، وعلى الصَّرير
هل كان جدُّك في ردا ئك يوم زحفك والكرور ؟
فـقـنصت صيّادَ الأُسو د ، وصِدتَ قنّاص النسور
وأخذتَ يَلدزَ عَنوةً ومَلكتَ عنقاء الثغور[3]

* * *

١ أنور ، ونيازي ، وشوكت : كانوا من كباد القواد في الجيش العثماني ، وكانوا على رأس الحركة التي قام بها هذا الجيش لحمل السلطان عبد الحميد على إعادة الدستور وجعله أساس الحكم في البلاد التركية .
٢ عمر : هو الخليفة عمر بن الخطاب ، كان شوكت باشا من سلالته . والبشير : من أسماء النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم .
٣ أخذ الشيء عنوة : أي قهراً . العنقاء : طير معروف الاسم مجهول الجسم ، يضرب مثلاً لكل عزيز ممتنع ، والمراد أنه ملك ثغر الاستانة الذي يشبه العنقاء في عزته وامتناعه .

المؤمـــنون بمصر يُـهـ ـدون السلامَ إلى الأمير
ويُبايعونك يا محمـ ـمدُ في الضمائر والصدور[1]
قـــد أمَّـــلوا لهلالهم حظَّ الأهلةِ في المسير
فابلـغْ بـه أوْجَ الكما ل بـقـوةِ اللهِ الـنصير
أنت الكبيرُ ، يُقلِّدو نَكَ سيفَ عثمانَ الكبير
شيـخُ الـغُـزاةِ الـفـاتحيـ ـنَ ؛ حُسامُه شيخُ الذكور
يمضي ويـغـمـد بالهدى فـكـأنـه سيف الـنـذيـر[2]
بُشرى الإمـــام محمـــد بخلافـــة الله الـقـــديـر
بُشرى الخلافةِ بـالإمـا مِ العادِلِ النزِهِ الجدير
الباعثِ الدستورَ في الـ ـإسلام من حُفَرِ القبور
أوْدَى «مـعـاويـةٌ» بـه وبعثتَه قبل الـنُّشور[3]
فـعلى الخلافـة مـنكـما نورٌ تلألأَ فوق نور

١ محمد : هو السلطان محمد رشاد الخامس الخليفة بعد السلطان عبد الحميد .
٢ النذير : من أسماء النبيّ .
٣ معاوية ابن أبي سفيان : أول ملوك الدولة الأموية ، وكان حكم الخلفاء الراشدين قبله شورى بين المسلمين ، وهي معنى حكم الدستور ، فلما أخذ معاوية الملك استقل فيه برأيه .

تهنئة*

الدهرُ جاءك باسط الأعذار فاقبلْ فأمرُ الدهرِ للأقدار
هل كنتَ تدفعُ حاضراً أو غائباً عن مصر حكمَ الواحدِ القهار؟
ذاقت نَواكَ ورُوِّعَتْ بثلاثةٍ بالداء بعد المحْلِ بعد النار[1]
ودهى الرعيةَ ما دهى فتساءلوا في كل نادٍ، أينَ ربُّ الدار؟[2]
ذكروكَ والتفتُوا لعلك مُسعِدٌ ذِكْرَ الصغير أباه في الأخطار[3]
فأسى جراحَهمُ وبلَّ صداهمُ طيبُ الرسائلِ منكَ والأخبار[4]
لهفي على مُهَجٍ غوالٍ غالها خافي الدبيب محجَّبُ الأظفار[5]
خمسونَ ألفاً في المدائن صادَهم شرَكُ الردَى في ليلةٍ ونهار[6]

* أصابت (الكوليرا) بلداً من بلاد الصعيد في غيبة أمير البلاد يومئذ . فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة يهنئه فيها بسلامة العودة ورحمة الله التي زاملتها فأدركت هذا البلد وحمته شر المغيب من هذا الوباء .

١ نواك : بعدك . المحل : الجدب ، يشير بالداء والمحل والنار ، إلى ما حدث في صيف تلك السنة من ظهور مرض الكوليرا في بعض جهات الصعيد ، ومن شرق الزرع لقلة ماء النيل ، ومن شبوب النار في جهات كثيرة من ريف البلاد .

٢ . دهى الرعية ما دهى ، أي أصابها ما أصابها .

٣ مسعد : معين . الأخطار : جمع خطر ، وهو الإشراف على الهلاك .

٤ أسى جراحهم : دواها . الصدى : العطش .

٥ اللهف : الحزن . الغوالي : جمع غالية ، الثمينة . غالها : أهلكها وأخذها من حيث لا تدري . الدبيب : المشي على هينة كمشي الطفل والنملة .

٦ المدائن : جمع مدينة . الشرك : حبائل الصيد .

ذَهبوا فليتَ ذهابَهم لعظيمةٍ مرموقةٍ في العَصرِ أو لفخار[1]
فالموتُ عند ظِلال موشا رائعٌ كالموتِ في ظِلِّ القَنا الخطَّار[2]

* * *

أهلاً بلطفِ الله بعد قضائه سكنَ القضاءُ به فليس يجاري
لما التمَسْناهُ تمثَّلَ فانجلى قمراً برأس التين للنُّظَّار[3]
عاد الأمانُ وعدتَ يا بنَ محمد والبدْرُ يجملُ عند أمن السَّاري[4]
إن شئتَ فانزلْ في القلوب كرامةً أو شئتَ في الأسماعِ والأبصار
رحُبت لمصرَ بكَ السلامةُ وانقضى ما للحوادثِ عندها من ثار[5]
فاستقبِلا صفوَ الليالي واسحبا ذيلاً على الأسواء والأكدار[6]
وانظرْ إليها نظرةً عَلَوِيَّةً يَدنو بها القاصي من الأوطار[7]
إنّ الحكومةَ من يمينك في يدٍ مأمونةِ الإيرادِ والإصدار
والأمرُ يجري في الصلاح لغايةٍ بين المرائي منكَ والأنظار[8]

---

١ مرموقة : من رمقه ، لحظه لحظاً خفيفاً أو أطال النظر إليه .
٢ ظلال : جمع ظل . موشا : قرية من أعمال الصعيد فتكت الكوليرا بأهلها في تلك السنة فتكاً شديداً . الرائع : المفزع . القنا الخطار : الرماح المضطربة .
٣ التمسناه : طلبناه . تمثّل ، من قولهم : تمثّل الشيء لفلان ، إذا حضرت صورته في ذهنه . انجلى : ظهر ووضح . رأس التين : قصر في الإسكندرية على ربوة لسان من الأرض ممتد في البحر الأبيض ، وهو مقرّ صاحب العرش في الصيف . النظار : جمع ناظر .
٤ ابن محمد : الخديو عباس . الساري : منْ يمشي عامة الليل .
٥ رحبت : اتسعت .
٦ فاستقبلا : أي أنت ومصر . الأسواء : جمع سوء . الأكدار : جمع كدر .
٧ علوية : منسوبة إلى علي جدّه . الأوطار : جمع وطر ، وهو الغرض .
٨ المرائي : جمع مرآة . الأنظار : جمع نظر .

فانصُر بهمّتِك العلومَ وأهلَها إنّ العلومَ قليلةُ الأنصار
لا يُظهرُ الكبراءُ آية عزِّهم حتى يُعِزّوا آيةَ الأفكار
فُتَّ النجومَ الزهرَ في طلب العُلا ونزلتَ فوقَ منازلِ الأقمار[1]
وظهرتَ في شرقِ البلاد وغربها كالشمس مظهرَ رِفعةٍ ووَقارِ
والأرضُ من أنوارِ ذاتك أشرقت لا تُخلِها أبداً من الأنوار
هزّتْ مناكبُها بأعظم مسلمٍ في الناسِ بعد خليفةِ المختار[2]
من مبلغٌ دارَ السعادة أنها سَعِدت بعالٍ في الملوك مَنَار[3]
أسنَى وفادتَهُ بها وأجلَّه حامي الحقيقة والحِمَى والجار[4]
بردُ الخلافةِ والسياسةُ جذوة وحمـ ـى الخلافةِ والسيوفُ عواري[5]
لك عنده ما شئت من حبٍّ ومن عطفٍ ومن نصرٍ ومن إكبار
عرشٌ على البوسفورِ معتزٌّ به عَرشٌ قوائمُه على الأنهار[6]

١ النجوم الزهر : المنيرة ، جمع أزهر . المنازل : جمع منزلة ، وهي موضع النزول .
٢ مناكبها ، أي الأرض ، وهي المواضع المرتفعة فيها .
٣ دار السعادة : الآستانة ، وكان الخديو قد زارها في تلك السنة . المنار : العلم يجعل في الطريق للاهتداء .
٤ أسنى وفادته : رفعها . والوفادة : القدوم . حامي الحقيقة : هو من يدفع عما يلزم الدفاع عنه ، والمراد السلطان عبد الحميد .
٥ برد الخلافة ، صفة لحامي الحقيقة ؛ والبرد : ضدّ الحرّ . الجذوة : الجمرة الملتهبة . الحمى : ما لا يجترأ عليه .
٦ عرش على البسفور ، المراد عرش الخلافة . والبسفور : اسم أحد بوغازي الآستانة ، وهو يصل بحر مرمرة بالبحر الأسود . والمراد بالعرش الثاني : عرش مصر .

لكَ في كتاب الدهر يا بنَ محمدٍ	طُغرى مذهَّبةٌ من الأشعارِ[1]
ودَّ الرشيدُ لو انها لزَمانِهِ	في جملة الحسناتِ والآثار[2]
ويودّ قيصرُ لو تكونُ لعصرِهِ	سمةً يتيه بها على الأعصار[3]
لا أقنع الحساد، أين مكانها	أمري إلى حَكَم من الأدهار

١ لك في كتاب الدهر ، الخطاب للخديو . الطغرى : كلمة تترية ، وهي علامة كانوا يكتبونها بالقلم الغليظ في طرف كتب الأوامر فتقوم مقام السلطان . والمراد بها هنا : شعر صاحب الديوان .

٢ الرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسي .

٣ قيصر : ملك الروم .

انتحار الطلبة *

ناشئٌ في الوَرْدِ من أيامِهِ حسبُهُ اللهُ ، أبا الوَرْدِ عثر ؟
سدَّد السهمَ إلى صدرِ الصِّبا ورماهُ في حَواشِيه الغُرَر
بيدٍ لا تعرفُ الشرَّ ، ولا صَلحَتْ إلا لتلهُو بالأُكَر
بُسِطَتْ للسمّ والحبل ، وما بُسِطت للكأْس يوماً والوتَر
غفرَ اللهُ له ، ما ضرَّه لو قضى من لذَّةِ العيشِ الوَطر ؟
لم يُمتَّع من صِبا أيامِهِ ولياليه أصِيلٌ وسَحر[1]
يَتمنى الشيخُ منه ساعةً بحجابِ السمع ، أو نورِ البصر
ليسَ في الجنةِ ما يشبهه خِفَّةً في الظلّ ، أو طيبَ قِصر
فصِبا الخلد كثيرٌ دائم وصِبا الدنيا عزيزٌ مُختَصَر

* * *

كل يوم خبر عن حَدثٍ سئِم العيشَ ، ومَنْ يَسأمْ يَذَر
عاف بالدنيا بناءً بعد ما خَطب الدُّنيا ، وأهدَى ، ومَهر
حلَّ يومَ العُرسِ منها نفسَه رحِمَ اللهُ العَرُوس المحْتَضَر
ضاقَ بالعيشةِ ذَرْعاً ، فهوَى عن شَفا اليأْسِ ، وبئسَ المُنحدَر
راحلاً في مثل أعمارِ المنى ذاهباً في مثلِ آجالِ الزّهَر

* رأى صاحب الديوان ذلك المفزع الوبيء ، الذي يفزع إليه صغار الطلبة في مصر بعد سقوطهم في الامتحانات ، فنظم لهم هذه القصيدة .

١ الأصيل : وقت ما بعد العصر إلى المغرب .

هارباً من ساحةِ العيش ، وما شارَفَ الغَمرةَ منها والغُدُر
لا أرى الأيامَ إلّا مَعْرَكاً وأرى الصِّنديدَ فيهِ من صَبر[1]
ربَّ واهي الجأْشِ فيه قَصَفُ مات بالجبن ، وأودَى بالحذَر[2]

* * *

لامه الناسُ ، وما أظلمَهم وقليلٌ من تَغاضَى أو عذَر
ولقد أبلاكَ عذراً حسناً مُرتدي الأكفانِ مُلقىً في الحُفر
قال ناسٌ : صَرْعَةٌ من قدرٍ وقديماً ظَلم الناس القَدر
ويقول الطبُّ : بل من جِنَّةٍ ورأيتُ العقلَ في الناسِ نَدَر
ويقولون : جفاءٌ راعَه من أبٍ أغلظَ قلباً من حَجر
وامتحانٌ صَعَّبتهُ وَطْأَةٌ شدّها في العلم أُستاذٌ نكِر
لا أرى إلا نِظاماً فاسداً فكَّكَ الغلمَ ، وأودى بالأُسَر ؟
مِن ضَحاياه – وما أكثرها ! – ذلك الكارهُ في غضٍّ العُمُر
ما رأى في العيش شيئاً سرَّهُ وأخفُّ العيش ما ساء وسَر
نزل العيشَ ، فلم ينزِل سوى شعبة الهمِّ ، وبَيْداءِ الفِكر
ونهارٍ ليس فيهِ غبطةٌ وليالٍ ليس فيهن سَمر
ودروسٍ لم يُذلِّل قطفَها عالمٌ إن نطقَ الدرس سَحر
ولقد تُنهِكه نهكَ الضَّنى ضَرَّةٌ منظرُها سُقْمٌ وضُر
ويلاقي نَصَباً مما انطوَى في بني العَلّاتِ من ضِغْنٍ وشر[3]
إخوةٌ ما جَمعتهم رَحِمٌ بعضُهم يمشون للبعض الخَمر
لم يرفرِفْ مَلكُ الحبِّ على أبويهم أو يُبارِكْ في الثَمر

١ الصنديد : السيد الشجاع .
٢ الواهي : الضعيف المتداعي إلى السقوط .
٣ بنو العلات بفتح العين : هم بنو أمهات شتى من رجل واحد .

خَلَقَ اللهُ من الحب الورَى ... وبنى المُلك عليه وعمَر

* * *

نَشأَ الخيرِ ، رويداً ، قتلُكم ... في الصِّبا النفسَ ضَلالٌ وخُسُرُ[1]
لو عصيتُمُ كاذبَ اليأسِ ، فما ... في صِباها ينحرُ النفسَ الضَّجَر
تُضمرُ اليأسَ من الدنيا وما ... عندها عن حادث الدُّنيا خبَر
فيم تجنون على آبائِكم ... أَلَمَ الثُّكل شديداً في الكبر ؟
وتعقّونَ بلاداً لم تَزَل ... بين إشفاق عليكم وحذر ؟
فمصابُ المُلك في شُبَّانه ... كمصاب الأرضِ في الزرع النضِر
ليسَ يدري أحدٌ منكم بما ... كان يُعطى لو تأَنّى وانتظر
رُبَّ طفلٍ برَّح البؤسُ به ... مُطِرَ الخيرَ فتيًّا ومطر
وصبيٍّ أزْرَت الدُّنيا به ... شبَّ بين العزِّ فيها والخطر
ورفيعٍ لمْ يُسوِّدْهُ أب ... مَنْ أبو الشمس ، ومن جدُّ القمر؟
فلكٌ جارٍ ، ودُنيا لم يدُم ... عندها السعدُ ، ولا النحسُ استمرّ
روِّحوا القلبَ بلذّات الصِّبا ... فكفى الشيبُ مجالاً للكدر[2]
عالجوا الحكمةَ ، واستشفوا بها ... وانشدوا ما ضلَّ منها في السِّيَر
واقرأُوا آداب مَنْ قبلكمُ ... ربَّما علَّمَ حيًّا مَنْ غبر[3]
واغنموا ما سخّر اللهُ لكم ... من جَمال في المعاني والصُّوَر
واطلبوا العلم لذات العلم ، لا ... لشـهادات وآراب أُخَر
كَمْ غُلامٍ خامل في درسه ... صار بحرَ العلم ، أُستاذَ العُصُر
ومُجِدٌّ فيه أمسى خامِلاً ... ليس فيمن غابَ أو فيمن حَضر

* * *

١ نشأ الخير : أي يا نشأ الخير . والنشأ : بفتح الشين : جمع نشء ، بسكونها ، وهو النسل .
٢ روحوا القلب : أي أنعشوه وطيبوه .
٣ من غبر : من مضى .

٥ ، شوقي ١

قاتلُ النفس – ولو كانت له – أسخطَ اللهَ ، ولم يُرضِ البشر
ساحةُ العيش إلى الله الذي جعلَ الوِرْدَ بإِذْنٍ والصَّدَر
لا تموتُ النفسُ إلّا باسمه قامَ بالموتِ عليها وقهَر
إنما يسمحُ بالروح الفتَى ساعةَ الرَّوْع إذا الجمعُ اشتجر
فهناك الأجرُ والفخرُ معاً مَنْ يَعِشْ يُحمَدْ ، ومن ماتَ أُجر

عبث المشيب

ظلمَ الرجالُ نساءهم وتعسفوا   هل للنساءِ بمصر من أنصار ؟[1]
يا معشرَ الكتاب ، أين بلاؤكم   أين البيانُ وصائبُ الأفكار ؟
أيهمُّكم عبثٌ ، وليس يهمُّكم   بنيانُ أخلاق بغير جدار ؟
عندي على ضيم الحرائر بينَكم   نبأٌ يثيرُ ضمائرَ الأحرار
مما رأيتُ وما علمتُ مسافراً   والعلمُ بعضُ فوائدِ الأسفار
فيه مجالٌ للكلام ، ومذهب   ليراعِ «باحثةٍ» و «ستِّ الدار»[2]

* * *

كثُرت على دارِ السعادة زُمْرَةٌ   من مصر ، أهلُ مَزارعٍ ويَسار
يتزوّجون على نساءٍ تحتِهم   لا صاحباتِ بُغًى ، ولا بشرار[3]
شاطرنهم نِعَمَ الصِّبا ، وسقَيْنهم   دهراً بكأْس للسرُورِ عُقَار
الوالداتُ بَنيهمُ وبناتِهم   الحائطاتُ العِرْضَ كالأسوار
الصابراتُ لضرَّة ومضرَّة   المحييـاتُ الليلَ بالأذكار

* * *

١ تعسفوا : ظلموا أو لم ينصفوا .

٢ باحثة : هي المرحومة ملك ناصف ، وكانت قد اتخذت لنفسها اسم « باحثة البادية » تذيل به مقالات كانت تذيعها بواسطة الصحف في شؤون اجتماعية ونسوية . وست الدار : اسم كانت تذيل به مقالات في الصحف أيضاً.

٣ البغى والبغاء ، مقصور وممدود : الزنى .

مِنْ كُلِّ ذي سبعين ، يكتمُ شَيْبَهُ   والشيبُ في فَوْدَيْه ضوءُ نهار[1]
يأْبى له في الشيب غيرَ سفاهة   قلبٌ صغيرُ الهمِّ والأوطار
ما حَلَّه عَطْفٌ ، ولا رِفْقٌ ، ولا   بِرٌّ بأهل ، أو هوىً لديار
كم ناهدٍ في اللاعبات صغيرةٍ   أَلْهته عن حَفَدٍ بمصر صغار
مهما غدا أو راح في جولاته   دفعته خاطبةٌ إلى سمسار[2]
شُغل المشايخ بالمتاب ، وشغلُه   بتبدُّلِ الأزواجِ والأصهار
في كلِّ عامٍ همُّه في طَفْلَةٍ   كالشمس ، إن خُطِبتْ فللأقمار
يرشو عليها الوالدين ثلاثة   لم أدر أيُّهمُ الغليظُ الضاري ؟
المالُ حَلَّل كلَّ غيرِ محلَّلٍ   حتى زواج الشِّيب بالأبكار
سَحَر القلوبَ ، فرُبَّ أُمٍّ قلبُها   من سحره حجرٌ من الأحجار
دفعت بُنَيَّتها لأشأم مضجَعٍ   ورَمَتْ بها في غُربة وإسار[3]
وتَعَلَّلَتْ بالشرع ، قلت : كذبتِهِ   ما كان شرعُ الله بالجزار
ما زُوِّجت تلك الفتاةُ ، وإنما   بيعَ الصِّبا والحسنُ بالدينار
بعضُ الزواج مذمَّمٌ ، ما بالزنا   والرقِّ إن قِيسا به من عار
فتشتُ لم أرَ في الزواج كفاءةً   ككفاءة الأزواجِ في الأعمار

* * *

أسفي على تلك المحاسنِ كلما   نُقِلت من البال إلى الدَّوّار
إن الحجابَ على فروقٍ جنةٌ   وحجابُ مصرَ وريفِها من نار
وعلى وجوهٍ كالأهلَّةِ ، رُوِّعَتْ   بعد السفور ببرقع وخمار
وعلى الذوائب وهي مِسْكٌ خولطت   عند العناق بمثل ذَوْبِ القار

---

١ الفودان : تثنية فود ، وهو معظم الرأس مما يلي الأذن ، وقيل : هو ناصية الرأس .
٢ الخاطبة : من تتوسط في تزويج الرجال من النساء .
٣ أشأم مضجع : أي أشد المضاجع شؤماً . والإسار : الأسر .

وعلى الشفاه المُحييات ، أماتها   ريحُ الشيوخ تهبُّ في الأسحار
وعلى المجالس فوق كل خَميلةٍ   بين الجبالِ وشاطىءِ محبار
تدنو الزوارقُ منه ، تُنزِلُ جؤذَراً   بقلادة ، أو شاذِناً بسوار[1]
يرفُلن في أُزُرِ الحرير تنوَّعتْ   ألوانُه ، كالزَّهر في آذار
الطاهراتُ اللَّحظِ ، أمثال المها   الناطقاتُ الجرْس كالأوتار[2]
الدهرُ فرّقَ شملهن ، فمُر به   يا ربِّ تجمعُهُ يدُ المقدار

١ الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، تشبه به الحسان لجمال عينيه . والشادن : ولد الظبية .
٢ المها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية . والجرس : الصوت .

أبو الهول *

أبا الهَوْلِ ، طالَ عليكَ العُصُرْ وبُلِّغتَ في الأرْضِ أقصى العُمُرْ
فيالِدةَ الدَّهر ، لا الدّهرُ شَـ ـبَّ ، ولا أنت جاوزتَ حد الصِّغَر[1]
إلامَ ركوبُكَ متنَ الرما لِ لِطيِّ الأصيل وَجَوْبِ السحر ؟
تُسافر منتقلاً في القرو نِ ، فأيان تُلقي غُبارَ السفر ؟
أبينكَ عَهدٌ وبين الجبا لِ ، تزولان في الموعد المنتظر ؟

* * *

أبا الهول ، ماذا وراء البقا ءِ – إذا ما تطاول – غيرُ الضجَر ؟[2]
عجبْت لِلُقمانَ في حِرصه على لُبَد والنُّسور الأُخَر[3]
وشكوى لبيدٍ لطولِ الحيا ةِ ، ولو لم تَطُلْ لتَشكَّى القِصَر[4]

....

* رفع الستار في مسرح حديقة الأزبكية يوم افتتاحه عن تمثال أبي الهول ، يناجيه رجل بهذه القصيدة .

١ « فيالدة الدهر » : فيا أخا الدهر وقرينه ، فكأنك والدهر توأمان .

٢ « ماذا وراء البقاء » . يقول : ما وراء البقاء المتطاول غير السأم . قال زهير بن أبي سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

٣ « لقمان » : هو لقمان بن عادياء ، وتزعم العرب أنه الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليستسقي لها ، فلما أهلكوا ، خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر ، من أظب عفر ، في جبل وعر ، لا يمسها القطر . أو بقاء سبعة أنسر ، كلما أهلك نسر خلف بعده نسر ، فاستحقر الأبقار وآثر النسور ، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له : يا عم ، ما بقي من عمرك إلا عمر هذا ، فقال لقمان : هذا لبد ، ولبد – بلسانهم : الدهر . قالوا : وكان يأخذ فرخ النسر ، فيجعله في حوبة في الجبل الذي هو في أصله ، فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر ، فإذا مات أخذ آخر مكانه ، حتى هلكت كلها إلا السابع ، أخذه فوضعه في ذلك الموضع وسمّاه لبداً ، وكان أطولها عمراً ، فضربت العرب به المثل فقالوا : طال الأبد على لبد .

٤ « وشكوى لبيد » : أي وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة . . . الخ ، وهو لبيد بن ربيعة ، الشاعر الجاهلي الإسلامي المخضرم ، صاحب المعلقة المشهورة التي أولها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

ولو وُجِدَتْ فيكَ يا بنَ الصَّفا ... ةِ لحقتَ بِصانِعكَ المقتدر[1]
فإن الحياةَ تفُلُّ الحديـ ... ـدَ إذا لبستْهُ ، وتُبْلي الحجَر

* * *

أبا الهول ، ما أنتَ في المُعضِلا ... تِ ؟ لقد ضلَّت السُّبْلَ فيكَ الفِكَر !
تحيَّرَتِ البدوُ ماذا تكو ... نُ ؟ وضلَّتْ بِوادي الظنونِ الحضر
فكنتَ لهم صورةَ العُنْفُوا ... ن ، وكنت مِثالَ الحِجَى والبصر
وسِرُّكَ في حُـجْبه كلما ... أطلَّتْ عليه الظنونُ استتر
وما راعهم غيرُ رأس الرجا ... لِ على هيكلٍ من ذوات الظُّفُر
ولو صُوِّروا من نواحي الطِّبا ... ع تَوالَوْا عليك سِباعَ الصُّوَر
فيا رُبَّ وجهٍ كصافي النَّميـ ... ـرِ تشابَه حامِلُه والنَّمِر[2]

* * *

أبا الهول وَيْحَكَ لا يُستقـ ... ـلُّ مع الدهر شيءٌ ولا يُحتقَر
تهزأْتَ دهراً بديك الصبا ... ح فنقَّرَ عينيك فيما نقَر[3]
أسال البياضَ وسَلَّ السَّوادَ ... وأوْغل مِنقارُه في الحفَر
فعُدْتَ كأنك ذو المَحْبِسَيْـ ... ـنِ ، قطيعَ القيام ، سَليبَ البصر
كأن الرِّمالَ على جانِبَيْـ ... ـكَ وبين يديك ذنوبُ البشر

---

١ «وجدت» أي الحياة . «يا ابن الصفا» . الصفاة : الحجر الصلد الذي لا ينبت شيئاً ، وفي المثل : فلان ما تندى صفاته ، وفي الحديث : لا تقرع لهم صفاة ، أي لا ينالهم أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة ، لأنه من الحجر .

٢ النّمير : الماء الناجع في الري ، أو النامي ، أو الكثير . والنّمر : هو ذلك الحيوان المعروف بمكره ، وخبثه ، وشراسته .

٣ ديك الصباح : يريد الزمن ، والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، وانه لتخيل شعري جميل ، ومن بارع حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبي الهول وتشويهه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما ، هو هزء أبي الهول به ، وسخريته منه ، وعدم اكتراثه له ، ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح . هذا ، ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول : أنه ورد في بعض الآثار : لا تسبوا الديكة فإنها تدعو إلى الصلاة .

كأنك فيها لواءُ الفضا ءِ على الأرضِ ، أو دَيدبانُ القدَر[1]
كأنكَ صاحبُ رملٍ يَرى خَبايا الغيوبِ خِلال السَّطَر

* * *

أبا الهول ، أنت نديمُ الزما نِ ، نَجِيُّ الأوانِ ، سميرُ العُصُر[2]
بسطت ذراعيْك من آدمٍ ووليّتَ وجهَكَ شَطرَ الزُّمَر
تُطِلُّ على عالَمٍ يستهلِ ـلُ وتُوفي على عالَم يُحتَضَر
فعينٌ إلى مَنْ بدا للوجو دِ ، وأُخرى مشيِّعةٌ من غَبَر
فحدِّث ، فقد يُهتدى بالحديـ ـثِ ، وخبِّر ، فقد يؤتَسَى بالخَبَر
ألم تَبْلُ فرعونَ في عِزِّه إلى الشمس مُعتزياً والقمر ؟
ظليلَ الحضارة في الأوليـ ـنَ ، رفيعَ البناءِ ، جليلَ الأثر
يؤسِّسُ في الأرض للغابريـ ـنَ ، ويغرِسُ للآخرين الثَّمر
وراعك ما راعَ من خيْل قَمْبيـ ـزَ ، ترمي سَنابكُها بالشرَر[3]

١ ديدبان : فارسية ، معربة ، أصلها دَيدهبان ، ومعنى ديده : العين ، وبان : أي ذو ، أي الرقيب والعين ، ومعناها الخاص الجندي المكلف بالحراسة .

٢ نجي الأوان : النجي بوزن فعيل : الذي تساره ، وفي الحديث : اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك ، وهو الناجي المحدث للإنسان .

٣ «قمبيز» : هو ابن كورش الأكبر الذي أسس دولة الفرس العظيمة ، ومعلوم أن الفرس من الدول التي غزت مصر ، واستولت عليها حيناً من الدهر ، قال المؤرخون : أخذ الفرس في غزو مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين ، وذلك حين ولي الملك «أبسمتيك الثالث» أحد ملوك هذه الأسرة ، فأعد الفرس لهذه الغزاة المعدات الكبيرة ، وجاء ملكهم «قمبيز» بجيش جرار ، لفتح البلاد التي طالما تاقت نفس أبيه كورش إلى إخضاعها ، وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية في المنعة . يقول مؤرخو الإغريق : أن أحد الجنود اليونانية ، هو الذي خان مصر والمصريين ، ودل الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد . فهوجمت مدينة «بلوز» (الفرما) بحراً ، وزحفت الجنود الفارسية على مصر برًّا ، وبعد مقاومة عنيفة من جهتي بلوز ومنف ، سقطت البلاد ، وأخذ قمبيز أبسمتيك أسيراً ، وكان ذلك سنة ٥٢٥ ق.م ، ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة ، وعامل المصريين معاملة طيبة ، يحترم دياناتهم وتقاليدهم ، ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر ، وحنق على البلاد ومن فيها ، فكر على المعابد والهياكل ، فهدمها ، وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة ، وعند عودته إلى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق.م.

جوارفُ بالنارِ تغزو البلا دَ ، وآونةً بالقنا المشْتَجِر
وأبصرْتَ إسكندراً في المَلا قَشيبَ العلا في الشباب النَّضِر
تبلَّجَ في مِصرَ إكليلُه فلم يَعْدُ في المُلْك عُمْرَ الزَّهَر
وشاهدتَ قيصرَ ، كيف استبـ ـدَّ ، وكيف أذلَّ بمصرَ القَصَر ؟
وكـيف تجبَّـرَ أعوانُـه وساقوا الخلائقَ سَوْقَ الحُمُر ؟
وكيف ابتُلوا بقليل العديـ ـدِ من الفاتحين كريم النفَر ؟
رَمى تاجَ قيصرَ رَمْيَ الزُّجا ج ، وفَلَّ الجموعَ ، وثَلَّ السُّرُر
فدع كلَّ طاغيةٍ للزما نِ ، فإن الزمانَ يُقيم الصَّعَر[1]
رأيتَ الدّياناتِ في نظْمِها وحينَ وَهَى سِلكُها وانتثر
تُشاد البيوتُ لها كالبرو ج ، إذا أخَذَ الطَّرْفُ فيها انحسر
تَلاقى أساساً وشُمَّ الجبا لِ ، كما تتلاقى أُصولُ الشجر
وإيزيسُ خلْفَ مقاصيرِها تخطَّى الملوكُ إليها السُّتُر
تضيء على صفحات السما ءِ ، وتُشرِقُ في الأرض منها الحُجَر
وآبيسُ في نِيرِه العالمو ن ، وبعضُ العقائدِ نِيرٌ عسِر[2]
تُساس به مُعْضِلاتُ الأمو ر ، ويُرجى النعيمُ ، وتُخشَى سقر
ولا يشعُر القومُ إلا به ولو أخذته المُدي ما شعر
يَقِلُّ أبو المسكِ عَبداً له وإن صاغَ أحمدُ فيه الدُّرَر[3]
وآنستَ موسى وتـابوتَـه ونورَ العصا ، والوصايا الغُرَر[4]

١ الصعر : ميل في العنق وانقلاب في الوجه .
٢ وآبيس : هو العجل أبيس ، رووا أن تيفون إله الشر تغلب أخيراً على أوزيريس إله الخير وقتله ، فتقمصت روحه جسد عجل ، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقي .
٣ أبو المسك : كافور الأخشيدي «وأحمد» : أبو الطيب المتنبي .
٤ التابوت الذي وضع فيه موسى وقذف به في النيل ، وعصا موسى وما كان منها من الآيات ، والوصايا العشر .

وعيسى يَلُمُّ رداء الحيا ء ، ومريم تجمع ذيلَ الخَفَر
وعمرو يسوقُ بمصرَ الصِّحا بَ ، ويُزْجي الكتابَ ، ويحدو السُّوَر
فكيف رأيتَ الهُدى ، والضَّلا لَ ، ودنيا الملوكِ ، وأُخرى عُمَر ؟
ونبْذَ المُقَوْقِسِ عهدَ الفُجو ر ، وأخذَ المقوقِس عهدَ الفجر[1]
وتبديلَه ظلماتِ الضلا لِ بصبح الهداية لما سَفر
وتأليفَه القِبَطَ والمسلمي ن كما أُلِّفَتْ بالولاءِ الأُسَر
أبا الهول ، لَو لم تكن آيةً لكان وفاؤك إحدى العِبر
أطلتَ على الهرمين الوقو فَ ، كثاكلة لا تَريم الحفر
تُرجِّي لبانيها عودةً وكيف يعودُ الرميم النَّخِر ؟
تجوس بعين خِلالَ الديا رِ ، وترمي بأُخرى فضاء النهر
تَرومُ بمنفِيس بيضَ الظُّبا وسُمْرَ القنا ، والخميسَ الدثِر
ومَهْدَ العلومِ الخطيرَ الجلا لِ ، وعهدَ الفنون الجليلَ الخَطر
فلا تستبين سوى قريةٍ أجَدّ محاسنها ما اندثر
تكاد لإغراقِها في الجمو دِ إذا الأرض دارتْ بها لم تدُر
فهل مَنْ يبلِّغ عنا الأصو لَ بأن الفروعَ اقتدت بالسير ؟
وأنّا خَطبنا حِسانَ العلا وسقنا لها الغاليَ المدخَر
وأنّا ركبنا غمارَ الأمو رِ ، وأنّا نزلنا إلى المؤتمر
بكل مُبينٍ شديد اللدا د ، وكل أريبٍ بعيد النظر
تطالب بالحق في أُمة جرى دَمُها دونه وانتشر
ولم تفتخر بأساطيلها ولكن بدستورها تفتخر
فلم يبقَ غيرُك من لم يخَفْ ولم يبقَ غيرُك من لم يَطر

---

[1] « المقوقس » : هو سيروس ، بطريرك الطائفة الملكانية بالإسكندرية ، والحاكم الإداري بمصر من قبل الرومان ، والذي فتح عمرو بن العاص مصر في عهده .

تحرَّكْ أبا الهَول ، هذا الزما نُ تحرّك ما فيه ، حتى الحجر

* * *

«فلما أتمها أجابه آخر كان يختفي وراء التّمثال وينطق بلسانه» :

نَجيَّ أبي الهول: آن الآوا نُ ، ودان الزمانُ ، ولانَ القدر
خبأْتُ لقومِك ما يستقو نَ ، ولا يَخبأُ العذبَ مثلُ الحجر
فعندي الملوكُ بأعيانِها وعندَ التوابيتِ منها الأثر
محا ظلمةَ اليأْس صُبحُ الرجا ءِ ، وهذا هو الفَلَقُ المنتظَر

« ثم انشق صدرُ أبي الهول عن فتى وفتاة ، مَثَلا أمامَه ، وأنشدا هذا النشيد » :

اليوم نَسود بوادينا ونُعيد محاسنَ ماضينا
ويشيدُ العزّ بأيدينا وطنٌ نَفديه ويَفدينا
وطنٌ بالحقّ نُؤيِّدُه وبعين الله نشيِّده
ونحسِّنُه ، ونزيِّنُه بمآثـرنـا ومسـاعيـنـا
سرٌّ التاريخ ، وعُنصرُه وسريرُ الدهرِ ومِنبرُه
وجِنانُ الخلد ، وكوثرُهُ وكفى الآباءُ رياحينا
نتخذُ الشمسَ له تاجا وُضُحاها عرشاً وهاجا
وسماء السُّؤدَدِ أبراجا وكذلك كان أوالينا
العصرُ يراكُمْ ، والأمم والكرنك يلحظُ ، والهرمُ
أبني الأوطان ألا هِمَمُ كبناءِ الأولِ يبنينا ؟
سعياً أبداً ، سعياً سعياً لأثيل المجد وللعَلْيا
ولنجعلْ مصرَ هي الدنيا ولنجعل مصر هي الدينا

مملكة النحل

مملكةٌ مُدبَّرَهْ بامرأةٍ مُؤمَّره
تحملُ في العمال والصناعِ عبءَ السيطره
فاعجب لعمالٍ يُو لُون عليهم قَيْصَره
تحكمهم راهبةٌ ذكَّارةٌ مُغبِّرهْ[1]
عاقدةٌ زُنَّارَها عن ساقها مُشمَّره
تلَثمت بالأرجوا نِ ، وارتدته مئزره
وارتفعت كأنها شرارةٌ مُطيَّره
ووقعت لم تختلج كأنها مُسمَّره

* * *

مخلوقةٌ ضعيفةٌ من خُلُق مُصوَّره
يا ما أقلَّ ملكَها وما أجلَّ خطره
قف سائل النحلَ به بأيِّ عقل دبَّره ؟
يُجبكَ بالأخلاقِ وهـ ي كالعقولِ جوهره
تغني قوي الأخلاق ما تغني القوى المفكِّره
ويرفعُ اللهُ بها مَن شاء ، حتى الحشره

* * *

أليس في مملكة النحلِ لقومٍ تَبْصِره ؟

....

١ التغبير : ترديد الصوت بالقراءة .

مُلكٌ بناه أهلُهُ بهمةٍ ومَجْدَره
لو التَمست فيه بطًّا لَ اليدين ؛ لم ترَه
تُقتلُ ، أو تنفى الكُسا لَى فيه غيرَ مُنْذَره
تحكم فيه قيصرة في قومها موقَّره
من الرجالِ وقيو دِ حُكمِهم مُحرَّره
لا تورثُ القومَ ولو كانوا البنينَ البرَره
الملكُ للاناثِ في الدّ ستور ، لا للذكره
نبِّرةٌ تنزلُ عن هالتها لنيِّرهْ
فهل تُرى تخشى الطِّما عَ في الرجال والشرَّه ؟
فطالما تلاعبوا بالهَمَج المصيَّره
وعبروا غفلتها إلى الظهور قنطره
وفي الرجال كرمُ الضعفِ ، ولؤمُ المقدره
وفتنةُ الرأْي ، وما وراءها من أثَرَه
أُنثى ، ولكن في جنا حَيْها لَباةٌ مُخدِرَه[1]
ذائدةٌ عن حوضِها طاردةٌ مَن كدّره
تقَلَّدتْ إبرتَها وادّرعتْ بالحبَرَه
كأنها تُركيَّة قد رابطت بأنقره
كأنها جاندرك في كتيبةٍ مُعسكِره
تَلقى المُغير بالجنو دِ الخُشُن المنمَّره
السابغين شِكَّةً البالغين جَسَرَه[2]
قد نَثرتهم جُعبةٌ ونفضتهم مِثبره[3]

---

١ اللباة : اللبؤة .
٢ الشكة : السلاح .
٣ المثبرة : بيت الابرة .

مَن يَبن مُلكا أو يذُد		فبالقنا المجرّره
إن الأمورَ هِمَّةٌ		ليس الأمورُ ثرثره
ما الملكُ إلا في ذرى الـ		ـألوية المُنشَّره
عرينُهُ مُذْ كان لا		يحميه إلا قَسوَره[1]
رَبُّ النيوب الزُّرْقِ، والـ		ـمخالبِ المذكَّره

* * *

مالكةٌ ، عاملةٌ		مُصلحةٌ ، مُعمِّره
المالُ في أتباعها		لا تَستبينُ أثره
لا يعرفون بينهم		أصلاً له من ثمره
لو عَرفوه عرفوا		من البلاءِ أكثَره
واتخذوا نقابةً		لأمرهم مسيّره
سبحان من نزَّه عنـ		ـهُ ملكهم وطهَّره
وساسه بحُـرّةٍ		عاملةٍ ، مسخره
صاعدةٍ في معملٍ		من معملٍ مُنحدِره
واردةٍ دَسْكَـرةً		صادرةٍ عن دسكره[2]
باكرةٍ ، تستنهضُ الـ		ـعصائب المبكره
السامعين ، الطائعيـ		ـنَ ، المحسنين المهَرَه
من كلّ مَن خطَّ البنا		ء ، أو أقام أسْطُره
أو شدّ أصلَ عقدِهِ		أو سدّه ، أو قوّره
أو طاف بالماءِ على		جـدرانـه المجدّره

* * *

١ القسورة : الأسد .
٢ الدسكرة : القرية .

وتذهب النحلُ خِفا فاً ، وتجيءُ مُوقَره
حوالبَ الشمع من الـ ـخمائــــلِ المنوّره
جوالب الماذِيٍّ من زهر الرياض الشيّره[1]
مشدودةً جيوبُها على الجَنى مُزرَّره
وكلٌّ خُرطومٍ أدا ةُ العسلِ المُقطِّره
وكل أنف قانيءٍ فيه من الشُّهد بُرَه[2]
حتى إذا جاءت به جاستْ خلالَ الأدوره[3]
وغيبتْه كالسُّلا ف في الدِّنانِ المحضره[4]
فهل رأيتَ النحلَ عن أمانةٍ مُقصِّره ؟
ما اقترضت من بَقلةٍ أو استعارت زَهَرَه
أدّت إلى الناس به سُكَّرةً بسكره

---

١ الماذي : العسل . والشيرة : الجميلة الحسنة .
٢ البرة : الحلقة في الأنف .
٣ الأدورة : الديار ، يراد بها الخلايا هنا .
٤ السلاف : أفضل الخمر .

في سبيل الهلال الأحمر

جبريلُ ، هلّلْ في السماءِ ، وكبِّرِ واكتبْ ثوابَ المحسنينَ وسطِّرِ
سلْ للفقيرِ على تكرُّمِهِ الغنى واطلب مزيداً في الرخاءِ لمُوسِرِ
وادع الذي جَعَل الهلالَ شِعارَه يفتحْ على أُمَمِ الهلالِ وينصرِ
وتولَّ في الهيجاءِ جندَ محمَّد واقعدْ بهم في ذلك المستمطَرِ
يا مِهرجانَ البرِّ ، أنت تحيةٌ لله من ملإٍ كريمٍ خيِّرِ
هم زينوكَ بكلِّ أزهر في الدّجى والله زانَكَ بالقَبول الأنْورِ
حُسنتْ وجوهُك في العيونِ وأشرقتْ من كلِّ أبلجَ في الأكارمِ أزهرِ
كثُرتْ عليك أكفُّهم في صَوْبِها فكأنها قِطَعُ الغمامِ المُمطِرِ
لو يعلمونَ السوقَ ما حسناتُها ؟ بيع الحصى في السوقِ بَيْعَ الجوهرِ
جبريلُ يَعرضُ ، والملائكُ باعةٌ أينَ المساوِمُ في الثوابِ المشتري ؟
ومجاهدين هناكَ عند مُعسكرٍ ومن المهابةِ بين ألفِ معسكرِ
مُوفين للأوطانِ بين حياضِها لا يسمحون بها وبين الكوثرِ
عرَبٌ على دينِ الأُبوّة في الوغى لا يطعنون القِرْن ما لم يُنْذَرِ
ألِفوا مصاحبةَ السيوفِ ، وعُوِّدوا أخذَ المعاقلِ بالقنا المتشجِّرِ
يمشون من تحت القذائفِ نحوَها لا يسألونَ عن السعيرِ المطرِ
في أعيُنِ الباري ، وفوق يمينه جَرْحَى نُجِلُّهمُ ، كجرحى خَيْبَرِ
من كلِّ ميمونِ الضِّمادِ ، كأنما دمُ أهل بدرٍ فيه ، أو دَمُ حَيْدَرِ[1]

[1] الحيدر : الأسد ، ولقب من ألقاب الإمام علي بن أبي طالب .

جذلانُ ، هَيِّنَةٌ عليه جِراحهُ	وجِراحهُ في قلبِ كلِّ غضنفر
ضُمِدَتْ بأهدابِ الجفونِ ، وطالما	ضُمدتْ بأعراف الجياد الضُّمَّر
عُوّادُه يتمسّحون بِرُدْنه	كالوفد مَسَّحَ بالحطِيم الأطهر
وتكادُ من نور الإله جِباله	تبيضُ أثناءَ الهلال الأحمر

* * *

يا بنتَ إلهامي دعاءَ معظِّمٍ	لسماء عزكِ في البريّةِ مُكبِرِ[1]
توفيقُ مصرَ وأنتِ، أصلٌ في الندى	وفتاكما الفَرْعُ الكريمُ العُنصُرُ[2]
أنتم جمالُ الشرقِ زَيْنُ ملوكِه	لا زالَ بيتُكُم جمالَ الأعصُرِ
لكُم الندَى، آثارُه وحديثُه	شُغْلُ السميعِ ونورُ عين المُبصِرِ
النّيلُ فَجَّرَ مَشرَعَيْنِ وعَيْلماً	وتفجَّرت يمناكِ خمسة أبحر[3]
أحيَيْتِ في فضلِ الملوكِ وعزِّهم	ما ماتَ من أُمِّ الخليفةِ جعفر
إنَّ الذي قد ردَّها وأعادَها	في بردَتَيْكِ أعادَ فيَّ البُحتري
فنظمتُ ما نثَرَتْ يمينُكِ شاكراً	لا يَحسُنُ الإحسانُ ما لم يُشكَرِ
إني رأيتُ على الرجالِ مظاهراً	فعلمتُ أنّ الفضلَ كلُّ المظهرِ
وعلمتُ أنّ من النساء ذخيرةً	غيرَ الثناء لنفسِها لم تَدخَرِ
لما تولّيتِ الهلالَ رفعتِه	بين السُّها شرفاً وبين المُشتري
ولكم دعوتِ نساءَ مصرَ لصالح	فنهضنَ فيه يقلنَ عائشةُ أؤمري
فكأنهنّ عقائلٌ من هاشمٍ	وكأنكِ الزهراءُ فوق المِنبر

---

١ بنت إلهامي : هي صاحبة السموّ أم المحسنين ووالدة الخديو عباس الثاني .

٢ توفيق : يقصد به الخديو توفيق . وفتاكما : الخديو عباس .

٣. المشرع : المورد ، ويراد به هنا فرع النيل . والعيلم : البحر والمراد بالأبحر الخمسة : أصابعها الخمسة .

الأزهر *

قمْ في فَمِ الدُّنيا وحَيِّ الأزهرا   وانثُرْ على سَمْعِ الزَّمانِ الجوهرا
واجعل مكانَ الدرِّ – إنْ فصَّلته   في مدحِهِ – خَرَزَ السماءِ النيِّرا
واذكرْه بعد المسجِديْن ، مُعظِّماً   لمساجِدِ الله الثلاثة مُكْبِرا[1]
واخشع مَليًّا ، واقضِ حقَّ أئمَّةٍ   طلعوا به زُهْراً ، وماجوا أبحُرا
كانوا أجلَّ من الملوكِ جلالةً   وأعزَّ سلطاناً ، وأفخمَ مظْهرا
زمنُ المخاوِفِ كان فيه جَنابُهم   حَرَمَ الأمان ، وكان ظِلُّهمُ الذَّرا
من كلِّ بحرٍ في الشريعة زاخرٍ   ويُرِيكهُ الخُلُقُ العظيمُ غضنفرا
لا تَحْذُ حذْوَ عِصابةٍ مفتونةٍ   يجدون كل قديم شيءٍ منكرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا   من مات من آبائِهم أو عُمِّرا
من كلِّ ماضٍ في القديم وهَدْمِهِ   وإذا تقدَّم للبناية قصَّرا
وأتى الحضارةَ بالصناعةِ رَثَّة   والعلمِ نَزْراً ، والبيانِ مُثَرْثِرا[2]

* * *

يا معهداً أفنى القرونَ جدارُه   وطَوى الليالي رَكْنُهُ والأعْصُرا
ومشى على يَبَسِ المشارِقِ نُورُه   وأضاء أبيضَ لُجِّها والأحمرا
وأتى الزمانُ عليه يحمي سُنَّةً   ويذُودُ عن نُسُكٍ ، ويمنع مَشْعَرا[3]

---

* قيلت هذه القصيدة بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف والبدء فيه في سنة ١٩٢٤ .

١ المسجدان : المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

٢ النزر : القليل . والمثرثر : المخلط .

٣ النسك : العبادة . والمشعر : موضع من مناسك الحج .

في الفاطميين انتمى ينبوعُه عذبَ الأُصول كجَدّهم متفجِّرا[1]
عينٌ من الفرقان فاض نَميرُها وحياً من الفصحى جَرَى وتحدّرا[2]
ما ضرَّني أن ليس أُفقُكَ مَطلعي وعلى كواكِبه تعلمتُ السُّرى
لا والذي وكلَ البيان إليكَ ، لم أكُ دون غاياتِ البيانِ مُقصِّرا
لما جرى الإصلاحُ قمت مُهنئاً باسمِ الحنيفةِ بالمزيد مُبشرا[3]
نَبأٌ سَرَى ، فكسا المنارةَ حَبْرَةً وزها المُصلَّى ، واستخفَّ المِنبَرا[4]
وسَما بأرْوِقَةِ الهُدى ، فأحلَّها فرعَ الثُّرَيَّا ، وهي في أصل الثرى
ومشى إلى الحلقاتِ ، فانفرجَتْ له حلقاً كهالاتِ السماءِ مُنَوّرا
حتى ظنَنَّا الشافِعيّ ، ومالكاً وأبا حنيفة ، وابن جنبل حُضَّرا
إنَّ الذي جعل العتيقَ مثابةً جعل الكنانيَّ المباركَ كوثرا[5]
العلمُ فيه مناهلاً ومجانياً يأتي له النُّزاعُ يبغون القِرى

* * *

اللهُ أكبرُ يا بنَ اسماعيلَ لم تَترُكْ لصُنَّاعِ المآثرِ مَفْخَرا
بالأمسِ تُنهِضُ مِصْرَ في دُستورها واليومَ تُنْهِضُ للسُّماكِ الأزهرا
مِننٌ على الوادي السعيدِ، تقلَّبَتْ أعْطافُهُ في وَشْيِهِنَّ مُنشَّرا
حرَّكْنَ فيه النيلَ قبلَ وفائِهِ فوَفَى، وهيَّجْنَ الرَّبيعَ فبَكَّرا
الأزهَرُ المعمور قُلِّدَ حُرَّةً لك في الهِباتِ حَرِيَّةً أن تَشْكَرا
أرْعيته عينَ العِنايةِ مُصْلِحاً وأجَلْتَ فيه يدَ البِناءِ مُعَمِّرا

١ جد الفاطميين : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقد كان مضرب المثل في التبحر في العلوم .
٢ الفرقان : القرآن . والحيا : المطر . والفصحى : اللغة العربية .
٣ الحنيفة : الشريعة .
٤ المنارة : المئذنة .
٥ العتيق : المسجد الحرام .

وَعْدٌ وَعَدْتَ له، بوادِرُ صِدْقِهِ كالبَرْقِ لم يَفْتَرَّ حتى أمْطَرا
وبلغْتَ بالمعروفِ غايةَ صَفْوِهِ أيكونُ معروفُ المُلوكِ مكدَّرا؟
لم تَبْغِ بالضعفاءِ عُدْواناً ولم تقذِفْ على حَرَمِ الشريعة عسْكَرا

* * *

نَظَراً وإحْساناً إلى عُميانِهِ وكُنِ المَسيحَ مُداوِياً ومُجَبِّرا
واللهِ ما تدري: لعلَّ كَفيفَهم يوماً يكونُ أبا العَلاءِ المُبصِرا
لو تَشْتَريهِ بنصْفِ مُلكِكَ لم تَجِدْ غُبْناً، وجلَّ المُشْتَري والمُشْتَرى
إن فاتهم من نور وجهِك فائتٌ لم يَعدَموا لوجوهِ برِّكَ مَنْظَرا
لَمسوا نَداك كمَنْ يشاهِد مُزْنَةً ويدُ الضَّريرِ وراءها عينٌ ترى[1]
زِدْهُمْ أبا الفاروقِ إنَّك خيِّرٌ من خيِّرٍ وَلَدَ الكريمَ الخيِّرَا

* * *

يا فِتيةَ المعمورِ ، سار حديثُكم نَدًّا بأفواهِ الركاب وعَنبَرا
المعهدُ القدسيُّ كان نديُّه قُطباً لدائرة البلاد ومِحْوَرا
وُلِدَتْ قضيَّتُها على محرابِه وحَبَتْ به طفلاً ، وشبَّتْ مُعصِرا
وتقدمت تُزجِي الصفوفَ ، كأنها جانْدَرْكُ في يدها اللواءُ مُظَفَّرا

* * *

هُزُّوا القرى من كهفِها ورَقيمِها أنتم – لعمرُ اللهِ – أعصابُ القرى
الغافِلُ الأُمِّيُّ ينطقُ عندكم كالبَبَّغاءِ ، مردِّداً ، ومُكرِّرا

....

١ المزنة : السحابة الممطرة .

يُمسي ويصبحُ في أوامِرِ دينهِ ... وأُمور دنياه بكم مُستبصِرا

لو قلتم : اخترْ للنيابة جاهلاً ... أو للخطابةِ باقلاً ؛ لتخيّرا[1]

ذُكِرَ الرجالُ له ، فألّهَ عصبةً ... منهم ، وفسّق آخرينَ ، وكفَّرا

آباؤكم قرأوا عليه ، ورتّلوا ... بالأمس تاريخَ الرّجال مُزوَّرا

حتى تلفّتَ عن محاجر رومةٍ ... فرأى عرابي في المواكب قَيْصَرا

ودعا لمخلوقٍ ، وألّهَ زائلاً ... وارتدّ في ظُلَمِ العصور القهقرى

وتَفَيَّأوا الدستورَ تحت ظِلالهِ ... كنفاً أهَشَّ من الرّياض وأنضرا

لا تجعلوه هوًى ، وخُلْقاً بينكم ... ومَجَرَّ دنيا للنفوسِ ، ومَتْجَرا

اليومَ صَرَّحَتِ الأُمورُ ، فأظهرتْ ... ما كان من خُدَعِ السياسة مُضمرا

قد كان وَجْهُ الرأْي أن نبقى يداً ... ونرى وراء جنودِها إنكلترا

فإذا أتتنا بالصفوف كثيرةً ... جئنا بصفٍّ واحدٍ لن يُكسَرا

غضِبتْ ، فغضَّ الطرفَ كلٌّ مُكابِرٍ ... يلقاكَ بالخدِّ اللطيم مُصعَّرا

لم تلقَ إصلاحاً يُهابُ ، ولم تجِد ... من كُتلةٍ ما كان أعيا مِلْنَرا[2]

حَظٌّ رجونا الخيرَ من إقباله ... عاث المُفرِّقُ فيه حتى أدبرا

دار النيابة هيئت درجاتُها ... فليرْق في الدرَجِ الذوائبُ والذُّرا

الصارخون إذا أُسيء إلى الحِمَى ... والزائرون إذ أُغيرَ على الشرى

لا الجاهلون العاجزون ، ولا الأُلى ... يمشون في ذَهَب القيود تبَختُرا

١ باقل : عربي يضرب به المثل في العي والفهاهة .

٢ اللورد ملنر : هو أحد الوزراء الانجليز ، وكان قدم إلى مصر في جماعة من قومه سنة ١٩٢٠ ليتقصوا رغائبها وآمالها ، فقاطعتهم البلاد وأحالتهم على الوفد المصري الذي كانت وكلته في الدفاع عن حقها أنذاك .

الجامعة*

يا باركَ اللهُ في عباس مِن مَلِكٍ ... وباركَ اللهُ في عمات عباس
ولا يَزَلْ بيتُ إسماعيلَ مرتفعاً ... فرعٌ أشمُّ وأصلٌ ثابتٌ راس
وبارك اللهُ في آساسِ جامعةٍ ... لولا الأميرةُ لم تُصبحْ بآساسِ
يا عمةَ التاجِ ما بالنيلِ من كرمٍ ... إن قيسَ بحرُكُمُ الطامي بمقياس
لم تسكُبِ التبرَ يُمناه ولا قذفتْ ... كرائمَ الدرّ والياقوتِ والماس
ولا بنى الدارَ بالعرفانِ زاهيةً ... زهوَ السماء بمصباحٍ ونبراس
كانت على الأمسِ أدراساً معالمُها ... واليومَ تبدو قياماً غيرَ أدراس[1]
كسوتها وهي أهلٌ للذي لَبِستْ ... كما كسا جنباتِ الكعبةِ الكاسي
شمائلٌ كان إسماعيلُ معدنَها ... قد يَخرُجُ الفرعُ شبهَ الأصل للناس
ما الخيزرانُ وما ابناها وما وهبا؟ ... وما زبيدةُ بنتُ الجود والباس[2]
سكينة العلم في الفردوس ضاحكةٌ ... إليكِ تخطرُ بين الورد والآس
تقولُ: مصرُ من الزهراء مُشرِقةٌ ... كأن أيامَها أيامُ أعراسِ
فما كصُنعِكِ صنعٌ في محاسنه ... ولا لفضلِكِ في الأجيالِ من ناس

* * *

---

* ألقيت هذه الأبيات في دار الجامعة المصرية يوم الاحتفال بافتتاحها . وقد كان الفضل في إنشائها لصاحبة السموّ المرحومة الأميرة فاطمة إسماعيل .

١ الأدراس : البالية .

٢ أي ماذا يكون هؤلاء إذا قيسوا إليكم في الكرم والجود .

يا بانيَ المجدِ وابنَ المولَعينَ به		أنشرْ ضياءَ الهدَى من طيّ أرماس[1]
وألقِ في أرضِ منفٍ أسَّ جامعةٍ		من نورها تهتدى الدنيا بنبراس
وانفُضْ عن الشرقِ يأساً كاد يقتله		فلا حياةَ لأقوامٍ مع الياس
ترك النفوسِ بلا علمٍ ولا أدب		تركُ المريض بلا طبٍّ ولا آس
ملوكُ مصرَ كرامُ الدهر إن جُمِعوا		رأسَ، وبيتكُم تاجٌ على الراس
سبحانَ من تبعثُ الدُّولاتِ قدرتُه		بغدادُ مصرُ، وأنتم آلُ عباس

١ الخطاب ، للخديو عباس . والأرماس : القبور .

وداع فروق وتهنئة العيد

تجلدَ للرحيل ، فما استطاعا   وداعاً جنَّةَ الدنيا وداعا[1]
عسى الأيامُ تجمعني ، فإني   أرى العيشَ افتراقاً واجتماعا
ألا ليتَ البلادَ لها قلوبٌ   – كما للناسِ – تنفطرُ التياعا
وليتَ لدى فروقٍ بعضَ بَثِّي   وما فعل الفراقُ غداةَ راعا
أما واللهِ ، لو علِمتْ مكاني   لأنطقت المآذنَ والقلاعا
حَوَتْ رِقَّ القواضب والعَوالي   فلما ضفتُها حوت اليَراعا[2]
سألتُ القلبَ عن تلك الليالي   أكُنَّ لياليَاً أم كُنَّ ساعا ؟
فقال القلبُ : بل مرَّت عِجالاً   كدقَّاتي لذكراها سِراعا
أدارَ محمدٍ وتراثَ عيسى   لقد رَضِياكِ بينهما مشاعا[3]
فهل نبذ التعصُّبَ فيكِ قومٌ   يمد الجهلُ بينهم النِزاعا ؟
أرى الرحمٰنَ حصَّنَ مسجديه   بأطولِ حائط منكِ امتناعا
فكنتِ لبيته المحجوجِ ركناً   وكنتِ لبيتِه الأقصى سِطاعا[4]
هواؤكِ والعيونُ مُفجَّرات   كفى بهما من الدنيا متاعا[5]
وشمسُكِ كلما طلعتْ بأُفْقٍ   تخطَّرتِ الحياةُ به شُعاعا

١ تجلد : تكلف الجلد وأظهره . والجلد : قوة الصبر .
٢ القواضب : السيوف القاطعة ، مفردها : قاضب .
٣ المشاع (بفتح الميم وضمها) : المشترك غير المقسوم .
٤ السطاع : عمود البيت .
٥ العيون : هي عيون الماء .

وغِيدُك ، هنّ فوق الأرض حورٌ أوانسُ ، لا نقابَ ولا قِناعا
حَوالَيْ لُجَّةٍ من لازَوَرْدٍ تعالى اللهُ خَلْقاً وابتداعا
يروح لُجَيْنُها الجاري ويَغدو على الفِردوسِ آكاماً وقاعا[1]

* * *

ودارٍ للأميرِ على جبوقلي كهمتِه عُلوًّا وارتفاعا[2]
بناها مستهامٌ بالمعالي وبالحَسنات يبنيها تِباعا
ركبنا الكهرُباء لها فسَارت تسابقُ في السماواتِ السِّباعا
رأيتُ بها بِساط الريح يَجري وكنتُ أجِلُّ آيته سَماعا
أُجالِسُ مثلَ مُجريه مقاماً وحظًّا في الممالك واتساعا
أرى عزَّ الرشيد وكيف يُبنى وكيفَ يَحوزُ في الشُّهْبِ الضِّياعا[3]
بلغْنا ذِروةً في الأُفْقِ طالتْ فما تَركَتْ لأنْجُمِهِ طَماعا[4]
نظرتُ على السماءِ مكانَ عيسى فلم أرَ بيننا إلاّ ذِراعا
وشارفت الأديمَ الطهرَ حولي أرى أثر البُراقِ زكا وضاعا[5]
وبحرٍ كالمكارمِ من أميري إذا رفع العفاةُ لها شِراعا[6]
رَكبنا متنَ زاخرِهِ نُوافي خِضَمًّا زاخراً ملكاً مُطاعا[7]

---

١ لجينها : أي اللجة . واللجين : الفضة . والآكام : التلال . والقاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام .

٢ الأمير ، هو الخديو عباس . جبوقلي : ناحية في الآستانة .

٣ الضياع : جمع ضيعة ، وهي الأرض المغلّة .

٤ الذروة : أعلى الشيء . الطماع (بفتح الطاء) : الحرص على الشيء .

٥ شارفت الأديم ... الخ : قاربته ودنوت منه . البراق : دابة كان يركبها الأنبياء : زكا : نما وصلح . ضاع ، من قولهم : ضاع العطر ، أي تحرّك وانتشرت رائحته .

٦ العفاة ، جمع عاف ، وهو كل طالب فضل أو رزق .

٧ المتن : الظهر . الزاخر : الطامي المتملىء . الخضم : البحر .

كهارون الرشيدِ ندًى وبأساً   وكالمأمونِ في جَلَلٍ زَماعا[1]
أبا القمرين عرشُك في قلوبٍ   تُجاوزُ في الولاءِ المُستَطاعا
تَرى فيه الصِّيانَ لحق مصر   فلَولاَ العرشُ يعصِمُهُ لَضاعا[2]
يودّ سواكَ لو تُهدَى إليهِ   ولن تُشرَى القلوبُ ولن تُباعا
أذاعَ حسودُ مجدِكَ كلَّ سوءٍ   فمجتهُ النفوسُ وما أَذاعا[3]
أمثلُكَ يمنعُ الأوطانَ خيراً   وأنتَ خُلِقتَ من خَيرٍ طباعا
شُجاعاً كنتَ في يومٍ عصيبٍ   تُوفِّيها المحبةَ والدِّفاعا
جَنحتَ إلى السلامِ فكان حِلماً   وقِدماً زينَ الحلمُ الشجاعا
ومن صَحِبَ الحياةَ بغيرِ عَقلٍ   تورّطَ في حوادِثِها اندِفاعا[4]
عروسُ الشرقِ مصرُ ولا أُبالي   لقد شبَّت وما بلغَ الرِّضاعا
أخذتَ بشُورَويِّ الحكم فيها   وما تألو مناهِجَه اتّباعا[5]
تُدرِّجُها على ذُلُلٍ سِماحٍ   من الأَحكامِ سِنًّا واشْتِراعا[6]
وأنت منيلُها ما تبتغيه   وأكرمُ من يرومُ لها النَّفاعا[7]

---

١ في جلل ، أي في أمر جلل ، وهو العظيم ، الزَّماع (بفتح الزاي) : المضاء في الأمر والعزم عليه .

٢ الصِّيان : الحفظ . والضمير في «يعصمه» لحق مصر .

٣ وما أذاع ، أي ومجّت ما أذاع .

٤ تورّط في الشيء : وقع منه في مشكلة .

٥ أخذت ، الخطاب لأبي القمرين . ويريد به الخديو عباس أيضاً . شوروي الحكم : أي الحكم القائم على الشورى المستنبط منها .

٦ تدرّجها ، أي تدنيها شيئاً فشيئاً . الذُّلل : جمع ذلول ، وهو السهل الموطأ . سماح : جمع سمح ، وهو من الأحكام ما لا ضيق فيه . الاشتراع : مصدر اشترع الأحكام .

٧ النَّفاع (بفتح النون) : اسم من النفع .

أليسَ إليكَ تَاجاها وعرشٌ يُظِلُّ بقاعَ ثَيبــةَ والرِّقاعا[1]
أُعِدْ بالعِلمِ سُؤْدَدها فإني وجدتُ العَصْرَ عِلماً واختِراعا
نزلتَ لدى الخليفةِ في محلٍّ تطيرُ قُلوبُ حُسَّدِهِ شَعاعا[2]
حللتَ مكانَ عز الدين منه ومثلُكَ من يُجَلُّ ومن يُراعى[3]
ألستَ سَليلَ من بعثَ السرايا إلى الجوْزاء تأخذُها افتراعا؟[4]
وردَّ على المهيمنِ ملكَ مصرٍ وأمّنَ مسجدَيه والبِقاعا؟[5]

* * *

ليالي الشهر يا مولايَ ولَّتْ كعُمْرِ الحاسدِ الشاني سراعا
وجاء العيدُ بالآمالِ تَتْرَى كغُرَّتك ائتلافاً والتماعا
أخوه بالحِجازِ يذوبُ شوقاً ويسألُ عنك مكَّةَ والرباعا

---

١ تاجاها ، أي تاجا قطريها ، وهما قطر مصر والسودان .

٢ تطير شعاعاً ، أي تتبدّد من الخوف ونحوه . والضمير في «حسده» للمحل .

٣ عزّ الدين : هو الأمير يوسف عز الدين ، كان ولي العهد في خلافة السلطان محمد رشاد الخامس ، ومات قبل أن ينتقل إليه الأمر .

٤ السليل : الولد . السرايا : جمع سرية ، وهي القطعة من الجيش . الجوزاء : برج في السماء. الافتراع ، مصدر افترع البكر : أزال بكارتها .

٥ المهيمن : اسم من أسماء الله ، ولعله يريد أنه ردّ ملك مصر إلى خلافة المسلمين فكأنه ردّه إلى الله تعالى . والمسجدان : المسجد الحرام في الحجاز والمسجد الأقصى في الشام . وهو يشير في هذين البيتين إلى ما فعله محمد علي الكبير مع الوهابيين من حرب وقتال .

رحالة الشرق *

أقدِمْ ، فليس على الإقدام مُمتنع … واصنع به المجدَ ، فهو البارعُ الصَّنَعُ
للناس في كل يوم من عجائبه … ما لم يكن لامرئ في خاطر يقع
هل كان في الوهم أن الطير يخلُفها … على السماء لطيفُ الصُّنْع ، مُختَرِع ؟
وأن أدراجَها في الجوّ يسلكها … جنٌّ ، جُنودُ سليمانٍ لها تَبَع ؟
أعيا العُقابَ مَداهُم في السماء ، وما … راموا من القُبّة الكبرى ، وما فَرَعوا
قل للشباب بمصر : عَصْرُكم بطَلٌ … بكل غايةِ إقدامٍ له وَلَع
أُسُّ الممالك فيه هِمّةٌ وحِجًى … لا الترهاتُ لها أُسٌّ ، ولا الخدع
يُعطي الشعوبَ على مقدار ما نبغوا … وليس يبخسُهم شيئاً إذا برعوا
ماذا تُعدُّون بعد البرلمان له … إذا خِيارُكمُ بالدُّولة اضطلعوا ؟[1]
البرُّ ليس لكم في طوله لُجُمٌ … والبحر ليس لكم في عرضه شُرُع
هل تنهضون عساكُم تلحقون به ؟ … فليس يلحق أهلَ السير مُضطَجع
لا يُعجبنَّكمُ ساعٍ بتفرقةٍ … إن المِقصَّ خفيفٌ حين يقتطع
قد أشهدوكم من الماضي وما نبشت … منه الضغائنُ ما لم تشهد الضَّبُع
ما للشباب وللماضي تمرُّ بهم … فيه على الجيف الأحزابُ والشيَع ؟
إنّ الشبابَ غدٌ ، فليهْدِهم لغدٍ … وللمسالك فيه الناصحُ الوَرِع

* بعد رحلة طويلة شاقة في صحراء ليبيا ، استطاع الرحالة المصري الكبير أحمد حسنين ، أن يسدي إلى العلم يداً بيضاء ، وأن يكشف للناس عن مجاهل هذه البيداء ، فلما عاد قابلته البلاد بالحفاوة والترحاب ، واحتفل به القوم احتفالاً فخماً ألقيت فيه هذه القصيدة .

١ اضطلعوا : أي نهضوا بها .

لا يَمنعنَّكُمُ برُّ الأبوّةِ أن ... يكون صُنعكمُ غيرَ الذي صنعوا
لا يُعجبنَّكُمُ الجاهُ الذي بلغوا ... من الولاية ، والمالُ الذي جمعوا
ما الجاهُ والمالُ في الدنيا وإن حَسُنا ... إلّا عواريُّ حظٍّ ثم تُرتجَع[1]
عليكُمُ بخيال المجد ، فأْتلِفوا ... حيالَهُ ، وعلى تِمثاله اجتمعوا
وأجْمِلوا الصبرَ في جِدٍّ وفي عمل ... فالصبر ينفعُ ما لا ينفعُ الجزَع
وإن نَبَغتُمْ ففي علم ، وفي أدب ... وفي صناعات عصرٍ ناسُه صُنُع
وكلُّ بنيان قومٍ لا يقوم على ... دعائمِ العصرِ من رُكنيهِ ؛ مُنْصَدِع
شريفُ مكة حُرٌّ في ممالِكه ... فهل تُرى القومُ بالحرّية انتفعوا ؟

* * *

كم في الحياة من الصحراءِ من شَبَهٍ ... كلتاهما في مُفاجاة الفنى شَرَع
وراء كلِّ سبيلٍ فيهما قَدَرٌ ... لا تعلمُ النفسُ ما يأْتي وما يَدَع
فلستَ تدري – وإن كنتَ الحريصَ – متى ... تهُبُّ رِيحاهما ، أو يَطلعُ السبعُ ؟
ولستَ تأْمنُ عند الصحو فاجئةً ... من العواصف ، فيها الخوفُ والهَلَع
ولست تدري – وإن قدَّرتَ مجتهِداً – ... متى تحُطُّ رحالاً ، أو متى تَضَع ؟
ولست تمْلكُ من أمر الدليل سوى ... أنّ الدليلَ – وإن أرداك – مُتَّبَع
وما الحياةُ إذا أظْمَت ، وإن خَدَعت ... إلّا سرابٌ على صحراء يلتمِع

* * *

أكبرتُ من حَسنَيْنٍ هِمَّةً طمَحَتْ ... تَرومُ ما لا يرومُ الفِتيةُ القُنُع
وما البطولةُ إلا النفْسُ تدفعها ... فيما يبلِّغُها حَمْداً ، فتندفع
ولا يُبالي لها أهلٌ إذا وصلوا ... طاحوا على جنَباتِ الحمدِ أم رجَعوا
رَحَّالَةَ الشرق ، إن البيدَ قد علمتْ ... بأنك الليثُ لم يُخلَق له الفَزَع

١ العواري : جمع عارية ، وهي العطية بلا عوض .

ماذا لقيتَ من الدوِّ السحيق ، ومِن قَفْرٍ يَضيقُ على الساري ، ويتسع ؟[1]
وهل مررْتَ بأقوامٍ كفِطرتهم من عهد آدمَ لا خُبْثٌ ولا طَبَع ؟
ومن عجيبٍ لغيرِ اللهِ ما سجدوا على الفَلا ، ولغير الله ما رَكعوا
كيف اهتدى لهمُ الإسلامُ ، وانتقلتْ إليهمُ الصلواتُ الخمسُ والجُمع ؟
جَزَتْكَ مصرُ ثناءً أنتَ موضِعُه فلا تذُبْ من حياءٍ حين تستمِعُ
ولو جزَتْك الصحاري جِئْتَنا مَلِكاً من الملوك ، عليك الريشُ والوَدَع[2]

١ الدو : المفازة .
٢ الريش والودع : عنوان العظمة في أواسط افريقيا .

براءة *

النـاسُ لـلـدنـيـا تَـبَـع ولمنْ تُـحـالِفُـه شيَعْ
لا تهجعنَّ إلى الزما ن ، فقد يُنبَّه مَنْ هجع[1]
واربأْ بحلْمكَ في النوا زلِ أن يُلِمَّ به الجزع
لا تخلُ من أملٍ ، إذا ذهب الزمانُ فكَمْ رجَع
وانـفـع بـوسعِك كـلّه إن الموفَّقَ مَنْ نفع

* * *

مصر بـنـت لـقـضـائها ركناً على النجم ارتفع
فيه احتمى استقلالُها وبـه تحصَّـن وامتـنـع
فـليهـنِـها ، وليهنِنا أن القضاء به اضطلع
اللهُ صـان رجـالَـه مما يُدنِّسُ أو يَضع
ساروا بسيرة مـنـذرٍ وأبي حنيفة في الورَع
وكـأن أيـام الـقـضا ء جميعها بهمُ الجُمَع
قل للمُبَرَّإِ مُرْقُصٍ : أنت النقيُّ من الطَّبَع
هذا القضاءُ رماك بالـ ـيُمنَى ، وباليسرى نزع
هذا قضاءُ اللهِ مُمـ ـتَثَلُ الحكومةِ ، مُتَّبَع

* حرم الأستاذ مرقص فهمي حيناً من الاشتغال بالمحاماة ، ثم برأه القضاء من تلك التهمة التي عزيت إليه ، فاحتفل بعودته إلى المحاماة احتفالاً ألقيت فيه هذه القصيدة .

١ الهجوع : النوم .

عُد للمحاماة الشريـ ـفةِ عَوْدَ مشتاقٍ وَلِع
والبسْ رِداءكَ طاهراً كرداءِ مرقصَ في البِيَع[1]
وادفع عن المظلوم والـ ـمحروم أبلغَ مَنْ دفع
واغفر لحاسِدِ نعمةٍ بالأمسِ نالك أو وقع
ما في الحياةِ لأن تعا تِبَ أو تُحاسِبَ ؛ مُتَّسَع

[1] البيع : جمع بيعة ، وهي متعبد للنصارى .

الصحافة *

لكلِّ زمانٍ مضى آيةٌ وآيةُ هذا الزمانِ الصُّحُف
لسانُ البلادِ ، ونبضُ العباد وكهفُ الحقوق ، وحربُ الجنَف[1]
تسيرُ مسيرَ الضحى في البلاد إذا العلمُ مزَّق فيها السَّدف[2]
وتمشي تُعلِّمُ في أُمةٍ كثيرةِ مَنْ لا يخُطُّ الألِف !
فيا فتيةَ الصحْف ، صبراً إذا نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
فإنَّ السعادةَ غيرُ الظهو رِ ، وغيرُ الثراءِ ، وغيرُ الترف
ولكنها في نواحي الضمير إذا هو باللؤم لم يُكتنف
خذوا القصدَ ، واقتنعوا بالكفاف وخلوا الفضولَ يغلْها السَّرف
وروموا النبوغَ ، فمن ناله تلقَّى من الحظِّ أسنى التحَف
وما الرزقُ مجتنِبٌ حِرْفَةً إذا الحظُّ لم يهجر المحترِف
إذا آختِ الجوهريَّ الحظوظ كفلنَ اليتيمَ له في الصَّدف[3]
وإن أعرضت عنه لم يحلُ في عيونِ الخرائد غيرُ الخزف[4]

* * *

* ألف أصحاب الصحف العربية نقابة تجمع كلمتهم ، وقد ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال بإنشائها .
١ الجنف : الحيف .
٢ السدف : الظلام .
٣ اليتيم : اللؤلؤ المنقطع النظير .
٤ الخرائد : العذارى .

رعى اللهُ ليلتَكم ، إنها ... تلت عنده ليلةَ المنتصَف
لقد طلع البدرُ من جُنْحها ... وأوما إلى صُبحِها أن يقف
جلوتم حواشيَها بالفنون ... فمن كل فنٍّ جميل طَرَف
فإن تسألوا : ما مكانُ الفنون ؟ ... فكم شرفٍ فوق هذا الشرف
أريكةُ موليِيرَ فيما مضى ... وعرشُ شِكْسبِيرَ فيما سلف
وعودُ ابن ساعدةٍ في عُكاظَ ... إذا سال خاطره بالطُّرَف[1]
فلا يَرْقَيَنْ فيه إلا فتىً ... إلى درجات النبوغ انصرف
تُعلِّمُ حكمتُه الحاضرين ... وتُسْمِعُ في الغابرين النُّطف

* * *

حمدنا بلاءكُم في النضالِ ... وأمسِ حمدنا بلاء السلف
ومن نسيَ الفضلَ للسابقين ... فما عرف الفضلَ فيما عرف
أليس إليهم صلاح البناءِ ... إذا ما الأساس سما بالغرف ؟
فهل تأذنون لذي خَلَّةٍ ... يَفضُّ الرياحين فوق الجيف ؟
فأين اللواءُ ، وربُّ اللواءِ ... إمامُ الشباب ، مثالُ الشرف ؟[2]
وأين الذي بينكم شبْلُه ... على غاية الحق نِعْمَ الخلف ؟
ولا بدّ للغرس من نقله ... إلى من تعهّد ، أو من قطف
فلا تجحدنَّ يدَ الغارسين ... وهذا الجَنى في يديك اعترف
أُولئك مرُّوا كدود الحرير ... شجاها النَّفاعُ وفيه التلف

١ عود ابن ساعدة : أي منبر قس بن ساعدة ، وهو أخطب خطباء الجاهلية .
٢ رب اللواء : المرحوم مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء .

عيد الفداء *

أما العتابُ ، فبالأحبّة أخلَقُ　　والحبُّ يصلُحُ بالعتاب ويصدُقُ
يا من أُحِبُّ ، ومن أُجِلُّ ، وحسْبه　　في الغِيدِ منزلةً يُجَلُّ ويُعشَق
البُعْدُ أدناني إليكَ ، فهل تُرى　　تقسو وتنفرُ ، أم تلين وترفُق ؟
في جاهِ حسنِك ذِلّتي وضراعتي　　فاعطِف ، فذاك بجاهِ حُسنكَ أليق !

* * *

خَلُقَ الشباب ، ولا أزال أصونُه　　وأنا الوفيُّ ، مَوَدّتي لا تَخلُق
صاحبته عشرين غيرَ ذميمةٍ　　حالي به حالٍ ، وعَيْشيَ مُونِق
قلبي ، ادّكرتَ اليوم غير مُوَفَّقٍ　　أيامَ أنتَ مع الشبابِ موفَّق
فخفقتَ من ذكرى الشبابِ وعهدِه　　لهفي عليك ! لكل ذكرى تَخفُق
كم ذُبتَ من حُرَقِ الجوَى ، واليوم من　　أسفٍ عليه وحسرةٍ تتحرَّق
كنتَ الشِّباكَ ، وكان صيداً في الصِّبا　　ما تسترِقُّ من الظباءِ وتُعتِق
خدَعتْ حبائلك المِلاحَ هُنيةً　　واليومَ كلُّ حبالةٍ لا تَعلَق
هل دون أيام الشبيبة للفتى　　صفوٌ يحيطُ به ، وأُنسٌ يُحدِق ؟

* * *

* كان لهذه القصيدة يوم نشرت ضجة هائلة ، ولعلها استمدت معظمها من تلك الأبيات التي تنطق فيها ذكرى الشباب ، والتي قلّما وفق إلى مثلها شاعر ، ولقد نظمت هذه القصيدة معارضة لأخرى من رويها للمرحوم إسماعيل صبري باشا .

مولاي حُكْمُكَ في الرِّقابِ مُقَيَّدٌ سَمْحٌ، فأمَّا في القلوب فمطلَق
أنّى اتجهتَ توجَّهتْ مشغوفةً هذا الجلالُ زِمامُها والرونقُ
العيدُ من رُسُلِ العنايةِ، فاغتبطْ بصنوف ما حملَ الرسولُ الشيِّق
الناسُ تنحَرُ، والصلاةُ مُقامةٌ وعِداكَ يُنحَرُ جمعُهم ويُمزَّق
بكرَ الأذانُ مُحيِّياً ومهنِّئاً ودعا لك الناقوسُ فيما ينطق
أثنى الخَطيبُ عليكَ قبل صلاته وأجلَّ ذكرَك في الصلاةِ البَطْرَق

* * *

تُزجِي الفيالقَ، والقلوبُ خوافقٌ فوقَ الجنود، فكلُّ قلبٍ فيْلَقُ
في موكبٍ لفتَ الزمانَ جلالُهُ يزهو بلألاءِ العزيزِ ويُشرِق
والأرضُ حاليةُ الوجوهِ بنورِهِ والشمسُ غَيْرَى تجتليه وترمُق
والروحُ يكلأ، والملائكُ حُرَّس وعنايةُ اللهِ الحفيظِ تُحلِّق
حتى حللتَ بعابدينَ فحلَّها سعدُ الديارِ وبدرُها المتألِّق
في كلِّ إيوانٍ وكلِّ خميلةٍ ساحٌ مُيمَّمةٌ وبابٌ يُطرَق
خَلْقٌ على قَدَمِ المهابةِ مائلٌ في سُدَّةِ العزِّ المنيعةِ مُطرِق
حتى إذا رُفِعَ الحجابُ تدفقوا يتشرفون براحةٍ تتدفَّق
وتعارَضَتْ فيك القرائحُ وانبرَى لأبي نُواس البُحتريُّ المفلِق[1]
عَلَمان، في يدك الكريمةِ منهما ويَدَيْ أبيكَ أبي المكارمِ موثِق
لما عفوت وكان ذلك شيمةً طَرِبا وهزهما السجينُ المطلق
في ذمةِ اللهِ الكريم وحفظهِ أملٌ بعرشك للبلاد مُعلَّق

---

١ يريد بأبي نواس: اسماعيل صبري باشا. وبالبحتري: نفسه.

نكبة بيروت *

يا ربّ ، أمرُك في الممالكِ نافذٌ ... والحكمُ حكمُك في الدمِ المسفوكِ
إن شئت أهرقْهُ ، وإن شئت احمِهِ ... هو لم يكن لسواك بالمملوك
واحكم بعدلِكَ ، إن عدلَكَ لم يكن ... بالمُشترَى فيه ، ولا المشكوك
ألِأجل آجال دنتِ وتهيّأت ... قدّرتَ ضربَ الشاطئ المتروك ؟
ما كان يحميه ، ولا يُحمَى به ... فُلكان أنْعَمُ من بواخر «كوك»
هٰذي بجانبِها الكسيرِ غريقةٌ ... تهوى ، وتلك بركنها المدكوك

* * *

بيروتُ ، مات الأسْدُ حتفَ أُنوفِهم ... لم يُشهروا سيفاً ، ولم يحموك
سبعون ليثاً أُحرِقوا ، أو أُغرقوا ... يا ليتهم قُتِلوا على «طبروك»
كلٌّ يصيد الليثَ وهو مقيَّدٌ ... ويعزُّ صيد الضَّيغَمِ المفكوك
يا مضرِبَ الخِيَمِ المنيفة للقِرى ... ما أنصفَ العُجمُ الأُلى ضربوك
ما كنتِ يوماً للقنابل موضعاً ... ولو أنها من عسجد مسبوك
بيروتُ ، يا راحَ النزيلِ ، وأُنسَهُ ... يمضي الزمانُ عليّ لا أسلوك
الحسنُ لفظٌ في المدائنِ كلِّها ... ووجدتُه لفظاً ومعنىً فيك
نادمتُ يوماً في ظلالِكِ فتيةً ... وسَمُوا الملائكَ في جلالِ ملوك
يُنسونَ حساناً عصابة جِلّقٍ ... حتى يكاد بجلق يفديك[1]

* قيلت على أثر ضرب الأسطول الايطالي مدينة بيروت .

١ حسان بن ثابت : شاعر النبيّ صلى الله عليه وسلم . وعصابة جلقِ : هم ملوك غسان . وجلق : هي دمشق . وكان حسان بن ثابت كثيراً ما يفد على آل غسان ، ويمدحهم ، وينال منحهم .

تالله ما أحدثتِ شرّاً أو أذىً حتى تُراعَيْ ، أو يُراعَ بَنوك
أنتِ التي يحمي ويمنع عِرضَها سيف الشريف ، وخِنجرُ الصُّعلوك
إن يجهلوكِ ؛ فإنَّ أُمّك سوريا والأبلقَ الفردَ الأشمَّ أبوك
والسابقين إلى المفاخر والعُلا بَلْهَ المكارمَ والندى أهلوك
سالت دماءٌ فيكِ حول مساجدٍ وكنائسٍ ، ومدارسٍ و «بُنوك»
كنا نؤمِّل أن يُمَدّ بقاؤها حتى تَبِلَّ صدَى القنا المشبوك
لكِ في رُبَى النيلِ المبارَك جيرةٌ لو يقدِرون بدمعهم غسلوك
يكفيكِ برءاً للجراحِ ومرْهماً أن الأمير «محمداً» يأسوك[1]
لو يستطيعُ كرامُ مصر كرامةً «لمحمّدٍ» بقلوبهم ضمدوك
هو في ابتناء المجد صورةُ جدِّه أذكرتِ «إبراهيمَ» في ناديك؟

---

١ محمد : الأمير محمد علي باشا .

تكليل أنقرة وعزل الآستانة

قُمْ نادِ أَنْقَرَةً وقل : يَهنيكِ — مُلْكٌ بَنَيْتِ على سيوفِ بَنِيكِ
أعطيتِه ذَوْدَ اللباةِ عن الشرى — فأَخَذْتِهِ حُرًّا بغير شريك
وأقمتِ بالدّم جانبيْه ، ولم تزلْ — تُبنى المالكُ بالدّم المسفوك
فعقدتِ تاجَكِ من ظُبًى مسلولة — وحللت عرشك من قناً مشبوك
تاجٌ ترى فيه إذا قلَّبته — جهدَ الشريف ، وهِمةَ الصُّعلوك
وترى الضحايا من معاقد غاره — وعلى جوانب تِبْرِهِ المسبوك
وتراه في صَخَبِ الحوادث صامتاً — كالصخر في عَصْفِ الرياح النُّوك
خرزاتُه دَمُ أُمّةٍ مهضومة — وجهودُ شعب مُجهَدٍ منهوك
بالواجب التَمس الحقوقَ، وخاب مَن — طلب الحقوقَ بواجب متروك
لا الفردُ مَسَّ جبينَكِ العالي ، ولا — أعوانُه بأكفِّهم لمَسوك
لمَّا نفرْتِ إلى القتال جماعةً — أصلَوْك نارَ تلصُّصٍ وفُتوك
هدروا دماء الأُسْدِ في آجامها — والأُسْدُ شارعةُ القَنا تحميك[1]
يابنت طوروسَ الممرَّدِ ، طأْطأتْ — شُمُّ الجبال رؤوسَها لأبيك[2]
أمْعنتُما في العزّ ، واستعْصَمْتُما — هو في السحاب ، وأنت في أهليك
نحتَ الشعوبُ من الجبال ديارَهم — والقومُ من أخلاقِهم نحتوك

١ الأجمة : الشجر الكثير الملتف ، جمعها أجم بفتح الجيم ، وجمع الجمع آجام وهو الوارد في البيت . وهو يشير إلى فتوى شرعية كانت حكومة الأستانة قد أذاعتها في أول أمر الفاتحين في الأناضول ، تحلل بها قتالهم .

٢ طوروس : جبل عظيم في آسيا الصغرى .

فلو أنّ أخلاقَ الرجالِ تَصَوَّرتْ لرأيتِ صخرتَها أساساً فيك
إنَّ الذين بَنَوْكِ أشبهُ نيَّةً بشباب خيبرَ ، أوكهولِ تَبُوكِ [1]
حَلفوا على الميثاق ؛ لاطَعموا الكرى حتى تذوقي النصرَ ، هل نصروك ؟
زَعموا الفرنسيَّ المحجّل صورةً في حلْبةِ الفرسان من حاميك[2]
النسرُ سَلَّ السيفَ يَبْني نفسَه وفتاكِ سَلَّ حسامه يَبنيك
والنسرُ مملوكٌ لسلطان الهوى ووجدتُ نسرَكِ ليس بالمملوك
يادولةَ الخُلُق التي تاهت على ركن السِّماكِ بركنِها المسموك
بيني وبينك ملّةٌ وكتابُها والشرق يَنميني كما يَنميك
قد ظنني اللاحي نطقت عن الهوى وركِبت متنَ الجهلِ إذ أطريك
لم يُنقِذِ الإسلامَ أو يرفعْ له رأْساً سوى النفرِ الأُلى رفعوك
رَدُّوا الخيالَ حقيقةً ، وتطلعوا كالحق حَصْحَصَ من وراءِ شكوك
لم أكذِبْ التاريخَ حين جعلتُهم رُهبانَ نسْك ، لا عجُولَ نسيك[3]
لم ترضَني ذَنباً لنجْمكِ همَّتي إن البيان بنجمه يُنبيك
قلمي – وإن جهِل الغبيُّ مكانَه – أبقى على الأحقاب من ماضيك[4]
ظفرتْ بيونانَ القديمةِ حكمتي وغزا الحديثة ظافراً غازيك

* * *

مني لَعهدكِ يا فـروقُ تحيَّةٌ كعيونِ مائك ، أو رُبَى واديك
أو كالنسيم غدا عليك ، وراح من فُوفِ الرياضِ ، ووَشْيِها المحبوك[5]

---

١ خيبر : اسم مكان كان به سبعة حصون ، غزاه النبيّ – صلى الله عليه وسلم – وتبوك : أرض بين المدينة والشام نسبت إليها غزوة من غزوات النبيّ أيضاً .
٢ الفرنسي : نابليون بونابرت .
٣ النسيك : الذهب والفضة .
٤ الأحقاب : جمع حقب ، بضم الحاء ، قيل : هو ثمانون عاماً ، وقيل : هو الدهر .
٥ فوف الرياض : زهرها ، تشبيهاً لها بفوف الثياب ، وهي نوع من برود اليمن . والوشي : نمنمة الثوب وتحسينه .

أو كالأصيل جرى عليك عقيقُه ... أو سالَ من عِقْيانه شاطيك
تلك الخمائلُ والعيونُ ، اختارها ... لك من رُبَى جنّاتهِ باريك[1]
قد أفرَغت فيك الطبيعةُ سحرها ... من ذا الذي من سحرها يَرْقيك ؟
خلعت عليكِ جمالَها ، وتأمّلت ... فإذا جمالُكِ فوق ما تكسوك
تالله ما فَتَنَ العيونَ ولذَّها ... كقلائد الخُلجانِ في هاديك
عن جيدكِ الحالي تلفّتتِ الرُّبَى ... واستضحكتْ حُورُ الجنانِ بفيك
إن أنسَ لا أنس الشبيبةَ ، والهوى ... وسوالفَ اللذاتِ في ناديك
ولياليًا لم ندر أين عِشاؤها ... من فجرها لولا صياح الديك
وصَبُوحَنا من بَندِلارَ وشِرْشِرٍ ... وغَبوقَنا بتَرابِيا و بُيوك[2]
لو أن سلطانَ الجمالَ مخلَّدٌ ... لمليحة ؛ لعذلتُ من عذلوك
خلعوكِ من سلطانِهم ، فسليهمُ ... أمن القلوب ومُلكِها خلَعوك ؟
لا يَحزُنَنْكِ من حُماتِكِ خطةٌ ... كانت هي المُثلى ، وإن ساءُوك
أيُقالُ : فتيانُ الحمى بك قصّروا ... أم ضيَّعوا الحرماتِ ، أو خانوك ؟
وهمُ الخفافُ إليك ، كالأنصار إذ ... قلَّ النصير ، وعزَّ مَنْ يفديك
المشتَروكِ بمالهم ، ودمائهم ... حين الشيوخُ بجُبّة باعوك
هدروا دماء الذائدين عن الحمى ... بلسان مفتي النارِ ، لا مُفتيك
شربوا على سرِّ العدوِّ ، وغرّدوا ... كالبُومِ خلف جِدارك المدكوك
لو كنتِ مَكّةَ عندهم لرأيتِهم ... كمحمدٍ ورفيقِه هجروك

* * *

يا راكبَ الطامي يجوبُ لجاجَه ... مِن كل نيِّرة وذات حُلوك

١ الخمائل : جمع خميلة ، وهي الشجر الكثير الملتف .
٢ الصبوح : شراب الصباح . والغبوق : شراب العشي . وبندلارِ ، وترابيا ، وبيوك : أسماء أمكنة في الأستانة .

إن جئتَ مرمرةً تحثُّ الفُلْكَ في بَهج ، كآفاق النعيم ، ضحوك[1]
وأتيت قرن التبر ثَمَّ تحفُّهُ تُحفُ الضحى من جوهرٍ وسلوك[2]
فأطلع على دار السعادة ، وابتهل في بابها العالي ، وأدِّ ألوكي
قُل للخلافةِ قولَ باكٍ شمسَها بالأمس لما آذنت بدُلوكِ
يا جذوةَ التوحيدِ ، هل لك مُطفئٌ والله جلّ جلالُه مُذكيك ؟
خلتِ القرونُ ، وأنت حربُ مُمالكٍ لم يغفِ ضدُّك ، أو ينَم شانيكِ
يرميكِ بالأممِ الزمانُ ، وتارةً بالفرد ِ واستبدادِه يرميك
عودي إلى ما كنتِ في فجر الهدى عُمَرٌ يسوسُك ، والعتيقُ يليك
إن الذين توارثوكِ على الهوى بعد ابن هندٍ طالما كذبوك[3]
لم يلبسوا بُردَ النبي ، وإنما لبِسوا طقوسَ الروم إذ لبِسوك
إني أعيذُكِ أن تُريْ جبارةً كالبابَويَّة في يَديْ رُدريك
أو أن تُزفَّ لك الوِراثةُ فاسقاً كيزيدَ ، أو كالحاكمِ المأفوك[4]
فُضّي نُيوبَ الفردِ ، ثم خذي به في أيّ ثَوبَيْه به جاؤُوك
لا فرق بين مُسَلَّطٍ متتوّج ومُسَلَّط في غير ثوب مليك
إني أرى الشورى التي اعتصموا بها هي حبلُ ربِّكِ ، أو زمام نَبيكِ

١ مرمرة : هو بحر مرمرة تدخله من مضيق الدردنيل ، ويصله بالبحر الأسود مضيق البوسفور .
٢ قرن التبر : هو القرن الذهبي ، وهو جزء من البوسفور .
٣ ابن هند : هو معاوية بن أبي سفيان أول الخلفاء من بني أمية .
٤ يزيد : هو يزيد بن الوليد ، من ملوك بني أمية ، كان من أصحاب الدعارة والفسوق .
والحاكم : هو الحاكم بأمر الله أحد الملوك الفاطميين في مصر ، كان فاسقاً مختبلاً وكانت له بدع وضلالات يحمل الناس عليها قسراً .

عيد الدهر وليلة القدر *

الملكُ بين يديكَ في إقباله ... عوَّذْتُ مُلكَك بالنبي وآله[1]
حرٌّ ، وأنت الحرُّ في تاريخِه ... سمحٌ ، وأنت السمحُ في أقياله
فِيضا على الأوطانِ من حُريةٍ ... فكِلاكما المفتكُّ من أغلاله
سعِدَت بعهدكما المباركِ أُمةٌ ... رَقَّت لحالِكَ حقبةً ، ولحاله
يَفديكَ نصرانيُّه بصليبه ... والمنتمي لمحمدٍ بهلاله
وفتى الدروزِ على الحُزون بشيخه ... والموسَويُّ على السهولِ بماله[2]
صدَقوا الخلفيةَ طاعةً ومحبة ... وتمسكوا بالطُّهر من أذياله
يجدون دولتَك التي سَعِدوا بها ... من رحمةِ المولى ، ومن أفضاله
جدَّدت عهد الراشدين بسيرةٍ ... نسجَ الرشادُ لها على مِنواله
بُنيت على الشورى كصالح حكمهم ... وعلى حياةِ الرأْيِ واستقلاله
حقٌّ أعزَّ بك المهيمنُ نصرَه ... والحقُّ منصورٌ على خُذَّاله
شرُّ الحكومةِ أن يُساسَ بواحدٍ ... في الملك أقوامٌ عِدادُ رماله
مُلْكٌ تُشاطِرُهُ ميامنَ حالِه ... وترى بإذن الله حُسنَ مآله
أخذتْ حكومتُكِ الأمانَ لظبيه ... في مُقفرات البيدِ من رِئباله
مكنتَ للدستور فيه ، وحُزتَه ... تاجاً لوجهك فوقَ تاج جلاله

* « قيلت في احتفال بالمولد النبوي الشريف » .

١ الملك بين يديك : الخطاب للخليفة محمد رشاد الخامس .

٢ الحزون : جمع حزن ، بفتح الحاء ، ما غلظ من الأرض .

فكأنك الفاروقُ في كرسيِّه نَعِمت شعوبُ الأرضِ تحت ظلاله[1]
أو أنت مثلُ أبي ترابٍ ، يُتقي وبهابُه الأملاكُ في أسماله[2]
عهدُ النبيِّ هو السماحةُ والرضى بمحمد أولى وسَمحِ خلاله
بالحق يحملُه الإمامُ ، وبالهدى في حاضر الدستورِ ، واستقباله
يابْنَ الخواقينِ الثلاثينَ الأُلى قد جمّلوا الإسلام فوق جَماله[3]
المبلغين الدّين ذروةَ سعدِهِ الرافعين الملكَ أوجَ كماله
الموطِئين من الممالك خيلَهم ما لم يفُز إسكندرٌ بوصاله[4]
في عدلٍ فاتحهم وقانونيِّهم ما يَحتذي الخلفاءُ حذوَ مثاله
أما الخلافةُ فهي حائطُ بيتكم حتى يُبين الحشرُ عن أهواله
أُخِذَت بحدّ المشرفيّ ، وحازها لكمُ القنا بقِصاره وطِواله
لا تسمعوا للمُرجِفين وجهلِهم فمصيبةُ الإسلامِ من جُهّاله
طمعُ القريبِ أو البعيد بنَيْلِها طمعُ الفتى من دهرهِ بمحاله
ما الذئبُ مُجترِئاً على ليثِ الشَّرى في الغالب مُعتدياً على أشباله[5]
بأضلَّ عقلا – وهي في أيْمَانكم – مِمَّن يُحاول أخذَها بشماله

* * *

رضي المُهيمنُ ، والمسيحُ ، وأحمدٌ عن جيشِك الفادي ، وعن أبطاله
الهازئين من الثرى بسهوله الدائسين على رؤُوس جبِاله
القاتلين عدوَّهم في حصنه بالرأْي والتدبير قبل قتاله
الآخذين الحصنَ عزَّ سبيلُه مثلَ السها أو في امتناعِ مَناله

١ الفاروق : لقب عمر بن الخطاب .
٢ أبو تراب : كنية علي ابن أبي طالب .
٣ الخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك .
٤ إسكندر : هو المقدوني الفاتح العظيم .
٥ الأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد .

المعرضين – ولو بساحة يَلْدِزٍ – في الحربِ عن عِرْضِ العدوّ وماله
القارئين على عليٍّ علمها وعلى الغزاةِ المتقين رجاله
الملكُ زُلزِلَ في فروقٍ ساعةً كانوا له الأوتادَ في زلزالهِ
لولا انتظامُ قلوبهم كصفوفِهم لنثرتُ دمعي اليومَ في أطلاله
والمرءُ ليس بصادقٍ في قوله حتى يؤيِّدَ قولَه بفِعاله
والشعبُ إن رامَ الحياةَ كبيرةً خاضَ الغمارَ دماً إلى آماله[1]
شكرُ الممالك للسَّخيِّ بروحه لا السخيّ بقيله أو قاله
إيهٍ فروق الحسن نجوى هائم يسمو إليك بجدّه وبخاله
أخرجتِ للعربِ الفِصاحِ بيانَه قبساً يُضيءُ الشرقَ مثلَ كماله
لم تُكثر الحمراءُ من نظرائه نَسْلاً ، ولا بغدادُ من أمثاله[2]
جعل الإِلهُ خيالَهُ قيسَ الهوى وجُعلتِ ليلى فتنةً لخياله[3]
في كلِّ عامٍ أنتِ نزهةُ روحِه ونعيمُ مهجته ، وراحةُ باله
يَغشاكِ قد حنَّت إليكِ مَطِيُّه ويؤوبُ ، والأشواقُ ملءُ رِحاله
أفراحُه لمّا رآكِ طليقةً أفراحُ يوسفَ يوم حلِّ عقاله
وسرورُه بك من قيودك حرّةً كسرورِ قيس بانفلاتِ غزاله
الله صاغَكِ جنتين لخلقه محفوفتين بأنعمٍ لِعياله
لو أنّ لله اتخاذَ خميلةٍ ما اختار غيرَك روضةً لجلاله
فكأنما الصفتان في حسنيهما ديباجَتا خدٍّ يتيهُ بخاله
وكأنما البوسفورُ حوضُ محمدٍ وسطَ الجنان وهنّ في إجلاله[4]

١ الغمار : بضم الغين وفتحها ، لفيف الناس .
٢ الحمراء : هي مدينة غرناطة بالأندلس . وبغداد : حاضرة العراق .
٣ قيس : هو ابن الملوح ، وقيل هو قيس بن معاذ المعروف بالمجنون وليلى هي محبوبته التي جن بها .
٤ حوض محمد : يريد الحوض المورود يوم القيامة . ومحمد هو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

وكأن شاهقةَ القصور حيالَه حُجراتُ طَه في الجِنان وآله
وكأن عيدَكِ عيدُها لما مشى فيها البشيرُ ببِشره وجماله
تِيهي بعيدكِ في الممالك ، واسلمي في السلمِ للآلاف من أمثاله
واستقبلي عهدَ الرشادِ مجمَّلاً بمحاسن الدستور في استهلاله
دارُ السعادة أنتِ ، ذلك بابُها شُلَّت يدٌ مُدّت إلى إقفاله

وداع اللورد كرومر*

أيامُكم ، أم عهدُ إسماعيلا ؟ أم أنتَ فرعونٌ يسوسُ النيلا ؟
أم حاكم في أرض مصر بأمره لا سائلاً أبداً ولا مسؤولا ؟
يا مالكاً رِقَّ الرقاب ببأسه هلّا اتّخذتَ إلى القلوب سبيلا ؟
لما رحلتَ عن البلادِ تشهّدت فكأنكَ الداءُ العياءُ رحيلا
أوسعتَنا يومَ الوداعِ إهانةً أدبٌ لعمرك لا يُصيبُ مثيلا
هلّا بدا لك أن تجاملَ بعد ما صاغ الرئيسُ لك الثّنا إكليلا ؟
انظر إلى أدب الرئيس ولطفِه تجد الرئيسَ مُهذَّبا ، ونبيلا

* * *

في ملعبٍ للمُضحكات مُشيَّدٍ مثَّلتَ فيه المُبكياتِ فصولا
شهد الحسينُ عليه لعنَ أُصوله ويُصَدَّر الأعمى به تطفيلا[1]
جُبنٌ أقلَّ وحطَّ من قدرَيْهما والمرءُ إن يَجبُن يَعِشْ مَرذولا
لما ذكرت به البلادَ وأهلها مثَّلتَ دورَ مماتها تمثيلا[2]
أنذرتَنا رِقًّا يدوم ، وذِلَّةً تبقى ، وحالاً لا تَرى تحويلا

---

* من قصيدة قالها في اللورد كرومر العميد الانكليزي بمصر بعد أن خلع عن منصبه سنة ١٩٠٧ . وكان رئيس الوزارة مصطفى فهمي باشا أقام له حفلة وداع في ملعب الأوبرا ، وودعه بخطبة لطيفة مثنياً عليه . فخطب اللورد بعده منددا بالخديوي إسماعيل وبالأمة المصرية .

١ الحسين : هو السلطان حسين كامل . والأعمى : هو الشيخ عبد الكريم سلمان ، وكان قد ضعف بصره وكاد يكف .

٢ لما ذكرت به : أي بذلك الملعب .

أحسبت أن الله دونكَ قدرةً ؟ لا يملك التغييرَ والتبديلا ؟

الله يحكم في الملوكِ ، ولم تكن دولٌ تنازعه القُوى لتَدولا[١]

فرعونُ قبلكَ كان أعظم سطوة وأعزَّ بين العالمين قبيلا

اليوم أخلفَت الوعودَ حكومةٌ كنا نظُن عهودَها الإنجيلا

دخلَتْ على حكمِ الوداد وشرعه مصراً ، فكانت كالسُّلالِ دخولا[٢]

هدَمتْ معالمَها ، وهدّت رُكنَها وأضاعت استقلالها المأمولا[٣]

قالوا : جلبتَ لنا الرفاهة والغنى جحدوا الإلٰهَ ، وصُنعَه ، والنيلا

وحياةَ مصر على زمانِ محمدٍ ونهوضَها من عهد إسماعيلا

ومدارساً يبني البلادَ حوافلاً حظُّ الفقير بهنّ كان جزيلا[٤]

ومعاقلاً لا تُمَّحى آثارها وجيوشَ إبراهيم والأسطولا[٥]

وجداولاً بين الضِّياعِ جوارياً تذرُ اليبابَ مزارعاً وحقولا[٦]

ومدائناً قد خُطِّطَت وطرائقاً كانت حُزوناً فاستحانَ سُهولا[٧]

والقطنَ مزروعاً بفضل محمدٍ في مصر محلوجاً بها مغزولا[٨]

قد مدّ إسماعيلُ قبلكَ للورَى ظلَّ الحضارة في البلاد ظليلا

إن قيسَ في جودٍ وفي سرفٍ إلى ما تُنفقون اليوم عدَّ بخيلا

....

١ لتدول : لتظهر على غيرها ويحالفها إقبال الحظ .

٢ السلال ، بضم السين : هو داء السل .

٣ المعالم : جمع معلم ، وهو موضع الشيء الذي يظن الناس فيه وجوده .

٤ حوافل : جمع حافلة ، ممتلئة .

٥ المعاقل : جمع معقل ، وهو الملجأ .

٦ الجداول : جمع جدول ، وهو النهر الصغير . الضياع : جمع ضيعة ، وهي الأرض المغلة ، اليباب : الأرض الخراب . الحقول : جمع حقل ، وهو الأرض الصالحة للزرع والغرس .

٧ الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض .

٨ بفضل محمد ، هو محمد علي ، لأنه جاء بالقطن فزرعه في مصر وأنشأ له محالج ومغازل .

أو كان قد صرعَ المفتشَ مرةً ... فلكم صرعتَ بدنشواي قتيلا[1]
لا تذكُرِ الكرباجَ في أيامِهِ ... من بعد ما أنبتَّ فيه ذُيولا[2]
وامدح قصوراً شادَهُنّ بواذخاً ... قد أصبحتْ مأوى لكُم ومقيلا[3]
لو أنه لم يَبْنِها لتخذتُمُ ... منها المضاربَ والخيامَ بديلا[4]
كم مِنَّةٍ موهومةٍ أتبعتَها ... منًّا على الفَطِنِ الخبير ثقيلا
في كلّ تقرير ، تقولُ : خلقتكم ... أفهل ترى تقريرَك التنزيلا ؟
هل من نداك على المدارس أنها ... تذَرُ العلومَ ، وتأْخذ الفُوتبولا ؟[5]
أم من صِيانتِك القضاء بمصر أن ... تأْتي بقاضي دِنْشِوايَ وكيلا ؟[6]
أم هل يَعُدُّ لك الإِضاعةَ منةً ... جيشٌ كجيش الهند ، بات ذليلا ؟
انظر إلى فِتيانِه ، ما شأْنهم ؟ ... أوَليس شأْناً في الجيوش ضئيلا ؟
حرّمتهم أن يبلُغوا رتبَ العُلا ... ورفعتَ قومَك فوقهم تفضيلا
فإذا تطلعتِ الجيوشُ ، وأمَّلت ... مستقبلاً ، لم يملِكوا التأْميلا
من بعد ما زَفُّوا لإِدْوَرْدَ العُلا ... فتحاً عريضاً في البلادِ ، طويلا[7]

* * *

١ المفتش ، هو إسماعيل باشا مفتش الأقاليم . ودنشواي : قرية من أعمال إقليم المتوفية ولأهلها عناية بتربية الحمام .

٢ من بعد ما أنبتَ فيه ذيولاً ، أي جعلت للكرباج شعباً في طرفه تشبه الذيول ، مبالغة في الإيلام بالضرب به .

٣ البواذخ : جمع باذخ ، وهو الطويل المرتفع . المقيل : موضع القيلولة .

٤ المضارب : جمع مضرب ، بكسر الميم ، وهو بيت عظيم من الشَّعر .

٥ الندى : الكرم . تذر : تترك .

٦ قاضي دنشواي : هو أحمد فتحي زغلول باشا .

٧ يشير إلى فتح السودان ، وأن الجيش المصري هو الذي قام بعبئه كله ، ولم يكن لجنود الانكليز فيه من أثر يذكر . وإدوارد : هو ملك الإنكليز .

لو كنتُ من حُمْرِ الثيابِ ؛ عبدتُكم — من دونِ عيسى ، مُحسِناً ، ومُنيلا
أو كنتُ بعضَ الإنكليز ؛ قبلتُكم — مَلِكاً ، أُقطِّعُ كفَّه تقبيلا
أو كنتُ عضواً في الكلوب ؛ ملأتُه — أسفاً لفرقتكم ، بُكاً ، وعويلا[1]
أو كنتُ قسيساً يَهيمُ مُبشراً — رتَّلتُ آيةَ مَدْحِكم ترتيلا[2]
أو كنتُ صرّافاً بلندن دائناً — أعطيتُكم عن طيبةٍ تحويلا
أو كنتُ تيمسكم ؛ ملأت صحائفي — مدحاً ، يُردَّد في الورى موصولا[3]
أو كنتُ في مصرٍ نزيلاً جاهداً — سبّحتُ باسمك بُكرةً وأصيلا
أو كنتُ سِرِيوناً ، حلفتُ بأنكم — أنتم حَيَوْتُم بالقناةِ الجيلا[4]
ما كان من عقباتِها ، وصِعابِها — ذللتموه بعزمكم تذليلا
عهدُ الفرنج – وأنت تعلم عهدَهم – — لا يبخسون المحسنين فَتيلا
فارحل بحفظِ الله جل صنيعُه — مستعفياً إن شئتَ ، أو معزولاً
واحمل بساقك ربطة في لندن — واخلف هناك غِرايَ أو كمبيلا[5]
أو شاطر الملكَ العظيمَ بلادَه — وسُسِ الممالك ، عرضَها والطولا
إنا تمنينا على الله المنى — والله كان بنيلهنّ كفيلا
من سب دين محمد ، فمحمد — متمكن عند الإله رسولا[6]

١ الكلوب : دار ندوة في القاهرة ، يشترك في الإنفاق عليه كل من يشاء من السراة المصريين وكبار الموظفين الإنكليز .
٢ ذلك لأن اللورد كرومر كان يؤيد التبشير بالمسيحية في مصر ، ويحمي القسوس القائمين به .
٣ أو كنت تيمسكم : أي لو كنت جريدة التايمس الخاصة بكم .
٤ المسيو دي سريون : مدير شركة قناة السويس .
٥ غراي وكمبيل : وزيران من وزراء الإنكليز .
٦ كان اللورد كرومر قد طعن على الدين الإسلامي في تقريره سنة ١٩٠٦ ، فزعم أنه دين لا يصلح لهذا العصر ، فشاعرنا يشير إلى ذلك بقوله : من سب دين محمد . . . الخ .

السلطان حسين كامل

الملكُ فيكم آلَ إسماعيلا لا زالَ بيتُكُمُ يُظِلُّ النِّيلا
لطف القضاء فلم يُمِلْ لوليكم ركناً، وَلم يَشفِ الحسودُ غليلا[1]
هذي أصولُكُم وتلك فروعُكم جاء الصميمُ من الصميمِ بَدِيلا[2]
الملكُ بين قصورِكم وفي دارِهِ من ذا يريدُ عن الديارِ رَحيلا؟
عابْديـنُ شُرِّفَ بابنِ رافِعِ رُكنه عزاً على النجم الرفيعِ وطُولا[3]
ما دام مغناكم فليس بسائلٍ أحوَى فُروعاً أم أقلَّ أُصُولا[4]
أنتم بَنُو المجدِ المؤثَّلِ والنَّدَى لكُم السيادةُ صبيةً وكُهولا[5]
النيلُ إن أحصَى لكُم حسناتِكم ملأَ الزمانَ محاسناً والجيلا
أحيا أبوكم شاطِئَيه وابتَنى مجداً لمصرَ على الزمانِ أُثيلا[6]
نشر الحضارةَ فوق مصرَ وسُوريا وامتدَّ ظلاً للحجازِ ظليلا

---

١ فلم يمل ، بضم الياء وكسر الميم ، من أمال الشيء ، جعله مائلاً . الغليل : الحقد والحسد .
٢ الصميم : الخالص الأصيل ؛ يقال : هو من صميم القوم ، أي من أصلهم وخالصهم .
٣ عابدين : اسم القصر الذي يتوّج فيه أمراء مصر وملوكها ويتخذونه مقرًّا لهم حين رعاية شؤون الدولة . والمراد بابن رافع ركنه : الأمير حسين كامل . ورافع ركنه : هو الخديو إسماعيل .
٤ المغنى : المنزل .
٥ المؤثل : أي الأصيل .
٦ الأثيل : الأصيل أيضاً .

وأعاد للعربِ الكرامِ بيانَهم وحَمى إلى البيتِ الحرامِ سبيلا[1]

* * *

حَفِظَ الإله على الكنانةِ عرشَها وأدام منكم للهلالِ كَفيلا[2]
بنيانُ عمـروٍ أمَّنَته عنايةٌ من أن يُزعزَعَ ركنُه ويَميلا[3]
وتداركَ الباري لواءَ محمـدٍ فرعَى له غُرراً وصانَ حُجولا[4]
في برهةٍ يَذَرُ الأسرةَ نحسُها مثلَ النجومِ طوالعاً وأفولا[5]
اللهُ أدركَه بكم وبأمةٍ كالمسلمينَ الأوّلينَ عُقُولا
حلفاؤُنا الأحرارُ إلاَّ أنهم أرقى الشعوبِ عواطفاً وميولا
أعلى من الرومانِ ذِكراً في الورى وأعزُّ سلطاناً وأمنعُ غِيلا[6]
لما خلا وجهُ البلادِ لسَيفِهم ساروا سِماحاً في البلادِ عُدولا
وأتوا بكابرِها وشيخِ مُلوكِها مِلكاً عليها صالحاً مأمولا[7]
تاجان زانَهما المشيبُ بثالثٍ وجدَ الهُدى والحقُّ فيه مَقيلا[8]

* * *

---

١ يشير في هذين البيتين إلى ما فعله محمد علي الكبير من فتح الشام ومحاربة الوهابيين في الحجاز .
٢ الكنانة ، هي مصر .
٣ عمرو ، هو القائد الإسلامي عمرو بن العاص ، فاتح مصر لعهد الخليفة عمر بن الخطاب .
٤ محمد ، هو محمد علي الكبير . الغرر : جمع غرة ، وهي بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم . الحجول : جمع حجل ، وهو بياض في قوائم الفرس .
٥ البرهة : قطعة من الزمن طويلة . يذر : يترك . الطوالع : جمع طليعة . والأفول : جمع آفل .
٦ دولة الرومان ، من الدول القديمة في أوربة اتسع ملكها فتناول أقطاراً كثيرة من الشرق . الغيل : موضع الأسد .
٧ كابرها وشيخ ملوكها ، المراد به الأمير حسين كامل .
٨ تاجان ، هما تاج مصر وتاج السودان .

سبحان من لا عزَّ إلا عزُّه يبقى ولم يكُ ملكه ليزولا
لا تستطيعُ النفسُ في ملكوته إلا رضًى لقضائِه وقَبُولا[1]
الخيرُ فيما اختارَه لعبادِهِ لا يظلمُ اللهُ العبادَ فَتيلا[2]
يا ليتَ شعري هل يُحطمُ سيفُه للبَغي سيفاً في الورَى مسلولا
سلبَ البريّةَ سلمَها وهناءها ورمى النفوسَ بألفِ عزرائيلا
زال الشبابُ عن الديارِ وخلّفوا للباكياتِ الثكلَ والترميلا
طاحوا فطاحَ العلمُ تحتَ لوائِهم وغدا التفوّقُ والنبوغُ قتيلا[3]
اللهُ يشهدُ ما كفرتُ صنيعةً في ذا المقامِ ولا جحدتُ جَميلا[4]
وهو العليمُ بأنّ قلبيَ موجعٌ وجعاً كداءِ الثاكلاتِ دَخيلا
مما أصابَ الخلقَ في أبنائِهم ودها الهلالَ ممالكاً وقَبيلا[5]
أأخونُ إسماعيلَ في أبنائِه ولقدَ وُلدتُ ببابِ إسماعيلا؟
ولبستُ نعمتَه ونعمةَ بيتِه فلبستُ جزلاً وارتديتُ جَميلا[6]
ووجدتُ آبائي على صدقِ الهوَى وكفى بآباءِ الرجالِ دليلا
رؤيا (عليٍّ) يا (حسينُ) تأولت ما أصدقَ الأحلامَ والتأويلا[7]

---

١ الملكوت : العز ، والسلطان والملك العظيم .
٢ الفتيل : القشرة التي في شق النواة .
٣ طاحوا : هلكوا أو أشرفوا على الهلاك . التفوّق : الترفّع . النبوغ : الظهور في شيء وإجادته .
٤ الصنيعة : الإحسان . جحدت : أنكرت .
٥ ودها الهلال ، أو دولة الهلال ، وهي الدولة العثمانية . القبيل : الجماعة من أصل واحد .
٦ الجزل : الكثير من الشيء .
٧ علي ، هو محمد علي الكبير . وحسين ، هو السلطان حسين كامل . والرؤيا ، هي أن محمد علي كان يحلم دائماً بإنشاء مملكة مصرية منفصلة عن الدولة العثمانية ، فهو يقول : إن هذا الحلم حقق بتولية السلطان حسين التي زالت بها عن مصر السيادة التركية .

وإذا بناةُ المجدِ راموا خُطةً جعلوا الزمانَ محققاً ومُنيلا
القومُ حينَ دها القضاءُ عقولَهم كسروا بأيديهم لمصرَ غُلولا[1]
هدَموا بوادي النيل ركنَ سيادةٍ لهُم كركنِ العنكبوتِ ضئيلا
إرقأْ سريرَ أبيكَ والبَس تاجَه وأكرُم على القصرِ المشيدِ نزيلا
مرّت أُويقاتٌ عليه مُوحشاً كالرِّمس لا خلواً ولا مأهولا[2]
ليست معالي الأمرِ شيئاً غائباً عنكم، وليس مكانُكم مَجهولا
كم سُستموه في الشبيبَةِ مُضلِعاً وحملتُموه في المشِيب ثَقيلا[3]
وحميتُم زرعَ البلاد وضرعَها وهززتُم للمكرُماتِ بَخيلا[4]
يا أكرمَ الأعمامِ حسبُك أن ترى للعبرتَين بوجنتَيك مَسيلا[5]
من عثرةِ ابنِ أخيكَ تبكي رحمةً ومن الخشوعِ لمن حباكَ جزيلا[6]
ولو استطَعتَ إقالةً لعثارِهِ من صدمةِ الأقدارِ كنتَ مُقيلا[7]

* * *

يأهلَ مصرِ كلوا الأمورَ لربّكم فاللهُ خيرٌ موئلاً ووكيلا[8]

---

١ يريد بالقوم : الأتراك ، أي أنهم لما دخلوا الحرب ضد انكلترة وحلفائها أدّى ذلك إلى أن تعلن انكلترة زوال السيادة التركية ، فكأنهم هم الذين أزالوها بأيديهم . الغلول : جمع غل ، بضم الغين ، وهو طوق من حديد يجعل في العنق .

٢ الموحش : المنزل الذي ذهب الناس عنه . الرمس : القبر . المأهول : المكان فيه أهله .

٣ الشبيبة : فتوّة الشباب . المضلع : الحمل الثقيل يعجز صاحبه عن حمله .

٤ الضرع ، لكل ذات ظلف أو خف : مدرّ اللبن ؛ ويطلق مجازاً على هذه الحيوانات نفسها .

٥ المسيل : مكان السيل .

٦ العثرة : الزلة . ابن أخيك ، هو الخديو عباس . الخشوع : الخضوع . حباك : أعطاك .

٧ إقالة العثار : أن ترفع العاثر من سقطته .

٨ الموئل : الملجأ .

جرت الأمورُ مع القضاء لغايةٍ وأقرّها من يملكُ التحويلا
أخذت عِناناً منه غيرَ عِنانها سبحانه متصرِّفاً ومُديلا[1]
هل كان ذاك العهدُ إلا موقِفاً للسلطتَين وللبلادِ وبيلا[2]
يعتز كلٌّ ذليلٍ أقوامٍ به وعزيزُكم يُلقِي القيادَ ذليلا[3]
دفعت بنا فيه الحوادثُ وانقَضَت إلا نتائجَ بعدها وذُيولا
وانفضَّ ملعبُه وشاهِدُه على أنّ الروايةَ لم تتمَّ فُصولا
فأدمتُم الشحناء فيما بينكم ولبثتم في المضحكات طويلا
كلٌّ يؤيدُ حزبَهُ وفريقَهُ ويرى وجودَ الآخرين فُضُولا[4]
حتى انطوت تلك السنون كملعبٍ وفرغتُم من أهلِها تَمثيلا
وإذا أراد اللهُ أمراً لم تَجِدْ لقضائِهِ ردًّا ولا تبديلا

---

١ العنان : اللجام تمسك به الدابة .

٢ ذاك العهد ، هو عهد الحكم في مصر قبل تولية السلطان حسين . والسلطتان ، هما السلطة الشرعية التي كان يملكها صاحب عرش البلاد والسلطة الفعلية التي اغتصبها عميد انكلترة في مصر .

٣ القياد : حبل يقاد به ، والمراد أنه يخضع ويطيع .

٤ الفضول : الزيادة .

بين الحجاب والسفور

صدّاحُ ، يا ملكَ الكَنا ـرِ ، ويا أميرَ البُلبلِ
قد فزتُ منك بمعبد وُرُزقتُ قربَ الموصلي [1]
وأُتيحَ لي داودُ مِز ماراً ، وحسن ترتُّل [2]
فوق الأسرّةِ والمنا بر قطُّ لم تترجّل
تهتز كالدينار في مُرْتَجٍّ لَحْظِ الأحول
وإذا خطرتَ على الملا عبٍ ؛ لم تدع لممثِّل
ولك ابتداءاتُ الفرز دقِ ، في مقاطع جرول [3]
ولقد تَخِذْتَ من الضُّحى صُفرَ الغَلائل والحلي
ورويتَ في بيض القلا نسِ عن عذارى الهيكل

* * *

ياليت شعريَ يا أسيـ ـرُ ، شَجٍ فوادُك ، أم خَلي ؟
وحليفُ سهدٍ ، أم تنا مُ الليلَ حتى يَنجلي ؟
بالرغم مني ما تُعا لجُ في النحاس المقفَل
حرصي عليك هوىً ، ومَن يُحرِزْ ثميناً يبخل

١ معبد : مغن مشهور ، كان أيام الدولة الأموية . والموصلي : يطلق على اسحاق الموصلي وابنه إبراهيم ، وكانا مغنيين وكان لهما مع ذلك فقه وأدب .
٢ داود : النبيّ . ومزاميره : ما كان يترنم به من الادعية والأناشيد .
٣ الفرزدق : لقب همام بن صعصعة الشاعر المشهور ، كان في صدر الدولة الأموية ، وجرول : اسم الحطيئة ، وهو شاعر أدرك الجاهلية والإسلام .

والشحُّ تُحدثُه الضرو رةُ في الجوادِ المُجزِل
أنا إن جعلتُكَ في نُضا ر بالحريرِ مُجلَّل
ولففتُه في سَوسنٍ وحففتُه بقَرنفُل
وحرقتُ أزكي العودِ حو لَيْه ، وأغلي الصَّندل
وحملتُه فوقَ العيو نِ ، وفوق رأس الجدول
ودعوتُ كل أغرَّ في مُلك الطيورِ محجَّل
فأتتك بين مُطارحٍ ومجبّذٍ ، ومدلّل
وأمرت بابني فالتقا كَ بوجهه المتهلِّل
بيمينه فالوذَجٌ لم يُهدَ للمتوكِّل [1]
وزجاجةٌ من فضةٍ مملوءةٌ من سَلسل[2]
ما كنتُ يا صدّاحُ عنـ ـدكَ بالكريم المُفضل
شهْدُ الحياةِ مشوبةً بالرّق ؛ مثلُ الحنظل
والقيدُ لو كان الجما نَ منظما لم يُحمَل
ياطيرُ ، لولا أن يقو لوا : جُنّ ؛ قلتُ : تعقَّل
اسمع ، فرُبَّ مُفصِّل لك ؛ لم يفدك كمجمِل
صبراً لما تشقى به أو ما بدا لك فافعل
أنت ابنُ رأيٍ للطبيـ ـعة فيك غيرِ مُبدَّل
أبداً مَرُوعٌ بالإسا ر ، مهدَّدٌ بالمقتل
إن طرت عن كنفي وقعـ ـتَ على النُّسور الجُهَّل

* * *

يا طيرُ ، والأمثالُ تضـ ـربُ للَّبيب الأمثل

١ الفالوذج : حلواء من دقيق وعسل وماء ، والمتوكل أحد الخلفاء العباسيين .
٢ السلسل : الخمر اللينة .

دنياك من عاداتِها ... ألّا تكونَ لأعزلِ
أو للغبي ، وإن تعلَّـ ... ـلَ بالزمان المقبلِ
جُعِلَتْ لِحُرٍّ يُبتَلى ... في ذي الحياةِ ويَبتلي
يَرمي ، ويُرمَى في جها ... دِ العيشِ غيرَ مغفَّلِ
مُستجمعٍ كالليثِ ، إن ... يُجهَل عليه يَجهلِ
أسمعتَ بالحَكَمَيْنِ في الـ ... إسلامِ يومَ الجنْدَلِ ؟[1]
في الفتنة الكبرى ، ولو ... لا حكمَةٌ لم تُشعَلِ
رَضِيَ الصحابةُ يومَ ذ ... لك بالكتاب المُنزَلِ[2]
وهمُ المصابيحُ ، الروا ... ةُ عن النبي المرسلِ
قالوا : الكتابُ ، وقام كـ ... ـلٌّ مـفسر ومؤوِّلِ
حتى إذا وَسِعتْ معا ... ويةً ، وضاق بها علي[3]
رجعوا لظلم كالطبا ... ئع في النفوس مؤصَّلِ
نزلوا على حكم القو ... يِّ ، وعند رأْيِ الأحيَلِ
صدَّاحُ ، حق ما أقو ... ل ، حفِلتَ ، أم لم تحفلِ
جاورتَ أندى روضةٍ ... وحللتَ أكرمَ منزلِ
بين الحفاوةِ من حُسَيْـ ... ـنٍ ، والرعايةِ من علي

١ الحكمان : هما أبو موسى الأشعري ، ارتضاه الإمام علي حكماً له ، وعمرو بن العاص ، اختاره معاوية حكماً له ، وقصة هذا التحكيم مشهورة . ويوم الجندل : وهو أحد أيام الحرب بين علي ومعاوية . والجندل : اسم مكان .

٢ رضي الصحابة . . الخ : ذلك أن أصحاب معاوية لما رأوا أن الهزيمة ستكون لهم ، رفعوا المصاحف على أطراف الأسنة ، ونادوا عليًّا وأصحابه أن ينزلوا وإياهم على كتاب الله ، فأمر علي أصحابه أن يكفّوا عن الحرب .

٣ حتى إذا وسعت معاوية : أي حتى إذا وسعت ولاية الأمر معاوية بسبب أن الحيلة التي فعلها عمرو بن العاص جازت على أبي موسى الأشعري رجعوا لظلم . . إلى آخر ما في البيتين التاليين .

وحنانِ آمنةٍ كأمٍّ ـك في صباكَ الأول[1]
صِحْ بالصَّباح ، وبشِّر الـ ـأبـنـاء بـالمستـقبـل
واسأل لمصرَ عنايةً تأْتي وتهبطُ من عَلِ
قل : ربنا افتح رحمةً والخير منك فأرسل
أدرك كنانتَك الكريـ ـمةَ - ربَّنا - وتَقبَّل

١ حسين ، وعلي ، وآمنة : أبناؤه .

العلم ، والتعليم ، وواجب المعلم*

قمْ للمعلّم وفّه التبجيلا   كاد المعلمُ أن يكون رسولا
أعلمتَ أشرَفَ ، أو أجلَّ مِن الذي   يبني ، ويُنشئُ أنفساً وعقولا ؟
سبحانك اللّهُمَّ خيرَ مُعلّم   علَّمتَ بالقلم القرونَ الأُولى
أخرجتَ هذا العقل من ظلماتِه   وهديتَه النورَ المبينَ سبيلا
وطبعتَه بيدِ المعلم تارةً   صدِئَ الحديد ، وتارةً مصقولا
أرسلتَ بالتّوراةِ موسى مُرشِداً   وابنَ البتولِ فعلَّم الإنجيلا[1]
وفجَرتَ يَنبوعَ البيان محمداً   فسقى الحديثَ ، وناولَ التنزيلا[2]
علَّمتَ يوناناً ومصرَ ، فزالتا   عن كل شمسٍ ما تُريد أُفولا
واليومَ أصبحتا بحالِ طُفولةٍ   في العلمِ ، تلتمسانِه تطفيلا
من مَشرقِ الأرض الشموسُ تظاهَرتْ   ما بالُ مغربِها عليه أُديلا ؟
يا أرضُ ، مُذ فقدَ المعلّمُ نفسَه   بين الشموسِ وبين شرقِك حيلا
ذهب الذين حَمَوْا حقيقةَ علمِهم   واستعذبوا فيها العَذابَ وَبيلا
في عالَمٍ صحِبَ الحياةَ مقيداً   بالفردِ ، مخزوماً به ، مغلولا
صرعته دنيا المستبد ، كما هوتْ   من ضربةِ الشمسِ الرؤُوسُ ذُهولا
سُقراطُ أعطى الكأْسَ وهي مَنِيَّةٌ   شفتي محِبٍّ يشتهي التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهي غباوةٌ   فأبى ، وآثر أن يموت نبيلا

* ألقيت هذه القصيدة في حفل قام به نادي مدرسة المعلمين العليا .
١ البتول : لقب السيدة مريم عليها السلام .
٢ التنزيل : القرآن .

إن الشجاعة في القلوبِ كثيرةٌ ... ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلا

* * *

إن الذي خلق الحقيقةَ عَلْقَماً ... لم يُخلِ من أهلِ الحقيقةِ جيلا
ولربما قتل الغرامُ رجالَها ... قُتِلَ الغرامُ، كم استباحَ قتيلا
أوَكُلُّ مَن حامى عن الحقِّ اقتنى ... عند السوادِ ضغائناً وذُحولا؟
لو كنتُ أعتقدُ الصَّليبَ وخَطْبه ... لأقمتُ من صَلْبِ المسيحِ دليلا

* * *

أمُعلِّمي الوادي، وساسةَ نَشْئِه ... والطابعينَ شَبابَه المأمولا
والحاملينَ – إذا دُعوا ليُعلِّموا – ... عبءَ الأمانةِ فادحاً مسؤولا
وَنِيَتْ خُطا التعليم بعد محمدٍ ... ومشى الهُوَيْنا بعد إسماعيلا
كانتْ لنا قدمٌ إليه خفيفةٌ ... وَرِمَتْ بدنلوبٍ فكان الفيلا[1]
حتى رأينا مصرَ تخطو إصبَعاً ... في العلم، إن مشتِ الممالك ميلا
تلك الكفورُ – وَحَشْوُها أُميَّةٌ – ... من عهد «خوفو» لم تر القنديلا
تجدُ الذين بنى «المسلَّةَ» جدُّهم ... لا يُحسنون لإبرةٍ تشكيلا
ويُدَلَّلون إذا أُريدَ قِيادُهم ... كالبُهْم تأنسُ إذ ترى التدليلا
يتلو الرجالُ عليهمُ شهواتِهم ... فالناجحون أَلَدُّهم ترتيلا
الجهلُ لا تحيا عليه جماعةٌ ... كيف الحياةُ على يَدَيْ عِزريلا؟
واللهِ لولا ألسُنٌ وقرائحٌ ... دارت على فِطَنِ الشباب شَمولا
وتعهَّدتْ من أربعين نفوسَهم ... تغزو القنوطَ، وتغرسُ التأميلا
عرفتْ مواضعَ جدبهم، فتتابعتْ ... كالعينِ فيضاً، والغمامِ مسيلا
تُسدي الجميلَ إلى البلاد، وتستحي ... من أن تكافَأَ بالثناءِ جميلا

---

١ الفيل: ورم يصيب الساق، ودنلوب: مستشار إنكليزي منيت به نظارة المعارف المصرية، فأساء إلى العلم والتعليم.

ما كان دنلوبٌ ، ولا تعليمُه عند الشدائد ؛ يُغنيان فتيلا

* * *

رَبُّوا على الإنصافِ فتيانَ الحِمَى تجدوهُمُ كهفَ الحقوقِ كهولا
فهو الذي يبني الطباعَ قويمةً وهو الذي يبني النفوسَ عُدولا
ويقيمُ منطقَ كلِّ أعوجِ منطقٍ ويُريه رأياً في الأُمور أصيلا
وإذا المعلِّمُ لم يكن عدلاً ؛ مشى روحُ العدالةِ في الشباب ضئيلا
وإذا المعلّم ساء لحظَ بصيرةٍ جاءت على يده البصائرُ حُولا
وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى ومن الغرورِ ؛ فسمِّه التضليلا
وإذا أُصيب القومُ في أخلاقهم فأقِمْ عليهم مأْتماً وعويلا
إني لأعذُركم وأحسبُ عِبْئكم من بين أعباءِ الرجال ثقيلا
وجد المساعدَ غيرُكم ، وحُرِمْتُمُ في مصرَ عونَ الأُمهاتِ جليلا
وإذا النساءُ نشأن في أُمِّيّة رَضَع الرجالُ جهالةً وخمولا
ليس اليتيمُ من انتهى أبواهُ من همِّ الحياةِ ، وخلَّفاه ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكيمةِ منهما ويحسن تربيةِ الزمان بديلا !
إنَّ اليتيم هو الذي تَلقى له أُمًّا تخلَّتْ ، أو أَباً مشغولا

* * *

مصرٌ إذا ما راجعتْ أيامَها لم تلقَ للسَّبت العظيم مثيلا[1]
البرلمانُ غداً يُمدُّ رواقُه ظلاً على الوادي السعيدِ ظليلا
نرجو إذا التعليم حرّكَ شجوَهُ ألا يكون على البلاد بخيلا
قل للشباب : اليومَ بُوركَ غرسُكم دنت القطوفُ ، وذُلِّلَتْ تذليلا

١ السبت : ١٥ مارس ١٩٢٤ ، وهو اليوم الذي افتتح فيه (البرلمان) الأول ، وقد كان هذا اليوم قريباً من يوم الاحتفال .

حيُّوا من الشهداءِ كلَّ مغيَّبٍ وضعوا على أحجاره إكليلا
ليكون حظُّ الحيِّ من شُكرانكم جمًّا ، وحظُّ الميْتِ منه جزيلا
لا يلمسُ الدستورُ فيكم روحَه حتى يرى جنديَّه المجهولا[1]
ناشدتُكم تلك الدماء زكيةً لا تبعثوا للبرلمان جَهولا
فلْيسألَنَّ عن الأرائكِ سائلٌ أحملنَ فضلاً ، أم حملنَ فُضولا ؟
إنْ أنتَ أطلعتَ الممثِّل ناقصاً لم تلق عند كماله التّمثيلا
فادعوا لها أهلَ الأمانة ، واجعلوا لأُولى البصائرِ منهم التفضيلا
إن المقصِّرَ قد يَحُولُ ، ولن ترى لجهالةِ الطبع الغبيِّ محيلا
فلرُبَّ قولٍ في الرجالِ سمعتمُ ثم انقضى ، فكأنه ما قيلا
ولكم نصرتم بالكرامة والهوى مَن كان عندكمُ هو المخذولا
كرمٌ وصفحٌ في الشبابِ ، وطالما كرُمَ الشبابُ شمائلاً وميولا
قوموا اجمعوا شُعَب الأُبوةِ ، وارفعوا صوتَ الشباب مُحبَّباً مقبولا
أدُّوا إلى العرْش التحيةَ واجعلوا للخالق التكبيرَ والتهليلا
ما أبعدَ الغاياتِ !! إلا أنني أجدُ الثباتَ لكم بهنّ كفيلا
فكِلوا إلى اللهِ النجاحَ ، وثابروا فالله خيرٌ كافلاً ووكيلا

١ يريد بالجندي المجهول : من يعمل في غير جلبة ، ولا ضوضاء ، وفي غير انتظار مكافأة ، أو جزاء .

بنك مصر*

قِفْ بالممالكِ ، وانظرْ دولةَ المالِ　　واذكرْ رجالاً أدالوها بإجمال
وانقلْ ركابَ القوافي في جوانبها　　لا في جوانب رسمِ المنزلِ البالي
ما هيكلُ الهرمِ الجيزيِّ من ذهبٍ　　في العين ؛ أزينَ من بُنيانِها الحالي
علا بها الحرصُ أركاناً ، وأخرجها　　على مثالٍ من الدنيا ، ومِنوال
فيها الشقاءُ لقومٍ ، والنعيمُ لهم　　وبؤسُ ساعٍ ، ونُعمَى قاعدٍ سالي
والمالُ — مُذْ كان — تمثالٌ يطافُ به　　والناسُ — مذ خُلقوا — عُبَّادُ تمثال
إذا جفا الدورَ ؛ فَانْعَ النازلين بها　　أو الممالكَ ؛ فانْدُبْها كأطلال
يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً　　خُذْها من العلم أو خُذْها من المال
بالعلمِ والمالِ يَبني الناسُ مُلْكَهُمُ　　لم يُبْنَ ملكٌ على جهلٍ وإقلال
سراةَ مصرَ ، عهدناكم إذا بُسطتْ　　يدُ الدعاءِ سراعاً غيرَ بُخَّال
تبيَّنَ الصدقُ من بينِ الأُمور لكم　　فامضوا إلى الماءِ ، لا تُلْوُوا على الآل[1]
لا يذهبِ الدَّهرُ بين التُّرَّهاتِ بكم　　وبين زَهْرٍ من الأحلام قتَّال
هاتوا الرجال وهاتوا المال ، واحتشدوا　　رأياً لرأْيٍ ، ومِثْقالاً لمثقال
هذا هو الحجرُ الدرِّيُّ بينكم　　فابنوا بِناء قريشٍ بيتَها العالي
دارٌ إذا نزلتْ فيها ودائعكُم　　أودعتم الحَبَّ أرضاً ذاتَ إغلال
آمالُ مصرَ إليها طالما طمحتْ　　هل تبخلونَ على مصر بآمال ؟
فابنوا على بركات الله ، واغتنموا　　ما هيَّأَ اللهُ من حظٍّ وإقبال

* قيلت هذه القصيدة في الاحتفال بإنشاء بنك مصر بدار (الأوبرا) الملكية .

١ الآل : السراب .

مرحباً بالهلال

العامُ أقبلَ ، قُمْ نُحَيِّ هلالا كالتاجِ في هامِ الوجود جلالا
طُغْرَى كتابِ الكائناتِ لقارئٍ يزِنُ الكلامَ ، ويَقدُرُ الأقوالا
مَلَكَ السماء ، فكان في كُرْسِيِّهِ بين الملائكِ والملوك مِثالا
تتنافسُ الآمالُ فيه ، كأنَّه ثغرُ العنايةِ ضاحكَ الآمالا
والشَّمسُ تُزلف عيدَها ، وتزُفُّه بشرَى بمطلعهِ السعيدِ ، وفالا[1]
عيدُ المسيح ، وعيدُ أحمد ؛ أقبلا يتباريان وضاءةً وجمالا
ميلادُ إحسانٍ ، وهجرةُ سُؤدَدٍ قد غيَّرا وجه البسيطةِ حالا

* * *

قمْ للهلالِ قيامَ مُحتفِلٍ به أثنى ، وبالغ في الثناء ، وغالى
نورُ السبيلِ هَدَى ، لِكلِّ فضيلةٍ يَهدي الحكيمُ لها ، وسَنَّ خِلالا
ما بينَ مولدِه وبين بلوغه ملأَ الحياةَ مآثراً وفعالا
متواضعٌ ، واللهُ شرَّف قدرَه بالشمسِ نِدًّا ، والكواكبِ آلا[2]
متودِّدٌ عند الكمالِ ، تخالُه في راحتَيْكَ ، وعزَّ ذاك مَنالا
وافٍ لجارةِ بَيْتِهِ ، يرعى لها عهدَ السَّمَوْءلِ ، عُرْوَةً ، وحِبالا
عَونُ السُّراة على تصاريفِ النوى أمِنوا عليه وحْشَةً وضلالا[3]

* قيلت هذه القصيدة في رأس سنة ١٣٢٩ الهجرية .
١ تزلفه : أي تقربه .
٢ الند : النظير . والآل : الأهل .
٣ السراة : السائرون ليلاً .

ويُصانُ من سرِّ الصبابةِ عندَه ما باتَ عند الأكثرين مُذالا
ويُشكُّ فيه ، فلا يكلِّف نفسَه غيرَ الترفُّع والوقار نِضالا
ساءت ظنونُ الناس حتى أحدثوا للشكِّ في النور المبين مجالا
والظنُّ يأْخذ في ضميرك مأْخذاً حتى يُريكَ المستقيمَ محالا
ومن العجائبِ عند قِمَّةِ مجدِه رام المزيدَ ، فجدَّ فيه ، فنالا
يطوي إلى الأَوْجِ السماواتِ العُلا ويشدُّ في طلب الكمالِ رِحالا
ويَفُلُّ منْ هُوجِ الرياحِ عزائمًا ويَدُكُّ من موْج البحار جبالا
ويُضيءُ أثناء الخمائل والرُّبَى حتى ترى أسحارَها آصالا
ويَجُولُ في زُهْرِ الرياضِ ، كأنه صيْبُ الربيعِ ، مشى بهنّ ، وجالا

* * *

أُممَ الهلالِ ، مقالةً من صادقٍ والصدقُ أليقُ بالرجال مقالا
متلطِّفٍ في النصحِ ، غيرِ مُجادِلٍ والنصحُ أضيعُ ما يكون جدالا
من عادة الإسلام يرفعُ عاملا ويسوِّدُ المِقدامَ والفعَّالا
ظلمتْه ألسنةٌ تؤاخذُه بكم وظلمتموه مُفرِّطين ، كسالى
هذا هلالُكمُ تكفَّلَ بالهُدى هل تعلمون مع الهلال ضلالا ؟
سرَتِ الحضارةُ حقبةً في ضوئه ومشى الزَّمانُ بنوره مختالا
وبنى له العربُ الأجاودُ دولة كالشمس عرشاً ، والنجومِ رجالا
رفعوا له فوق السماكِ دعائمًا من عِلْمِهمْ ومنَ البيانِ ، طِوالا
اللهُ جلَّ ثناؤه بلسانِهم خلق البيانَ وعلَّم الأمثالا
وتخيَّرَ الأخلاقَ أحسنَها لهم ومكارِمُ الأخلاقِ منه تعالى
كالرُّسلِ عَزْماً ، والملائك رحمةً والأُسْدِ بأْساً ، والغيوثِ نوالا
عَدلوا ، فكانوا الغيثَ وقعاً ، كلما ذهبوا يميناً في الورى ، وشمالا
والعدلُ في الدُّولاتِ أُسٌّ ثابتٌ يُفني الزمانَ ، ويُنفِد الأجيالا

أيامَ كان الناسُ في جَهلاتهم مثلَ البهائمِ ، أُرْسِلت إرسالا
من جهلِهم بالدين والدنيا معاً عبدوا الأصمَّ ، وألّهوا التّمثالا
ضلوا عقولاً بعد عرفانِ الهدى والعقلُ إن هو ضلَّ كان عِقالا[1]
حتى إذا انقسموا تقوَّضَ ملكهم والملكُ إن بطلَ التعاونُ زالا
لو أن أبطالَ الحروب تفرقوا غلب الجبان على القَنا الأبطالا

....

١ العقال : في الأصل يشد به البعير ، وهنا بمعنى القيد .

يا شباب الديار *

غالِ في قيمةِ ابن بُطْرُسَ غالي   علم اللهُ ليس في الحقّ غالي
نحتني بالأديب ، والحق يقضي   وجلالُ الأخلاق والأعمال
أدبُ الأكثرين قولٌ ، وهذا   أدب في النفوس والأفعال
يُظهرُ المدحُ رونَقَ الرجل الما   جدِ ، كالسيفِ يزدهي بالصِّقال[1]
رُبَّ مدحٍ أذاع في الناس فضلا   وأتاهم بقُدوةٍ ومِثال
وثناءٍ على فتى عمَّ قوماً   قيمةُ العِقْدِ حُسنُ بعضِ الآلي
إنما يقدُرُ الكرام كريمٌ   ويقيمُ الرجالُ وزنَ الرجال
وإذا عظَّمَ البلادَ بَنوها   أنزلتهم منازلَ الإجلال
توَّجتْ هامَهم كما توَّجوها   بكريم من الثناء وغالي
إنما واصفٌ بناءٌ من الأخـ   ـلاقِ ، في دولةِ المشارق عالي
ونجيبٌ ، مهذَّبٌ ، من نجيبٍ   هذَّبته تجاربُ الأحوال
واهبُ المالِ والشبابِ لما يَنـ   ـفع ، لا للهوى ، ولا للضلال
ومذيقُ العقولِ في الغرب مما   عَصَرَ العُرْبُ في السنينَ الخوالي
في كتابٍ حوى المحاسنَ في الشِّـ   ـعر ، وأوعى جوائزَ الأمثال[2]
من صفاتٍ ، كأنها العينُ صدقاً   في أداءِ الوجوه والأشكال
ونسيب ، تحاذِرُ الغيدُ منه   شَرَكَ الحسنِ أو شباكَ الدلال

* قيلت هذه القصيدة في تكريم واصف غالي باشا سنة ١٩٠٦ .

١ صقل السيف صقالاً : جلاه .

٢ يشير إلى كتاب فرنسي ألّفه واصف باشا وكان موضع تكريمه .

ونظامٍ ، كأنه فَلَك الليـ ـلِ إذا لاحَ وهو بالزهر حالي
وبيانٍ ، كما تجلى على الرُسْـ ـل تجلَّى على رعاةِ الضال[1]
ما علِمنا لغيرهم من لسان زال أهلوه ، وهْو في إقبال
بلِيتْ هاشِمٌ ، وبادتْ نزارٌ واللسانُ المبين ليس ببالي
كـلّما هـمّ مجدُه بـزوالٍ قام فحلٌ ، فحالَ دون الزَّوال

* * *

يا بني مِصرَ ، لم أقلْ أمّةَ الـ ـقبطِ ، فهذا تشبُّثٌ بمحال
واحتيالٌ على خيال من المجـ ـدِ ، ودعوى من العِراض الطوال
إنما نحنُ مسلمينَ وقبطاً أُمةٌ وُحِّدَتْ على الأجيال
سبق النيلُ بالأُبوّةِ فينا فهو أصلٌ ، وآدمُ الجدُّ تالي
نحن من طينة الكريم على الله ، ومن مائِهِ القَراح الزُّلال[2]
مَرّ ما مَرّ من قرونٍ علينا رُسَّفاً في القيودِ والأغلال
وانقضى الدهر ، بينَ زَغرَدةِ العر سِ ، وحَثْوِ التراب ، والإعوال
ما تَحلَّى بكم يسوعُ ، ولا كُنّـ ـا لِطـه ودينهِ بجَمال
وتُضاعُ البلادُ بالنومِ عنها وتضـاعُ الأُمورُ بـالإهمال
يا شبابَ الديارِ ، مصرُ إليكم ولـواءُ الـعـرينِ للأشبـال
كلَّما رُوِّعتْ بشبهةِ بأْسٍ جعلتكم مجاقِلَ الآمال
هَيِّئوهـا لما يليقُ بمنفٍ وكـريـمِ الآثـارِ والأطلال
هيِّئوهـا لما أرادَ علـيٌّ وتمنّى على الظُّبَى والعوالي
وانهضوا نهضةَ الشعوبِ لِدُنيا وحـيـاةٍ كـبيرةِ الأشغـال
وإلى اللهِ من مشى بصليبٍ في يديهِ ، ومن مشى بهلال

---

١ الضال : نوع من الشجر .
٢ الماء القراح : الصافي .

على يد الله*

ما للقُرَى بين تكبيرٍ وإهلال   وللمدائن هزتْ عطفَ مختال؟
وللرُّبى تنظِم الأعلامَ زاهيةً   زهوَ القلائدِ في جيد الضُّحى الحالي[1]
وللقِباب على أطنابها نهضتْ   وزُيِّنَتْ كعروسٍ أو كتمثال
وللعيونِ إلى الآفاق ناظرةً   تسمو وتُطرِقُ من شوقٍ وإجلال
وللسماء جَلَتْ كالأرضِ زينتَها   فجاءتا بالضُّحى والموكِب العالي
تلك الركائبُ لا رمسيسُ بُلِّغها   ولا خطرنَ على هارونَ في بال[2]
سيّارةٌ في بناتِ العصرِ قد حملتْ   سيارَ حمدٍ ومعروفٍ وإفضالِ[3]

* * *

يا قيصرَ المشرقِ الأدنى وواحدَه   إذا تباهَى بأملاكٍ وأقيال[4]
وابنَ الذين أقاموا ركنَ دولته   على بقيّةِ أنقاضٍ وأطلال
كنانةُ اللهِ ركنٌ أنتَ مانعُه   إذا رمَتْ ركنَها الجُلَّى بزلزالِ[5]
أبان حكمُك للأجيال منهجَها   وربَّ حكم غدا نوراً لأجيال

* قيلت هذه القصيدة في زيارة من زيارات سموّ الخديو السابق عباس الثاني لمدينة طنطا .

١ الحالي : المزين وهنا بأشعة الشمس .

٢ رمسيس : فرعون من فراعنة مصر .

٣ السيار : الكوكب . والإفضال : الإحسان .

٤ الأقيال : الملوك .

٥ الجلّى : الخطب العظيم .

سيعلمون إذا اشتدّت سواعدُهم أنّ الحياةَ بآمالٍ وأعمال
ما المجدُ زخرفَ أقوالٍ لطالبه لا يدركُ المجدَ إلا كلٌّ فعّال
لَبستَ تاجين تلقى الشعبَ تحتهما من عز مصرَ ومن رِضوانِها الغالي
طلعتَ والنيلَ من بين القرى، فجرى بحران من ذهبٍ فيها وسلسال[1]
جرى فبشَّر، واستأنى مسايِرةً نعم البشيرُ، ونعم التابعُ التالي[2]
بالأمس قصَّر في واديه عن كرمٍ واليومَ تاب فقابِلْهُ بإقبالِ
ما الفرقُ في غُرَرِ الأخلاق بينكما إذا تنزَّهَ عن نقصٍ وإخلالِ؟
وأنت قيِّمه يجري فتقسِمُه قسْمَ النبيِّ كريمَ الفيء والمال[3]

* * *

تودّ طنطـدةٌ لو أنها عَبِقٌ من الرياحين حياكم به الوالي[4]
إن لاحظتْكَ عيونُ الجندِ في بلدٍ حُرستَ فيها بأقطابٍ وأبدال[5]
اللهُ يشهد والقطبُ المكينُ بها والناسُ أنك مُحيِي رسمِها البالي
أنظرْ إلى كلّ عالٍ من معاهدها تنظرْ طُلَيْطلةً في عصرها الخالي[6]
فَجَّرْتَ فيها عيونَ العلمِ فابتدرَتْ رِيًّا من المال لا رِيًّا من الآل[7]

---

١ السلسال : الماء الصافي .
٢ استأنى : انتظر .
٣ الفيء : الغنيمة .
٤ طنطدة ، أي طنطا .
٥ الأبدال : جمع بديل .
٦ طليطلة : من مدن الأندلس أيام ازدهارها .
٧ ابتدر إلى الشيء : أسرع إليه ، والضمير للمعاهد ، في البيت السابق . الآل : السراب .

بالعلم تُمْتَلَكُ الدنيا ونَضرتها ولا نصيبَ من الدنيا لجُهّال
والعلمُ يعتَصِمُ الملكُ الكبيرُ به كالغابِ ما بين آسادٍ وأشبال

* * *

لما طلعتَ عليها قال سيِّدها على يدِ اللهِ في حلٍّ وترحال[1]
مُلاحَظاً بعيونِ الله من كَثَبٍ مؤيَّداً برسول اللهِ والآل

---

١ يريد : السيد أحمد البدوي .

نهج البردة

ريمٌ على القاعِ بين البانِ والعلَمِ ... أحَلّ سفْكَ دمي في الأشهرِ الحُرُمِ [1]
رمى القضاءُ بعيْني جُؤذَر أسداً ... ياساكنَ القاعِ ، أدرِكْ ساكنَ الأجمِ [2]
لما رَنا حدّثتني النفسُ قائلةً ... ياوَيْحَ جنبِكَ ، بالسهمِ المُصيبِ رُمي
جحدتها ، وكتمت السهمَ في كبدي ... جُرْحُ الأحبة عندي غيرُ ذي ألم
رزقتَ أسمح مافي الناس من خُلق ... إذا رُزقتَ التِمَاس العذْر في الشيَمِ [3]
يا لائمي في هواه – والهوى قدَرٌ – ... لو شفَّك الوجدُ لم تَعذِل ولم تلمِ [4]
لقد أنلْتُك أُذْناً غير واعيةٍ ... ورُبَّ منتصتٍ والقلبُ في صَممِ
ياناعس الطرفِ ، لاذقْتَ الهوى أبداً ... أسهرْتَ مُضناك في حفظِ الهوى ، فنمِ [5]
أفديك ألفاً ، ولا آلو الخيالَ فِدًى ... أغراك بالبخل مَن أغراه بالكرم
سرَى ، فصادف جُرحاً دامياً ، فأسا ... ورُبَّ فضلٍ على العشاقِ للحُلُم
مَن الموائسُ باناً بالرُّبَى وقَناً ... اللاعباتُ برُوحي ، السافحات دمي ؟
السافِراتُ كأمثالِ البُدور ضُحىً ... يُغِرْنَ شمسَ الضُّحى بالحَلْي والعِصَمِ
القاتلاتُ بأجفانٍ بها سَقَمٌ ... وللمنيةِ أسبابٌ من السّقَمِ
العاثراتُ بألبابِ الرجال ، وما ... أُقِلنَ من عثراتِ الدَّلِّ في الرَسمِ
المضرماتُ خُدوداً ، أسفرت ، وجَلتْ ... عن فِتنة ، تُسلِمُ الأكبادَ للضرَمِ

---

١ الرئم (بالهمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء) : الظبي الخالص البياض .
٢ الجؤزر : ولد البقرة الوحشية .
٣ الشيم : جمع شيمة ، وهي الخلق والطبيعة .
٤ شفه الوجد : اهزله وانحل جسمه .
٥ الناعس : الوسنان .

الحاملاتُ لواء الحسنِ مختلفاً أشكالُه ، وهو فردٌ غير منقسِم
من كلِّ بيضاء أو سمراء زُيِّنتا للعينِ ، والحُسنُ في الآرامِ كالعُصُم
يُرَعْنَ للبصرِ السامي ، ومن عجبٍ إذا أشَرن أسرن الليثَ بالغَنم
وضعتُ خدِّي ،وقسَّمتُ الفؤادَ رُبىً يَرتَعنَ في كُنُسٍ منه وفي أكم
يابنت ذي اللِّبَدِ المحميِّ جانبُه ألقاكِ في الغاب ، أم ألقاكِ في الأطُم ؟[1]
ما كنتُ أعلم حتى عنَّ مسكنُه أن المُنى والمنايا مضربُ الخيَم
مَنْ أنبتَ الغصنَ مِنْ صَمصامةٍ ذكرٍ؟ وأخرج الريمَ مِن ضِرغامة قرِم ؟
بيني وبينكِ من سُمْرِ القَنا حُجُب ومثلُها عِفَّةٌ عُذريةُ العِصَم[2]
لم أغش مغناكِ إلا في غضونِ كَرى مَغناك أبعدُ للمشتاقِ من إرَم
يا نفسُ ، دنياكِ تُخْفي كلَّ مُبكيةٍ وإن بدا لكِ منها حُسنُ مُبتسَم
فُضِّي بتقواكِ فاهاً كلما ضَحكتْ كما يُفضُّ أذَى الرقشاءِ بالثَّرَم[3]
مخطوبةٌ - منذُ كان الناسُ - خاطبَةٌ من أولِ الدهر لم تُرْمِل ، ولم تئم
يَفنى الزّمانُ ، ويبقى من إساءتِها جرْحٌ بآدم يَبكي منه في الأدم
لا تحفلي بجناها ، أو جنايتِها الموتُ بالزَّهْر مثلُ الموت بالفَحَم
كم نائمٍ لا يَراها ، وهي ساهرةٌ لولا الأمانيُّ والأحلامُ لم ينم
طوراً تمدّك في نُعْمى وعافيةٍ وتارةً في قَرارِ البؤس والوَصَم
كم ضلَّلتكَ ، وَمَن تُحْجَبْ بصيرتُه إن يلقَ صابا يرِد ، أو عَلْقَما يَسُم
يا ويلتاهُ لنفسي ! راعَها ودَها مُسْوَدَّةُ الصُّحْفِ في مُبْيَضَّةِ اللِّمَم
ركَضْتها في مَرِيع المعصياتِ ، وما أخذتُ من حِمْيَةِ الطاعات للتُّخَم
هامت على أثَرِ اللَّذاتِ تطلبُها والنفس إن يَدْعُها داعي الصِّبا تَهم

١ اللبد : جمع لبدة ، وهي الشعر المتراكب بين كتفي الأسد .
٢ العفة العذرية : نسبة لقبيلة بني عذرة ، اشتهر شبابها بالعشق والعفاف ، والعصم : جمع عصمة وهي المنع والحفظ .
٣ الرقشاء من الحيات : المنقطة بالسواد والبياض .

صلاحُ أمرِكَ للأخلاقِ مرجعُه ... فقوِّم النفسَ بالأخلاقِ تستقمِ

والنفسُ من خيرِها في خيرِ عافيةٍ ... والنفسُ من شرِها في مَرْتَعٍ وَخِمِ

تطغى إذا مُكِّنتْ من لذَّةٍ وهوىً ... طَغْيَ الجيادِ إذا عَضَّت على الشُّكُمِ

إنْ جَلَّ ذَنبي عن الغُفرانِ لي أملٌ ... في اللهِ يجعلني في خيرِ مُعتصَمِ

أُلقي رجائي إذا عَزَّ المُجيرُ على ... مُفرِّجِ الكربِ في الدارينِ والغمَمِ[1]

إذا خفضتُ جَناحَ الذُّلِّ أسألُه ... عِزَّ الشفاعةِ ، لم أسألْ سوى أمَمِ

وإن تقدَّمَ ذو تقوى بصالحةٍ ... قدَّمتُ بين يديهِ عَبْرةَ النَدَمِ

لزِمتُ بابَ أميرِ الأنبياءِ ، ومَنْ ... يُمْسِكْ بمِفتاحِ بابِ اللهِ يغتنِمِ[2]

فكلُّ فضلٍ ، وإحسانٍ ، وعارفةٍ ... ما بين مستلِمٍ منه ومُلتزِمِ

علقتُ من مدحِهِ حبلاً أعزُّ به ... في يومِ لا عِزَّ بالأنسابِ واللُّحَمِ

يُزري قَريضي زُهَيْراً حين أمدحُه ... ولا يقاسُ إلى جودي لدَى هَرِمِ

محمدٌ صفوةُ الباري ، ورحمتُه ... وبغيةُ اللهِ من خَلْقٍ ومن نَسَمِ

وصاحبُ الحوضِ يومَ الرُّسْلُ سائلةٌ ... متى الورودُ ؟ وجبريلُ الأمينُ ظَمي

سناؤه وسناهُ الشمسُ طالعةً ... فالجِرمُ في فلكٍ ، والضوءُ في عَلَمِ

قد أخطأ النجمَ ما نالت أُبوَّتُه ... من سُؤددٍ باذخٍ في مظهرٍ سَنِمِ

نُمُوا إليه ، فزادوا في الورى شرَفاً ... ورُبَّ أصلٍ لفرعٍ في الفخارِ نُمي

حَواه في سُبُحاتِ الطُّهرِ قبلهم ... نوران قاما مقامَ الصُّلبِ والرَّحِمِ[3]

لما رآه بَحيرا قال : نعرِفُه ... بما حفظنا من الأسماءِ والسِّيَمِ[4]

١ الغمم : جمع غمة ، وهي الهم والحزن . والمجير هنا : المنقذ . إذا عز المجير ، أي يوم القيامة . ومفرج الكرب في الدارين : هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه ، لأنه أخرج الناس في الدنيا من ظلمة الغواية إلى نور الهداية . وهو في الآخرة صاحب الشفاعة العظمى .

٢ أمير الأنبياء : هو محمد صلى الله عليه وسلم . ولزوم بابه : كناية عن الالتجاء إلى كرمه ، وعدم الانحراف عن التوسل به في قضاء الطلبات .

٣ السبحات بضمتين : مواضع السجود . وسبحات وجه الله : أنواره .

٤ بحيرا : بفتح الباء وكسر الحاء : الراهب النصراني المشهور .

سائلْ حِراء ، وروحَ القدس : هل عَلِما ... مَصونَ سِرٍّ عن الإدراكِ مُنْكَتِم ؟[1]
كم جيئةٍ وذهاب شُرِّفتْ بهما ... بَطحاءُ مكة في الإصباح والغَسَم
ووحشةٍ لابنِ عبد الله بينهما ... أشهى من الأُنس بالأحباب والحشَم[2]
يُسامِر الوحيَ فيها قبل مهبطه ... ومَن يبشِّرْ بسيمَى الخير يَتَّسِم
لما دعا الصَّحبُ يستسقونَ من ظمإٍ ... فاضتْ يداه من التسنيم بالسَّنِم
وظَلَّلتْه ، فصارت تستظلُّ به ... غمامةٌ جذَبَتْها خِيرةُ الديَم
محبةٌ لرسولِ اللهِ أُشرِبَها ... قعائدُ الدَّيْرِ ، والرُّهبانُ في القِمم
إنّ الشمائلَ إن رَقَّتْ يكاد بها ... يُغرَى الجَمادُ ، ويُغرَى كلُّ ذي نَسَم
ونودِيَ : اقرأْ تعالى اللهُ قائلُها ... لم تتصلْ قبل مَن قيلتْ له بفم
هناك أذَّنَ للرحمنِ ، فامتلأت ... أسماعُ مكَّةَ مِن قُدسيّةِ النَّغم
فلا تسلْ عن قريش كيف حَيْرتُها ؟ ... وكيف نُفْرتُها في السهل والعَلَم ؟
تساءلوا عن عظيمٍ قد ألمَّ بهم ... رمَى المشايخَ والولدانَ باللَّمم
يا جاهلين على الهادي ودعوته ... هل تجهلون مكانَ الصادِقِ العَلَم ؟
لقَّبتموهُ أمينَ القومِ في صِغرٍ ... وما الأمينُ على قوْلٍ بمتّهَم
فاقَ البدورَ ، وفاق الأنبياء ، فكمْ ... بالخُلْق والخَلق مِن حسْنٍ ومِن عِظم
جاء النبيون بالآيات ، فانصرمت ... وجئتنا بحكيمٍ غيرِ مُنصَرِم[3]
آياتُه كلّما طالَ المدَى جُدُدٌ ... يَزِينُهنّ جلالُ العِتق والقِدم
يكاد في لفظةٍ منه مشرَّفةٍ ... يوصِيك بالحق ، والتقوى ، وبالرحم
يا أفصحَ الناطقين الضادَ قاطبةً ... حديثُك الشّهدُ عند الذائقِ الفهِم

١ حراء : جبل بمكة فيه غار كان يتعبد فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة . وروح القدس : جبريل عليه السلام .
٢ ابن عبد الله : هو النبيّ صلى الله عليه وسلم .
٣ انصرمت : انقطعت . منصرم : منقطع . الحكيم : القرآن ، وقد وصفه الله تعالى بالحكيم في مواضع منه .

حَلَّيتَ من عَطَلٍ جِيدَ البيانِ به ... في كلِّ مُنتَثِرٍ في حسن مُنتظِمِ
بكلِّ قولٍ كريمٍ أنت قائلُه ... تُحْيي القلوبَ ، وتُحْيي ميِّتَ الهِمم
سَرَتْ بشائِرُ بالهادي ومولِده ... في الشرق والغرب مَسْرى النورِ في الظُلم
تخطَّفتْ مُهَجَ الطاغين من عربٍ ... وطيَّرت أنفُسَ الباغين من عجمِ[1]
رِيعت لها شُرَفُ الإيوان ، فانصدعت ... من صدمة الحق ، لا من صدمة القُدُم
أتيتَ والناسُ فَوْضَى لا تمرُّ بهم ... إلا على صَنَم ، قد هام في صنم
والأرض مملوءةٌ جوراً ، مُسَخَّرَةٌ ... لكلِّ طاغيةٍ في الخَلْق مُحتكِمِ
مُسَيْطِرُ الفرْسِ يبغي في رعيَّته ... وقيصرُ الروم من كِبْرٍ أصمُّ عَمِ
يُعذِّبان عبادَ اللهِ في شُبَهٍ ... ويذبَحان كما ضحَّيتَ بالغَنَم
والخلقُ يَفْتِك أقواهم بأضعفِهم ... كالليْث بالبَهْم ، أو كالحوتِ بالبَلَم[2]
أسرَى بك اللهُ ليلاً ، إذ ملائكُه ... والرُّسْلُ في المسجد الأقصى على قدَم[3]
لما خطرتَ به التفُّوا بسيِّدِهم ... كالشُّهْبِ بالبدرِ ، أو كالجُند بالعَلَم
صلى وراءك منهم كلُّ ذي خطرٍ ... ومن يفُز بحبيبِ الله يأْتمِمِ
جُبْتَ السمٰواتِ أو ما فوقهن بهم ... على منوَّرةٍ دُرِّيَةِ اللُّجُم
رَكوبة لك من عزٍّ ومن شرفٍ ... لا في الجيادِ ، ولا في الأيْنُق الرسُم[4]
مَشيئةُ الخالق الباري ، وصَنعتُه ... وقدرةُ الله فوق الشك والتُّهَم
حتى بلغتَ سماءً لا يُطارُ لها ... على جَناحٍ ، ولا يُسْعَى على قَدم
وقيل : كلُّ نبيٍّ عند رتبتِه ... ويا محمدُ ، هذا العرشُ فاستلمِ
خطَطت للدين والدنيا علومَهما ... يا قارئَ اللوح ، بل يا لامِسَ القَلَم[5]

---

١ مهج : جمع مهجة ، وهي داء القلب .
٢ البهم : جمع بهمة ، وهي ولد الضأن والمعز .
٣ المسجد الأقصى : بيت المقدس .
٤ « من » في قوله « من عزّ ومن شرف » : للتعليل ، أي لأجل عزك وشرفك . والأينق الرسم : النوق الشديدة الوطء بقوتها .
٥ خطه علوم الدين والدنيا : كناية عن تعليمها الناس .

أحطْتَ بينهما بالسرِّ ، وانكشفتْ لك الخزائنُ من عِلْمٍ ، ومن حِكمِ[1]
وضاعَفَ القُربُ ما قُلِّدْتَ من مِنَنٍ بلا عِدادٍ ، وما طُوِّقتَ من نِعمِ
سلْ عصبةَ الشِّركِ حولَ الغارِ سائمةً لولا مطاردةُ المختارَ لم تُسمِ
هل أبصروا الأثرَ الوضّاء ، أم سمعوا همْسَ التسابيحِ والقرآن من أمَمِ ؟
وهل تمثّل نسجُ العنكبوتِ لهم كالغابِ ، والحائمَاتُ الزُّغبُ كالرخمِ ؟
فأدبروا ، ووجوهُ الأرضِ تلعنُهم كباطلٍ من جلالِ الحق منهزِمِ
لولا يدُ اللهِ بالجارَيْنِ ما سلِما وعينُه حولَ ركنِ الدين ؛ لم يقمِ[2]
تواريا بجَناحِ اللهِ ، واستترا ومن يضُمُّ جناحُ الله لا يُضَمِ
ياأحمدَ الخيْرِ ، لي جاهٌ بتَسْمِيَتِي وكيف لا يتسامى بالرسولِ سمي ؟[3]
المادحون وأربابُ الهوى تَبَعٌ لصاحبِ البُرْدةِ الفيحاءِ ذي القَدَمِ
مديحُه فيك حبٌّ خالصٌ وهوًى وصادقُ الحبِّ يُملي صادقَ الكلِمِ
اللهُ يشهدُ أني لا أُعارضُه من ذا يعارضُ صوبَ العارضِ العَرِمِ ؟
وإنّما أنا بعض الغابطين ، ومَن يغبِطْ وليَّك لا يُذمَمْ ، ولا يُلَمِ
هذا مقامٌ من الرحمٰنِ مُقتَبسٌ تَرمي مَهابتُه سَحْبانَ بالبَكَمِ[4]
البدرُ دونكَ في حسنٍ وفي شرفٍ والبحرُ دونك في خيرٍ وفي كرمِ
شُمُّ الجبالِ إذا طاولتَها انخفضتْ والأنجُمُ الزُّهرُ ما واسمتَها تسِمِ
والليثُ دونك بأساً عند وثبتِه إذا مشيتَ إلى شاكي السلاحِ كَمِي[5]
تهفو إليكَ – وإن أدميتَ حبَّتَها في الحربِ – أفئدةُ الأبطالِ والبُهَمِ

١ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « علمني ربي ليلة الإسراء علوماً شتى علم أخذ على كتمانه ، وعلم خيرني فيه ، وعلم أمرني بتبليغه » .
٢ الجاران : الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه . والمراد باليد : النعمة وعينه : عنايته .
٣ من أسمائه صلى الله عليه وسلم : أحمد . وقد سمي الشاعر به تيمناً باسم الرسول الأكرم
٤ سحبان : هو سحبان وائل من بني باهلة . كان يضرب بفصاحته المثل .
٥ الكمي : لابس السلاح .

محبةُ اللهِ ألقاها ، وهيبتُه ... على ابن آمنةٍ في كلِّ مُصطَدَمِ
كأن وجهَك تحت النَّقْعِ بدرُ دُجًى ... يضيءُ مُلْتَثِماً أو غيرَ مُلتثِمِ[1]
بدرٌ تطلَّعَ في بدرٍ فغُرَّتُه ... كغُرَّةِ النصر ، تجلو داجيَ الظلَمِ[2]
ذُكِرْت باليُتْم في القرآن تكرمةً ... وقيمةُ اللؤلؤ المكنونِ في اليُتمِ
اللهُ قسّمَ بين الناسِ رزقَهُمُ ... وأنت خُيِّرْتَ في الأرزاق والقِسمِ[3]
إن قلتَ في الأمر «لا» ، أو قلتَ فيه «نعم» ... فخيرَةُ اللهِ في «لا» منك أو «نعم»
أخوك عيسى دَعا ميْتاً ، فقام لهُ ... وأنت أحييتَ أجيالاً مِن الرمم
والجهْل موتٌ ، فإن أُوتيتَ مُعْجِزةً ... فابعثْ من الجهلِ ، أو فابعثْ من الرَّجَم
قالوا : غزَوْتَ ، ورسْلُ اللهِ ما بُعِثوا ... لقتْل نفس ، ولا جاءُوا لسفكِ دم
جهلٌ ، وتضليلُ أحلام ، وسفسطةٌ ... فتحتَ بالسيفِ بعد الفتح بالقلم
لما أتى لكَ عفواً كلُّ ذي حَسَبٍ ... تكفَّلَ السيفُ بالجهالِ والعَمَم
والشرُّ إن تَلْقَهُ بالخيرِ ضِقتَ به ... ذَرْعاً ، وإن تَلْقَهُ بالشرِّ يَنحسِمِ
سَلِ المسيحيّةَ الغراء : كم شربت ... بالصّاب من شَهوات الظالم الغَلِم
طريدةُ الشركِ ، يؤذيها ، ويوسعُها ... في كلِّ حينٍ قتالاً ساطعَ الحَدَمِ[4]
لولا حُماةٌ لها هبُّوا لنصرَتها ... بالسيف ، ما انتفعتْ بالرفق والرُّحَم
لولا مكانٌ لعيسى عند مُرسِلِه ... وحُرمَةٌ وجبتْ للروح في القِدَم
لسُمِّرَ البدَنُ الطُّهرُ الشريفُ على ... لَوْحَيْن ، لم يخشَ مؤذيه ، ولم يَجِمِ
جلَّ المسيحُ ، وذاقَ الصَّلبَ شانِئُهُ ... إن العقابَ بقدرِ الذنبِ والجُرُمِ[5]

---

١ النقع : غبار الحرب .

٢ بدر : موضع بين الحرمين الشريفين ، وفيه كانت الغزوة المشهورة التي دمغ فيها الشرك وأعز الإسلام .

٣ روى الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم قال : «عرض علي ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يا رب ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً» .

٤ الحدم (بالتحريك) : شدة احتراق النار .

٥ جل المسيح : تنزه عما رماه به اليهود من كاذب التهم وباطل الأقاويل ، وعما زعموا من أنهم صلبوه (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) .

أخُو النبي ، وروحُ اللهِ في نُزُلٍ   فُوقَ السماءِ ودون العرشِ مُحترَم
علَّمتَهم كلَّ شيءٍ يجهلون به   حتى القتالَ وما فيه من الذِّمَم[1]
دعوتَهم لِجِهادٍ فيه سؤددُهُمْ   والحربُ أسُّ نظامِ الكونِ والأُمم
لولاه لم نر للدولاتِ في زمن   ما طالَ من عمد ، أو قرّ من دَعَم
تلك الشواهِدُ تَتْرى كلَّ آونةٍ   في الأعصُرِ الغُرِّ ، لا في الأعصُرِ الدُّهُم
بالأمس مالت عروشٌ ، واعتلت سُرُرٌ   لولا القذائفُ لم تثْلَمْ ، ولم تصم
أشياعُ عيسى أعَدُّوا كلَّ قاصمةٍ   ولم نُعِدّ سِوى حالاتِ مُنقصِم
مهما دُعِيتَ إلى الهَيْجاءِ قُمْتَ لها   ترمي بأُسْدٍ ، ويرمي اللهُ بالرُّجُم
على لِوائِكَ منهم كلُّ مُنتقِمٍ   لله ، مُستقتِلٍ في اللهِ ، مُعتزِم
مُسبِّحٍ للقاءِ اللهِ ، مُضطرِمٍ   شوقاً ، على سابحٍ كالبرقِ مضطرِم[2]
لو صادفَ الدهرَ يَبْغي نقلةً ، فرمى   بعزمِهِ في رحالِ الدهرِ لم يَرِم
بيضٌ ، مَفاليلُ من فعلِ الحروبِ بهم   من أسيُفِ اللهِ ، لا الهندِيةِ الخُذُم[3]
كم في الترابِ إذا فتَّشت عن رجلٍ   من ماتَ بالعهدِ ، أومن مات بالقسَم
لولا مواهبُ في بعضِ الأنام لما   تفاوت الناسُ في الأقدار والقِيَم[4]
شريعةٌ لك فجرت العقول بها   عن زاخرٍ بصنوفِ العلم ملتطِم
يلوحُ حولَ سنا التوحيدِ جوهرُها   كالحلْيِ للسيف أو كالوشْيِ للعَلَم[5]
غرّاءُ ، حامت عليها أنفسٌ ، ونُهًى   ومن يَجدْ سَلسَلاً من حكمةٍ يَحُم

....

١ الذمم : جمع ذمة ، وهي العهد والأمان ، والحق .
٢ الاضطرام : توقد النار وتأججها . سابخ : جواد ، شبه حميتهم ونشاطهم في الحرب وجولاتهم فيه باضطرام النار : وهو توقدها ، وتأججها .
٣ مفاليل : الفل الثلم في السيف .
٤ أشار في هذا البيت إلى أن ما ناله أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، من الفوز والسعادة ، وارتفاع الدرجة عند الله تعالى ، إنما كان بما تقدم لهم من الفضائل ، والبلاء في نصرة الدين ، وتعرضهم للقتل والطعن في سبيل الله تعالى ، ولولا ذلك ما كان لهم فضل على سائر الناس ، ولا عدت درجتهم منزلة غيرهم من العالمين
٥ الوشي : النقش .

نورُ السبيل يساس العالَمون بها ... تكفَّلتْ بشباب الدهرِ والهَرَم
يجري الزّمانُ وأحكامُ الزمانِ على ... حُكم لها ، نافذٍ في الخلق ، مُرْتَسِم
لما اعتلت دولةُ الإسلامِ واتسَعت ... مشتْ ممالِكَهُ في نورها التَّمم
وعلَّمتْ أُمةً بالقفر نازلةً ... رعْيَ القياصرِ بعد الشاَّء والنَّعَم
كم شيَّد المصلِحُون العاملون بها ... في الشرق والغرب مُلكاً باذِخَ العِظَم
لِلعلم ، والعدلِ ، والتمدينِ ما عزموا ... من الأُمور ، وما شدُّوا من الحُزُم
سرعان ما فتحوا الدنيا لِملَّتِهم ... وأنهلوا الناسَ من سَلسالها الشَّبِم
ساروا عليها هُداةَ الناس ، فَهْي بهم ... إلى الفلاحِ طريقٌ واضحُ العَظَم
لا يهدِمُ الدَّهرُ رُكناً شاد عدلُهُمُ ... وحائط البغي إن تلمسْهُ ينهدِم
نالوا السعادةَ في الدَّارين ، واجتمعوا ... على عميم من الرضوان مقتسم
دعْ عنك روما ، وآثينا ، وما حَوَتا ... كلُّ اليواقيت في بغدادَ والتُّوم[1]
وخلِّ كِسرى ، وإيواناً يدِلُّ به ... هوى على أثَرِ النيران والأيُم[2]
واتْرُكْ رعمسيسَ ، إن الملكَ مَظهرُه ... في نهضة العدل ، لا في نهضة الهرَم[3]
دارُ الشرائعِ روما كلّما ذُكِرَتْ ... دارُ السلام لها ألقتْ يدَ السَّلَم[4]
ما ضارَعَتها بياناً عند مُلْتَأم ... ولا حَكَتها قضاءً عند مُختصَم
ولا احتوت في طِرازٍ من قياصِرها ... على رشيدٍ ، ومأْمونٍ ، ومُعتصِم
من الذين إذا سارت كتائبُهم ... تصرّفوا بحدود الأرض والتخُم
ويجلسونَ إلى علمٍ ومَعرفةٍ ... فلا يُدانَوْن في عقل ولا فَهَم

١ روما : هي المدينة المعروفة الآن بهذا الاسم ، قاعدة لمملكة إيطاليا ، وكانت في الزمن السابق قاعدة لمملكة الرومان المشهورة . وأثينا : قاعدة مملكة اليونان الآن ، وكانت من أكبر مدن الأمة اليونانية في العصور السابقة وبغداد : قاعدة الخلافة الإسلامية في دولة بني العباس ، والتوم : جمع تومة ، وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرة .
٢ كسرى : لقب لكل من يلي ملك فارس .
٣ الهرم : الأهرام في مصر كثيرة وأشهرها أهرام الجيزة الثلاثة ، وأكبرها وأشهرها وأعجبها .
٤ دار السلام : بغداد .

يُطأْطِىءُ العلماءُ الهامَ إن نَبَسوا من هيبةِ العلْم ، لا من هيبة الحُكُم
ويُمطِرون ، فما بالأرضِ من مَحَلٍ ولا بمن بات فوق الأرضِ من عُدُم[1]
خلائفُ الله جلُّوا عن موازنةٍ فلا تقيسنّ أملاكَ الورى بهم
مَنْ في البرية كالفاروق مَعْدَلَةً ؟ وكابن عبد العزيز الخاشعِ الحشِم ؟
وكالإمام إذا ما فَضَّ مزدحماً بمدمع في مآقي القوم مزدحم[2]
الزاخر العذْب في علْم وفي أدبٍ والناصر النَّدْب في حرب وفي سلم ؟
أو كابن عفّانَ والقرآنُ في يدِهِ يحنو عليه كما تحنو على الفُطُم[3]
ويجمع الآي ترتيباً وينظمُها عقداً بجيد الليالي غير منفصِم ؟
جُرحان في كبدِ الإسلام ما التأما جُرْحُ الشهيد ، وجرحٌ بالكتاب دمي
وما بلاءُ أبي بكر بمتَّهم بعد الجلائل في الأفعال والخِدم
بالحزم والعزم حاطَ الدين في محنٍ أضلَّت الحلم من كهلٍ ومحتلم[4]
وحِدْنَ بالراشد الفاروق عن رشدٍ في الموت ، وهو يقينٌ غير منبَهم[5]
يجادِلُ القومَ مُستّلاًّ مهنَّدَه في أعظم الرسْلِ قدراً ، كيف لم يدم ؟[6]

١ المحل : الجدب . والعدم : فقدان المال .
٢ الإمام : هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
٣ ابن عفان : هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .
٤ يشير إلى حروب الردة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وانتصاره على المرتدين .
٥ يقول : ما ظنك بتلك المحن التي تنحرف بعمر رضي الله عنه عن الرشد وله ما تعلم من كمال الرشد ، ووفور العقل ، وصدق اليقين ، وتذهله عن إدراك أمر من أظهر البديهيات لديه ، هو أن يدرك الموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
٦ وذلك أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الناس مات رسول الله ، أسرع عمر إلى سيفه وتوعّد من يقول ذلك ، وقال إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم ، فلما حضر أبو بكر ، وأخبر الخبر ، كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أكب عليه ، فقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، والله لا يجعل الله عليه موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها ، ثم خرج إلى الناس ، وقال : ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

لا تعذلوه إذا طاف الذهولُ به ... مات الحبيبُ ، فضلَّ الصَّبُّ عن رَغَم

* * *

يا ربِّ صَلِّ وسلِّم ما أردتَ على ... نزيلِ عرشِك خيرِ الرسْل كلِّهِم
مُحيي الليالي صلاةً ، لا يقطِّعُها ... إلّا بدمع من الإشفاق مُنسجم
مسبِّحاً لك جُنْحَ الليل ، محتملاً ... ضُرًّا من السُّهد ، أو ضُرًّا من الورَم
رضيَّة نفسُه ، لا تشتكي سأماً ... وما معَ الحبِّ إن أخلصت مِن سَأم
وصلِّ ربِّي على آلٍ لهُ نُخَبٍ ... جعلتَ فيهم لواء البيتِ والحرم
بيضُ الوجوه ، ووجهُ الدهر ذو حَلَكٍ ... شُمُّ الأُنوف ، وأُنفُ الحادثات حمي
وأهد خيرَ صلاةٍ منك أربعةً ... في الصحب ، صُحبتُهم مَرْعِيَّةُ الحُرَم
الراكبين إذا نادى النبيُّ بهم ... ما هال من جَلَلٍ ، واشتد من عَمَم
الصابرين ونفسُ الأرض واجفةٌ ... الضاحكين إلى الأخطار والقُحَم
يا ربِّ ، هبتْ شعوبٌ من منيَّتها ... واستيقظت أُمَمٌ من رقْدة العدم
سعدٌ ، ونحسٌ ، ومُلكٌ أنت مالِكه ... تُديلُ مِنْ نِعَم فيه ، ومِنْ نِقَم
رأى قضاؤك فينا رأْيَ حكمتِه ... أكرِمْ بوجهك من قاضٍ ومنتقِم
فالطُفْ لأجلِ رسولِ العالمين بنا ... ولا تزدْ قومَه خسفاً ، ولا تُسم
يا ربِّ ، أحسنت بَدء المسلمين به ... فتمِّم الفضلَ ، وامنحْ حُسنَ مُختَتَم [1]

١ لا يخفى ما في (حسن مختتم) من حسن الختام .

خاتمة رياض*

كبير السابقين من الكرام ... برغمي أن أنالكَ بالملام[1]
مقامُك فوق ما زعموا ، ولكن ... رأيتُ الحقَّ فوقك والمقام
لقد وجدوكَ مفتوناً ، فقالوا ... خرجت من الوقار والاحتشام
وقال البعضُ : كيدُكَ غيرُ خافٍ ... وقالوا : رميةٌ من غير رام[2]
وقيل : شططْتَ في الكفران ، حتى ... أردتَ المنعمين بالانتقام
غمرتَ القومَ إطراءً ، وحمداً ... وهم غمروك بالنِّعم الجِسام
رأوا بالأمس أنفَكَ في الثريا ... فكيفَ اليوم أصبح في الرَّغام ؟
أما والله ما علموك إلا ... صغيراً في ولائك ، والخصام
إذا ما لم تكن للقول أهلاً ... فما لك في المواقف والكلام ؟
خطبتَ ، فكنتَ خَطْباً – لا خطيباً – ... أُضيفَ إلى مصائبنا العِظام
لَهِجْتَ بالاحتلال وما أتاه ... وجُرحُك منه – لو أحْسَسْتَ – دامي
وما أغناهُ عمن قال فيه ... وما أغناك عن هذا الترامي
أحبَّتك البلادُ طويلَ دهرٍ ... وذا ثمنُ الولاء والاحترام
حَقَرْتَ لها زماماً كنتَ فيه ... لَعُوباً بالحكومة والذمام

* قيلت بعد خطبة المرحوم رياض باشا في مدرسة محمد علي الصناعية في ٨ يونيو سنة ١٩٠٤ .

١ الخطاب في هذا البيت لمصطفى رياض باشا ، وكان قد خطب في افتتاح مدرسة محمد علي الصناعية ، التي أنشأتها في الإسكندرية جمعية العروة الوثقى سنة ١٩٠٤ . وكان اللورد كرومر عميد الدولة المحتلة حاضراً هذا الافتتاح ، فتملقه الخطيب بكلام ، كفربه نعمة مصر وأصحاب عرشها .

٢ الكيد : المكر والخبث وإرادة ضرر الغير خفية .

محاسنُه غِراسُك والمساوي — لك الثّمرانِ : من حمدٍ ، وذام
فهلّا قلت للشبان قولاً — يليقُ بحافل الماضي الهمام ؟
يَبُثُّ تجاربَ الأيامِ فيهم — ويدعو الرابضين إلى القِيام
خطبتَ على الشبيبةِ غيرَ دارٍ — بأنكَ من مَشيبك في منام
ولولا أن للأوطان حبًّا — يُصِمُّ عن الوِشايةِ كالغرام
جنيتَ على قلوبِ الجمع يأساً — كأنكَ بينهم داعي الحِمام
أراعَكَ مقتلٌ من مصرَ باقٍ — فقمت تزيدُ سهماً في السهام ؟
وهل تركتْ لك السبعون عقلاً — لعرفانِ الحلالِ من الحرام ؟
ألا أنبيك عن زمنٍ تولى — فتذكرَه ودمعُكَ في انسجام ؟
سل «الحلميةَ» الفيحاء عنه — وسل داراً على «نور الظلام»[1]
وسل من كان حولك عبدَ جاهٍ — يُريكَ الحبَّ ، أو باغي حُطام
رأوا إرثاً سيذهب بعد حينٍ — فكانوا عُصْبةً في الاقتسام
ونالوا السمعَ من أُذُنٍ كريمٍ — فنالوا منه أنواعَ المرام
هُم حزبٌ ، وسائرُ مصرَ حزبٌ — وأنت أصمُّ عن داعي الوئام
وكيف ينالُ عونَ اللهِ قومٌ — سراتُهُمُ عواملُ الانقسام[2]
إذا الأحلامُ في قومٍ تولّتْ — أتى الكبراءُ أفعالَ الطَّغام
فيا تلك الليالي ، لا تَعودي — ويا زمنَ النفاقِ ، بلا سلام
أحبُّكِ مصْرُ ، من أعماقِ قلبي — وحبُّكِ في صميمِ القلبِ نامٍ
سيجمعُني بكِ التاريخُ يوماً — إذا ظهر الكرامُ على اللئام
لأجلكِ رحتُ بالدنيا شقيًّا — أصدُّ الوجهَ ، والدنيا أمامي
وأنظرُ جَنّةً جمعتْ ذِئاباً — فيصرِفُني الإِباءُ عن الزحام[3]

١ الحلمية : حي من أحياء القاهرة . ونور الظلام : اسم شارع بهذا الحي فيه دار رياض .
٢ السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف السخي .
٣ الإباء : الكبر والنخوة .

وهبتُكِ – غيرَ هيابٍ – يَراعاً أشدَّ على العدوِّ من الحسام
سيكتبُ عنكِ فوقَ ثَرَى رياضٍ وفي التاريخ صفحة الاتهام
أفي السبعين ، والدنيا تولَّت ولا يُرْجَى سوى حسنِ الختام
تكون – وأنت أنت رياض مصرٍ – عرابي اليوم في نظر الأنام ؟

ضجيج الحجيج*

ضجَّ الحجازُ ، وضج البيتُ والحرمُ
واستصرخت ربَّها في مكَّةَ الأُممُ

قد مسها في حماك الضرُّ ، فاقضِ لها
خليفةَ الله ، أنتَ السيدُ الحكم

لك الربوعُ التي رِيع الحجيجُ بها
أللشريفِ عليها أم لكَ العلم ؟

أُهينَ فيها ضيوفُ الله ، واضطُهدوا
إن أنت لم تنتقم فالله مُنتقم

أفي الضُّحَى – وعيونُ الجند ناظرةٌ –
تُسبَى النساءُ ، ويُؤذَى الأهلُ والحشم ؟

ويُسفك الدمُ في أرضٍ مقدّسةٍ
وتستباحُ بها الأعراضُ والحُرَم ؟[1]

يدُ الشريفِ على أيدي الولاةِ علتْ
ونَعْلُه – دونَ رُكْن البيتِ – تُستَلم

«نيرونُ» إن قيس في باب الطُّغاةِ به
مبالغٌ فيه ، و «الحجاجُ» مُتَّهَم[2]

أدِّبْه أدِّبْ – أميرَ المؤمنين – فما
في العفو عن فاسق فضلٌ ولا كرم

لا ترجُ فيه وقاراً للرسول ، فما
بين البُغاة وبين المصطفى رَحِم

ابنُ الرّسولِ فتًى فيه شمائلُه
وفيه نخوتُه ، والعهد ، والشمَم

ما كان طَه لرهطِ الفاسقين أباً
آل النبي بأعلام الهدى خُتِموا[3]

خليفةَ الله ، شكوى المسلمين رقَت
لسُدّةِ الله هل ترقى لك الكلم ؟

الحجُّ ركنٌ من الإسلام نُكبِره
واليومَ يوشك هذا الركنُ ينهدم

* رفعت إلى السلطان عبد الحميد استصراخاً من الشريف وأعوانه في ١٤ ابريل سنة ١٩٠٤ .
١ الحرم : جمع حرمة ، وهي ما لا يحل انتهاكه .
٢ نيرون : طاغية روماني قديم . والحجاج : طاغية عربي كان والياً على العراق لعبد الملك بن مروان أحد الخلفاء الأمويين .
٣ طه : من أسماء النبيّ صلى الله عليه وسلم .

من الشريف ومن أعوانِه فعلت نُعمى الزيادة ما لا تفعل النقم
عزّ السبيلُ إلى طَه وتربتِه فمن أراد سبيلا فالطريقُ دم
محمدٌ رُوِّعت في القبر أعظمُه وبات مستأْمناً في قومه الصنم[1]
وخان «عونُ الرفيق» العهدَ في بلدٍ منه العهودُ أتتْ للناس والذمم
قد سال بالدم مِن ذِبْحٍ ومن بَشَرٍ واحمرّ فيه الحمى والأشهرُ الحرم[2]
وفُزِّعَتِ في الخدورِ الساعياتُ له الداعياتُ وقرب اللهُ مُغتنَم
آبتْ ثكالَى أيامَى بعدما أخذَتْ مِنْ حَوْلِهنّ النَّوى والأَيْنُقُ الرُّسُم[3]
حُرِمْنَ أنوارَ خيرِ الخلقِ من كثبٍ فدمعهُنَّ من الحرمان منسجم
أيُّ الصغائرِ في الإسلام فاشية تودَى بأيسرها الدولاتُ والأُمم
يجيشُ صدري ، ولا يجري بها قلمي ولو جرى لبكى واستضحك القلم
أغضَيْتُ ضنًّا بعرضي أن ألمَّ به وقد يروق العمى للحرّ والصمم
موِّه على الناسِ ، أو غالطهمُ عبثاً فليس تكتمهم ما ليس ينكتم[4]
من الزيادةِ في البلوى وإن عَظُمتْ أن يعلم الشامتون اليومَ ما علموا
كلُّ الجراح بآلامٍ ، فما لمستْ يدُ العدوّ فثمَّ الجرحُ والألم
والموتُ أهونُ منها وهي داميةٌ إذا أساها لسانٌ للعِدى وفم

* * *

ربَّ الجزيرةِ ، أدرِكْها ، فقد عَبَثَتْ بها الذئابُ ، وضلَّ الراعيَ الغنم[5]

١ الصنم : صورة أو تمثال يتخذ للعبادة ، وقيل : هو كل ما عبد من دون الله .
٢ الأشهر الحرم ، أربعة : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، سميت كذلك لأن العرب كانت تجعل القتال فيها حراماً : ما عدا بني خثعم وطيىء .
٣ الثكالى : جمع ثكلى : وهي من فقدت ولدها ، والأيامي : جمع أيم ، وهي من لا زوج لها . والنوى : البعد .
٤ موه على الناس : أي زخرف لهم الأخبار وزورها عليهم .
٥ رب الجزيرة : أي صاحب الجزيرة ، وهي جزيرة العرب .

إن الذين تولوْا أمرَها ظلموا	والظلْمُ تصحبُه الأهوالُ والظُّلَم
في كلِّ يومٍ فتالٌ تقشعرُّ له	وفتنةٌ في ربوع اللهِ تضطرِم
أزرى الشريفُ وأحزابُ الشريف بها	وقسموها كإرثِ الميْتِ ، وانقسموا
لا تجزهم منك حلماً ، واْجزهم عَنَتاً	في الحلم ما يسمُ الأفعالَ أو يَصِم[1]
كفى الجزيرةَ ما جرّوا لها سفهاً	وما يحاولُ من أطرافِها العجم
تلك الثغورُ عليها – وهي زينتُها –	مناهلٌ عَذُبت للقوم ، فاْزدحموا
في كلّ لجٍّ حواليْها لهم سفُنٌ	وفوقَ كُل مكان يابسٍ قدم
والاهُمُ أمراءُ السوءِ ، واتفقوا	مع العداة عليها ، فالعداة هُمُ
فجرّد السيف في وقتٍ يُفيد به	فإن للسيف يوماً ، ثم ينصَرِم[2]

....

١ العنت : الشدة والهلاك .
٢ جرّد السيف : سلّه .وينصرم : يمضي .

استقبال

يا راكبَ الرِّيح ، حيِّ النيلَ والهرَما ... وعظِّمِ السفحَ من سيناء ، والحرما
وقف على أثرٍ مرَّ الزمانُ به ... فكان أثبتَ من أطوادِه قِمما
واخفض جناحَك في الأرض التي حَمَلَت ... موسى رضيعاً ، وعيسى الطهر منفطما
وأخرَجَت حكمةَ الأجيالِ خالدةً ... وبيَّنت للعبادِ السيفَ والقلما
وشُرِّفَت بملوكٍ طالما اتخذوا ... مطيَّهم من ملوك الأرض والخدما
هذا فضاءٌ تُلِمُّ الريحُ خاشعةً ... به ، ويمشي عليه الدهرُ محتشما
فرحباً بكما من طالعيْن به ... على سوي الطائر الميمونِ ما قدِما[1]

* * *

عاد الزمانُ ، فأعطى بعدما حَرَما ... وتاب في أُذُنِ المحزونِ ، فابتسما
فيا رَعى اللهُ وفداً بين أعيننا ... ويرحم الله ذاك الوفد ما رَحِما[2]
هم أقسموا لتَدِينن السماءُ لهم ... واليوم قد صدّقوا في قبرِهم قسما
والناسُ باني بناءٍ ، أو مُتَمِّمُه ... وثالث يتلافى منه ما انهدَما
تعاونٌ لا يحلُّ الموتُ عُرْوَتَه ... ولا يُرَى بيَدِ الأرزاءِ منفصما[3]

* * *

١ على الطائر الميمون : مأخوذ من قولهم في الدعاء للمسافر : سر على الطائر الميمون .
٢ كانت الدولة العلية قد ندبت للقيام برحلة جوية بين الآستانة والقاهرة اثنين من ضباطها الطيارين ، فسقطت طيارتها في الطريق وماتا . فندبت الدولة غيرهما ؛ فوصلا سالمين وإلى هذا يشير بالوفدين في البيت .
٣ العروة : كل ما يوثق به .

يا صاحبيَّ أدرميدٍ ، حسبُها شرفاً أنَّ الرياحَ إليها ألقت اللُّجما[1]
وأنها جاوزتْ في القدس منْطَقةً جرى البساطُ فلم يجتز لها حرَما[2]
مشت على أُفقٍ مرَّ البُراقُ به فقبَّلتْ أثراً للخُفِّ مُرتَسِما[3]
ومسَّحَت بالمُصَلَّى ، فاكتست شرفاً وبالمغارِ المعلَّى ، فاكتست عِظَما
وكلما شاقها حادٍ على أُفقٍ كانت مزاميرُ داودٍ هي النغَما
جشَّمتَها من الأهوالِ أربعةً الرعدَ ، والبرقَ ، والإعصارَ ، والظلَما
حتى حوتها سماءُ النيل فانحدرت كالنسر أعيا ، فوافى الوَكْرَ ، فاعتصما

* * *

يا آلَ عثمانَ أبناء العمومةِ ، هل تشكون جرحاً ولا نشكو له ألما ؟
إذا حزِنتم حزِنَّا في القلوب لكم كالأُم تحملُ من همِّ ابنها سَقَما
وكم نظرنا بكم نُعمي فجسَّمها لنا السرورُ ، فكانت عندنا نِعما
ونبذلُ المال لم نُحمَل عليه ، كما يقضي الكريمُ حقوقَ الأهلِ والذِّمما
صبراً على الدهر إن جلَّت مصائبُه إن المصائب مما يُوقظُ الأُمَما
إذا المقاتلُ من أخلاقِهم سلمتْ فكلُّ شيءٍ على آثارها سلِما
وإنما الأُمم الأخلاق ما بقيت فإن تَوَلَّت مضوْا في إثرِها قُدُما
نمتم على كلِّ ثارٍ لا قرار له وهل ينامُ مُصيبٌ في الشعوبِ دما ؟
فنال من سيفكم من كان ساقيَه كما تَنالُ المُدامُ الباسلَ القَدَما
قال العذولُ : خرجنا في مَحَبَّتِكم من الوقارِ ، فيا صدقَ الذي زعما

١ أدرميد : اسم الطيارة التي ركباها إلى مصر .
٢ القدس : مدينة بيت المقدس في الشام . والبساط : هو بساط سليمان . وفي التاريخ الديني : أنه كان يتخذ مع الريح بساطاً يجريه حيث يشاء .
٣ البراق في اللغة الدينية : دابة كان يركبها الأنبياء ، وقد ركبها النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه من مكة إلى بيت المقدس .

فما على المرءِ في الأخلاق من حرج إذا رعى صِلَةً في الله ، أو رَحِما
ولو وهبتُم لنا عُليَا سيادتِكم ما زادنا الفضلُ في إخلاصنا قدما
نحنو عليكم ، ولا ننسى لنا وطناً ولا سريراً ، ولا تاجاً ، ولا عَلَما
هٰذي كرائمُ أشياءِ الشعوب ، فإن ماتت فكلُّ وجود يشبهُ العدَما

أرسططاليس وترجمانه*

علمتَ بالقلمِ الحكيم | وهديتَ بالنَّجم الكريم
وأتيتَ من محرابه | بأرسططاليسَ العظيم
ملكِ العقول ، وإنها | لنهاية المُلْكِ الجسيم
شيخ ابن رشد ، وابن سيـ | ـنا ، وابن بَرقينَ الحكيم[1]
من كان في هَدْيِ المسيـ | ـح ، وكان في رُشْدِ الكليم
وغدا وراح موحِّداً | قبل البَنِيَّةِ والحَطيم[2]
صوت الحقيقة بين رعـ | ـدِ الجاهلية والهزيم
ما بين عاديةِ السَّوا | م وبين طُغيان المسيم
يبني الشرائعَ للعصو | ر بناء جبَّارٍ رحيم
ويفصِّل الأخلاقَ للـ | أجيال تفصيل اليتيم
في واضح لحَبِ الطريـ | ـق من المذاهب مستقيم
ورسائلٍ مثلِ السُّلا | فِ إذا تمشَّت في النديم
قدسيةِ النفحاتِ ، تُسـ | ـكِر بالمذاقِ ، وبالشَّميم

* * *

يا لطفِ ، أنت هو الصَّدى | من ذلك الصوت الرَّخيم

....

* ترجم الأستاذ أحمد لطفي باشا السيد كتاب أرسططاليس في علم الأخلاق إلى العربية ، فكتب إليه صاحب الديوان هذه التهنئة .

(1) برقين : بلدة المترجم لطفي باشا السيد .

(2) البنية : الكعبة .

أرجُ الرياضِ نقلتَه ونسخته نَسْخَ النسيم
وسريتَ من شِعبِ الألَمْـ ـبِ به إلى وادي الصَّريم[1]
فتجارتِ اللغتان للـ ـغايات في الحَسِبِ الصميم
لغةٌ منَ الإغريق قيِّـ ـمةٌ ، وأخرى من تميم
وأتيتَـنا بمُفَصَّلٍ بالتبر ، عُلويٍّ الرقيم
هو ضِنةُ المُثري من الـ ـأخلاق ، أو مالُ العديم

* * *

مَشَّاءُ هذا العصرِ ، قِفْ حدِّث عن العُصُر القديم[2]
مَثِّلْ لنا اليونان بيـ ـنَ العلم والخُلق القويم
أخلاقها نور السبيـ ـلِ ، وعِلْمها نور الأديم
وشبابُها يتعلمو نَ على الفراقد والنجوم
لمسوا الحقيقةَ في الفنو ن ، وأدركوها في العلوم
حلَّتْ مكاناً عندهم فوق المعلِّم والزعيم
والجهلُ حظُّك إن أخذ تَ العلمَ من غير العليم
ولربَّ تعليمٍ سرى بالنشءِ كالمرضِ المُنيم
يتلبَّسُ الحُلمُ اللذيـ ـذُ عليه بالحُلُمِ الأليم
ومدارس لا تُنهِضُ الـ ـأخلاقَ دارِسَة الرُّسوم
يمشي الفسادُ بنبْتها مشيَ الشرارةِ بالهشيم

* * *

لما رأيتُ سوادَ قو مي في دُجى ليلٍ بهيم
يُسْقَوْنَ من أُمِّيَّةٍ هي غُصَّةُ الوطن الكظيم

١ الألمب : جبل من جبال اليونان . والصريم : واد من أودية العرب .
٢ المشاؤون : تلاميذ أرسطاليس .

وسراتُهم في مُقعِدِ — من مطلَبِ الدنيا مُقيم
يَسعَوْن للجاه العظيـ — ـم ، وليس للحق الهضيم
وبصُرْتُ بالدستور يُزْ — هَق وهو في عُمْر الفطيم
لم يَنجُ من كيدِ العَدو — له ، ومن عبثِ الحميم
أيقنت أن الجهلَ عِلَّـ — ـةُ كلِّ مجتمع سقيم
وأتيتُ – يا ربَّ النثـ — ـر – بما تُحبُّ من النظيم
أجزِ اجتهادَكِ في جَني — الثّمراتِ للنَشأِ النهِم[1]
من روضةِ العلم الصحيـ — ـح ، وربوةِ الأدب السليم
العاشقينَ العلمَ ، لا — يألونه طلبَ الغريم
المعرضينَ عن الصغا — ئر ، والسعاية ، والنّميم

* * *

قسماً بمذهبك الجميـ — ـلِ ، ووجهِ صُحبَتك القسيم
وقديمِ عهدٍ ، لا ضئيـ — ـلٍ في الوداد ، ولا ذميم
ما كنتَ يوماً للكِنا — نةِ بالعدُوِّ ولا الخصيم
لما تلاحى الناسُ لم — تنزلْ إلى المرعى الوخيم[2]
كم شاتمٍ قابلتَه — بترفُّعِ الأسدِ الشتيم
وشغلْتَ نفسك بالخصيـ — ـب من الجهودِ عن العقيم
فخدمْتَ بالعلم البلا — دَ ، ولم تزلْ أوْفَى خَديم
والعلمُ بنَّاءُ المآ — ثِرِ والممالكِ من قديم
كبروا به نِيرَ الهوا — نِ ، وحطَّموا ذُلَّ الشكيم

1 النهِم : الذي لا يشبع .
2 تلاحى الناس : تلاعنوا .

شهيد الحق*

إلامَ الخُلْفُ بينكُمُ ؟ إلاما ؟ | وهٰذي الضجَّةُ الكبرى علاما ؟
وفيمَ يكيدُ بعضُكُمُ لبعض | وتُبدون العداوةَ والخِصاما ؟
وأين الفوزُ ؟ لا مصرُ استقرتْ | على حالٍ ، ولا السودانُ داما ؟
وأين ذهبتمُ بالحقّ لما | ركبتم في قضيتِه الظلاما ؟
لقد صارتْ لكمُ حكماً وغُنمًا | وكان شِعارُها الموتَ الزُّؤاما
وثقتم واتهمتم في الليالي | فلا ثقةً أدَمْنَ ، ولا اتهاما
شببتم بينكم في القُطر ناراً | على مُحتَلِّهِ كانت سلاما
إذا ما راضَها بالعقل قومٌ | أجدَّ لها هوى قومٍ ضِراما
ترامَيْتُم ، فقال الناس : قومٌ | إلى الخذلانِ أمرُهُم ترامَى
وكانتَ مصرُ أولَ من أصبتم | فلم تُحصِ الجراحَ ولا الكِلاما[1]
إذا كان الرُّماةُ رماةَ سوءٍ | أحَلُّوا غيرَ مرماها السهاما
أبعدَ العُرْوةِ الوُثْقى وصَفٌّ | كأنياب الغضنفَر لن يُراما
تباغيتم كأنكمُ خلايا | من السرطانِ لا تجدُ الضِّماما ؟

* نظمها صاحب الديوان بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل باشا ، وقد تناول فيها وصف ما أصاب البلاد في سنة ١٩٢٤ من انقسام وتشاحن وتناحر ؛ وأشار إلى تصريح ٢٨ فبراير وموقف بعض الزعماء حياله ؛ ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى فقيد البلاد المرحوم مصطفى كامل فوفاه حقه ، واستطرد من ذلك إلى البحث فيما تحتاج إليه البلاد من وسائل الإصلاح .

١ الكلام بكسر الكاف : الجروح .

أرى طيّارَهم أوفى علينا وحلّق فوق أرؤسنا وحاما
وأنظرُ جيشَهم من نصف قرنٍ على أبصارنا ضرَبَ الخياما
فلا أُمناؤنا نقصوه رمحاً ولا خوّانُنا زادوا حساما
ونُلقي الجوَّ صاعقةً ورعداً إذا قصرُ الدبارةِ فيه غاما
إذا انفجرتْ علينا الخيلُ منه ركبنا الصمتَ ، أو قُدْنا الكلاما
فأُبْنا بالتخاذل والتلاحي وآب مما ابتغى منّا وراما

* * *

ملكنا مارِنَ الدنيا بوقتٍ فلم نُحسن على الدنيا القياما[1]
طلعنا – وهْي مقبلةٌ – أُسوداً ورحنا – وهْي مدبرةٌ – نَعاما
ولِينا الأمرَ حزباً بعد حزبٍ فلم نَكُ مصلحين ولا كِراما
جعلنا الحُكم توليةً وعزلاً ولم نَعْدُ الجزاء والانتقاما
وسُسْنا الأمرَ حين خلا إلينا بأهواء النفوس ، فما استقاما
إذا التصريحُ كان براحَ كفرٍ فَلِمْ جُنَّ الرجالُ به غراما ؟
وكيف يكون في أيدٍ حَلالاً وفي أُخرى من الأيدي حراما ؟
وما أدري غداةَ سُقِيتموه أتِرْياقاً سُقِيتُم ، أم سِماما ؟[2]

* * *

شهيدَ الحقِّ ، قُمْ تره يتيماً بأرضٍ ضُيِّعَت فيها اليَتامى
أقام على الشفاه بها غريباً ومرّ على القلوب ، فما أقاما
سَقِمتَ ، فلم تَبِتْ نفسٌ بخيرٍ كأن بمهجةِ الوطن السَّقاما
ولم أر مثلَ نعشِك إذ تهادى فغطّى الأرضَ ، وانتظم الأناما
تحمَّلَ هِمَّةً ، وأقلَّ دِيناً وضمَّ مروءةً ، وحوى زماما

---

١ المارن : الأنف أو ما لان منه ، والمراد بمارن الدنيا : ذروتها وأعلاها .
٢ الترياق : ما يدفع السموم من الدواء .

وما أنساكَ في العشرينَ لما ... طلعتَ حِيالها قمراً تماما
يشار إليك في النادي وتُرمَى ... بعَيْنَيْ مَنْ أحبَّ ومَنْ تعامى
إذا جئتَ المنابرَ كنتَ قُسًّا ... إذا هو في عُكاظَ علا السَّناما[1]
وأنت ألذُّ للحق اهتزازاً ... وألطفُ حين تنطقه ابتساما
وتحملُ من أديمِ الحقّ وجهاً ... صُراحاً ، ليس يتخذ اللِّثاما

* * *

أتذكر قبلِ هذا الجيل جيلاً ... سهرنا عن معلمهم وناما ؟
مِهارُ الحق بغَّضنا إليهم ... شكيمَ القيصرِية واللجاما
لواؤُكَ كان يسقيهم بجامٍ ... وكان الشعرُ بينَ يَدَيَّ جاما[2]
من الوطنيةِ استبقوا رحيقاً ... فضضْنا عن مُعتَّقِها الختاما
غرسنا كَرْمَها ، فزكا أُصولاً ... بكلٍّ قَرارةٍ ، وزكا مُداما
جمعتهم على نبراتِ صوتٍ ... كنفخ الصُّور حرَّكت الرِّجاما[3]
لك الخُطَبُ التي غَصَّ الأعادي ... بسَوْرتها ، وساغت للندامى
فكانت في مرارتها زئيراً ... وكانت في حَلاوتها بُغاما
بك الوطنيةَ اعتدلتْ ، وكانت ... حديثاً من خرافة أو مَناما[4]
بنيتَ قضيَّةَ الأوطانِ منها ... وصيَّرتَ الجلاء لها دِعاما
هزَزت بني الزمان به صبيًّا ... ورُعتَ به بني الدنيا غلاما

١ قس : هو قس بن ساعدة الأيادي : ويضرب به المثل في بلاغة الخطباء ، ويروى عنه أنه كان يخطب الناس في عكاظ وهو على ظهر بعير .
٢ الجام : إناء من فضة .
٣ الرجام : القبور .
٤ خراقة : رجل عذري اختطفته الجن فيما زعموا ، ثم رجع إلى قومه ، وأخبر بما رأى منها ، فكذبوه ، وأصبح حديثه مثلاً لكل حدث باطل .

وعندك للملوكِ بني عليٍّ		منازلُ في الكرامة لا تُسامى
جمعتَ الناسَ حول العرش علماً		بأن لمصر في العرش اعتصاما
إذا طافوا ببيتِ المُلْكِ يوماً		سبقتهمُ إلى الركن استلاما
تُضائِلُ شخصك الضاحي وقاراً		وتخفِض رأسَك العالي احتشاما[1]
وكان العرشُ هامةَ كلِّ قوم		وإن كانوا أجلَّ الناس هاما[2]
هو العلَمُ الذي تفديه مصرٌ		ونحنُ الجندُ في العلم انتظاما

* * *

أبا الفاروقِ أدركْها جراحاً		أبتْ إلا على يدك التئاما
فإنك أنت مرهَمُ كل جُرح		وإن بلغ المفاصلَ والعظاما
فكم شرٍّ حسمتَ وكم بلاءٍ		وكنا لا نرى لهما انحساما
ويابن الغيث، بالوادي غليلٌ		إلى الإصلاح فامنحْه الغماما
أرى وطناً تحيّر ناشئوه		فما يجدون من عملٍ قِواما
فلا أُسُس التجارة فيه قرَّتْ		ولا رُكنُ الصناعة فيه قاما
مدارسُ لم تهيِّئْهُمْ لكسبٍ		ولم تبنِ الحياةَ ولا النظاما
هلمَّ، مثالَ إسماعيلَ وانسجْ		على منواله المننَ الجساما
كبارُ المصلحين بمصرَ عُدُّوا		فلم يَعدوا أُبُوَّتَك العظاما
فخذ ما شئتَ في الإصلاح عنهم		تجدْ في كل مأثُرَةٍ إماما
وأنت أعزُّ بالدستورِ شأناً		وأرفعُ خلف هالته مقاما
فمُرْ بالنشء أن يتعلّموه		وخلِّ الدهرَ يقرئُهُ الطَّغاما

---

١ ضاءل شخصه : صغّره تواضعاً . والضاحي : البارز .
٢ الهامة : الرأس ، جمعها هام .

تحية للترك

الدهرُ يقظانُ ، والأحداثُ لم تنمِ ... فما رقادُكم يا أشرف الأممِ ؟
لعلكم منَ مِراسِ الحرب في نَصَبٍ ... وهذه ضِجعةُ الآساد في الأجَم[1]
لقد فتحتم فأعرضتم على شبَع ... والفتح يعترض الدولات بالتُّخم
هبُّوا بكم وبنا للمجدِ في زمنٍ ... من لم يكن فيه ذئباً كان في الغنم
هذا الزمانُ تناديكم حوادثُه ... يا دولةَ السيفِ ، كوني دولةَ القلم
فالسيفُ يهدم فجراً ما بنى سَحَراً ... وكلُّ بنيانِ علم غيرُ منهدم
قد ماتَ في السِّلم مَنْ لا رأْيَ يَعصمُه ... وسوَّت الحرب بين البَهْم والبُهَم
وأصبح العلمُ ركنَ الآخذين به ... من لا يُقِمْ ركنَه العرفانُ لم يَقُم
الناسُ تسحبُ فضفاضَ الغِنى مرحاً ... ونحن نلبسُ عنه ضِيقةَ العُدُم
يا فتيةَ الترك ، حيا الله طلعتَكم ... وصانكم ، وهداكم صادقَ الخِدَم
أنتم غدُ الملكِ والإسلامِ ، لا برحا ... منكم بخيرِ غدٍ في المجدِ مبتسم
تُحِلُّكم مصرُ منها في ضمائرها ... وتعلن الحبَّ جمًّا غيرَ متَّهَم
فنحن – إن بعدتْ دارٌ وإن قربتْ – ... جاران في الضاد ، أو في البيتِ والحَرَم[2]
ناهيك بالسببِ الشرقيِّ من نسبٍ ... وحبذا سببُ الإسلام من رحِم
شملُ اللغات لدى الأقوامِ ملتئمٌ ... والضَّاد فينا بشمل غير ملتئم
فقرِّبوا بيننا فيها وبينكمُ ... فإنها أوثقُ الأسباب والذِّمم

١ مراس الحرب : مزاولتها .
٢ الضاد : تطلق إسماً للغة العربية ، وذلك أن حرف الضاد لا يوجد في لغة سواها ولا يقوى عليه إلا أهلها .

وكلّنا إن أخذنا بالفلاح يدٌ وسعينا قدم فيه إلى قدَم

فلا تكوننَّ «تركيا الفتاة» ، ولا تلك العجوزَ ، وكونوا تركيا القِدَم

فسيفُها سيفُها في كل معترك وعدلُها طوّق الإسلام بالنِّعم

الأسطول العثماني*

هزَّ اللواء بعزِّك الإسلامُ ... وعَنَتْ لقائم سيفِك الأيامُ
وانقادتَ الدنيا إليك ، فحسبُها ... عذراً قيادٌ أسلست وزِمام
ومشى الزّمانُ إلى سريرك تائباً ... خجلاً ، عليه الذُّلُّ والإرغام
عرشُ النبي محمدٍ جَنَبَاتُه ... نورٌ ، ورَفْرَفُهُ الطَّهورُ غمام
لما جلستَ سما وعزّ ، كأنما ... هارونُ وابناه عليهِ قِيام[1]
البحرُ محشودُ البوارج دونه ... والبرُّ تحت ظِلاله آجام
نَعَمَ الرعيةُ في ذَراكَ ، ونَضَّرتْ ... أيامَهم في ظِلِّكَ الأحكام
في كل ناحيةٍ ، وكل قبيلةٍ ... عدلٌ ، وأمنٌ مُورفٌ ، ووِئام
حمل الصليبُ إليكَ من فتيانه ... جنداً ، وقاتلَ دونكَ الحاخام
والدينُ ليس برافعٍ ملكاً إذا ... لم يَبْدُ للدّنيا عليه نظام
بالله قد دان الجميعُ ، وشأْنُهم ... بالله ثم بعرشِك ؛ استِعصام[2]

* * *

يا ابنَ الذين إذا الحروبُ تتابعت ... صَلَّوْا على حَدِّ السيوف ، وصاموا
المظهِرينَ لنورِ «بَدْرٍ» بعد ما ... خِيفَ المحاقُ عليه والإظلام[3]

---

* كان صاحب الديوان في الاستانة وشاهد البارجتين اللتين اشترتهما الدولة العلية من المانيا فأخذته هزة الطرب وعزّ عليه أن يرى المسلمين في أقطار الأرض قاعدين عن إعانة أسطول الدولة فجرى لسانه بهذه القصيدة.

١ سما : ارتفع . وهارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسي . وابناه : هما الأمين ، والمأمون .
٢ بالله قد دان الجميع : أي أمنوا به . والاستعصام : الاستمساك .
٣ بدر : اسم الغزوة المشهورة في صدر الإسلام ، سميت باسم المكان الذي وقعت فيه . والمحاق (مثلث الميم) : قيل : هو آخر الشهر حيث يمحق نور القمر ، وقيل : هو ثلاث ليال من آخره .

عشرون خاقاناً نَمَوْك وعَشْرةٌ غرٌّ الفتوح خلائفٌ أعلام[1]
نسبٌ إذا ذُكِر الملوكُ فإنه لِرَفيع أنسابِ الملوكِ سَنَام
لا تحفلنَّ من الجراح بقيةً إن البقيةَ في غدٍ تلتام
جرت النحوس لغاية فتبدَّلت ولكل شيءٍ غايةٌ وتمام
تعِبت بأُمَّتِك الخطوبُ فأقصرَت والدهرُ يُقصر والخطوب تنام
لبثَت تَنُوشهمُ الحوادثُ حقبةً وتصدُّها الأخلاقُ والأحلام
ولقد يُداس الذئبُ في فلواته ويُهابُ بين قيوده الضرغام
زدْهم أميرَ المؤمنين من القُوَى إن القُوَى عزٌّ لهم وقوام
الملكُ والدُّولاتُ ما يَبني القنا والعلمُ ، لا ما تَرفعُ الأحلام
والحقُّ ليس – وإن علا – بمؤيَّدٍ حتى يُحَوِّطَ جانبيْه حسام
خطَّ النبيُّ براحتيهِ خَندقاً ومشى يُحيط به قناً وسهام

* * *

يا بربروسُ ، على ثراكَ تحيةٌ وعلى سَمِيِّكَ في البحارِ سلام[2]
أعَلِمتَ ما أهدى إليك عصابةٌ غرُّ المآثر من بنيك كرام ؟[3]
نشروا حديثَك في البرية بعد ما همَّت بطيٍّ حديثِك الأيام
خصُّوك من أُسطولهم بدعامةٍ يُبنى عليها ركنُه ويقام
شماءُ في عرضِ الخِضَمِّ ، كأنها برجٌ بذات الرجع ليس يرام
كانت كبعض البارجات ، فحفَّها لما تحلَّت باسمِك الإعظام
ما مات من نبل الرجال وفضلهم يحيا لدى التاريخ وهو عظام
يمضي ويُنسى العالمون ، وإنما تبقى السيوفُ ، وتَخلُدُ الأقلام

١ الخاقان : هو كل ملك من الأتراك .
٢ بربروس : هو خير الدين بربروس من أبطال العثمانيين ، جعلت الحكومة التركية اسمه علماً لبارجة هي الأولى في الأسطول العثماني .
٣ عصابة غر المآثر : هم رجال الحكومة العثمانية الذين أوجدوا البارجة بربروس .

وتلاك طرغودُ كما قد كنتُما جَنباً لجنبٍ والعُبابُ ضِرام[1]
أرسي على بابِ الإمام كأنه للفُلك من فرط الجلال إمام
جمعتكما الأيامُ بعد تفرُّق ما للقاءِ وللفراق دوام
سيشدُّ أزرَك والشدائدُ جُمةٌ ويُعِزُّ نصرَك والخُطوبُ جِسام
ما السُّفنُ في عدد الحصى بنوافع حتى يهزَّ لواءها مِقدام
لما لمحتُكما سكبْتُ مدامعي فرحاً ، وطال تشوُّفٌ وقِيام
وسألتُ : هل من لؤلؤ أو طارقٍ في البحر تخفُقُ فوقَه الأعلام ؟

* * *

يا معشرَ الإسلامِ ، في أُسطولكم عزٌّ لكم ، ووقايةٌ ، وسلام
جودوا عليه بمالِكم ، واقضوا له ما توجبُ الأعلاقُ والأرحام
لا الهندُ قد كرُمت ، ولا مصرٌ سخت والغربُ قصَّر عن ندًى ، والشام
سيلُ المهالكِ جارفٌ من شدَّةٍ وقُوى ، وأنتم في الطريق نِيام
حبُّ السيادة في شمائِل دينكم والجِدُّ روحٌ منه والإقدام
والعلمُ من آياته الكبرى إذا رجعت إلى آياتِه الأقوام
لو تُقرِئون صِغارَكم تاريخَه عرف البنون المجدَ كيف يُرام
كم واثقٍ بالنفس ، نهّاضٍ بها ساد البريةَ فيه وهو عِصام[2]

١ طرغود : هو من أبطال البحر العثماني ، جعلت الحكومة التركية اسمه كذلك علماً لبارجة أخرى .
٢ وهو عصام : أي كعصام ، وهو رجل شرف بنفسه وعمله ، فضرب به المثل في ذلك .

الأندلس الجديدة

يا أُختَ أندلسٍ ، عليكِ سلامُ هَوَت الخلافةُ عنكِ ، والإسلامُ[1]
نزل الهلالُ عن السماءِ ، فليتها طُوِيَتْ ، وعمَّ العالمين ظلام
أزرى به ، وأزاله عن أوْجِهِ قدَرٌ يَحُطُّ البدرَ وهو تمام
جُرحان تمضي الأمتان عليهما هذا يسيل ، وذاك لا يلتام[2]
بكما أُصيبَ المسلمون ، وفيكما دُفِنَ اليراعُ ، وغُيِّب الصَّمصام
لم يُطوَ مأْتمُها ، وهذا مأْتمٌ لبسوا السوادَ عليكِ فيه وقاموا
ما بينَ مَصرعِها ومصرعِكِ انقضت فيما نُحِبُّ ونكره الأيام
خلت القرونُ كليْلةٍ ، وتصرَّمت دولُ الفتوحِ كأنها أحلام
والدهرُ لا يألو المالكَ مَنذراً فإذا غفلنَ فما عليهِ مَلام

* * *

مقدونيا – والمسلمون عشيرةٌ – كيف الخُؤُولةُ فيكِ والأعمام ؟
أترينْهم هانوا ، وكان بعزِّهم وعلوِّهم يتخايلُ الإسلام ؟
إذ أنتِ نابُ الليثِ ، كل كتيبة طلعت عليكِ فريسةٌ وطعام
ما زالت الأيامُ حتى بُدِّلَت وتغيَّرَ الساقي ، وحالَ اجام

١ يا أخت أندلس : يخاطب مدينة أدرنة ، وقد كانت من أمهات المدن العثمانية في مقدونية ، وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الأنباء بغلبة البلغار عليها في الحرب سنة ١٩١٢ .
٢ جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدي المسلمين ، والثاني خروج الأندلس من أيديهم ، والأمتان : هما العرب أيام نكبة الأندلس ، والترك أيام ضياع أدرنة .

أرأيتِ كيف أُديلَ من أُسْدِ الشَّرَى وشهدتِ كيف أُبيحتِ الآجام ؟[1]
زعموكِ همًّا للخلافةِ ناصباً وهل المالكُ راحةٌ ومنام ؟
ويقول قومٌ : كنتِ أشأمَ مَوْرِدٍ وأراكِ سائغةً عليكِ زِحام
ويراكِ داء المُلك ناسُ جَهالةٍ بالمُلك منهم علةٌ وسَقام
لو آثروا الإصلاحَ كنتِ لعرشِهم رُكناً على هام النجوم يُقام
وهْمٌ يُقَيِّدُ بعضُهم بعضاً به وقيودُ هذا العالَمِ الأوهام
صورُ العمَى شتَّى ، وأقبحُها إذا نظرتْ بغير عيونِهنَّ الهام
ولقد يُقام من السيوفِ ، وليس من عثراتِ أخلاقِ الشعوبِ قيام

* * *

ومُبَشِّرٍ بالصلحِ قلت : لعله خيرٌ ، عسى أن تصدقَ الأحلام
تركَ الفريقان القتالَ ، وهذه سِلْم أمرُّ من القتالِ عُقام
ينعي إلينا الملكَ ناعٍ لم يطأ أرضاً ، ولا انتقلت به أقدام
برق جوانبُه صواعقُ كلُّها ومن البروقِ صواعقٌ وغمام[2]
إن كان شرٌّ ، زار غيرَ مفارقٍ أو كان خيرٌ ، فالمزارُ لِمام
بالأمس أفريقا تولَّتْ ، وانقضى مُلكٌ على جيدِ الخِضَمِّ جسام
نظمَ الهلالُ به ممالكَ أربعاً أصبحنَ ليس لعقدِهن نظام[3]
من فتحِ هاشم أو أُميةَ ، لم يُضِعْ آساسَها تَتَرٌ ولا أعجام[4]
واليومَ حكمُ الله في مقدونيا لا نقضَ فيه لنا ولا إبرام
كانت من الغرب البقيةُ ، فانقضت فعلى بَني عثمانَ فيه سلام !

* * *

١ الشرى : مكان تكثر فيه الأسود .
٢ الجوائب : الأخبار الطارئة . جمع جائبة .
٣ ممالك أربعا ، هن : مصر ، وطرابلس ، وتونس والجزائر .
٤ من فتح هاشم أو أمية : أي هذه الممالك الأربع مما فتحه بنو هاشم وبنو أمية في عصر الإسلام الأول .

أخذَ المدائنَ والقُرى بخناقها جيشٌ من المتحالفين لُهام[1]
غطَّت به الأرضُ الفضاء وجوهَها وكست مناكِبَها به الآكام
تمشي المناكرُ بين أيدي خَيله أنَّى مَشى ، والبغيُ ، والإجرام
ويحثه باسم الكتاب أقِسَّةٌ نَشطوا لما هو في الكتابِ حرام
ومسيطرونَ على الممالك ، سخِّرت لهم الشعوبُ ، كأنها أنعام
من كل جزّار يروم الصدرَ في نادي الملوكِ ، وجَدُّه غنام
سِكّينه ، وعِينُه ، وحزامه والصولجانُ ، جميعُها آثام[2]

* * *

«عيسى» ، سبيلُك رحمةٌ ، ومحبةٌ في العالمين ، وعصمةٌ ، وسلام
ما كنتَ سفاك الدماء ، ولا امرأً هانَ الضِّعافُ عليه والأيتام
ياحاملَ الآلامِ عن هذا الورَى كثُرت عليه باسمك الآلام
أنت الذي جعل العبادَ جميعَهم رَحِماً ، وباسمك تُقطَع الأرحام
أتت القيامةُ في ولايةِ يوسفٍ واليومَ باسمك مرتين تقام[3]
كم هاجَه صيدُ الملوكِ وهاجهم وتَكافأ الفُرسانُ والأعلام
البغيُ في دين الجميع دنيَّةٌ والسِّلمُ عهدٌ ، والقتالُ زمام
واليومَ يهتف بالصليبِ عصائبٌ هم للإِلّه وروحِه ظلّام
خلَطوا صليبكَ والخناجرَ والمُدى كلٌّ أداةٌ للأذى وحِمام
أوما تراهم ذبَّحوا جيرانهم بين البُيوت كأنهم أغنام ؟
كم مُرضَعٍ في حِجْر نعمته غدَا وله على حَدِّ السيوف فطام

....

١ المتحالفون : هم دول البلقان : اليونان ورومانيا ، والبلغار ، والصرب ، تحالفوا على حرب الدولة التركية .
٢ الصولجان : المحجن ، وهو عصا منعطفة الرأس .
٣ يوسف : هو السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي ، قامت في أيامه قيامة الصليبيين على المسلمين ، فحاربهم ونصره الله عليهم .

وصبيّةٍ هُتِكت خميلةُ طُهرها وتناثرت عن نَوْرِه الأكمام
وأخي ثمانين استُبيحَ وقارُه لم يُغنِ عنه الضعفُ والأعوام
وجريحِ حربٍ ظامىءٍ وأدُوه ، لم يعطفْهمُ جرحٌ دمٍ وأُوام
ومهاجرين تنكرت أوطانُهم ضلُّوا السبيلَ من الذهول وهاموا
السيفُ إن ركبوا الفِرارَ سبيلُهم والنِّطْعُ إن طلبوا القَرار مُقام[1]
يتلفتون مودّعين ديارَهم واللحظُ ماءٌ ، والديارُ ضِرام

* * *

يا أُمة بفروقَ فرّق بينهم قَدَرٌ تطيشُ إذا أتى الأحلام[2]
فيم التخاذلُ بينكم ووراءكم أمم تُضاع حقوقُها وتُضام ؟
الله يشهدُ لم أكن متحزِّباً ، في الرُّزء لا شيعٌ ولا أحزام[3]
وإذا دعوتُ إلى الوِئام فشاعرٌ أقصى مُناهُ محبةٌ ووِئام
من يضجر البلوى فغايةُ جهدِه رُجعَى إلى الأقدار واستسلام
لا يأْخذنّ على العواقبِ بعضُكم بعضاً ، فقِدْماً جارت الأحكام
تَقضي على المرءِ الليالي ، أوْ له فالحمدُ من سلطانها ، والذّام
من عادة التاريخ ملءُ قضائِه عدل وملءُ كِنانَتَيْهِ سِهام[4]
ما ليس يدفعه المهنّدُ مصلَتاً لا الكتبُ تدفعه ، ولا الأقلام
إن الألى فتحوا الفتوحَ جلائلاً دخلوا على الأُسدِ الغياضَ وناموا
هذا جناه عليكم آباؤكم صبراً وصفحاً ، فالجناةُ كرام
رفعوا على السيفِ البناء ، فلم يدم ما للبناء على السيوف دوام

١ النطع : بساط من الجلد يفرش لمن يضرب عنقه .
٢ فروق : الاستانة .
٣ الرزء : المصيبة .
٤ الكنانتان : تثنية كنانة ، وهي جعبة السهام ، من الجلد أو من الخشب .

أبقى الممالكَ ما المعارفُ أُسُّه والعدلُ فيه حائطٌ ودِعام

فإذا جرى رشداً ويمناً أمرُكم فامشوا بنورِ العلم ، فهو زِمام

ودعوا التفاخرَ بالتُّراث وإن غلا فالمجدُ كسبٌ ، والزمانُ عِصام

إنّ الغرورَ إذا تملَّك أُمةً كالزهرِ يُخفي الموتَ وهو زؤام[1]

لا يعدلنّ الملك في شهواتكم عَرَضٌ من الدنيا بدا وحُطام

ومناصب في غيرِ موضِعها ، كما حلَّت محلَّ القدوة الأصنام

الملك مرتبةُ الشعوب ، فإن يفتْ عزٌّ السيادة فالشعوبُ سَوام

ومن البهائم مشبَعٌ ومُدلَّلٌ ومن الحرير شكيمةٌ ولجام

وقف الزمانُ بكم كموقِف «طارق» اليأسُ خلفٌ ، والرجاءُ أمام[2]

الصبرُ والإقدامُ فيه إذا هما قُتلا فأقتلُ منهما الإحجام

يُحصي الدليلُ مدى مطالبه ، ولا يحصِي مدى المستقبلِ المِقدام

هذي البقيةُ – لو حرصتم – دولةٌ صال الرشيد بها ، وطالَ هِشام

قِسْم الأئمّة والخلائِف قبلكم في الأرض لم تُعدَل به الأقسام

سرت النبوّةُ في طَهور فضائِه ومشى عليه الوحيُ والإلهام

وتدفّق النهران فيه ، وأزهرت بغدادُ تحت ظلاله ، والشام[3]

أثْرَتْ سواحلُه ، وطابت أرضُه فالدرُّ لُجٌّ ، والنُّضارُ رَغام

* * *

شرفاً أدرنةُ ! هكذا يقفُ الحمى للغاصِبين ، وتثبتُ الأقدام

وتُرَدُّ بالدم بقعةٌ أُخذت به ويموتُ دون عرينِه الضرغام

١ كالزهر يخفي الموت : ذلك أن الزهر يتنفس فيفسد الهواء في الأمكنة الضيقة ، فيحدث الاختناق .

٢ طارق : هو طارق بنّ زياد بطل الأندلس المشهور ، يروي بعض المؤرخين أنه لما عبر بجيشه البحر ليقاتل الأعداء ، أمر فأحرقت السفائن ، ثم خطب في الجيش : ان البحر وراءه والعدو أمامه . فإذا نكص عن القتال وقع بين عدوين ليس منهما غير الهلاك .

٣ النهران : دجلة والفرات ، وبغداد : حاضرة العراق .

والملكُ يؤخذ ، أو يُرَدُّ ، ولم يزل ... يرثُ الحسامَ على البلادِ حسام
عِرْضُ الخلافةِ ذاد عنه مجاهدٌ ... في الله ، غازٍ في الرسول ، همام
تستعصم الأوطانُ خلف ظُباته ... وتَعزُّ حول قناتِه الأعلام
عثمان في بُرْدَيْه يمنعُ جيشَه ... وابنُ الوليد على الحِمى قوّام[1]
عِلم الزمانُ مكانَ شكري ، وانتهى ... شكرُ الزمان إليه والإعظام[2]

* * *

صبراً أدرنةُ ! كلُّ ملكٍ زائلٌ ... يوماً ، ويبقى المالك العلّام
خَفَتَ الأذانُ ، فما عليكِ مُوحِّد ... يسعى ، ولا الجُمَعُ الحِسانُ تُقام
وخبتْ مساجدُكن نوراً جامعاً ... تمشي إليه الأُسد والآرام
يَدْرُجْنَ في حَرَمِ الصلاةِ قوانتاً ... بِيضَ الإزارِ ، كأنهن حَمام
وَعفَتْ قبورُ الفاتحين ، وفُضَّ عن ... حُفَر الخلائفِ جَنْدَلٌ ورِجام
نُبِشَتْ على قَعساءِ عِزِّتها ، كما ... نُبشتْ على استعلائها الأهرام
في ذمَّةِ التاريخ خمسةُ أشهرٍ ... طالت عليكِ ، فكلُّ يوم عام
السيفُ عارٍ ، والوباءُ مُسلَّطٌ ... والسيلُ خوفٌ ، والثلوجُ رُكام[3]
والجوعُ فتّاك ، وفيه صحابةٌ ... لو لم يجوعوا في الجهادِ لصاموا
ضَنُّوا بعرضِكِ أن يُباعَ ويشترى ... عِرْضُ الحرائر ليس فيه سُوام
ضاق الحصارُ كأنما حلقاتُه ... فلَك ، ومقذوفاتُها أجرام[4]
ورمى العِدَى ، ورميتِهم بجهنمٍ ... مما يصبُّ الله لا الأقوام
بِعْتِ العدوّ بكل شبرٍ مهجة ... وكذا يُباعُ الملكُ حين يُرام
ما زال بينكِ في الحصارِ وبينَه ... شُمُّ الحصونِ ، ومثلُهن عِظام
حتى حواكِ مقابراً ، وحويتِه ... جُثَثاً ، فلا غَبْنٌ ولا استذمام

---

١ ابن الوليد : هو خالد بن الوليد ، قائد عظيم من الصحابة .
٢ شكري : هو بطل أدرنة ، وقائد حاميتها الذي تولى الدفاع عنها أثناء شهور الحصار .
٣ السيف عار : أي مجرد من غمده كما يتجرد الإنسان من ثيابه .
٤ الفلك : مدار النجوم . والأجرام ، هي الأجسام التي في الفلك .

ضيف أمير المؤمنين*

رضيَ المسلمون والإسلامُ فَرْعَ عثمانَ ، دُمْ ، فِداكَ الدوامُ[1]
كيف نحصي على عُلاكَ ثناءً ؟ لكَ منكَ الثناءُ والإكرامُ
هل كلامُ العبادِ في الشمسِ إلّا أنها الشمسُ ليس فيها كلامُ ؟
ومكانُ الإمامِ أعلى ، ولكن بأحاديثه يَتِيهُ الأنامُ
إيه «عبدَ الحميد» ، جلَّ زمانٌ أنت فيه خليفةٌ وإمامُ
ما رأت مثلَ ذا الذي تَبتني الأقـ ـوامُ مجداً ، ولن يَرى الأقوامُ
دولةٌ شاد ركنَها ألفُ عامٍ ومئاتٌ ، تعيدها أعوامُ
وأساسٌ من عهدِ عثمان يُبنـ ـى في ثَمَانٍ ومثلهن يُقامُ
حكمةٌ حال كلٌّ هذا التجلّي دونها أن تنالها الأفهامُ
يسأل الناسُ عندها الناسَ : هل في الناس ذو المقلةِ التي لا تنامُ ؟
أم مِن الناسِ – بعدُ – مَنْ قولُه وحـ ـيٌ كريمٌ ، وفعلُه إلهامُ ؟
صدقَ الخلقُ ؛ أنت هذا ، وهذا يا عظيمًا ما جازه إعظامُ
شرفٌ باذخٌ ، وملكٌ كبيرٌ ويمينٌ بُسطٌ ، وأمرٌ جسامُ
عُمِّرٌ أنتَ ، بَيْدَ أنكَ ظلٌّ للبرايا ، وعصمةٌ ، وسلامُ
ما تتوجتَ بالخلافةِ حتى تُوِّجَ البائسون والأيتامُ
وسرى الخِصبُ والماءُ ، ووافى الـ ـبِشْرُ ، والظلُّ ، والجنَى ، والغَمامُ[2]

* نزل صاحب الديوان بالاستانة ، فبلغ أنه ضيف أمير المؤمنين ما أقام بها .

١ فرع عثمان : هو السلطان عبد الحميد .

٢ الخصب : رغد العيش . والجنى : ما يجنى من الشجر .

وتلقّى الهلالَ منك جبينٌ فيه حسنٌ ، وبالعُفاةِ غَرام
فسلامٌ عليهمُ وعليه يومَ حيَّتهمُ به الأيام
وبدا الملكُ ملكُ عثمانَ من عَلْـ ـياكَ في الذِّرْوَة التي لا تُرام
يهرعُ العرشُ ، والملوكُ إليه وبنو العصر ، والولاةُ الفِخام
هكذا الدَّهر : حالةٌ ، ثم ضدٌّ ما لحالٍ مع الزمان دوام
ولأنت الذي رعيَّته الأُسْـ ـدُ ، ومَسْرَى ظلالها الآجام
أُمة التركِ ، والعراقُ ، وأهلو ه ، ولبنانُ ، والربى ، والخيام
عالمٌ لم يكن ليُنْظَم ، لولا أنك السِّلْمُ وَسْطَهُ والوئام
هذَّبته السيوفُ في الدهر ، واليو مَ أتمتْ تهذيبَه الأقلام
أيقولون : سكرةٌ لن تَجلَّى وقعودٌ مع الهوى ، وقيام ؟
ليذوقُنَّ للمُهلهِلِ صَحْواً تَشرُف الكأْسُ عنده والمدام[1]
وضع الشرقُ في يديك يديه وأتت من حُماتِه الأقسام[2]
بالولاء الذي تُريد الأيادي والولاء الذي يريد المقام
غيرَ غاوٍ ، أو خائن ، أو حسود برئت من أُولئك الأحلام
كيف تُهدَى . لما تشيد عيونٌ في الثرى ملؤها حصًى ورغام ؟[3]
مُقَل عانت الظلامَ طَويلاً فعماها في أن يزولَ الظلام[4]
قد تعيش النفوسُ في الضيم حتى لترى الضيمَ أنها لا تضام
أيها النافرون ، عودوا إلينا ولجُوا البابَ ؛ إنه الإسلام
غرضٌ أنتمُ ، وفي الدهر سهمٌ يومَ لا تدفعُ السهامَ السهام

١ المهلهل بكسر الهاء الثانية : هو عدي بن ربيعة ، أخو كليب ابن ربيعة ، وكليب هذا كان من الرؤساء في الجاهلية ، قتله جساس أخو امرأته وخبرهما مشهور في أيام العرب وحروبهم .
٢ الحماة : جمع حام ، وهو المانع الدافع .
٣ لما تشيد : لما تبني . والثرى : التراب ، وكذلك الرغام .
٤ مقل : جمع مقلة ، وهي العين .

نِمتمُ ، ثم تطلبون المعالي والمعالي على النيامِ حرام
شرُّ عيشِ الرجال ما كان حُلْماً قد تسيغ المنيَّةَ الأحلام
ويبيت الزمانُ أندلسيًّا ثم يُضحي وناسُه أعجام[1]

* * *

عاليَ البابِ ، هزَّ بابُكَ مِنَّا فسعينا ، وفي النفوسِ مَرام
وتجلَّيتَ ، فاستلمنا ، كما للنـ ـاسِ بالركن ذي الجلالِ استلام[2]
نستميحُ الإمامَ نصراً لمصرٍ مثلَما ينصرُ الحسامَ الحسام
فلمصرٍ – وأنت بالحبِّ أدرى – بكَ – ياحاميَ الحمى – استعصام
يشهدُ الله للنفوسِ بهذا وكفانا أن يشهدَ العلام
وإلى السيدِ الخليفةِ نشكو جورَ دهرٍ ، أحرارُه ظُلَام
وعدوها لنا وعوداً كباراً هل رأيت القُرى علاها الجهام ؟
فمللنا ، ولم يكُ الداءُ يحمي أن تملَّ الأرواحُ والأجسام
يمنعُ القيدُ أن تقوم ، فهل تا جٌ ؟ فبالتاج للبلاد قيام
فارفع الصوتَ : إنها هي مصرٌ وارفع الصوتَ : إنها الأهرام
وارعَ مصراً ولم تزل خيرَ راعٍ فلها بالذي أرتكَ زِمام
إن جهد الوفاءِ ما أنت آتٍ فليقم في وقائك الخدّام
وليصولوا بمن له الدهرُ عبدٌ وله السعدُ تابعٌ وغلام
فاللواءُ الذي تلقَّوْا رفيعٌ والأُمورُ التي تولَّوْا عِظام
مَن يُرِدْ حَقَّهُ فللحق أنصا رٌ كثيرٌ ، وفي الزمانِ كرام
لا تروقنّ نومةُ الحقِّ للبا غي ، فللحقِّ هبَّةٌ وانتقام
إنّ للوحش – والعظامُ مناها – لمنايا أسبابُهن العظام

---

١ أندلسياً : أي كزمان الأندلس أيام عزّ العرب والإسلام فيها .
٢ تجلّيت : ظهرت . والركن : ركن الكعبة . والاستلام ، اللمس إمّا بالقبلة أو باليد .

رافعَ الضادِ للسُّها ، هل قَبولٌ فيباهي النجومَ هذا النظام ؟[1]
قامت الضادُ في فمي للكِ حُبًّا فَـهْـي فيه تحيـةٌ وابـتسـام
إن في «يلدز» الهوى لَخلالا أنا صَبٌّ بلُطفها ، مُستَهام[2]
قد تجلَّت لخير بدرٍ أقلَّت في كمالٍ بدت له أعلام
فالزم التمَّ أيها البدرُ دوما والزم البدرَ أيهذا التمام

١. السها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى .
٢ يلدز : قصر السلطان عبد الحميد في الاستانة .

ذكرى دنشواي*

يا دِنشوايَ ، على رُباكِ سلامُ ذهبتْ بِأُنسِ رُبُوعِكِ الأيامُ
شهداءُ حُكمكِ في البلاد تفرَّقوا هيهاتَ للشملِ الشتيت نظام
مرّت عليهم في اللحود أهلَّةٌ ومضى عليهم في القيودِ العام
كيف الأراملُ فيكِ بعد رجالِها ؟ وبأيِّ حالٍ أصبح الأيتام ؟
عشرون بيتاً أقفرت ، وانتابَها بعد البشاشةِ وحشةٌ وظلام
ياليت شعري : في البروج حمائمٌ أم في البروج منيةٌ وحِمام ؟
«نيرونُ» ، لو أدركتَ عهدَ «كرومرٍ» لعرفتَ كيف تُنفَّذ الأحكام !

* * *

نوحي حمائمَ دنشوايَ ، وروِّعي شعباً بوادي النيل ليس ينام
إن نامت الأحياءُ حالتْ بينه سَحراً وبين فراشِه الأحلام
متوجِّع ، يتمثلُ اليومَ الذي ضجَّتْ لشدةِ هَوله الأقدام
السوطُ يعملُ ، والمشانقُ أربعٌ متوجدات والجنودُ قيام
والمستشارُ إلى الفظائع ناظرٌ تَدْمَى جلودٌ حوله وعِظام
في كل ناحيةٍ وكلِّ محلةٍ جزعاً من الملإِ الأسيف زحام
وعلى وجوهِ الثاكلين كآبةٌ وعلى وجوهِ الثاكلات رغام

* قيلت بعد مرور عام على حادثة هذه القضية في سبيل طلب العفو عن سجنائها .

الهلال الأحمر *

يا قَومَ عثمان – والدنيا مداوَلةٌ – تعاونوا بينكم يا قومَ عثمانا
كونوا الجدارَ الذي يقوى الجدارُ به فالله قد جعل الإسلامَ بنيانا
أمسى السبيل لغير المحسنين دماً فشأْنكم وسبيلاً نورُهُ بانا
البرُّ مِنْ شُعبِ الإيمان أفضلُها لا يقبلِ اللهُ دون البر إيمانا
هل ترحمون – لعل الله يرحمُكم – بالبيد أهلاً ، وبالصحراءِ جيرانا ؟
في ذمةِ اللهِ – أوْفَى ذمةٍ – نَفَرٌ على طرابُلُسٍ يقضون شجعانا
إن سال جرحاهُمُ من غُربةٍ ووغًى باتوا على الجمرِ أرواحاً وأبدانا
هذا يَحنُّ إلى البسفور مُحْتَضَراً وذاك يبكي الغَضا ، والشيحَ ، والبانا
يُودِّعون على بعدٍ ديارَهُمُ وينشدون بُنَيَّاتٍ وصِبيانا
أذَنْبُهم عند هذا الدهر أنهمُ يحمون أرضاً لهم دِيست وأوطانا ؟
ماتوا ، وعِرضُهم الموفورُ بعدهم والعِرضُ لا عزَّ في الدنيا إذا هانا
قَوْمي–وجلَّت وجُوهُ القوم–مصرُ بكم ألقت على كرماءِ الدهر نسيانا
لا تسألون عن الأعوان إن قعدوا وتنهضون إلى الملهوف أعوانا
أكلما هزَّكُم داعٍ لصالحةٍ قمتم كُهولا إلى الداعي وفتيانا ؟[1]
لو صُوِّر الشرق إنساناً أخا كرم لكنتمُ الروحَ ، والأقوامُ جثمانا

* كانت جماعة الهلال الأحمر المصرية قد أحيت ليلة تجمع بها التبرعات ، لإعانة المقاتلين في طرابلس الغرب من الجيش العثماني ، حين أغارت إيطاليا عليها ، فقال في ذلك هذه القصيدة .

١ أكلما : الهمزة للاستفهام .

إذا هُزِزتم تلاقى السيفُ منصَلِتاً والريحُ مُرْسَلةً ، والغيثُ هتّانا[1]
إذا المكارمُ في الدنيا أُشِيدَ بها كانت كتاباً ، وكنا نحن عُنوانا
إنّ الحياةَ نهارٌ أو سحابتُه فعِشْ نهارَك من دنياك إنسانا
أرى الكريمَ بوجدانٍ وعاطفةٍ ولا أرى لبخيل القومِ وجدانا[2]

* * *

هذا الهلالُ الذي تُحيون ليلتَه أبهى الأهلّةِ عند اللهِ ألوانا[3]
أراه من بين أعلامِ الوغى مَلَكاً وما سواه من الأعلامِ شيطانا
فانٍ ، ففيه من الجَرْحَى مُشاكلةٌ حتى إذا قيل ماتوا اخضرَّ رَيْحانا
لحامليه جلالٌ منه مقتَبَسٌ كأنما رفعوا للناسِ قُرآنا
كأن ما احمر منه حول غُرته دمُ البريءِ ذَكيِّ الشَّيْبِ عُثمانا[4]
كأن ما ابيضّ في أثناءِ حُمرته نورُ الشهيد الذي قد مات ظمآنا
كأنه شفقٌ تسمو العيون له قد قَلّدَ الأُفقَ ياقوتاً ومَرجانا
كأنه من دم العُشاق مختضَبٌ يُثيرُ حيثُ بدا وجداً وأشجانا
كأنه من جمال رائع وهُدًى خدودُ يوسفَ لما عَفَّ وَلْهانا
كأنه وردةٌ حمراءُ زاهيةٌ في الخُلدقدفُتِّحت في كف رضوانا[5]

١ السيف المنصلت : المجرد من غمده .
٢ الوجدان والعاطفة : من استعمالات المولدين ، يراد بهما الشعور القلبي .
٣ الهلال : اسم لراية الدولة التركية ، وهي حمراء اللون في وسطها رسم الهلال بلون أبيض .
٤ الغرة : بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم .
٥ رضوان : من الملائكة ، وهو – كما يقول رجال الدين – موكل بأبواب الجنة .

رومة*

صديقي المحترم :

صدرتُ[1] عن باريس وكأنها بابلُ ذات البرج والجسرِ وهي في دولتها ، أو طيبةٌ[2] في الزمن الأول ، إلا أنها مدينة الشمس ، وباريس مدينة النور ، أو رومةُ مقر القياصِر ، ومزدحمُ الأجناسِ والعناصر ، وهي في رِفعة مُلْكِها الفاخِر ، تموج بالأُمم كالبحر الزاخر ، أو الإسكندريةُ[3] ذاتُ المسلة – والمسلةُ في باريس – وهي في ذروة سعدها ، وأوج كمالها ، تُغيرُ الشمس في سرير مجدها بجلالها وجمالها ، أو « بغدادُ » في إبان إقبالها ، وسلطان أقيالها ، وأيمنِ أمرها ، وأسعدِ حالها ، فسبحان المنعم ، أعطى « مدينة المعرِضِ » الأسماء كلَّها ، وجلت قُدرتُه ، بعث المدائن في واحدة .

رحلتُ عنها في اليوم الذي أسفر صباحُه عن ليلةِ الاحتفال بتوزيع الجوائز على العارضين ، وقد نالها منهم ستون ألفاً أو يزيدون ، كلهم من مشهوري الصُّناع ، وكبار المخترعين ، شيعوا في ذلك جنازة القرن التاسع عشر ومشى الخلائق فيها حتى دفناه ، وكأنه نهار مرّ ، أو ليلة تقضت بالسمر ، ثم انقلبنا ننفض الأنامل

* نظم صاحب الديوان هذه القصيدة ، وقدمها بكتاب إلى صديقه المؤرخ الأستاذ إسماعيل بك رأفت .

١ صدرت عن باريس : رجعت وانصرفت . وبابل : مدينة قديمة بناها بختنصر في آسيا الصغرى .

٢ طيبة : مدينة مصرية قديمة كانت مقر الملك في بعض الأزمنة ، وكانت بها عبادة الشمس ، ولهذا سماها مدينة الشمس .

٣ الاسكندرية : المدينة الثانية في الدولة المصرية ، مشهورة في التاريخ القديم بمسلاتها العجيبة ، والمسلة التي في باريس نقلها الفرنسيون حين أغاروا على البلاد المصرية منذ نحو قرن .

من ترابه ، ونذكر من محاسنه أنه جيلٌ واضح الغُرر والتحجيل ، يذكره التاريخُ بالتعظيم والتبجيل ، قام العلمُ فيه على أمتن بُنيان ورُفعت الحجب بين الحقائق والإنسان ، ضُربت له أطولُ سماءٍ من ضروب العرفان ، واستمد من القادر[1] مبالغ الإمكان ، فاقتاد البرّ بشعرة ، وزمّ البحر بإبرة ، وفرَق[2] الأرض وبلغ الجبال ، وأوشك أن يمدّ إلى السماء بحبال ، ونفذَ على النجم المدى ، ووجد على القطب هدى ، وغاص على الحروب الماء ، وركب إلى الوقائع الهواء ، وكسر شِرَّة الداءِ وقتل قتّاله وراض العياء ، ودخل بصرُه على الجسم الأحشاء ، وأنطق الآلة الصماء ، ونقل الحديث من فضاءٍ إلى فضاء ، على انقطاع الصلةِ بين النطق والإصغاء ، وحرك الصُّوَرَ وهي هباء ، إذا رأيتها حسبتها جماعة الأحياء ، ونال سرائرَ الحوْباء ، وخاض في الطبائع والأهواء ، فانكشف له الغِطاء وبرح الخفاء ، ونثرَ فكاد يوحَى إليه في الإنشاء ، ونظم فلم يدعْ من آية في الأرض ولا في السماء .

كل هذا أيها الأُستاذ عرضته (باريسُ) للناس في خير معرضٍ أخرِج لهم ، فواهاً له من سوق ثم ينفضّ ، ويا أسفاً على بنيانه يومَ ينقض .

برحتُها وهي تجر الذيلَ على المدائن الكُبَر ، وتزري بالحضارات ما حضر منها وما غبر ، وقصدت إلى رومةَ لعلي أرد النفسَ إلى الخشوع ، وأداوي الفؤاد من نشوة اغتراره بما رأى ، فبلغتها وإذا أنا بين أثر يكاد يتكلم ، وحجرٍ كان لكرامته يُستلم[3] ، فوقفت أتأمل ذا الجدارَ وذا الجدار وأنشد ذلك القصر وتلك الدار ، إلى أن ثار الشعر – والشعر ابن أبوين : « التاريخ ، والطبيعة » – فنظمت ، وكأني بها في يديك تقرأ .

١ القادر : اسم من أسماء الله تعالى .
٢ فرق الأرض ، بتخفيف الراء : فصلها وابان مسالكها .
٣ استلم الحجر : لمسه بالقبلة أو باليد .

أحبُّ التوفيق إليّ – أيها الأُستاذ – إكرام العالم ، وإجلال الصديق ، وأنت لي – بحمد الله – هذان كلاهما ، فهل تمنّ بقبول هدية هي إلى التاريخ أدنى منها إلى الشعر؟

* * *

قِفْ بروما ، وشاهد الأمرَ ، واشهد أن للمُلك مالكاً سبحانَه
دولةٌ في الثرى ، وأنقاضُ مُلكٍ هدَمَ الدهرُ في العُلا بنيانه[1]
مَزقت تاجَه الخطوبُ ، وألقت في الترابِ الذي أرى صولجانه
طللٌ ، عند دِمْنةٍ ، عند رسمٍ ككتابٍ مَحا البِلى عُنوانه
وتماثيلُ كالحقائقِ ، تزدا دُ وضوحاً على المدى وإبانه
من رآها يقولُ : هٰذي ملوكُ الدَّهر ، هذا وقارُهم والرزانه
وبقايا هياكلٍ وقصورٍ بين أخذِ البِلى ودفع المتانه
عبثَ الدهر بالحواريِّ فيها و «بيليوس» لم يَهب أرجوانه[2]
وجرت ها هنا أُمورٌ كبارٌ واصل الدهرُ بعدها جَريانه
راح دينٌ ، وجاء دينٌ ، وولّى ملكُ قومٍ ، وحلَّ ملكٌ مكانه
والذي حصَّلَ المجدون إهرا قُ دماءٍ خليقةٍ بالصيانه
ليتَ شعري . إلامَ يقتتل النا سُ على ذي الدَّنيَّة الفتانه ؟[3]
بلدٌ كان للنصارى قتاداً صار ملْكَ القُسوس ، عرش الديانه[4]
وشعوبٌ يمحون آيةَ عيسى ثم يُعلون في البريَّةِ شانه
ويُهينون صاحبَ الروح ميْتاً ويُعِزّون بعدَه أكفانه
عالمٌ قُلَّبٌ ، وأحلامُ خلْقٍ تتبارى غباوةً وفطانه

١ الثرى : التراب .
٢ يوليوس : هو يوليوس قيصر أحد قياصرة الرومان الأقدمين .
٣ الدنية الفتانة : هي الدنيا .
٤ القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

رومة الزهوِ في الشرائعِ ، والحكـ ‌ ‌ ‌ ‌ بـمةِ في الحُكم ، والهوى ، والمجانه
والتناهي ، فما تعدَّى عزيزاً ‌ ‌ ‌ ‌ فيكِ عِزٌّ ، ولا مَهِيناً مهانه
ما لحيٍّ لم يُمْسِ منكِ قبيلٌ ‌ ‌ ‌ ‌ أو بلادٌ يُعدُّها أوطانه
يصبحُ الناسُ فيكِ مولى وعبداً ‌ ‌ ‌ ‌ ويرى عبدُكِ الورى غِلمانه
أين مُلكٌ في الشرقِ والغربِ عالٍ ‌ ‌ ‌ ‌ تحسُدُ الشمسُ في الضحى سلطانه ؟
قادرٌ ، يمسخُ الممالكَ أعما ‌ ‌ ‌ ‌ لاً ، ويعطي وَسيعَها أعوانه
أين مالٌ جَبَيْتِهِ ، ورعايا ‌ ‌ ‌ ‌ كلّهم خازنٌ ، وأنتِ الخزانه ؟
أين أشرافُكِ الذين طَغَوْا في الدهـ ‌ ‌ ‌ ‌ ـرِ حتى أذاقهم طغيانه ؟
أين قاضيكِ ؟ ما أناخ عليه ؟ ‌ ‌ ‌ ‌ أين ناديكِ ؟ ما دهَى شيخانه ؟[1]
قد رأينا عليكِ آثارَ حزنٍ ‌ ‌ ‌ ‌ ومن الدُّور ما ترى أحزانَه
اقصِري ، واسألي عن الدهر مصراً ‌ ‌ ‌ ‌ هل قضتْ مرَّتَيْن منه اللُّبانه ؟
إنّ من فرّق العبادَ شعوباً ‌ ‌ ‌ ‌ جعل القِسط بينها ميزانه
هبْكِ أفنيتِ بالحدادِ الليالي ‌ ‌ ‌ ‌ لن تَردّي على الورى رومانه

١ أين ناديك : المراد به دار ندوة الرومان ، وكانت هي ما نسميه الآن في النظم الدستورية مجلس الشيوخ .

على قبر نابليون

قِفْ على كنز بباريسَ دفينْ   من فريد في المعاني وثمين
وافتقِد جوهرةً من شرف   صَدَفُ الدهر بِتربَتْها ضنين
قد توارت في الثرى ، حتى إذا   قَدُم العهدُ توارت في السنين
غرَّبَت حتى إذا ما استيأست   دنتِ الدارُ ، ولكن لاتَ حين
لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتَها   وأذابتـه تـباريحُ الحنين
لا تلوموها ، أليستْ حُرَّةً   وهوى الأوطانِ للأحرار دين ؟
غيَّبتْ باريسُ ذخراً ، ومضى   تُرْبُها القيِّمُ بالحرزِ الحصين[1]
نزلَ الأرضَ ، ولكن بعد ما   نزلَ التاريخَ قبرَ النابغين
أعظُمُ الليثِ تلقاها الثَّرى   ورفاتُ النسرِ حازته الوكون
وحوَى الغِمدُ بقايا صارمٍ   لم تُقلِّب مثلَه أيدي القُيون
شيَّد الناسُ عليه ، وبَنَوْا   حائطَ الشكِّ على أُسِّ اليقين
لستَ تُحصِي حولَه ألوِيةً   أُسِرَت أمسِ ، وراياتٍ سُبين
نامَ عنها وهي في سُدَّتِهِ   دَيْدَبَانٌ ساهِرُ الجَفْنِ أمين
وكأيٍّ من عدوٍّ كاشِحٍ   لك بالأمس هو اليومَ خَدين
ووليٍّ كان يسقيك الهوى   عسلاً قد بات يسقيك الوزين
فإذا استكرمتَ وُدًّا فاتَّهِم   جوهرُ الود – وإن صحَّ – ظنين

* * *

1 الحرز : الموضع الحصين .

مَرْمَرٌ أُضْجِعَ في مسنونِهِ حَجَرُ الأرض وضِرغامُ العَرين[1]
جلَّلْته هيبَةُ الثاوي به رَوعةَ الحكمةِ في الشعر الرصين[2]
هل دَرى المرمرُ ماذا تحته من قُوَى نفسٍ ، ومن خَلق متين ؟
أيها الغالون في أجداثهم ابحثوا في الأرض : هل عيسى دفين ؟
يمَّحي الميْتُ ، ويبلَى رمسُه ويَغولُ الربعَ ما غالَ القطين
حصِّنوا ما شئتمُ موتاكُم ! هل وَراء الموتِ من حصنٍ حصين ؟
ليس في قبرٍ – وإن نال السها – ما يزيد الميتَ وزناً ويزين
فانزل التاريخَ قبراً ، أو فنمْ في الثرى غُفْلاً كبعضِ الهامدين
واخدَع الأحياءَ ما شئتَ ، فلن تجدَ التاريخ في المنخدعين !

* * *

يا عصاميا حوى المجد سوَى فَضلةٍ قد قُسِّمت في المُعرقين
أُمُّكَ النفسُ قديماً أكرَمتْ وأبوكَ الفضلَ خيرُ المُنجبين
نَسَبُ البدرِ أو الشمسِ – إذا جِيء بالآباء – مغمورٌ رهين
وأُصولُ الخمر ما أزكى على خُبْثِ ما قد فعلَت بالشاربين
لا يقولَنَّ امرؤٌ : أَصْلي ، فما أصلُه مسكٌ وأصل الناس طين
قد تتوجْتَ ، فقالت أُمَم : ولَدُ الثورةِ عقَّ الثائرين
وتزوجتَ ، فقالوا : مَا لَه ولحورٍ من بنات المُلْكِ عِين ؟[3]
قسماً لو قدَروا ما احتشموا لا يَعِفُّ الناسُ إلا عاجزين

* * *

١ المرمر المسنون : المصقول . وحجر الأرض : كناية عن محورها والمراد به نابليون . والضرغام الأسد .
٢ الثاوي : المقيم .
٣ يشير إلى زواجه من ماري لويز ابنة امبراطور النمسا .

أرأيتَ الخيرَ وافى أُمَّةً   لم ينالوا حظَّهم في النابغين ؟
يصلُحُ المُلْكُ على طائفةٍ   هم جمالُ الأرض حيناً بعد حين
مَلأُوا الدنيا ، على قِلَّتهم   وقديماً مُلِئَتْ بالمرسَلين
يحسُنُ الدهرُ بهم ما طلعوا   وبهم يزدادُ حسناً آفلين[1]
قد أقاموا قدوةً صالحةً   ومضوْا أمثلةً للمحتذِين
إنما الأسوةُ – والدنيا أُسًى –   سببُ العُمران ، نظمُ العالَمين
يا صريعَ الموتِ ندمانَ البِلى   كلُّ حيٍّ بالذي ذُقت رهين
كِدْتَ من قتْل المنايا خبرةً   تعلمُ الآجالَ أيّانَ تحين ؟[2]
يا مبيدَ الأسْد في آجامها   هل أبادت خيلُكَ الدودَ المهين ؟
يا عزيز السجن بالبابا ، إلى   كم تردَّى في الثرى ذلَّ السجين ؟
ربَّ يومٍ لكَ جَلّى وانثنى   سائلَ الغُرَّةِ ممسوحَ الجبين
أحرز الغايةَ نصراً غالياً   لفرنسا ، وحوى الفتحَ الثمين
قيصرا الأنسابِ فيه نازَلا   قيصرَ النفسِ عصامَ المالكين[3]
مُجلِسَ التاج على مفرِقه   بيديه لا بأيدي المُجلسين[4]
حولَ أوسترليتز كان المتلقي   واصطدامُ النّسرِ بالمستنسِرين[5]
وُضِع الشطرنْجُ ، فاستقبلْتَه   ببنانٍ عابث باللاعبين
فإذا المَلْكان : هذا خاضعٌ   لك في الجمعِ ، وهذا مُستكين

....

١ أفول النجم : غروبه ، والمراد به هنا الموت .
٢ يشير إلى قول نابليون : « إن الرصاصة التي تخرق هذا الصدر لم تخلق بعد » يقول : إنك لكثرة ما اختبرت المنايا بقتل أعدائك أصبحت تعرف متى تحين الآجال .
٣ يريد بقيصري الأنساب : ملكي روسيا والنمسا ، وقد ولدا للملك والسلطان . وقيصر النفس نابليون ، وهو الذي سود نفسه ولم تسوده الأنساب .
٤ الإشارة إلى نابليون ، يشير إلى أنه هو الذي توج نفسه بيده يوم قدم إليه التاج ، ولم ير لأحد ممن قدموه له حقاً في هذا العمل .
٥ استرلتز : موقعة من المواقع التي انتصر فيها نابليون .

صِدْتَ شاهَ الروسِ والنمسا معاً　　من رأى شاهَيْنِ صِيدا في كمين ؟

* * *

يا مُلَقَّى النصرِ في أحلامِه　　أين من وادي الكرى (سنتِ هلين) ؟[1]

يا مُنيلَ التاجِ في المهد ابنَه　　ما الذي غرّك بالغيبِ الجنين ؟[2]

اتَّئِدْ في أُمّةٍ أرْهقتَها　　إنها كالناسِ من ماءٍ وطين

أتعبَ الريحَ مَدَى ما سَلَكتْ　　من سُهولٍ وأجازت من حُزون

من أديمٍ يَهْرأُ الدبَّ ، إلى　　فلواتٍ تُنضِجُ الضَّبَّ الكنين

لك في كلِّ مُغارٍ غارةٌ　　وعليها الدمعُ فيه والأنين

ومن المكرِ تَغنِّيك بها　　هل يُزَكِّي الذِّبحَ غيرُ الذابحين ؟

سُخِّرَ الناسُ وإن لم يشعروا　　لقويٍّ ، أو غنيٍّ ، أو مُبين

والجماعاتُ ثنايا المرتقى　　في المعالي ، وجُسورُ العابرين

* * *

يا خَطيبَ الدهرِ ، هل مال البلى　　بلسانٍ كان ميزانَ الشئون ؟

تُرْجَحُ السلمُ إذا حرّكته　　كِفَّةً ، أو تُرْجَحُ الحربُ الزَّبون

خُطَبٌ لا صوتَ إلّا دونَها　　في صداها الخيلُ تجري والسنين

من قَصيرِ اللفظِ ، في مكرِ النُّهى　　وطويلِ الرُّمح ، في كيدِ الوتين

غيرَ وضّاعٍ ، ولا واشٍ ، ولا　　مُنكرِ القولِ ، ولا لغو اليمين

سِرْن أمثالاً ، فلو لم يُحيهِ　　سيفُهُ أحْيينَه في الغابرين

* * *

قُمْ إلى الأهرام ، واخشعْ ، واطَّرِحْ　　خَيْلَةَ الصِّيدِ ، وزهوَ الفاتحين[3]

---

١ سانت هيلين : الجزيرة التي نفي إليها نابليون .

٢ يشير إلى قول نابليون يوم بشر بولي عهده أو كما سماه « ملك روما » .

٣ الصيد : الملوك .

وتمهَّلْ ، إنما تمشي إلى حَرَمِ الدهر ومحرابِ القرون
هو كالصخرةِ عند القبط ، أو كالحَطِيمِ الطُّهْرِ عند المسلمين
وتسنَّم مِنْبَراً من حَجَرٍ لم يكنْ قبلَكَ حظَّ الخاطبين
واذْعُ أجيالاً تولَّتْ يسمعوا لك ، وابعث في الأُوالى حاشرين
وأعِدْها كلماتٍ أربعاً قد أحاطت بالقرون الأربعين[1]
ألهبت خيلاً ، وحضَّت فَيْلَقاً وأحالت عسلاً صابَ المَنون
قد عَرَضْتَ الدهرَ والجيشَ معاً غايةٌ قصَّر عنها الفاتحون
ما علمنا قائداً في موْطِنٍ صَفحَ الدهرَ ، وصفّ الدارعين
فترى الأحياء في معتَركٍ وترى الموتى عليهم مُشرِفين
عظةٌ قومي بها أولى وإن بعُد العهدُ ، فهل يعتبرون ؟
هـذه الأهرامُ تاريخُهمُ كيف من تاريخهم لا يستحون ؟
يا كثيرَ الصَّيدِ للصَّيد العُلا قُمْ تأمَّلْ : كيف صادتْك المَنون ؟
قمْ تَرَ الدنيا كما غادرتَها منزِلَ الغدر وماء الخادعين
وتَرَ الحقَّ عزيزاً في القنا هيِّناً في العُزَّل المستضعفين
وتَرَ الأمرَ يداً فوق يدٍ وتَرَ الناسَ ذئاباً وضِئين
وتَرَ العزَّ لسيفٍ نَزِقٍ في بناءِ المُلْكِ ، أو رأيٍ رزين
سننٌ كانت ، ونَظْمٌ لم يزلْ وفسادٌ فوق باعِ المصلحين

١ يشير إلى تلك الجملة المشهورة التي قالها وهو على قمة الهرم يشجع جنوده البواسل : « أيها الجنود : إن أربعين قرناً تنظر إليكم من قمة الأهرام » .

دمعة وابتسامة*

إرفعي السِّتْرَ وحيِّ بالجبينْ ... وأرينا فلقَ الصبحِ المبينْ[1]
وَقفي الهَوْدَجَ فينا ساعةً ... نقتَبِسْ من نُورِ أمِّ المحسنين[2]
واترُكِي فضلَ زمامِهِ لنا ... نتناوَب نحنُ والروحِ الأمين[3]
قد سُقنَا بمُحَيَّاكِ الحيا ... ولقينا حَوْلَ يُمْنَاكِ اليمين[4]
مَقْدَمَ قد قُرِنَ الخيرُ به ... ربَّ خيرٍ في وجوهِ القادمين
قَسماً ما الخيرُ إلا وجهَةٌ ... هي هذا الوجهُ للمستقبلين
أمْسَكَ النّيلُ، فلما بُشِّرَتْ ... بكِ مصرٌ عاد فيّاضَ اليمينْ
أترع الوادي كما أتْرعتهِ ... وتبارى التبرُ والماءُ المعين[5]
بَرِئَ الرِّفقُ من السيفِ الذي ... منعَ الأمَّ مُلاقاةَ البنين[6]
حَجبَ النعمةَ حتى وَجَدَت ... بينها سدًّا وبين الشاكرين

---

* عادت صاحبة السموّ أم المحسنين والدة الخديو السابق عباس الثاني بعد غيبة طويلة في تركيا وسبقها إلى العودة رفات حفيدها المرحوم الأمير عبد القادر وفي هذه القصيدة تهنئة لها بعودتها ، وتعزية عن الأمير الفقيد ، وإشارة إلى قطعة من تاريخ تركيا الحديث .

١ فلق الصبح : أوّله .

٢ الهودج : محمل له قبة يركب فيه النساء .

٣ الروح الأمين : جبريل .

٤ الحيا : المطر . اليمين : الخير والبركة .

٥ أترع الوادي : ملأه . المعين : الجاري .

٦ يريد بالسيف : القوّة التي حالت بينها وبين العودة إلى البلاد .

قهرَ الأيتامَ في عيدِ النَّدى مِهرجان البر عُرْسِ البائسين
قد مشيْنا بين حَدَّيْهِ إلى ركبك المحروسِ بالله المُعِينْ
خَطَرَ السترُ فكبَّرنا كما خطر المصحَفُ بين التابعين
وحَدَوْنَاهُ إلى محرابِهِ وأنَخْنَاهُ لدى الخدر الكنين[1]
وإذا القصرُ سناءٌ وسنى وإذا هَالاَتُه عزٌّ مكينْ[2]
وإذا الدنيا عليه سَمْحَةٌ تُسفِرُ الآمالَ عنها وتَبينْ[3]
فأَطَفْنَا بالنَّدَى واستلمتْ سُدَّةَ المعروفِ أيدي اللائذين[4]

* * *

يا مثالاً للعقيلاتِ العُلاَ وكمالاً لنساء العالمينْ[5]
وجمالاً نزلتْ آيتُه من حجابِ اللهِ والحصْنِ الحصين
مَلكتْ نفسُك حتى سَئِمَتْ ضَجَّةَ المُلْكِ وهمَّ المالِكِينْ
دُولة مُهِّدَتْ في كُرْسِيِّها وحملتِ التاجَ فيها أربعينْ[6]
ربَّ يومٍ عدتِ فيه من مِنًى ومن الخيفِ ومن دارِ الأمين[7]
مَنْ دَنا مِن رَكْبِك العالي به آبَ في القريةِ مَعْدومَ القرين

---

١ حدا الإبل وحدا بها : ساقها وغنّى لها . أناخ الجمل : أبركه . الكنين : المصون .
٢ السناء : الرفعة . والسنى : الضوء . الهالة : دارة القمر .
٣ تسفر ، أي تشرق . تبين ، أي تظهر .
٤ السدّة : الباب أو الظلة فوقه .
٥ العقيلات : جمع عقيلة ، وهي المرأة الكريمة المخدّرة .
٦ مهد له منزلة سنيّة : هيأها له .
٧ منى : موضع بمكة . والخيف : غرة بيضاء في الجبل الأسود خلف أبي قبيس بمنى ، وبها سمي مسجد الخيف . ودار الأمين : المدينة المنوّرة .

نُسيَتْ رَوْعَتُهُ في بلدٍ   كلُّ شيءٍ فيه يُنْسَى بعدَ حين
لا ترومي غيرَ شِعْري موكِباً   إنّ شعري درجاتُ الخالدين
كلُّ حمدٍ لم أصُغْهُ زائِلٌ   خالدُ الحمدِ بما صُغْتَ رَهين
أَقْبِلي أحسنَ دُنْيا أقْبَلَتْ   لِبَني الآمالِ في أحسنِ دين
أقبِلي صُبْحًا لأنْضاء السُّرَى   وسماءً للعِجافِ المُسْنِتِين[1]
أقبِلي كالشَّمْسِ لم تجْعَلْ لها   موكِباً أو تتَّخِذْ من حاشِرين[2]
أقبِلي في بحرِكِ الطامي إذا   عبثَ السيفُ بموجِ المُحتفين
أقبِلي كالشمسِ راقَتْ في الضُّحى   ثم راعَتْ في الأصيلِ الناظرين
حَرَقَ الدهرُ يديهِ، وانْجَلَت   مِحْنَةُ التبرِ عن العِرْقِ المتين[3]
آبَ من قيمَتِكَ الدهرُ كما   رَجَعَ النقدُ من الشعرِ الرصين[4]

* * *

جارةَ الإسلامِ في محنتِهِ   عَلِّمي الجاراتِ ممّا تعلمين
ذكِّريهنَّ فَرُوقاً وصِفي   طلعةَ الخيلِ عليها والسفين[5]

---

١ الأنضاء : المهازيل : والسرى : السّير ليلاً . السماء : المطر . والعجاف : المهازيل . والمسنتين: المجدبين .
٢ حشر الناس : جمعهم .
٣ التبر : الذهب في تراب معدنه . والعرق المتين : الذهب الخالص . ومحنة التبر : وضعه في النار لاستخلاص المعدن من التراب . المعنى أن آلام الغربة زادتك جلالاً وأنف الدهر راغم ، كما أكسبت النار التبر صفاء .
٤ آب : رجع . والرصين : الكامل المتقن .
٥ فروق : الآستانة .

وَوَلِيًّا للطواغيت بها كان يُدْعَى بأميرِ المؤمنين[1]
ألبسَ الإسلامَ ذُلاًّ وكَسا خُلَفاءَ اللهِ أثوابَ القَطِين[2]
كان كالصيَّادِ في دُولَتِهِ دُولةِ الوهم ومُلْكِ الحالِمين[3]
أمْرُهُ في السجن غادٍ رائحٌ وهو كالغادةِ في القَصْرِ سجين
حَمَّلَ الأعْباءَ عنه عصبةٌ مَثَّلوا في المَلْعَبِ المُسْتَوْزِرين
قد أباحوا دمَ آسادِ الشَّرَى فازْدَراهُم وجَرَى يَحمي العرين[4]
سالَ دونَ المُلْكِ حتى انتاشَه من إمامِ السُّوءِ والرَّهْطِ المَهين[5]
مَحَقَ الفَرْدَ وألغَى حُكْمَه إن حُكْمَ الفَرْدِ مرذول لَعين[6]
قد تركْتِ التُّركَ في آجامِهم طُلَقاء بعدَ رقٍّ ظافرين
أخذوا دُولَتَهُم من دَمِهم بَذَلوا الغالي فآبوا بالثمين
لَمْ يُوهِنْهُمْ ولم يَقْعُدْ بهم أن يكونوا عشراتٍ أو مِئين[7]
بَسَطوا الأيدي إلى مِيثاقِهم وإلى الموتِ عليه مُقْسِمِين
وتحدَّوْا هازِئاً ينعَتُهم بالخَياليِّين أو بالهازِئين[8]

* * *

---

١ الطواغيت : جمع طاغوت ، وهو الشيطان . ويقصد بأمير المؤمنين السلطان وحيد الدين الذي مالأ أعداء بلاده فكان جزاؤه أن أنزل عن عرشه وطرد من البلاد .

٢ القطين : الخدم .

٣ يشير إلى قصة خليفة الصياد في كتاب ألف ليلة وليلة .

٤ الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل ، والمقصود بالآساد هنا : الكماليون .

٥ انتاشه : تناوله .

٦ يشير إلى الانقلاب التركي الحديث وقيام الجمهورية على أنقاض الملكية .

٧ لم يوهنهم : أي لم يضعفهم .

٨ تحدّاه : نازعه الغلبة .

«أمَّ عباسٍ» عَزاء اللهِ إنْ عَيَّ بالرزء عزاء المخلصين[1]

غير هذا الجُرْحِ داوَى قَلَمي هو جُرْحي وهو مستعصٍ كمين

وأنا الآسي جراحاتِ الأسى وإن امْتَدَّتْ إلى أصل الوتين[2]

غير أن الناسَ سنوا سُنَّةً وأن المرء بما سَنُّوا يدين

إنما الدنيا شجون تَلْتَقي وحزينٌ يتأسَّى بحزين[3]

ضَحِكُ الدُّنيا احتشادٌ للبُكا وأغانيها مُعِدّاتُ الأنين

سَرَّني أنْ قَرَّبَ اللهُ النَّوَى وشَجاني في غدٍ من تدفنين

قَمَرٌ حيفَ عليه فانتَحَى منزِلاً بين الأُصولِ الآفِلين[4]

شَفَّهُ الأيْكُ حنيناً فقضى وكِرامُ الطيرِ يُرْدِيها الحنين[5]

فأخذنا قِسْطَنا من ثُكْلِهِ عَلَّنا نحملُ عنكم أو نُعين

ورفعنا في الضَّحايا ذكرَه وأذَعْنا يومَهُ في الآخرِين

ووجدنا عندَ ذِكْرى دَمِهِ طيبَ أبناء الحُسَيْنِ الطَّاهِرِين

وكأنَّ الناسَ في موكبِهِ لجلالِ الموكبِ الآخِرِ دين[6]

وكأنَّ الآلَ فيه هاشمٌ وكأنَّ الَميْتَ زينُ العابدين

جَلَّ في الأعناقِ حتى خِلْتُهُ مِنَّةً فيها لأُمِّ الُمنْعِمين

---

١ عيّ به : عجز .

٢ الآسي : المواسي . والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

٣ يتأسى : يتصبّر .

٤ حيف عليه ، أي ظلم .

٥ شفّه : أضناه . والمعنى أن الحنين إلى بلاده أضناه فمات .

٦ دين ، أي خاضعون .

أو يداً في كاهلِ العِلْمِ لها		أو صنيعاً في رِقابِ الصانعين[1]
لقد استأنف في الخُلْدِ الصبا		بينَ حورٍ قاصِراتِ الطرفِ عِين
حلَّ بالقاسمِ مصباحِ الهُدَى		وبإبراهيم نورِ المتقين[2]
ليسَ من قدرِي وقدر الشِّعر أن		نذكرَ الصبرَ لأُمِّ الصابرين
التي حجَّتْ وزارتْ ورأتْ		تحتَ هذا التربِ خيرَ المرسَلين
حَكَمت فيه المنايا مرةً		وجرى الحقُّ عليه واليقين[3]

---

١ اليد : النعمة والإحسان .
٢ القاسم وابراهيم ، من أولاد النبي ﷺ، وقد ماتا في روعة الشباب .
٣ الحق واليقين : الموت .

تكريم*

وطنٌ يرفُّ هوًى إلى شُبَّانه كالرَّوض رِقتُه على رَيحانه
هم نَظْمُ حِليته ، وجَوهرُ عِقدِه والعِقد قيمتُه يتيمُ جُمانه
يرجو الربيعَ بهم ويأْملُ دولةً من حسنِه ، ومَن اعتدالِ زمانه
من غاب منهمْ لم يغبْ عن سَمعِه وضميرِه ، وفؤادِه ، ولسانه
وإذا أتاه مبشِّرٌ بقدومِهم فمن القميص ومن شذى أردانه
ولقد يخُصُّ النافعين بعطفِه كالشيخ خَصَّ نجيبَه بحنانه
هيهات ينسَى بذلَهم أرواحَهم في حفظِ راحتِه وجلب أمانه
وقفوا له دون الزمانِ ورَيبِه ومشت حداثتُهم على حدَثانه[1]
في شدّةٍ نُقِلَتْ أناةُ كُهولِه فيها ، وحكمتُهم إلى فتيانه[2]

* * *

قم ياخطيبَ الجمع ، هات من الحلى ما كنتَ تنثُره على آذانه
فلطالما أبدى الحنينَ لقسِّه واهتزَّ أشواقاً إلى سَحبانه[3]
نادِ الشبابَ ، فلم يزلْ لك نادياً والمرءُ ذو أثر على أخدانه

---

* نظم صاحب الديوان هذه القصيدة الاجتماعية في احتفال تكريمي أقيم للأساتذة : عبد الملك حمزة ، وإسماعيل كامل ، وعوض البحراوي ، في فندق شبرد .

١ الحدثان (بفتح الدال) : نوائب الدهر .

٢ الأناة : الحلم والوقار .

٣ قس بن ساعدة : خطيب عربي من نجران يضرب المثل ببلاغته . وسحبان كذلك ، وهو من وائل .

أَمْدُدْ حُداءك في النّجائبِ تنصرفْ ... بهوى أعنَّتِها إلى تحنانه[1]
أَلْقِ النصيحةَ غيرَ هائبٍ وقعِها ... ليس الشجاعُ الرأيِ مثلَ جبانه
قل للشباب : زمانُكم مُتحرِّكٌ ... هل تأْخذون القسطَ من دورانه ؟
قمتم على الأحلامِ تلتزمونَها ... كالعالمِ الخالي على أوثانه
وتنازعون الحيَّ فضلَ ثيابه ... والميْتَ ما قد رثَّ من أكفانه
ولقد صدقتم هذه الأرضَ الهوَى ... والحرُّ يصدق في هَوى أوطانه
أملٌ بذلتم كلَّ غالٍ دونَه ... وفقدتُم ما عزَّ في وجدانه
الليثُ يدفعكم بشدّةِ بأْسه ... عنه ، ويطعِمُكم بفرط لِيانه
ويريد هذا الطيرَ حرًّا مطلقاً ... لكن بأعْيُنِه وفي بُستانه

* * *

أوفدتُمُ وفداً ، وأوفد ربُّكم ... معه العنايةَ ، فهْي من أعوانِه
العصرُ حرٌّ ، والشعوبُ طليقةٌ ... ما لم يجزْها الجهلُ في أرسانه
فاضَ الزمانُ من النبوغِ ، فهل فتى ... غمَرَ الزمانَ بعلمه وبيانه ؟
أين التجارةُ وهي مضمارُ الغنى ؟ ... أين الصناعةُ وهي وجهُ عَنانه ؟
أين الجوادُ على العلوم بماله ؟ ... أين المشاركُ مصرَ في فدانه ؟
أين الزراعةُ في جنانٍ تحتكم ... كخمائل الفردوس أو كجنانه ؟
أإذا أصاب القطنَ كاسدُ سوقِه ... قمنا على ساقٍ إلى أثمانه ؟
يا من لشعبٍ رزؤه في مالِه ... أنساه ذكرَ مصابِه بكيانه ؟
الملكُ كان ، ولم يكن قطنٌ ، فلم ... يُغلَب أُبوَّتُنا على عُمرانه
الفاطميةُ شيَّدت من عزِّهِ ... وبَنَى بنو أيوبَ من سلطانه[2]

---

١ الحداء : الغناء للإبل لتنشط في مسيرها .

٢ الفاطمية : أي الخلفاء الفاطميون ، أو الدولة الفاطمية ، وهي إحدى الدول التي قامت في مصر بعد الإسلام ، ومؤسسها المعز لدين الله ، قدم من بلاد المغرب ففتح مصر ، وكانت دولتهم عزيزة الجانب مرهوبة السلطان . وبنو أيوب أيضاً : مؤسسو الدولة الأيوبية ، وكان أعظمهم شأناً السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي .

بالقطنِ لم يرفعْ قواعدَ مُلكه فرعونُ ، والهرمانِ من بنيانه
لكن بأوّلِ زارع نقض الثّرى بذكائه ، وآثاره ببنانه
وبكلّ مُحسنِ صنعةٍ في دهرِه تتعجبُ الأجيالُ من إتقانه
وبهمةٍ في كلّ نفسٍ حلّقت في الجو ، وارتفعت على كيوانه[1]
ملكٌ من الأخلاقِ كان بناؤه من نحت أوّلكم ومن صَوّانه
فأْتوا الهياكلَ إن بنيتم ، واقبسوا من عرشه فيها ، ومن تيجانه[2]

١ كيوان : اسم زحل بالفارسية .
٢ الصوان – بفتح الصاد وتشديد الواو : ضرب من الحجارة الشديدة .

اعتداء*

نجا وتماثل ربانها ودق البشائر ركبانها
وهلّل في الجو قيدومها وكبّر في الماء سكانها[1]
تحوّل عنها الأذى ، وانثنى عُبابُ الخطوبِ وطوفانها
نجا نوحُها من يدِ المعتدي وضلَّ المقاتلَ عُدوانها
يدٌ للعنايةِ ، لا ينقضي — وإن نَفِد العمرُ — شُكرانها
وفي الأرض شرٌّ مقاديره لطيفُ السماءِ ورَحْمانها
ونجّى الكنانةَ من فتنةٍ تهدّدتِ النيلَ نيرانها
يسيلُ على قرنِ شيطانها عقيقُ الدماءِ وعِقيانها[2]
فيا سعدُ ، جُرحُك ساء الرجالَ فلا جُرحَتْ فيك أوطانها
وقَتْكَ العنايةَ بالراحتَينِ وطَوَّقَ جيدَك إحسانها
منايا أبى اللهُ إذ ساورتكَ فلم يلق نابيْه ثُعبانها
حَوَتْ دَمكَ الأرضُ في أنفها زكيًّا ، كأنك عثمانها[3]

* اعتزم سعد زغلول السفر إلى انجلترا للمفاوضة مع حكومتها ، وكان على رأس الوزارة المصرية يومئذ ، فترصد له شاب وأطلق عليه النار ، ولكن الله أنجى حياته ، ووقى البلاد شرّ فتنة كادت تعصف بين الأحزاب ، فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة تهنئة له ، ونصيحة لأهل النزق والطيش من الشبان ، وحضا على الإصلاح العملي ، وتذكيراً بمنزلة السودان وقناة السويس ، اللذين هما من مصر بمنزلة الروح من الجسد .

١ هلل : قال لا إله إلا الله .

٢ العقيان : الذهب ، أي الدماء التي تشبه في حمرتها العقيق والعقيان .

٣ عثمانها : يريد الخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، قتل وهو جالس يتلو القرآن وفي حجره المصحف .

ورقّت لآثاره في القميص كــأن قميصَك قــرآنها
ورِبعَتْ كما رَبعت الأرضُ فيك نواحي السماء وأعنانها
ولو زُلتَ غُيِّبَ عَمْرُو الأمورِ وأخلى المنابرَ سَحبانها

* * *

رماكَ على غِرَّةٍ يافعٌ مُثارُ السريرةِ غضبانها[1]
وقِدْماً أحاطت بأهلِ الأمورِ ميولُ النفوسِ وأضغانها
تلمَّسَ نفسَك بين الصفوفِ ومن دونِ نفسكَ إيمانها
يريدُ الأمورَ كما شاءها وتأبى الأمورُ وسلطانها
وعند الذي قهر القَيْصَرَيْنِ مصيرُ الأمور وأحيانها[2]
ولو لم يسابق دروسَ الحياةِ لبصَّره الرُّشدَ لقمانها[3]
فإن الليالي عليها يَحُول شعُور النفوس ووجدانها
ويختلف الدهرُ حتى يَبينَ رُعاةُ العهودِ وخُوّانها

* * *

أرى مصرَ يلهو بحدِّ السلاحِ ويلعبُ بالنار ولدانها
وراح بغير مجال العقول يُجيل السياسةَ غلمانها
وما القتلُ تحيا عليه البلاد ولا همّةُ القولِ عمرانها
ولا الحكمُ أن تنقضي دولةٌ وتُقبِلَ أُخرى وأعوانها
ولكن على الجيش تقوى البلادُ وبالعلم تشتدُّ أركانها
فأين النبوغ ؟ وأين العلوم ؟ وأين الفنون وإتقانها ؟
وأين من الخُلْق حظُّ البلادِ إذا قتل الشيبَ شبانها ؟

١ اليافع : من راهق للعشرين ، أو من ترعرع وناهز البلوغ .
٢ القيصران : ملكِ الروم وملك الفرس حين الفتح الإسلامي .
٣ لقمانها ، أي من هو كلقمان ، وهو يضرب به المثل .

وأين من الرِّبح قسطُ الرجال | إذا كان في الخُلْقِ خسرانها ؟
وأين المُعَلِّمُ ؟ ما خطبُه ؟ | وأين المدارسُ ؟ ما شأْنها ؟
لقد عبثت بالنِّياق الحداةُ | ونام عن الإبْل رُعيانها
إلى الخُلْقِ أنظرُ فيما أقول | وتأْخُذُ نَفسِيَ أشجانها

* * *

ويا سعدُ ، أنت أمين البلاد | قد امتلأت منك أيْمانها
ولن ترتضي أن تُقدّ القناة | ويُبْتَرَ من مصر سودانها
وحُجَّتُنا فيها كالصباح | وليس بمُعْييك تبيانها
فمصرُ الرياضُ ، وسودانُها | عيون الرياضِ وخلجانها
وما هو ماءٌ ، ولكنَّه | وريـدُ الحياةِ وشِريانها[1]
تُـتَـمِّمُ مصرَ ينابيعُه | كما تَمَّمَ العينَ إنسانها
وأهلوه منذ جرى عذبُه | عشيرة مصـــرَ وجيرانها
وأمـا الشريكُ فـعِلّاتـه | هي الشركـاتُ وأقطـانها
وحربٌ مَضَتْ نحن أوزارُها | وخيلٌ خَلَتْ نحن فرسانها
وكم مَنْ أتاك بمجموعة | من الباطل ، الحقُّ عنوانها
فأين من المَنشِ بحرُ الغزالِ | وفيض نيانزا وتهتانها ؟[2]
وأين التماسيحُ من لُجَّةٍ | يموت من البردِ حيتانها !
ولـكـنْ رؤوسٌ لأموالهم | يحرّك قَـرْنَـيْـه شيـطانها
ودعوى القويِّ كدعوى السباع | من النابِ والظفرِ برهانها

١ الوريد : عرق في العنق من الأوردة التي ترتبط بها الحياة .
٢ المنش : بحر في الشمال الغربي لأوروبا ، بين انجلترا شمالاً وفرنسا جنوباً . وبحر الغزال : أحد فروع النيل الأبيض في السودان . ونيانزا : إحدى البحيرات الثلاث التي يخرج منها النيل .

توت عنخ آمون

قفي – يا أُختَ يوشَعَ – خبّرينا أحاديثَ القرونِ العابرينا[1]
وقُصّي من مصارِعِهم علينا ومن دُوَلاتِهم ما تعلمينا
فمثلُكِ من روى الأخبارَ طرًّا ومن نسبَ القبائلَ أجمعينا
نرى لكِ في السماءِ خضيبَ قَرْنٍ ولا نُحصي على الأرضِ الطعينا
مشيتِ على الشبابِ شواظَ نارٍ ودرتِ على المشيبِ رحًى طحونا
تُعينينَ الموالدَ والمنايا وتبنينَ الحياةَ وتهدمينا
فيا لكِ هِرَّةً أكلت بنيها وما وَلَدوا وتنتظرُ الجنينا

* * *

أأُمَّ المالكينَ بني أمونٍ لِيهْنِكِ أنهم نزعوا أمونا
ولدتِ له المآمينَ الدواهي ولم تلدي له قطُّ الأمينا[2]
فكانوا الشُّهبَ حينَ الأرضُ ليلٌ وحينَ الناسُ جِدُّ مضَلَّلينا

١ الخطاب للشمس ، وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فقد روي أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم . وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله :

وما أنس لا أنس المليحة إذ بدت دجى ، فأضاء الأفق من كل موضع
فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت وأني قد أوتيت آية يوشع

٢ إشارة للخليفتين : الأمين والمأمون ، وقد اختار المأمون ، لأنه كان أفضل بني العباس حزماً ، وحلماً ، وعلماً ، ورأياً ، ودهاء ، وهيبةً ، وشجاعةً ، أي ولدت له أبناء صاروا ملوكاً ، وكانت صفاتهم في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون .

مشتْ بمنارهم في الأرض روما ... ومن أنوارهم قَبستْ أثينا
ملوكُ الدهر بالوادي أقاموا ... على وادي الملوك مُحجَّبينا[1]
فربّ مصفَّدٍ منهم ، وكانت ... تُساقُ لهُ الملوكُ مصفَّدينا
تقيَّد في الترَاب بغير قَيْد ... وحلّ على جوانبه رهينا
تعالى اللهُ ، كان السحرُ فيهم ... أليسوا للحجارة مُنْطِقينا ؟
غدَوْا يبنون ما يبقى ، وراحوا ... وراء الآبداتِ مُخَلدينا
إذا عَمِدوا لمأْثرةٍ أعدُّوا ... لها الإتقان والخلقَ المتينا
وليس الخلدُ مرتبةً تلَقَّى ... وتُؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن مُنتهى هِمَم كِبارٍ ... إذا ذهبتْ مصادِرُها بقينا
وسرُّ العبقرية حين يسري ... فينتظم الصنائعَ والفنونا
وآثارُ الرجال إذا تناهتْ ... إلى التاريخ خيرُ الحاكمينا
وأخذُك من فمِ الدنيا ثناءً ... وتركُك في مسامعها طنينا
فغالي في بنيك الصيدِ غالي ... فقد حُبّ الغلوُّ إلى بنينا
شبابٌ قُنَّعٌ لا خيرَ فيهم ... وبُورِك في الشبابِ الطامحينا
فناجيهم بعرشٍ كان صِنْواً ... لعرشك في شبيبتِه سَنينا
وكانَ العزُّ حَليتَهُ ، وكانتْ ... قوائمُهُ الكتائبَ والسفينا
وتاجٍ من فرائده ابنُ سيتي ... ومن خرزاته خوفو و مينا[2]
عَلا خَدًّا به صَعَرٌ ، وأنفاً ... ترفَّع في الحوادث أن يدينا
ولستُ بقائلٍ : ظلموا ، وجاروا ... على الأُجراءِ ، أو جلدوا القطينا

---

١ وادي الملوك : هو إلى الشاطىء الغربي للنيل بالأقصر على مسير نصف ساعة تقريباً وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها .

٢ ابن سيتي ، هو رمسيس الثاني المعروف بسوزستريس ، ويلقّب بالأكبر لأنّه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة ، وطالت مدة حكمه ، وكثرت فيها الآثار المصرية ، وتزايدت العمارات ، حتى لا يكاد يوجد بوادي النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه . وولي الملك صغيراً في حياة والده .

فإنا لم نُوَقَّ النقصَ حتى	نطالبَ بالكمال الأولينا
وما البستيلُ إلا بنت أمسٍ	وكم أكلَ الحديدُ بها صحينا[1]
ورُبَّة بيعةٍ عَزَّتْ وطالتْ	بناها الناسُ أمس مُسخرينا[2]
مُشيَّدةٍ لشافي العُمْيِ عيسى	وكم سَمَلَ القسوسُ بها عيونا

* * *

أخا اللوردات ، مثلُك من تحلَّى	بحليةِ آله لمُتطوِّلينا[3]
لك الأصل الذي نَبَتتْ عليه	فروعُ المجد من كرنارفونا
ومالُكَ لا يُعدّ ، وكلُّ مالٍ	سَيَفْنَى ، أو سَيُفْني المالكينا
وجدتَ مذاق كلِّ تليدِ مجدٍ	فكيف وجدْت مجدَ الكاسبينا ؟
نشرتَ صَفائحاً ، فجزتكَ مصرٌ	صحائفَ سؤددٍ لا ينطوينا
فإن تكُ قد فتحتَ لها كنوزاً	فقد فتحتْ لك الفتحَ المبينا
فلو قارونِ فوق الأرض إلا	تمنى لو رضيتَ به قرينا
سبيلُ الخلد كان عليك سهلاً	وعادتُه يكدُّ السالكينا
رأيتَ تنكُّراً ، وسمعت عتباً	فعذراً للغضاب المحنقينا
أُبُوَّتُنا وأعْظُمُهم تُراثٌ	نحاذرُ أن يؤول لآخرينا
ونأبى أن يَحُلَّ عليه ضَيْمٌ	ويذهبَ نهبةً للناهبينا
سكَتّ ، فحام حولَك كلُّ ظنٍّ	ولو صَرَّحت لم تُخْزِ الظنونا

١ البستيل : سجن يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ ، وفي هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل في فرنسا أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد .
٢ البيعة « بكسر الباء » : معبَد النصارى .
٣ المخاطب اللورد كارنافون الذي اهتدى إلى الكنوز ، وكانت وفاته بالقاهرة في سحر ليلة الخميس ٥ أبريل سنة ١٩٢٣ بفندق الكونتيننتال ، وكانت قد عضته بعوضة ، فطبب خمسة عشر يوماً حتى أخذت تزول أعراض التسمم الذي أصابه من هذه العضة ، ولكنه لم يقو على احتمال ذات الرئة التي أصيب بها ، فأودت به .

يقول الناسُ في سرٍ وجهرٍ وما لكَ حيلةٌ في المرجفينا :[1]
أمَن سرقَ الخليفةَ وهو حيٌّ يَعِفُّ عن الملوكِ مكفَّنينا ؟

* * *

خليليَّ اهبطا الوادي ، وميلا إلى غُرف الشموس الغاربينا[2]
وسيرا في محاجرِهم رويداً وطُوفا بالمضاجع خاشعينا
وخُصَّا بالعمار وبالتحايا رفاتَ المجدِ من توتنخمينا
وقبراً كاد من حسنٍ وطيبٍ يضيءُ حجارةً ، ويضوعُ طينا
يُخال لروعةِ التاريخ قُدّتْ جنادلُه العلا من طورسينا[3]
وكان نزيلُهُ بالمَلْكِ يُدعَى فصار يُلقَّبُ الكنزَ الثّمينا
وقُوما هاتفَيْن به ، ولكن كما كان الأوائلُ يهتفونا
فثَمَّ جَلالةٌ قَرّتْ ورامت على مرِّ القرون الأربعينا[4]
جلالُ الملك أيامٌ وتمضي ولا يمضي جلالُ الخالدينا
وقولا للنزيل قدوم سعد وحيَّا الله مَقْدَمَك اليمينا
سلامٌ يومَ وارتك المنايا بواديها ، ويومَ ظَهرتَ فينا
خرجتَ من القبور خروجَ عيسى عليكَ جلالةٌ في العالمينا
يجوب البرقُ باسمك كلَّ سهلٍ ويخترقُ البُخارُ به الحزُونا
وأُقسمُ كنتَ في لوزانَ شُغلاً وكنتَ عجيبةَ المتفاوضينا
أتعلمُ أنهم صَلِفُوا ، وتاهوا وصَدُّوا البابَ عنا مُوصِدينا ؟
ولو كنا نجر هناك سيفاً وجدنا عندهم عطفاً ولينا

١ المرجفون : من يخوضون في الأخبار السيئة .
٢ الشموس الغاربين : ملوك الفراعنة .
٣ طورسينا : هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى .
٤ القرون الأربعون : هي التي مضت منذ عهد توت عنخ آمون .

سيقضي كرزنُ بالأمر عنّا وحاجاتُ الكنانةِ ما قُضينا[1]

* * *

تعالَ اليومَ خبِّرنا : أكانت نواكَ سِناتِ نومٍ ، أم سنينا ؟
وماذا جبتَ من ظلماتِ ليلٍ بَعيدِ الصبح ، يُنضِي المُدلجينا ؟
وهل تبقى النفوسُ إذا أقامت هيا كلُها ، وتبلى إن بلينا ؟
وما تلك القبابُ ؟ وأين كانت ؟ وكيف أضلّ حافرُها القرونا ؟
مُمرَّدة البناءِ ، تُخالُ برجاً ببطن الأرض مخطوطاً دفينا
تغطَّى بالأثاث فكان قصراً وبالصورِ العِتاق فكان رونا
حملتَ العرشَ فيه : فهل تُرجِّي وتأملُ دولةً في الغابرينا ؟
وهل تَلقَى المهيمنَ فوق عرشٍ ويلقاه الملا مُتَرجلينا ؟[2]
وما بالُ الطعام يكاد يَقدي كما تركته أيدي الصانعينا ؟
ولم تكُ أمس تصبرُ عنه يوماً فكيفَ صبرتَ أحقاباً مثينا ؟[3]
لقد كان الذي حَذِرَ الأوالي وخاف بنو زمانك أن يكونا
يحبّ المرءُ نبشَ أخيه حيًّا وينبشه ولو في الهالكينا
سُلِلتَ من الحفائر قبل يومٍ يَسُلُّ من التراب الهامدينا
فإن تكُ عند بعثٍ فيه شكٌ فإنَّ وراءه البعثَ اليقينا
ولو لم يعصموكَ لكان خيراً كفى بالموت معتصَماً حصينا
يُضَرُّ أخو الحياةِ ، وليس شيءٌ بضائره إذا صحبَ المنونا

* * *

زمانُ الفرد – يا فرعون – ولَّى ودالتْ دولة المتجبِّرينا
وأصبحت الرعاةُ بكل أرضٍ على حكمِ الرعيةِ نازلينا

....

١ كرزن : وزير انكليزي مشهور ، كان هو مندوب انكلترا في مؤتمر لوزان . والكنانة : هي مصر .
٢ المهين : من أسماء الله تعالى .
٣ الأحقاب : جمع حقب ، بضم الحاء ، وهو الدهر .

فؤاد أجلُّ بالدستورِ دنيا	وأشرفُ منك بالإسلام دينا[1]
وأهدى في بناء المُلكِ جدًّا	وأجودُ والداً في المحسنينا
بنى الدارَ التي لا عزَّ إلا	على جنباتها للمالكينا[2]
ولا استقلالَ إلا في ذَراها	لمتبوعٍ ولا للتابعينا[3]
ترى الأحزابَ ما لم يدخلوها	على جدِّ الحوادثِ لاعبينا
وإن فُقِدَتْ فأمرُ القوم فوضى	وإن وليته أيدي الراشدينا[4]
إذا سارتْ به أيدٍ شمالاً	أتت أيدٍ فسِرنَ به يمينا
فعجل يا ابن إسماعيلَ عجل	وهاتِ النورَ واهدِ الحائرينا
هو المصباحُ فأتِ به وأخرج	من الكهفِ السوادَ الغافلينا[5]
ملايين تجرُّ الجهلَ قيداً	وتُسحبُ بالقليل المطلقينا[6]
فداوِ به البصائرَ فهو عيسى	وفك براحتيه المُقعَدينا[7]
ومن يرَ دونه حقًّا فإني	أراه وحّدَ الحقَّ المُبينا[8]

....

١ فؤاد ، هو جلالة ملك مصر أحمد فؤاد الأوّل .
٢ بنى الدار ... الخ ، هي دار النيابة التي يجتمع بها نوّاب الأمة . الجنبات : النواحي ، مفردها جنبة .
٣ الذرا : الملجأ .
٤ الراشدون ، هم الخلفاء الأربعة بعد النبي ﷺ .
٥ الكهف : ما ينقر في الجبل كالبيت . السواد : عامة الناس .
٦ وتسحب ... الخ ، بضم التاء ، أي ويسحبها أشخاص قليلون هم الذين أطلقوا من ذلك القيد .
٧ فداوِ به ، أي بالدستور . البصائر ، جمع بصيرة : العقول . فهو عيسى ، أي فهو كعيسى في مداواة أصحاب العلل التي لا تبرأ .
٨ الحق المبين : الواضح .

تحية المؤتمر الجغرافي

هل تهبط النيِّراتُ الأرضَ أحيانا ؟ وهل تَصَوَّرُ أفراداً وأعيانا ؟[1]
نزلنَ أولَ دارٍ في الثرى رَفعَت للشمس مُلكاً ، وللأقمارِ سلطانا
تفننت قبل خلق الفن ، وانفجرت عِلماً على العُصُرِ الخالي وعِرفانا
أُبَوَّةٌ لو سكتنا عن مفاخرهم تواضعاً نطقت صخراً وصَوَّانا
هم قلَّبوا كرَةَ الدنيا فما وجدَتْ أقوى على صَولجانِ الملك أيمانا[2]
وصيَّروا الدهرَ هزءاً يسخرون به حتى ينال لهم بالهدمِ بنيانا
لم يَسلكِ الأرضَ قومٌ قبلهم سُبُلاً ولا الزواخرَ أثباجاً وشُطَّانا
تقدم الناسَ منهم محسنون مضَوا للموت تحت لواءِ العِلم شجعانا
جابوا العُبابَ على عودٍ وساريةٍ وأوغلوا في الفَلا كالأُسْدِ وحْدانا
أزمانَ لا البرُّ «بالوابور» منتهَباً ولا «البخارُ» لبنت الماءِ رُبَّانا
هل شيَّع النشءُ رَكْبَ العلم ، واكتنفوا لعبقريةٍ أحمالاً وأظعانا ؟[3]
وسايروا الموكبَ المرموقَ مُتَّشِحاً عِزَّ الحضارة أعلاماً وركبانا ؟
يسيرُ تحت لواءِ العلم مؤتلفاً ولن ترى كجنودِ العلم إخوانا
العلمُ يجمعُ في جنسٍ ، وفي وطنٍ شتى القبائلَ أجناساً ، وأوطانا
ولم يزِدْكَ كرسمِ الأرض معرفةً بالأرض داراً ، وبالأحياء جيرانا

١ النيرات : الكواكب ، واحدها نير ، بالياء المشدّدة .
٢ الأيمان : جمع يمين ، وهي اليد .
٣ العبقرية : أصلها نسبة إلى عبقر ، وهو موضع كانت العرب تزعم أنه كثير الجن ، وقد جعله المعاصرون اسماً وأرادوا به التناهي في حذق الشيء واتقانه .

علمٌ أبان عن الغبراءِ ، فانكشفتْ زَرعا ، وضرعا ، وإقليما ، وسُكانا
وقسم الأرض آكاماً ، وأوديةً وفصل البحرَ أصدافاً ، ومرجانا
وبيَّن الناسَ عادات وأمزجةً وميّز الناسَ أجناساً وأديانا
وفدَ المالكِ ، هزّ النيلُ مَنكبَه لما نزلتم على واديه ضِيفانا[1]
غدا على الثغرِ غادٍ من مواكبِكم فراح مبتسمَ الأرجاءِ جذلانا[2]
جرت سفينتُكم فيه ، فقلَّبها على الكرامةِ قيْدوماً وسكانا
يلقاكمُ بسماءِ البحر ضاحيةً وتارةً بفضاءِ البرِّ مُزدانا
ولو نزلتم به والدهرُ معتدلٌ نزلتمُ بعَروسِ المُلكِ عُمرانا
إذ الفنارُ وراء البحر موتلقٌ كأنه فلقٌ من خِدره بانا
أناف خلف سماءِ الليل متقداً يُخال في شُرَفات الجوِّ كِيوانا[3]
تَطْوِي الجواري إليه اليمَّ مقبلةً تجري بوارحَ أو تنساب خُلجانا
نورُ الحضارة لا تبغي الركابُ له لا بالنهار ولا بالليل برهانا
ياموكبَ العلم ، قِفْ في أرض منْفَ به يُناج مَهْداً ، ويذكُرْ للصِّبا شانا[4]
بكى تمائمَهُ طفلاً بها ، ويبكي ملاعباً من رُبَى الوادي وأحضانا
أرض ترَعْرَع لم يصحَبْ بساحتها إلّا نبيين قد طابوا ، وكهانا
عيسى ابنُ مريم فيها جرَّ بُردَتَه وجرّ فيها العصا موسى بن عِمرانا
لولا الحياءُ لناجتْكم بحاجتِها لعل منكم على الأيام أعوانا
إذا تفرَّقْتمُ في الغربِ ألسنةً ليَنْتُمُ كلَّ قلبٍ لم يكن لانا

١ المنكب : هو من الحيوان مجتمع رأس الكتف والعضد ، ومن غير الحيوان ناحية كل شيء وجانبه ، والمراد المعنى الأول ، كناية عن نهوضه لإكرامهم .
٢ الثغر : هو ثغر الإسكندرية .
٣ كيوان : اسم فارسي لكوكب زحل .
٤ أرض منف : هي الأرض المصرية . ومنف : مدينة مصرية قديمة ، بناها الملك « مينا » مؤسس الأسرة الأولى الفرعونية ، وجعلها مقر ملكه ، وبقيت مقراً للملك حتى زالت الأسرة الثامنة .

كفى بدارٍ تبوأتُم أرائِكَها من عبقريَّةِ إسماعيلَ عُنوانا[1]
مضى لها نصفُ قرنٍ في مكابَدةٍ تُضيءُ آناً ويخبُو ضوءها آنا[2]
لم تخلُ من خادمٍ للعلم مجتهدٍ يثيرُ بحثاً ويستوفيه تبيانا
حتى حواها فؤادٌ في عنايته وكم كريمٍ تليدٍ قبلها صانا[3]
مجدُ الأصولِ عزيزٌ ما سَهِرتَ على حفظِ الأُصولِ فإن ضيعتهمْ هانا
فلا تقولنَّ يومَ الفخرِ كان أبي حتى يراك بنو الدنيا كما كانا
وما حذا كفؤادٍ حذو والده بالعلم برًّا ولا بالفنِّ إحسانا[4]
ولا جمالَ لدارِ العلم في بلدٍ حتى يدورَ عليها الفنُّ بُستانا
يا للَّيالي لإسماعيلَ من سِنَةٍ طالَتْ وحَيْنٍ من الأقدارِ قد حانا[5]
قد خطَّ شِعري على الشِّعرَى له جدثاً وخاطَ من لمحاتِ الشمسِ أكفانا[6]
ولو مشت بي الليالي تحت كَوكَبِهِ غادرتُ أحمدَ نسياً وابنَ حمدانا[7]
من لا يساجل كفَّيْهِ إذا هَمَتا جوادُ طيٍّ ولا مسماحُ شَيْبانا[8]

---

١ الأرائك : جمع أريكة ، وهي سرير منجد مزين في قبة أو بيت . إسماعيل ، هو الخديو إسماعيل .

٢ المكابدة : مقاساة الشيء وتحمّل المشاق في فعله . تخبو : تنطفىء .

٣ فؤاد ، هو جلالة الملك أحمد فؤاد الأوّل ملك مصر . التليد : المال القديم .

٤ حذا حذوه : فعل فعله .

٥ السِّنة ، بالكسر : النعاس . الحَين ، بفتح الحاء : الهلاك .

٦ الشِّعرى : كوكبان ، يقال لأحدهما الشعرى اليمانية والعبور وتطلع في الجوزاء ، ويقال للثاني الشعرى الغميصاء . الجدث : القبر . اللمحات : جمع لمحة ، وهي النظرة بعجلة .

٧ أحمد ، هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر المشهور . وابن حمدان ، هو سيف الدولة أحد ملوك دولة بني حمدان .

٨ من لا يساجل ، من لا يفاخر ويعارض . همتا : سالتا لا ينبهما شيء . جواد طي ، هو حاتم المشهور بكرمه . ومسماح شيبان ، هو معن بن زائدة .

ومن تُنسّي سماء العزّ غرّتهُ شموسَ هاشمَ أو أقمارَ مَرْوانا[1]
ومن يُضيءُ سناه الشرقَ من حلبٍ إلى الحجازِ فبغدادٍ فلُبنانا[2]
ذو همةٍ كفؤادِ الدهرِ لو نظرت إلى بعيدٍ دنا أو جامحٍ لانا[3]
باني المآثرِ يُعجِزن الملوكَ بنى بكلِّ أرضٍ لكسرى العلمِ إيوانا[4]
مدّ الكِنانةَ أطرافاً ووسّعها مُلكاً وأترعَها خيلاً وفرسانا[5]
وفجّرَ الماءَ في جناتِها فسقى ما كان بين عُيونِ النيلِ ظمآنا
ونصَّ في ثَبَجِ الصحراء رايتَها كالنَّجم يَهدي بأقصى الليلِ حَيْرانا[6]
لا تبرح الخيلُ بالسودان ملعبَها حتى تغازلَ بالصومال أرسانا[7]
ولا حقيقةَ من مُلكٍ ومن وطنٍ حتى ترى السيفَ دون الملكِ عُريانا[8]
شيطانُ ملكٍ وفتح قد أُتيحَ له أدهى الممالك والدُولاتِ شيطانا[9]
لم يمضِ في غارةٍ إلا أصاب لها كيداً ينازعُه الغاياتِ يقظانا[10]

---

١ شموس هاشم ، يريد بهم الخلفاء العباسيين . وأقمار مروان ، خلفاء بني أمية .
٢ سناه : نوره . حلب : مدينة في سورية . وبغداد : حاضرة العراق . ولبنان : الجبل الآهل المعروف بسورية .
٣ الجامح : الفرس يركب رأسه لا يلوي على شيء .
٤ الإيوان : الصفة العظيمة ، كالأزج الذي هو بيت يبنى طولاً ، وجمعه إيوانات وأواوين .
٥ أترعها : ملأها .
٦ نصّ : رفع وأظهر . الثبَج من كل شيء : وسطه .
٧ الأرسان : جمع رسن ، وهو حبل الدابة .
٨ الحقيقة ، ما يجب على المرء أن يحميه . والمعنى أنه لا أمن ولا اطمئنان على الملك والوطن إلا أن يكون السيف دائماً مجرّداً من غمده ليحميهما .
٩ شيطان ملك وفتح ، يريد به إسماعيل ، أي أنه كان كأنه شيطان لعظم ما فعل فيهما ، أتيح له أدهى الممالك والدول فأفسدت عليه أمره ، وهي دولة الانجليز .
١٠ لم يمض في غارة ... الخ ، أي أنه كان كلما مضى في غارة للحرب وجد تلك الدولة قد كادت له لتمنعه بكيدها عن غايته .

يا للرجالِ «لإسماعيل» في «نابُلي» ولهفَ نفسي عليه في «أمِرجانا»[1]
خيالُ ملكٍ تلمّسنا حقيقتَه فأخطأتنا وكانت حظَّ «يابانا»[2]
لم نصحُ من عرسِ دنياه وموكبِها حتى سحبنا على الأحلامِ نِسيانا
وقال كلُّ قليلِ العلم متّهم أضر بالمالِ إسرافاً وإدمانا[3]
مهلاً فإنّ جبال التبرِ هينةٌ إن كنّ للمُلكِ والإصلاحِ أثمانا[4]
هلا بكَيْتم لمالٍ تشترون به مِن نصف قرنٍ مضى رقًّا وإذعانا؟
يعانُ أغنى جيوش العالمين به وجيشُكم عاجز لم يلقَ مِعوانا[5]
من خانه الدهرُ خانته صنائعُه وعاد ذنباً له ما كان إحسانا[6]
ولا ترى الناسَ إلا حربَ مضطَهدٍ وجالبين على المخذولِ خُذلانا
والحظُّ يبني لكَ الدنيا بلا عَمَدٍ ويهدمُ الدِّعَمَ الطُّولى إذا خانا[7]

....

١ نابلي ، مدينة إيطالية أقام فيها الخديو إسماعيل بعد خلعه . وأمرجان ، اسم قصر كان له في الآستانة .
٢ تلمّسنا حقيقته : تطلّبناها مرة بعد أخرى ، وكانت حظ يابانا ، وذلك أن اليابان بدأت نهضتها الحديثة في الوقت الذي بدأنا فيه نهضتنا أيضاً .
٣ الإدمان : مداومة الشيء ، والضمير في «أضر بالمال» لإسماعيل .
٤ مهلاً: مصدر نائب مناب فعله ، أي امهل مهلاً . ومعناه : لا تعجل . التبر : ما كان من الذهب غير مضروب .
٥ أغنى جيوش العالمين : هو جيش الانكليز الذي يحتلون به مصر .
٦ الصنائع: جمع صنيعة ، وهو من تصطنعه لنفسك وتربيه وتختصه بالصنع الجميل .
٧ العَمَد (بفتح الميم) : اسم جمع ، والمفرد عماد ، وهو ما يقوم عليه البيت . الدِّعم (بكسر الدال) : جمع دعمة (بالكسر أيضاً) ، وهي العماد . الطولى : العظيمة الطول .

الصليب الأحمر

سريا صليبَ الرِّفقِ في ساح الوغى ... وانشر عليها رحمةً وحنانا
وادخل على الموت الصفوفَ مُواسياً ... وأعِنْ على آلامه الإنسانا
والمسْ جراحاتِ البريَّةِ شافياً ... ما كنت إلا للمسيح بنانا
وإذا الوطيسُ رمى الشبابَ بناره ... خُضْ كالخليل إليهمُ النيرانا[1]
واجعل وسيلَتَك المسيحَ وأُمَّه ... واضرَع ، وسلْ في خلقِه الرّحمانا
اللهُ جارُكَ في عوانٍ لم تهب ... للهِ لا بِيَعاً ولا صُلبانا
وسلمتَ يا «حرمَ المعارك» من يدٍ ... هَدَمَتْ لِسلم العالمين كيانا

* * *

يا أهلَ مصر ، رمى القضاءُ بلطفِه ... وأراد أمراً بالبلاد فكانا
إن الذي أمرُ الممالك كلِّها ... بيديه ؛ أحدثَ في «الكنانة» شانا
أبقى عليها عرشَها في بُرهةٍ ... ترمي العروشَ وتنثُر التيجانا
وكسا البلادَ سكينةً من أهلها ... ووقى من الفتنِ العبادَ ، وصانا
أوَما ترون الأرضَ خُرِّب نصفُها ... وديارُ مصرٍ لا تزال جِنانا ؟
يرعى كرامَتَها ، ويمنعُ حوضَها ... جيشٌ يعاف البغيَ والعُدوانا
كجنود عَمْرٍو ، أينما ركزوا القنا ... عَفُّوا يداً ، ومُهنَّداً ، وسِنانا[2]
إن الشجاعَ هو الجبانُ عن الأذى ... وأرى الجريءَ على الشرور جبانا

* * *

---

١ الوطيس : شدة الحرب . والخليل : هو إبراهيم عليه السلام ، وقصة إلقائه في النار مشهورة .
٢ كجنود عمرو : هو عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب .

أُممَ الحضارةِ ، أنتمُ آباؤنا منكم أخذنا العلمَ والعرفانا
بنيانُ إسماعيلَ بعد محمدٍ كانت مساعيكُم له أُركانا
رقَّت لكم منا القلوبُ ، كأنّما جَرحاكمُ يومَ الوغى جَرحانا
ومن المروءةِ – وهْي حائطُ دِيننا – أن نذكرَ الإصلاحَ والإحسانا
ولئن غزاكم من ذوينا معشرٌ فلرُبَّ إخوان غَزَوْا إخوانا
حتى إذا الشحناءُ نامت بينهم لم يعرفوا الأحقاد والأضغانا

تحية للترك *

بحمدِ اللهِ ربِّ العالمينا   وحمدِك يا أميرَ المؤمنينا
لقينا في عدوّكَ ما لقينا   لقينا الفتحَ والنصرَ المبينا
هُمُ شهروا أذًى ، وشهرتَ حربا   فكنتَ أجلَّ إقداماً وضربا
أخذت حدودَهم شرقاً وغربا   وطهَّرْتَ المواقعَ والحصونا
وقبلَ الحربِ حربٌ منك كانت   نتائجُها لنا ظهرت وبانت
ألنْتَ الحادثاتِ بها ، فلانت   وغادرت القياصرَ حائرينا
جمعتَ لنا الممالكَ والشعوبا   وكانت في سياستِها ضروبا
فلما هبَّ جُورجِيهم هبوبا   تلفَّتَ لا يصيبُ له معينا[1]
رأى كيف السبيلُ إلى كريد   وكيف عواقبُ الطيش المزيد
وكيف تنامُ ياعبدَ الحميد   وتغفل عن دماءِ العالمينا ؟
ولا واللهِ والرسْلِ الكرامْ   وبيتِك خير بيتٍ في الأنام
لما كانوا – وسيفُك ذو انتقام –   يعادِلُ جَمعُهم منا جنينا
رأيتَ الحلمَ لما زاد غَرًّا   وجرًّأ مَلْكَهم حتى تجرّا[2]
فجاءتك الدعاوى منه تتْرَى   وجاءته جنودُكَ مبطلينا

* قيلت في الحرب بين اليونان والأتراك سنة ١٣١٤ هجرية ، وقلّما نالت قصيدة في العالم العربي بأجمعه ما نالته هذه القصيدة أيام ظهورها من حفاوة وانتشار ، وذلك لما ورد فيها من وصف وتهكّم صادفا هوىً في النفوس .

١ جورجي : ملك اليونان يومئذ .

٢ تجرّا : مخفف تجرأ .

بخيْلٍ في الهضابِ ، وفي الروابي ونارٍ في القلاع ، وفي الطوابي
وسيفٍ لا يلينُ ، ولا يحابي إذا الآجالُ رجَّت منه لينا
وجيشٍ من غُزاةٍ عن غزاة همُ الأبطالُ في ماضٍ وآتي
ومن كرمٍ أذلُّوا كل عاتي وذلُّوا في قتال المؤمنينا
أبعد بلائِهم في كلِّ حرب وضربٍ في الممالكِ أيِّ ضرب
تحاولُ صبيةٌ في زيِّ شعب وتطمع أن تدوسَ لهم عَرِينا ؟
جنودٌ للجراحِ الدهرَ مِرهَمْ يدبِّرها البعيدُ الصيتِ أدهمْ
فأنجدَ في تسالية[1] وأتْهَمْ وكانت للعدا حصناً حصينا[1]
أروثرُ ، لا تدسَّ السم دسًّا ومهلاً في التهوّس يا هَوَسا
سلِ اليونانَ : هل ثبتت لرسًّا[2] وهل حُفِظَ الطريقُ إلى أثينا ؟[2]
معاذَ الله ، كَلّا ، ثم كَلّا همُ البحارةُ الغرُّ الأجلا !
وما أسطولُهم في البحر إلا شَخاشِخُ ما يَرُحنَ وما يجينا ![3]
وكم بعثوا جيوشاً من أمانيَ أتت دارَ السعادة في أمان
وما سارت سوى يَوْمَيْ زمان فأهلاً بالغزاة الفاتحينا !
وكم باتوا على هَرْجٍ ومَرْجٍ وقالوا : المالُ مبذولٌ لجورجي
وكلُّ المال من دخْلٍ وخَرْجٍ ديونٌ لا تقدِّرها ديونا !
وكم فتحوا الثغورَ بلا تواني وبالأسطولِ جاءوا من مواني
وللبسفورِ طاروا في ثواني فأهلاً بالأوزِّ العائميَنا[4]
وفي الآستانة انتصروا انتصارا وبطرسبرجَ دكُّوها حصارا
فيا للمسلمين وللنصارى وقيصرَ والملوكِ الآخرينا !

---

١ تسالية : موقعة من مواقع هذه الحرب .
٢ لرسا : موقعة من مواقع هذه الحرب .
٣ شخاشخ : جمع (شخشيخة) وهي لعبة معروفة للأطفال .
٤ وصف الأوز بجمع المذكر ، قد يراد به التعظيم .

ويا غليومُ ، أين لك الفِرارُ إذا جورجي وعسكرُه أغاروا ؟
فضاقت عن سفينِهمُ البحارُ وضاق البرُّ عنهم واجفينا !
أُمورٌ تضحكُ الصبيانُ منها ولا تدري لها العقلاءُ كُنها
فسَلْ روترْ ، وسَلْ هافاسَ عنها فإن لديهما الخبَرَ اليقينا
ويومَ مَلونَ إذ صحنا ، وصاحوا ذكرنا الله من فرحٍ ، وناحوا
ودارتْ بينهم بالراح راحُ ودارتْ راحةُ الإيمان فينا[1]
على الجبلين قد بتنا ، وباتوا وقُتناهم منيَّتهم ، وقاتوا
وقد متنا ثباتاً ، واستماتوا وما البسلاءُ كالمستبسلينا
خسفنا بالحصون الأرضَ خسفا تزيد تأبّياً فنزيد قذفا
بنار تنسفُ الأجيالَ نسفا وتلقَفُ نارَهم والمطلقينا
مدافعُ ما تنوبُ بغير زادِ براكينٌ تصوبُ بلا نفاد[2]
نصبناها لهم في كل وادي فكنّ الموتَ ، أو أهدى عيونا
جعلنا الأرضَ تحتَهمُ دماءً وصيَّرنا الدخانَ لهم سماء
وإذ راموا من النار احتماء حَمَتْ أسيافُنا منهم مئينا
وربِ مجاهدٍ شيخٍ مُبَجَّلِ ترجلتِ الجبالُ وما ترجَّلْ
أراد ليركبِ الموتَ المحجَّل إلى أجدادِه المستشهَدينا
وفي لجوادِه ، وحنا عليه وقد شخَصتْ بنادقُهم إليه
وصابَ رصاصُها يُدْمي يديه وأوشكتِ السواعد أن تخونا
تعوَّدَ أن يصيب ، وأن يُصابا فخوطبَ في النزول ، فما أجابا
وقال – وقد قضى – قولاً صوابا : هنا فليطلبِ المرءُ المَنونا
وقد زاد البسالةَ من وقارِ هِزبر من ليوثِ الترك ضاري

١ ملون : موقعة ، والراح الأولى : الأكف ، والثانية : الخمر .
٢ تصوب : أي يسقط حممها كالمطر .

تقدم نحو نارٍ أي نارِ ليسبِقَ نحوَ خالِقه القرينا
جرى ، فأذلّ هاتيكَ الأُلوفا وزحزح عن مواضعها الصفوفا
فخاض إلى مكامِنِها الحُتوفا وما هاب الرُّماةَ مسدِّدينا
دعا لله في وجه الأعادي كليثٍ زائرٍ في بطن وادي
فلبَّتْه الفيالقُ والأرادي ودارَ هلالُ رايتنا يمينا[1]
فلما أذعنوا أنّا المنايا وأنّا خيرُ من قاد السرايا[2]
تفرّق جمعُهم إلّا بقايا على قُلَلِ الجبالِ مُجندَلينا
صلاةُ الله ربي والسلامُ على قتلى بفرسالو أقاموا[3]
هم الشهداءُ ، حول الله حاموا فأدناهم ، وكانوا الفائزينا
أنالوا الملك فتحاً أيَّ فتح وشادوا للخلافةِ أيَّ صرحِ
وجاءوا ربّهم منهم بذِبْح تَقَبَّلَه ، وكان به ضنينا
سلاماً سفحَ فرسالو سلاما وكن خيرَ المُقامِ لمن أقاما
وضنّ بها وإن بليتْ عظاما تطيف بها الملائك حائمينا
أأدْهَمُ ، هكذا تُقْنى المعالي وتُقْنَى بالقواضِب والعوالي[4]
لقد بيَّضْتَ للمُلْك الليالي بسيفٍ يفضح الفجرَ المبينا
أخذتَ النصرَ بالجبلين غصبا وكنتَ الليثَ تخطاراً ووثبا
حملْتَ ، فماجَتْ الحُمْلانُ رُعْبا يظنُّهمُ الجهولُ مقاتلينا
وفي فرسالَ قد جئتَ العُجابا بسطتَ الجيش تقرؤه كتابا
وقد أحصيتَه باباً فبابا وكانوا عن كتابك غافلينا

---

١ الأرادي : جمع أردي ، وهو الجيش .
٢ السرايا : جمع سرية ، وهي القطعة من الجيش .
٣ فرسالو : موقعة .
٤ القواضب : السيوف . والعوالي : الرماح .

ثبتٌ مؤمَّلا منك الثباتُ   توافيكَ الرَسائلُ والسُّعاةُ
وحولَكَ أهلُ شوراك الثقاتُ   تسوسون الجيوش مظَفرينا
هناك الصحْفُ سارت حاكيات   وطيّرتِ البروقُ محدِّثات
وحدّثتِ الممالكُ آخذاتِ   علومَ الحربِ عنكم والفنونا
بني عثمانَ ، إنا قد قَدَرنا   فتوحَكمُ الكِبارَ وقد شكرنا
سألنا الله نصراً ، فانتصرنا   بكم ، والله خيرُ الناصرينا

الدستور العثماني

بشرى البريةِ قاصيها ودانيها حاطَ الخلافةَ بالدستور حاميها[1]
لما رآها بلا ركنٍ تداركَها بعد الخليفة بالشورى ، وناديها
وبالأبيِّين من قومٍ أماتهم بُعدُ الديارِ ، وأحياهم تدانيها
حنُّوا إليها كما حَنَّتْ لهم زمناً وأوشكَ البينُ يُبليهم ، ويُبليها
مُشتَّتين على الغبراءِ ، تحسبُهم رحَّالةَ البَدْوِ هاموا في فيافيها
لا يقربُ اليأسُ في البأساءِ أنفسَهم والنفسُ إن قَنَطَتْ فاليأسُ مُرْديها

* * *

أسدى إلينا أميرُ المؤمنين يداً جلَّت ، كما جلّ في الأملاكِ مُسديها[2]
بيضاءَ ، ما شابَها للأبرياءِ دمٌ ولا تكدّر بالآثامِ صافيها
وليس مُستعظَماً فضلٌ ، ولا كرمٌ من صاحب السكة الكبرى ومُنشيها[3]
إن الندَى والرضَى فيه وأُسرته واللهُ للخير هاديه وهاديها
قومٌ على الحبِّ والإخلاص قد ملكوا وحسبُ نفسك إخلاصٌ يُزكِّيها
إذا الخلائفُ من بيتِ الهدى حُمِدَتْ أعلى الخواقينَ مِنْ عثمانَ ماضيها
خلافةُ الله في أحضانِ دولتهم شابَ الزمانُ ، وما شابت نواصيها
دروعُها تحتمي في النائباتِ بهم من رمحِ طاعنِها ، أو سهمِ راميها

* * *

الرأيُ رأيُ «أميرِ المؤمنين» إذا حارتْ رجالٌ وضلَّتْ في مرائيها

....

١ حاط الخلافة : حفظها وتعهدها .
٢ أسدى : أحسن . وأمير المؤمنين : هو السلطان عبد الحميد . واليد : النعمة .
٣ السكة الكبرى : هي السكة الحديدية الحجازية ، وقد أنشأتها الدولة في أيامه .

وإنما هي شُورى اللهِ ، جاء بها   كتابُه الحقُّ ، يُعليها ، ويُغليها
حقَنتَ عند مناداةِ الجيوش بها   دمَ البريَّةِ إرضاءً لباريها
ولو منعت أُريقت للعباد دِماً   وطاحَ من مُهَجِ الأَجناد غاليها
وَمَنْ يَسُسْ دولةً قد سُسْتَها زمناً   تهُنْ عليه من الدنيا عواديها
أتى ثلاثون حوْلاً لم تذُقْ سنةً   ولا استخفَّكَ للذَّاتِ داعيها
مُسَهَّد الجفنِ ، مكدودَ الفؤادِ بمَا   يُفني القلوبَ ، شجيَّ النفس ، عانيها[1]
تَكادُ مِن صُحبةِ الدنيا وخِبْرتها   تُسيءُ ظنَّك بالدنيا وما فيها

* * *

أما ترى المُلكَ في عرسٍ وفي فرح   بدولةِ الرأيِ والشورى وأَهليها ؟
لمَّا استعدّ لها الأقوامُ جِئتَ بها   كالماءِ عند غليل النفسِ صاديها ؟[2]
فضلٌ لذاتك في أعناقِنا ، ويدٌ   عند الرعيةِ من أسنى أَياديها
خلافةُ اللهِ جرّ الذيلَ حاضرُها   بما منحتَ ، وهزَّ العطفَ باديها
طارت قناها سروراً عن مراكِزِها   وأَلقت الغِمد إعجاباً مواضيها
هبَّ النسيمُ على «مقدونيا» بَرداً   من بعد ما عَصَفَتْ جمراً سوافيها[3]
تغلي بساكنِها ضِغناً ونائرةً   على الصدور إذا ثارت دواعيها
عاثت عصائبُ فيها كالذئاب عَدَتْ   على الأقاطيعِ لمَّا نام راعيها
خَلالها من رسُوم الحكم دارسُها   وغرَّها مِن طلول الملك باليها[4]
فسامَرَ الشرَّ في الأَجبالِ رائحُها   وصبَّح السهلَ بالعدوانِ غاديها
مظلومةٌ في جوار الخوف ، ظالمةٌ   والنفسُ مؤذيةٌ من راحَ يؤذيها
رثتْ لها وبكتْ من رقَّةٍ دولٌ   كالبوم يبكي رُبُوعاً عزّ باكيها

---

١ مسهد الجفن : من سهده ، بالتشديد جعله يسهد ، أي لا ينام . ومكدود الفؤاد : متعبه . ويفني القلوب : يثقلها .
٢ الغليل : شدة العطش .
٣ مقدونيا : هي إقليم البلقان ، من تركية أوروبا . والبرد : حب الغمام .
٤ الرسم الدارس : العافي القديم .

أعلامُ مملكةٍ في الغرب خائفةٌ لآل عثمانَ كادَ الدَّهرُ يطويها
لما مُلئنا قنوطاً من سلامتها تَوَثَّبَتْ أُسُدُ الآجام تحميها[1]
من كل مستبسلٍ يرمي بمهجتِه في الهول إن هي جاشت لا يراعيها
كأنها – وسلامُ الملك يطلبها – أمانةٌ عند ذي عهدٍ يؤدّيها

* * *

الدينُ لله ، من شاء الإلهُ هَدَى لكل نفسٍ هَوًى في الدين داعيها
ما كان مُختلِفُ الأديانِ داعيةً إلى اختلافِ البرايا ، أو تعاديها
الكُتْبُ ، والرسْلُ ، والأديانُ قاطبةً خزائنُ الحكمةِ الكبرى لِواعيها
محبةُ اللهِ أصلٌ في مراشِدها وخَشيةُ اللهِ أُسٌّ في مبانيها
وكل خيرٍ يلقّى في أوامرها وكلّ شرٍّ يوقّى في نواهيها
تسامُحُ النفسِ معنًى من مروءَتها بل المروءَةُ في أسمى معانيها
تخلَّقِ الصفحَ تسعدْ في الحياةِ به فالنفسُ يسعدها خُلْقٌ ويُشقيها[2]
اللهُ يعلمُ ما نفسي بجاهلةٍ مَن أهلُ خِلَّتها ممن يُغاديها ؟[3]
لئن غدوتُ إلى الإحسانِ أصرفها فإن ذلك أجرى من معاليها
والنفسُ إن كبرت رقَّتْ لحاسدِها واستغفرت كرماً منها لشانيها

* * *

يا شعبَ عثمانَ من تركٍ ومن عربٍ حيّاكَ مَنْ يبعث الموتى ويُحييها
صبرتَ للحقِّ حين النفسُ جازعةٌ واللهُ بالصبر عند الحقِّ موصيها
نِلتَ الذي لم ينله بالقنا أحدٌ فاهتفْ لأنورها واحمدْ نيازيها
مابين آمالِك اللائي ظفِرْتَ بها وبين عصر معانٍ أنتَ تدريها

---

١ يريد بأسد الآجار : رجال الجيش الذين طلبوا من السلطان عبد الحميد إعلان الدستور فأذعن لهم .
٢ تخلق الصفح : أي اجعله خلقاً لك . والصفح : الإعراض عن ذنوب الغير .
٣ الخلة (بكسر الخاء) : المصادقة والإخاء .

الهلال والصليب الأحمران

جبريل ، أنت هدى السما ء ، وأنت برهانُ العِنايه[1]
أبْسُطْ جَنَاحَيْكَ اللذيْـ ـن هما الطهارةُ والهدايه
وزدِ الهلالَ من الكرا مةِ ، والصليبَ من الرعايه
فـهما لـربِّك رايـةٌ والحربُ للشيطان رايه
لم يخلق الرحمنُ أكـ ـبر منهما في البرِّ آيه
الأحمَران عن الدم الـ ـغالي وحرمتِه كنايه
الـغـادِيـان لـنـجـدةٍ الـرائحان إلى وقـايـه
يـتـألّـقـان على الوَغى رشدًا تَبيَّنَ من غوايه
يقفان في جنب الدِّما كالعُذْرِ في جنب الجنايه
لـو خيما في كربلا لم يُمْنع السِّبْطُ السِّقايه[2]
أو أدركـا يوم المسيـ ـح لعاونَاه على النكايه[3]
ولناولاهُ الشهدَ ، لا الـ ـخَلَّ الذي تصِفُ الروايه[4]
يـٰـأيها اللادي التي ألْقت على الجرحَى حِمايه[5]

....

١ جبريل : من الملائكة مختص بالوحي .

٢ كربلا : مدينة في العراق بها قبر للحسين بن علي رضي الله عنهما . والسبط : ولد الولد . والحسين سبط النبيِّ صلى الله عليه وسلم . يشير بذلك إلى مقتل الحسين ، وما قيل من أن قتلته منعوا عنه الماء حين طلبه وهو في النزع .

٣ يوم المسيح : أي اليوم الذي يزعم النصارى أن المسيح صلب فيه .

٤ . ولناولاه الشهد . . . الخ : وذلك أن النصارى تدعي أن المسيح طلب وقت شدة الصلب ماء فأعطوه خلاً .

٥ اللادي : لقب عام لزوجات لوردات الانكليز ، وهي هنا زوجة المعتمد البريطاني في مصر أثناء الحرب الكبرى ، وذلك أنها قامت بجمع المال إعانة للصليب الأحمر ، وتدعو إلى ذلك .

أبلَيْتِ في نزع السها م بلاء دَهْرِكِ في الرمايه
ومررتِ بالأسرى ، فكنـ ـتِ نسيمَ واديهم سِرايه
وبناتُ جنسكِ إن بَنَيْـ ـنَ البِرَّ أحْسَنَّ البنايه
بـالأمس لادي لوثـرِ لم تألُ جيرتَها عنايه[1]
أَسْدَتْ إلى أهل الجنو د يدًا ، وغالت في الحفايه
ومُـحـجَّباتٍ هنّ أطـ ـهرُ عند نائبةٍ كفايه
يسْعِفن رِيًّا ، أو قِرًى كنساءِ طَيٍّ في البدايه
إن لم يكنَّ ملائكَ الر حمٰن كُنَّ هُمُ حِكايه[2]
لَـبَّيْنَ دعوتَكِ الكريـ ـمةَ ، واستبقن البِرَّ غايه
المحسنون هـمُ اللبـا بُ ، وسائرُ الناسِ النفايه
يا أيها الباغون ، ركا بَ الجهـالـة والـعَمايـه
الـباعثون الحربَ حُبًّـ ـاً للتوسُّع في الولايه
المدَّعون على الورى حقَّ القيامةِ والوصايه
المثـكِـلون ، الموتِـمو ن ، الهادِمون بلا نهايه[3]
كلُّ الجِراح لها التئا م من عزاءٍ أو نِسايه
إلَّا جـراح الحقِّ في عصر الحصافة والدرايه[4]
ستـظـلُّ دامـيـةً إلى يوم الخصومة والشكايه

انتهى

[1] لادي لوثر : انكليزية أخرى . ولوثر : اسم زوجها .
[2] الملائك : جمع ملك ، بفتح اللام .
[3] المثكلون ، من أثكلها ولدها : أماته . والموتمون : الذين يجعلون الأبناء يتامى بقتل آبائهم في الحرب .
[4] الحصافة : استحكام العقل وجودة الرأي .

ديوان شوقي

الجزء الثاني

دار صادر
بيروت

باب الوصف

آيةُ الْعَصْرِ في سَمَاءِ مِصْرَ*

يا فرنسا ، نِلْتِ أَسبابَ السماءْ — وتملَّكتِ مقاليدَ الجِواءْ[1]
غُلِبَ النَّسرُ على دولته — وتنحَّى لك عن عرشِ الهواءْ
وأتتْكِ الريحُ تَمشي أَمَةً — لكِ – يا بلقيْسُ – من أوفى الإماء[2]
رُوِّضتْ بعدَ جِماحٍ ، وجرتْ — طوعَ سُلطانيْنِ : علمٍ ، وذَكاءْ
لكِ خَيْلٌ بجَنَاحٍ أشبهتْ — خَيْلَ جبريلَ لنصرِ الأَنبياء
وبَريدٌ يسحبُ الذيْلَ على — بُرُدٍ في البرِّ والبَحْرِ بِطاءْ
تَطلعُ الشمسُ ، فيَجْري دُونها — فوقَ عُنْقِ الرِّيحِ ، أو مَتْنِ العَمَاء
رِحلةُ المشرِقِ والمغربِ ما — لبثتْ غيرَ صَبَاحٍ وَمَسَاء
بُسلاءُ الإِنسِ والجنّ فِدًى — لِفريقٍ من بَنيكِ البُسلاء
ضاقت الأَرضُ بهم ، فاتَّخذُوا — في السَّمٰوات قبورَ الشهداء
فتيةٌ يُمْسون جيرانَ السُّها — سُمَراءَ النجْمِ في أَوجِ العَلاءْ[3]
حُوَّماً فوقَ جبالٍ لم تكن — للرياحِ الهُوجِ يوماً بِوطاء
لِسـليمانَ بِسـاطٌ واحِـدٌ — ولهم أَلفُ بساطٍ في الفضاء
يركبُون الشُّهْبَ والسُّحْبَ إلى — رِفْعَةِ الذكرِ ، وعَلياءِ الثناء
يا «نسورًا» هَبطوا «الوادي» على — سالِف الحُبِّ ، ومأْثورِ الوَلاء
دارُكم مصرُ ، وفيها قومُكم — مرحباً بالأَقربينَ الكُرَماء

* نظمت عند قدوم (فدرين) و (بونيه) طائرين من باريس إلى مصر سنة ١٩١٤ .
١ أسباب السماء : مراقيها ، أو طرقها ، أو نواحيها ، أو أبوابها .
٢ الأمة : المملوكة . وبلقيس : صاحبة نبي الله سليمان الذي سخرت له الريح .
٣ السها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى .

طِرتمُ فيها ، فطارت فرحاً بأعزِّ الضيفِ خيْرِ النزلاء
هَل شجاكم في ثرى أهرامِها ما أَرقتُمْ من دُموع ودماء ؟
أَين نَسرٌ قد تلقَّى قبلكم عِظة الأَجيالِ من أَعلى بِناء ؟[1]
لو شهِدتم عصرَه ! أَضحى له عالمُ الأفلاكِ معقودَ اللواء
جَرَحَ الأَهرامَ في عِزَّتها فمشى للقبر مجروحَ الإباء
أَخَذَتْ تاجاً بتاجٍ ثأْرَها وَجَزَتْ منْ صَلفٍ بالكبرياء
وتمنَّت لو حَوَت أَعْظُمَه بين أَبناءِ الشموسِ العُظماء

* * *

جلَّ شأْنُ الله هادي خَلْقِه بِهُدَى العِلم ، ونورِ العلماء
زفَّ من آياته الكبرى لنا طِلْبةً طال بها عَهدُ الرجاء
مركبٌ لو سلف الدهرُ به كان إِحدى مُعجزاتِ القدَماء
نصفُه طيرٌ ، ونصفٌ بشرٌ ! يا لها إِحدىَ أَعاجيب القضاء !
رائعٌ ، مرتفعاً أَو واقعاً ، أَنْفُسَ الشجعانِ قبلَ الجبناء
مُسرَجٌ في كلّ حين ، مُلجَمٌ كاملُ العُدّة ، مَرموقُ الرُّواء
كبِساطِ الريحِ في القدرة ، أَو هُدْهُدِ السيرةِ في صِدق البلاء
أَو كحُوتٍ يرتمي الموج به سابح بين ظُهور وخَفاء
راكب ما شاءَ من أَطرافه لا يُرَى من مركب ذي عُدَوَاء
ملأَ الجوَّ فعالاً ، وغدا عَجَبَ الغربانِ فيه والحِداء
وترى السُّحْبَ به راعِدةً من حديدٍ جُمِّعت ، لا من رَواء[2]
حمل الفولاذَ ريشاً ، وجرى في عنانيْن له : نارٍ ، وماء
وجَنَاحٍ غيرِ ذي قادِمةٍ كجَناح النحل مصقولٍ سَواء[3]

١ يريد به نابليون الأول .
٢ الرواء : الماء العذب .
٣ القادمة : واحدة القوادم ، وهي عشر ريشات في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش .

وذُنابَى ، كلُّ ريحٍ مسَّها مسَّهُ صاعقةٌ من كهرُباء
يتراءى كوكباً ذا ذَنَب فإذا جَدَّ قَسَهماً ذا مَضاء
فإذا جاز الثريّا للثري جرّ كالطاوُوس ذيلَ الخُيَلاء
يملأُ الآفاقَ صوتاً وصدًى كعزيف الجنّ في الأرضِ العَرَاء
أرسلتْه الأرضُ عنها خبراً طَنَّ في آذانِ سكّانِ السماء

* * *

يا شبابَ الغدِ ، وأبناي الفِدَى لكُمُ ، أَكْرِمْ وأَعزِزْ بالفِداء
هل يمدُّ اللهُ لِي العيشَ ، عسى أن أراكم في الفريقِ السُّعداء ؟
وأرى تاجَكُمُ فوق السُّها وأرى عرشَكُمُ فوق ذُكاء ؟[1]
مَن رآكم قال : مصرُ استرجعتْ عِزَّها في عهد «خوفو» و «مِناء»
أُمَّةٌ للخلد ما تبنى ، إذا ما بنى الناسُ جميعاً للعَفاء[2]
تَعْصِمُ الأَجسامَ من عادى البلا وتَقِي الآثارَ من عادى الفناء
إن أَسأْنا لكُمُ ، أو لم نُسِئْ نحن هَلْكَى ، فلكم طولُ البقاء
إنما مصرُ إليكمْ وبكمْ وحُقوقُ البرِّ أَوْلى بالقضاء
عَصرُكم حرٌّ ، ومُستقبَلُكم في يمين الله خيرِ الأمناء
لا تقولوا : حطَّنا الدّهرُ ، فما هو إلّا من خيالِ الشعراء
هل علمتمْ أُمةً في جهلها ظهرتْ في المجد حسناءَ الرِّداء ؟
باطِنُ الأُمةِ من ظاهِرِها إنما السائلُ مِن لونِ الإِناء
فخُذوا العلمَ على أَعلامه واطلبوا الحكمةَ عند الحكماء
واقرأُوا تاريخَكم ، واحتفظوا بفصيح جاءَكُمُ من فصحاء
أَنزلَ اللهُ على أَلسُنهِم وَحيَه في أَعْصُرِ الوَحْيِ الوِضاء[3]

....

١ ذكاء : اسم للشمس .
٢ العفاء : الدروس والهلاك والفناء .
٣ الوضاء : المشرقة الحسنة .

واحكموا الدنيا بسلطانٍ ، فما خُلِقتْ نَضْرتُها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض ، فإن هي ضاقت فاطلبوهُ في السماء

شيكسبير

أعْلى الممالكِ ما كرسيُّه الماءُ وما دِعامتُه بالحقّ شمَّاءُ
يا جيرةَ المَنشِ ، حَلَّاكم أُبُوَّتُكم ما لم يُطَوَّقْ به الأبناءُ آباءُ
مُلكٌ يطاول ملكَ الشمس ، عِزَّتُه في الغرب باذخةٌ ، في الشرق قَعْساءُ[1]
تأْوي الحقيقةُ منه والحقوقُ إلى رُكن بَناهُ من الأخلاق بنَّاءُ
أعلاه بالنظرِ العالي ، ونطَّقه بحائط الرأْي أَشياخٌ أَجِلَّاءُ
وحَاطَهُ بالقَنا فِتيانُ مملكةٍ في السلمِ زَهرُ رُبًى ، في الروع أرزاءُ
يُسْتَصْرَخون ، ويُرجَى فضلُ نَجدتِهم كأنهم عربٌ في الدهر عَرباءُ
ودولةٌ لا يراها الظنُّ من سَعَة ولا وراءَ مداها فيه عَلْياءُ
عصماءُ ، لا سببُ الرحْمنِ مُطَّرَح فيها ولا رَحِمُ الإنسانِ قَطْعاءُ
تلك الجزائرُ كانت تحتَهم رُكُناً وراءَهُنَّ لباغي الصَّيدِ عَنْقَاءُ
وكان وُدُّهُم الصافي ونُصْرَتُهم للمسلمينَ وراعيهم كما شاءُوا

* * *

دستورُهم عجبُ الدنيا ، وشاعرُهم يَدٌ على خلقهِ لله بيضاءُ
ما أَنجبتْ مثلَ شيكسبيرَ حاضرَةٌ ولا نَمتْ من كريم الطير غَنَّاءُ
نالتْ به وَحْدَه إنكلترا شرفاً ما لم تنلْ بالنجوم الكُثْر جَوْزاءُ[2]

١ قعساء : أي ثابتة .
٢ الجوزاء : برج في السماء .

لم تُكْشَف النفسُ لولاهُ ، ولا بُليت ... لها سرائرُ لا تُحصَى وأهْوَاءُ
شِعرٌ من النَّسَق الأعلى ، يُؤيِّدُه ... من جانب الله إلهامٌ وإيحاءُ
من كلّ بَيْتٍ كآيِ الله ، تسْكُنُه ... حَقيقةٌ من خَيَال الشِّعر غرَّاءُ
وكلِّ معنًى كعيسى في محاسنه ... جاءَتْ به من بناتِ الشعر عَذراءُ
أو قِصَّةٍ ككتابِ الدهر جامعةٍ ... كِلاهُما فيه إضحاكٌ وإبكاءُ
مهما تُمَثَّلْ تُرَ الدنيا مُمَثَّلةً ... أو تُتْلَ فهي من الإنجيل أجْزاءُ

* * *

يا صاحبَ العُصُرِ الخالي ، ألا خَبَر ... عن عالَمِ المَوْتِ يَرْوِيه الألِبَّاءُ ؟[1]
أما الحياةُ ، فأمْرٌ قد وصفتَ لنا ... فهل لِمَا بعدُ تمثيلٌ وإدناءُ ؟
بمن أماتك قل لي : كيف جُمجمةٌ ... غبراءُ في ظُلمات الأرض جوْفاءُ ؟
كانتْ سماءَ بيانٍ غيْرَ مُقْلِعةٍ ... شؤْبُوبها عَسَلٌ صافٍ وَصهباءُ
فأصبحتْ كأصِيصٍ غير مُفتَقَد ... جفَتْه ريحانة للشعر فَيْحاءُ[2]
وكيف باتَ لِسَانٌ لم يدع غرضاً ... ولم تَفُتْه من الباغين عوْراءُ[3]
عفا ، فأمْسَى زُنابَى عقربٍ بَلِيَتْ ... وسُمُّها في عروقِ الظلم مشَّاءَ
وما الذي صنعتْ أيدي البلى بيَد ... لها إلى الغيب بالأقلامِ إيمَاءُ ؟
في كلِّ أُنْمُلة منها إذا انْبَجَسَتْ ... بَرْقٌ ، وَرَعْدٌ ، وأرواحٌ ، وأنواءُ[4]
أمسَتْ من الدُّودِ مثلَ الدُّودِ في جَدَثٍ ... قُفَّازُها فيه حَصباءٌ وبَوغاءُ[5]
وأيْنَ تحت الثرى قلبٌ جَوَانبُه ... كأنهن لوادي الحقِّ أرْجَاءُ ؟
تُصْغى إلى دقِّه أذْنُ البيان ، كما ... إلى النواقيس للرُّهبانِ إصْغاءُ

١ الألباء : العقلاء ، جمع لبيب .
٢ الأصيص : نصف الجرة يزرع فيها الرياحين .
٣ العوراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة .
٤ انبجست : أي انفجرت .
٥ الحصباء : الحصى ، الواحدة حصبة ، والبوغاء : ما يثور من الغبار ودقاق التراب .

لئن تمشّى البلى تحت التراب به   لا يُؤْكَلُ الليثُ إلا وهْوَ أشلاءُ

* * *

والناسُ صِنْفَان : موتَى في حَيَاتِهِمُ   وآخرُون ببطنِ الأرضِ أحياءُ
تأْبى المواهبُ ، فالأحياءُ بينهُمُ   لا يستوُون ، ولا الأمواتُ أكفاءُ
يا واصِفَ الدّم يجري هٰهنا وهُنا   قُم انْظر الدّمَ ، فهْو اليومَ دَأْمَاءُ[1]
لامُوكَ في جَعْلِكَ الإنسانَ ذِئبَ دَمٍ   واليومَ تبدوَ لهم من ذاك أشياءُ
وقيل : أكثَرَ ذِكرَ القتل ، ثم أتوْا   ما لَم تَسَعْهُ خيالاتٌ وأنباءُ
كانوا الذئابَ ، وكان الجهلُ داءَهُمو   واليومَ عِلمُهُمُ الراقي هو الداءُ
لؤمُ الحياة مَشَى في الناس قاطبةً   كما مَشَى آدمٌ فيهم وحَوَّاءُ
قمْ أيِّدِ الحقَّ في الدنيا ، أليس له   كتيبةٌ منكَ تحت الأرضِ خرْسَاءُ ؟
وأين صوتٌ تَمِيدُ الراسياتُ له   كما تمايَدَ يومَ النار سَيناءُ ؟[2]
وأين ماضيةٌ في الظلم ، قاضيةٌ ؟   وأين نافذةٌ في البَغي ، نَجْلاءُ ؟
أيتركُ الأرضَ جانوها وليس بها   صحيفةٌ منك في الجانين سوداءُ ؟
تأْوي إليها الأيَامَى ، فهْيَ تعزِيَةٌ   ويَسْتريحُ اليتامَى ، فهْي تأْسَاءُ

١ الدأماء : البحر .
٢ يريد النار التي ظهرت لموسى الكليم وهو سائر بأهله شطر طورسينا .

أَثَرُ البالِ في البال*

حَفَّ كأسَها الحبَبُ فهي فِضة ذَهَبُ
أَو دوائــــرٌ دُرَرٌ مــائجٌ بها لَـبَبُ[1]
أَو فمُ الحبيبِ ، جلا عن جُمانِهِ الشَنَب[2]
أَو يداه ؛ وباطِنُها عــاطِــلٌ ومختضِب
أَو شَقيقٌ وجنتِه حينَ لي به لعِب[3]
راحةُ النفوسِ ، وهَل عـنـد رَاحةٍ تعَب
يا نديمُ ، خِفَّ بها لا كبًا بكَ الطرب
لا تقلْ : عواقبُها فـالـعواقبُ الأَدب
تنجلي ولي خُلُق يـنـجلي ويـنسكِب
يرقُب الرفاقُ له كـلما سرَى شربوا
شاعرُ العزيز ، وما بـالقليل ذا اللقب
لـيـلـةٌ لسيِّدِنـا في الزمان تُرتَقب
دونها الرشيدُ ، وما أَخلَدَتْ له الكتُب
يُهرَعُ النزيلُ لها والرَّعيَّةُ النُّخَبُ
فـالسرايُ جَوْهـرةٌ لـلـعُـقـول تَختَلِب
أَو كـبَـاقـة زهْرَا لـلـعُـيـون تـأْتشِب[4]

* قالها في وصف ليلة راقصة أقيمت في قصر عابدين .
١ اللبب : موضع القلادة من الصدر .
٢ جلا : أي كشف . والجمان : اللؤلؤ . والشنب : عذوبة الأسنان .
٣ الشقيق : واحد شقائق النعمان ، وهي أزهار حمراء فيها بقع سوداء .
٤ الزهرا : الزهراء . ائتشب الشجر : التف .

الـجَلالُ قـبَّـتُـه والسَّنا لهُ طُنُب[1]
ثـابتٌ ، وذِرْوتُـهُ في الفضاءِ تضطرب
أشرقَت نوافِـــذه فهْيَ مَنظرٌ عجَب
وٱستـنـارَ رفـرَفـهُ والسُّجوفُ ، والحُجُب[2]
تعجَب العيونُ له كيف تَسكنُ الشُّهُب ؟
أقبلتْ شموس ضُحًى ما لهُن مُـنـتَقَب
الـظلامُ رَايـتُـهـا وهْيَ جَيْشُهُ اللَّجِب
في هَوَادجٍ عَجَلاً بـالجيـادِ تـنسَـحِب
قـامَ دُونها سَبَبٌ وٱستـحـثَّـهـا سبب[3]
فهْيَ تـارةً مَهَلٌ وهْـيَ تـارةً خَبَب[4]
تَـرتمي بهنّ حِمًى لاَ يَـجوزُه رَغب
بـابُـه لِـداخِـلِـه جَنَّةٌ ، هي الأرَب
قـامتِ السَّراةُ به والمعِـيَّـةُ الـنـجُبُ[5]
وانبرَى النساءُ له عُجْمُهُنّ ، والعرَبُ
الـعـفـافُ زينـتُـها والجمالُ ، والحسَب
أنْجُـمٌ ، مَطالِعُهَا عـابـدينُ والـرَّحَب
سيِّــدي لها فـلَكٌ وهْـيَ منه تقترب
عند رُكن حُجْرَته بَـدْرُه لـنـا كَثَب
يزدهي السَّرِيرُ به والمطـارِفُ الـقُشُب

....

١ السنا هنا مقصور من السناء : بمعنى الرفعة . والطنب : الوتد .
٢ الرفرف : الرقيق من ثياب الديباج .
٣ السبب : الحبل ، ويشير به أولاً إلى زمام الدابة ، وثانياً إلى سوط السائق .
٤ الخبب : سرعة عدو الجياد .
٥ السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف في سخاء ومروءة . والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم الحسيب .

حَوْلَ عَرْشِه عَجَمٌ حوْل عرشِه عَرَب
رُتبةُ الجُدُودِ له تستوي بها الرُّتَب
شُرِّفَت بــه وسَمَا تالِدٌ ، ومُكْتَسَب[1]
الـليوثُ ماثِلةٌ والظباءُ تنسَرِب
الحريرُ ملبَسُها واللُّجَيْنُ ، والذهب
والقصورُ مَسْرَحُها لا الرِّمالُ ، والعُشُب
يستفزُّها نَغَمٌ لا صدًى ، ولا لجَب
يُستعادُ مُرْقِصُه تارةً ويُقْتَضَب
فالقدودُ بانُ رُبًى بَيْدَ أَنها تثِب[2]
يلعبُ العِناقُ بها وهْو مُشْفِقٌ حَدِب
فهْيَ مَرَّةً صُعُدٌ وهْيَ مرَّةً صَبَب[3]
وهْيَ هٰهنا ، وهُنا تَلتقي ، وتَصطحِب
مِثلما التقتْ أَسَلٌ أو تعانقتْ قُضُب
الرؤوسُ مائلةٌ في الصدور تحتجب
والنُّحورُ قائمةٌ قاعدٌ بها الوَصَب[4]
والنُّهودُ هامِدةٌ والخدودُ تلتهب
والخُصورُ واهيةٌ بالبنان تَنْجَذِب
سالتِ الأَكفُّ بها فهْيَ أَغْصُنٌ نُهب
الخِوانُ دائِرةٌ المَلَا لها قُطُب
للوفودِ مائدةٌ منه أينما انقلَبوا

١ التالد : القديم .
٢ البان : شجر سبط القوام لين ويشبه به القد لطوله .
٣ الصعد : جمع صعد بكسر العين وهو المرتفع . والصبب : المنحدر .
٤ الوصب : التعب .

والطريقُ مُتَّصلٌ نحوه ، ومُنشعِب
والطعامُ حاضِرهُ والمزيدُ مُنْتَهَب
باردٌ ، ومِن عَجَبٍ يُشتهَى ، ويُطَّلب
سائغٌ لِلَّذِي سَغَبٍ سائغٌ ولا سَغَب
حاضرٌ لدَى طَلَب حاضرٌ ولا طلب
والمُدامُ أكؤسُها ما تغيضُ والعُلَب[1]
وهْيَ بيننا سلبٌ والنُّهَى لها سَلَب
شرُفَتْ منافِحُها واعتلى بها العِنب
حَوْلَها الحوائمُ ، ما ينقضي لها قَرَب
يغتبِطْنَ في حَرَم لا تناله الرِّيَب
ما سِوى الحديث به يُبتغى ويُجتذَب
هكذا الكرامُ ، كرا مٌ « وإن همو طَربوا »
ليلةٌ علَتْ ، وغَلَتْ ليتَ فَجْرَها كَذِب
يكفلُ الأميرُ لنا أن تعيدَها الحِقب[2]
عاش للندَى مَلكٌ سيِّدٌ لنا ، وأبُ
حاتمُ الملوكِ إذا ضاق بالنَّدَى النَّشَب[3]
السرورُ أنعُمُه والهناءُ ما يَهب
والنَّدَى سجيَّتُه والحنانُ ، والحَدَب
يا عزيزُ ، دام لنا رَوْضُ عِزِّك الأشِب
هذه عروسُ نُهًى في القبول تَرتغِب

[1] العلب : نوع من الأقداح الضخمة .
[2] الحقب : جمع حقبة وهي هنا بمعنى السنة .
[3] الندى : الكرم .

زفَّها لكم ، وجَلا شاعرُ الحِمَى الأَرِب
احتفى الحضورُ بها واكتفى بها الغَيَب
أنتم الظلالُ لنا والمنازلُ الخصُب
لو مَدَحْتكم زَمَني لم أَقم بما يَجب

مَرْقَصٌ *

مالَ واحتجبْ وادَّعَى الغضبْ
ليت هاجري يشرحُ السبب
عَتْبُه رضًى ليته عتب
علَّ بيننا واشياً كذب
أو مفنِّداً يخلُقُ الرِّيَب [1]
مَن لِمُدْنَف دمعُه سُحُب ؟ [2]
بات متعَباً هَمُّهُ اللَّعِب
يستوي خَلٍ عندَه وَصَب
ذقتُ صدَّه غيرَ محتسِب
ضقتُ فيه بالـ ـرُّسْل والكتب
كلما مَشى أخجل القُضُب
بيْن عَينه والمها نسب
ماءُ خدِّه شفَّ عن لَهب

* نظمت هذه القصيدة في وصف مرقص أقيم بسراي عابدين سنة ١٩٠٤ .
١ مفند : مكذب .
٢ المدنف : الذي أثقله المرض .

ساقيَ الطِّلا شُرْبُها وجب
هاتِها مَشَتْ فوقها الحِقب
بـابِـلِـيَّـةً تنفثُ الحبَب
إن كَرْمَها آدمُ العِنَب
هُذِّبَتْ في دَنِّها الأدب
إسْقِها فتًى خيرَ مَن شرِب
كلما طغى راضها الحسب
عابدينُ أم هالةٌ عجب ؟[1]
أُسُّهُ الهدَى والعُلا طُنُب
مُشرفُ الذرى مائجُ الرَّحَب
قام ربُّه يرفع الحجُب
عند عرشِه عَرشِ مِنْحُتُب
دون عِزِّه تُبَّعُ الغَلب
السُّراةُ من وفده النُّخَب
حول سُدَّةٍ حَقُّها الرَّغَب
طابَ عِندَها الـ ـعُجْمُ والعَرَب
وارتضى المَلا من بني الصُّلُب
مِن حِسانِهم سِربُ انسرَب
بين كوكبٍ يَسحَب الذَّنب
عند جؤذَرٍ فاتنِ الشنب
عند شادنٍ حاسِرِ اللَّبَب
تَذهبُ النُّهَى أينما ذهب

١ الهالة : دارة القمر .

يَـلْفِتُ الملا كـلما وثب
في غلائـلِ سُندسٍ قُشُب[1]
دونهنَّ لا يثبت اليَلَب[2]
قـرَّ نـهْدُه عِطْفُه اضطرب
خصرُه هبا صدره صبَب
يُرْكِضُ النُّهَى مَشْيُهُ الخَبَب
رائـعاً كما شاءَ في الكتب
آنسـاً إلى شِبهِهِ انجذب
يستـخِـفُّـه أينما انـقلب
مُطربٌ من الـ لَحْنِ منتَخَب
يَجمَعُ المَلا يُحضِر الغَيَب
ما حدا المها قبلَه طرِب

* * *

يا ابنَ خير أَب يا أَبا النُجُب
أَنت حاتمٌ للقِرَى انتدب
في خِوانِـه كُلُّ ما يجب
لم تقمْ على مِثلِه القُبَب
أَنهلَ البرا يا وما نضب
أَطعم الورى لم يقل جدب
ما بهمْ صدًى ما بهم سغب

١ قشب : جمع قشيب وهو الجديد ، والقشيب أيضاً : الأبيض والنظيف .
٢ اليلب : الترسة أو الدروع اليمانية من الجلود وقيل جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس . واليلب : الفولاذ . واليلب : خالص الحديد .

قمْ أبا نوا س انظر النّشب[1]
ماالخصيبُ؟ماالْـ ـبحرُ ذو العُبُب ؟
هل عهدتَه يُمطِرُ الذهب ؟
ذا هو الجنا بُ الذي خصب
ظلَّلَ الورى روضُه الأشِب[2]
خيرُ من دعا خيرُ من أدب

* * *

رَبَّ مصر ، عشْ وابْلُغِ الأرب
لم تزل ليا ليك تُرتَقب
مثلَ صفوِها الـ ـدّهرُ ما وهب
أَحيِها لنا عِدّةَ الشُّهب
هاكَ مِدْحة الشـ ـاعرِ الأرِب[3]
زفَّها إلى خيرِ منْ خَطب
فارسِيَّةً بزّتِ العَرَب
لم يجِئْ بها شاعرٌ ذهب
إن تُراعِها تسمَعِ العَجَب
بَيْدَ أنها بعضُ ما وجَب

١ النشب : المال والعقار .
٢ الأشب : الملتف .
٣ الأرب : الماهر البصير .

تَحْلِيَةُ كِتَاب*

أنا من بدَّل بالكتْبِ الصِّحابا ... لم أَجِد لي وافياً إلا الكِتابا
صاحبٌ – إنِ عِبتَه أو لمْ تعِبْ – ... ليسَ بالواجد للصاحبِ عابا
كلّما أخلقتُه جدّدَني ... وكساني من حلي الفضل ثيابا
صُحبةٌ لم أشك منها رِيبةً ... ووِدادٌ لم يُكلِّفني عتَابا
رُبَّ ليلٍ لم نُقصِّر فيه عن ... سَمَرٍ طالَ على الصمت وطابا
كان من همٍّ نهاري راحتي ... وندامَايَ ، ونَقْلي ، والشرابا[1]
إن يَجِدْني يتحدَّثْ ، أو يَجِدْ ... مَلَلاً يَطوي الأَحاديثَ اقتضابا
تجدُ الكُتْبَ على النقدِ كما ... تجدُ الإخوانَ صِدقاً وكِذَابا
فتخيَّرْها كما تختاره ... وادّخِرِ في الصَّحْب والكُتْبِ اللُّبابا
صالحُ الإخوانِ يبغيكَ التُّقىٰ ... ورشيدُ الكتْب يَبغيك الصوابا

* * *

غالِ بالتاريخ ، واجعل صُحْفَهُ ... مِن كتابِ الله في الإجلال قابا
قلِّب الإنجيلَ ، وانظر في الهدَى ... تَلقَ للتاريخ وزناً ، وحِسابا
رُبَّ مَن سافر في أسفارِه ... بليالي الدهرِ والأَيامِ آبا
واطلب الخلْدَ ، ورُمْهُ مَنزلاً ... تجد الخلْدَ مِن التاريخ بابا
عاشَ خَلْقٌ ، ومَضوْا ، ما نَقصوا ... رُقعةَ الأَرضِ ، ولا زادوا التُّرابا
أخذَ التاريخُ مما تركوا ... عملاً أَحسنَ ، أَو قولاً أَصابا
ومن الإحسانِ ، أَو من ضِدِّهِ ... نجَح الراغبُ في الذكر ، وخابا

* قيلت بمناسبة تأليف كتاب فتح مصر الحديث لحافظ بك عوض .
١ النقل بالفتح : ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوها .

مَثَلُ القَوْمِ نَسُوا تاريخَهُم كلقيطٍ عَيَّ في الناس انتسابا
أَو كمغلوبٍ على ذاكِرة يشتكي من صِلةِ الماضي انقضابا

* * *

يا أبا «الحُفَّاظِ» ، قد بلَّغتنا طِلْبةً ، بَلَّغك اللهُ الرِّغابا
لكَ في الفتح وفي أَحداثِهِ فَتحَ اللهُ حديثاً وخِطابا
مَن يُطالعْه ، ويستأْنِس به يجِد الجِدّ ، ولا يَعدَم دِعابا
صُحُفٌ أَلَّفْتَهَا في شِدّةٍ يتلاشى دونها الفكرُ انتهابا
لغة «الكامل» في استرساله «وابنِ خَلْدُون» إذا صحَّ وصابا
إنَّ للفصحَى زِماماً ويَداً تَجنِب السهلَ ، وتقتادُ الصِّعابا
لغةُ الذكرِ ، لسانُ المُجْتبي كيف تعْيا بالمُنادين جوابا ؟
كلُّ عَصْرٍ دارُها إن صادفت منزلاً رحْباً ، وأَهلاً ، وجَنابا[1]
ائتِ بالعُمرانِ رَوْضاً يانعاً وادْعُها تجرِ ينابيعَ عِذابا
لا تجِئْها بالمتاع المُقْتَنى سَرَقاً من كلّ قوم ونهابا
سَل بها أَندَلُساً : هل قَصَّرت دون مضمارِ العُلى حين أَهابا ؟
غُرِسَتْ في كلِّ تُرْبٍ أَعْجَمٍ فزَكتْ أَصلاً ، كما طابت نِصابا
ومَشتْ مِشْيَتَها ، لم ترتكِب غيرَ رِجْلَيْهَا ، ولم تحجل غُرابا[2]

* * *

إنَّ عَصراً قمتَ تجلوه لنا لبِس الأيامَ دَجْنا وضَبابا[3]
المماليك تَمشَّى ظلْمُهم ظُلماتٍ ، كدُجى الليل حِجاباً
كلُّهم كافورُ ، أو عبدُ الخَنَا غيرَ أَنَّ المتنبي عنه خابا ؟[4]

١ الجناب : الفناء .
٢ لم تحجل غراباً : كناية عن أنها لم تقلد كما قلد الغراب الطاووس .
٣ الدجن : الباس الغيم الأرض .
٤ كافور : هو كافور الأخشيدي ممدوح المتنبي . وعبد الخنا : أي كافور .

ولكلٍّ شيعةٌ من جنسِه إن للشرّ إلى الشرّ انجذابا
ظلماتٌ لا ترى في جُنْحِها غيرَ هذا الأزهرِ السمْحِ شِهابا[1]
زيدتِ الأخلاق فيه حائطاً فاحتمى فيها رِواقاً وقبابا
ونرى الأعزالَ من أشياخِهِ صَيَّروه بسلاح الحقّ غابا
قسَماً لولاه لم يبقَ بها رَجُلٌ يقرأُ أو يَدري الكتابا
حَفِظَ الدينَ مَلِيًّا ، ومضى يُنقِذُ الدنيا ، فلم يَملك ذَهابا
أُوذِيَتْ هَيْبَتُه من عَجزه وقُصارَى عاجزٍ أَن لا يُهابا
لم تغادر قلماً في راحة دَوْلَةٌ ما عَرَفَتْ إلا الحِرابا
أقعدَ الله الجبرتيَّ لها قلماً عن غائب الأقلام نابا[2]
خبَّأ الشيخُ لها في رُدْنِه مِرقماً أدهى من الصِّلِّ انسيابا[3]
مَلَكٌ لم يُغْضِ عن سيِّئةٍ يا له من مَلَكٍ يَهْوَى السِّبابا
لا يراه الظُّلمُ في كاهِلِه وهو يكوي كاهلَ الظلم عِقابا
صُحُفُ الشيخِ ، ويَوميّاتُه كزمان الشيخ سُقماً واضطرابا
من حواشٍ كجَليدٍ لم يذبْ وفصولٍ تشبه التِّبرَ المُذابا
و الجبرتيُّ على فِطنَتِهِ مرَّةً يَغبى ، وحيناً يتغابى[4]
مُنصفٌ ما لم يُرَضْ عاطفةً أو يُعالج هوى النفسِ غلابا
وإذا الحيُّ تَوَلّى بالهوى سيرةَ الحيِّ بَغَى فيها وحابى

* * *

وقعةُ الأهرامِ جلَّتْ مَوْقعاً وتعالت في المغازي أن ترابا

١ الأزهر : يعني به معهد الأزهر .
٢ الجبرتي : المؤرخ المعروف .
٣ الشيخ يعني به الجبرتي . والردن : أصل الكم . وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير . والمرقم : القلم . والصل : الثعبان .
٤ يتغابى : يتغافل .

عِظَةُ الماضي ، ومُلقَى دَرْسِه | لعقولٍ تجعلُ الماضي مَثابا[1]
من بناتِ الدهرِ ، إلا أَنها | تَنشُرُ الدهر وتطويهِ كَعَابا[2]
ومن الأَيامِ ما يَبقى وإن | أَمْعَنَ الأَبطالُ في الدهر احتجابا
هي من أيٍّ سبيلٍ جئتَها | غايةٌ في المجدِ لا تدنو طِلابا
انظُر الشرقَ تَجدها صَرَّفتْ | دولةَ الشرقِ استواءً وانقلابا
جلبتْ خيراً وشراً ، وسَقتْ | أُمماً في مهدِهم شُهداً وصابا[3]
في نصيبينَ لبسْنا حُسنُها | وعلى التَلِّ لبسناها مَعابا[4]
إن سِرباً زَحَفَ النَّسرُ به | قطعَ الأَرضَ بِطاحاً وهِضابا[5]
إن ترامتْ بلَداً عِقبانُه | خَطفتْ تاجاً ، واصطادت عُقابا
شَهِد الجيزيُّ منهم عُصْبةً | لبسوا الغارَ على الغار اعتصابا[6]
كذئابِ القفرِ من طول الوغى | واختلاف النَقع لوناً وإهابا
قادَهم للفتح في الأَرض فتًى | لو تأنَّى حظَّه قادَ السحابا
غَرَّت الناسَ به نكبتُه | جَمَعَ الجُرحُ على الليثِ الذبابا
بَرَزت بالمنظرِ الضاحيِ لهم | فيلق كالزهر حُسْناً والتهابا ؟[7]
حُلِّيَ الفُرسانُ فيها جوهراً | وجِلالُ الخيلِ دُرًّا وذَهابا
في سلاح كحُلِيّ الغيد ، ما | لمَست طَعْناً ، ولامَسَّتْ ضِرابا
طرِحَت مصرٌ ، فكانت مُومِيَا | بين لِصَّيْن أَراداها جُذابا

١ مثاباً : أي مرجعاً .
٢ بنات الدهر : أي شدائده . وكعاب : أي وهي صبية لم تكبر .
٣ الصاب : عصارة شجر مرّ .
٤ نصيبين : أكبر الوقائع وأشهرها بين إبراهيم بن محمد علي وبين الأتراك . التل : واقعة التل الكبير المشهورة التي جرت على مصر الاحتلال الانجليزي .
٥ النسر : يعني به نابليون .
٦ الجيزي : يعني به هرم الجيزة .
٧ الضاحي : البارز . والزهر : يعني بها النجوم .

نالها الأعرضُ ظفراً منهما من ذئاب الحربِ ، والأطولُ نابا
وبنو الوادي رِجالاتُ الحِمَى وقفوا من ساقة الجيش ذُنابى
موقفَ العاجز من حلفِ الوغى يَحرُسُ الأحمالَ ، أو يسقي مُصابا

الرَّبيعُ وَوادِي النِّيلِ*

آذارُ أقبلَ ، قُمْ بنا يا صاحِ حيِّ الربيعَ حديقةَ الأرواحِ
واجمعْ نَدامى الظَّرفِ تحت لوائه وانشرْ بساحتِه بساطَ الرَّاح
صفوٌ أُتيحَ ، فخذْ لنفسِك قِسطَها فالصفوُ ليس على المدَى بمُتاح
واجلس بضاحكة الرياض مُصَفِّقاً لتجاوُبِ الأوتارِ والأقداح
واستأْنِسَنَّ مِن السُّقاةِ برُفقَةٍ غُرٍّ ، كأمثال النجوم ، صِباح
رقَّتْ كنُدمان الملوك خلالُهُم وتجمَّـــلوا بمُروءةٍ وسَماح
واجعل صَبوحَك في البكور سَليلةً للمنجِبَيْنِ : الكرْمِ والتفاح[1]
مهما فضضتَ دِنانَها فاستضحكت مُلِئَ المكانُ سنًى ، وطيبَ نُقَاح
تطغى ، فإن ذكرتْ كريمَ أُصولها خلعت على النشوان حِلْيَةَ صاحي
فرعونُ خبَّأها ليومِ فُتوحه وأعدَّ منها قُرْبَةً لفتاح[2]
ما بين شادٍ في المجالس أَيكُهُ ومُحجَّباتِ الأَيْكِ في الأدواح[3]
غرِدٌ على أوتارِه ، يُوحي إلى غردٍ على أغصانه ، صَدّاح
بِيضُ القلانِس في سواد جَلابِبٍ حُلِّينَ بالأطواق والأوضاح

* إلى هول كين الكاتب الروائي الشهير .
١ الصبوح : ما أصبح عند القوم من الشراب فشربوه .
٢ لفتاح : أحد آلهة قدماء المصريين .
٣ الأيك : الشجر الكثير الملتف وقيل الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر .

رتلن في اوراقهن مَلاحِنا كالراهباتِ صبيحَة الإفصاح
يخطرن بين أرائكٍ ومنابرٍ في هيكل من سُندس فيَّاح

* * *

مَلِكُ النبات ، فكلُّ أرضٍ دارُه تلقاه بالأعراس والأفراح
منشورَةٌ أعلامُه ، من أحمرٍ قانٍ ، وأبيضَ في الرُّبى لمَّاح
لبِستْ لمقْدَمه الخمائلُ وَشْيَها ومَرَحْنَ في كَنَف له وجناح
يغشى المنازلَ من لواحظ نرجس آناً ، وآناً من ثغور أقاح[1]
ورُوس «منثورٍ» خَفَضْنَ لعزِّه تيجانَهنَّ عواطرَ الأرواح
الوردُ في سُرُر الغصونِ مُفتَّح متقابل يُثنى على الفتَّاح
ضاحي المواكب في الرياض ، مُميَّزٌ دون الزهور بشوْكةٍ وسلاح
مرَّ النسيمُ بصفحتيه مقْبلاً مرَّ الشِفَاه على خدود ملاح
هتكَ الردى من حسنِه وبهائه بالليل ما نسجتْ يدُ الإصباح
ينبيك مصرعُه – وكلٌّ زائلٌ – أن الحياة كغُدوة ورَواح
ويقائقُ النَّسْرِينِ في أغصانها كالدُرِّ رُكِّب في صدور رماح[2]
و « الياسمينُ » ، لَطِيفُه ونَقِيُّه كسريرة المتنزِّه المِسماح
مُتألِّقٌ خَلَل الغصون ، كأنه في بُلجة الأفنانِ ضوءُ صباح[3]
و «الجُلَّنارُ» دمٌ على أوراقِه قاني الحروفِ ، كخاتَم السفاح
وكأن مخزونَ «البنفسَجِ» ثاكلٌ يَلْقَى القضاءَ بخشية وصلاح
وعلى «الخواطرِ» رِقَّةٌ وكآبةٌ كخواطر الشُّعراءِ في الأتراح[4]

١ أقاح : واحدها أقحوانة وهو نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء .
٢ يقائق : جمع يقق ، وأبيض يقق أي شديد البياض ناصعه . والنسرين : ورد أبيض عطري قوي الرائحة .
٣ البلجة : آخر الليل عند انصداع الفجر .
٤ الخطر : نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود يختضب به .

والسَّرْوُ في الحِبَرِ السوابغ كاشفٌ عن ساقِه كمليحة مِفْراح[1]
و«النحلُ» ممشوقُ العُنُوقِ، مُعصَّبٌ متزينٌ بمناطق ووشاح
كبنات فرعونٍ شهدنَ مواكباً تحتَ المراوح في نهارٍ ضاح
وترى الفضاء كحائط من مَرْمَرٍ نُضِدَتْ عليه بدائعُ الألواح
الغَيْمُ فيه كالنَّعام : بَدِينةٌ بركتْ ، وأُخرى حلَّقتْ بجناح
والشمسُ أبهى من عروسٍ بُرقعتْ يوم الزِّفاف بعسجَد وضَّاح
والماءُ بالوادي يُخالُ مَساربا من زئبق ، أو مُلقَياتِ صِفاحِ
بعثتْ له شمسُ النهار أشعَّةً كانت حُلى النَّيْلُوفرِ السباح
يزهو على ورقِ الغصون نثيرُها زَهْوَ الجواهِرِ في بطون الرّاح
وجرت سواقٍ كالنَّوادب بالقُرى رُعْنَ الشجيَّ بأنَّةٍ ونُواح
الشاكياتُ وما عَرَفْنَ صبابةً الباكياتُ بمَدمَعٍ سحَّاح
من كلِّ بادِيةِ الضلوع غليلةٍ والماءُ في أحشائها ، مِلواح
تبكي إذا رَتَبَتْ ، وتَضحكُ إن هَفَتْ كالعِيس بين تَنَشُّط ورَزاح
هي في السلاسِل والغلولِ ؛ وجارُها أعمى ، ينوءُ بِنيرِه الفدّاح

* * *

إنّي لأذكُرُ بالربيع وحسنِه عهدَ الشباب وطِرفِه المِمراح[2]
هل كان إلّا زهرةً كزهورِه عجلَ الفناءُ لها بغير جُناح ؟

* * *

هول كين - مصرُ رواية لا تنتهي منها يدُ الكُتّاب والشُرّاح
فيها من البَرْدِيِّ - والمُزْمور ، وال توراةِ ، والفرقان ، والإصحاح[3]

١ الحبر : جمع حبرة بالتحريك ضرب من برود اليمن .
٢ الطرف : هو الكريم من الخيل .
٣ المزمور : واحد المزامير وهي الأناشيد والأدعية التي كان يترنم بها داود عليه السلام .

ومِنّا ، وقمبيزٌ ، إلى إسكندر فالقيصَرين ، فذِي الجلال صلاح
تلك الخلائقُ والدهورُ خزانةٌ فابعثْ خيالَكَ يأْتِ بالمفتاح
أُفقُ البلاد – وأنتَ بين رُبوعها – بالنجم مزدانٌ وبالمصباح

مَسْجِدُ أَيا صُوفْيا

كنيسةٌ صارت إلى مسجِد هديَّةُ السيِّدِ للسيِّد
كانت لعيسَى حرماً ، فانتهت بنُصرة الرُّوح إلى أَحمد
شيَّدَها الرُّومُ وأقيالُهُم على مثالِ الهرَمِ المُخلَد
تُنبىءُ عن عزٍّ ، وعن صَولةٍ وعن هوًى للدين لم يخمُد
مَجَامِرُ الياقوتِ في صَحْنِها تملؤهُ من نَدِّها المُوقَد[1]
ومثل ما قد أُودِعَتْ من حُلًى لم تتَّخذْ داراً ولم تُحشَد
كانت بها العذراءُ من فضَّةٍ وكان روحُ الله من عسجد
عيسى من الأُمِّ لدى هالةٍ والأُمُّ من عِيسٰى لدَى فَرْقد
جَلَّاهُما فيها ، وحلَّاهُما مصوِّرُ الروم القديرُ اليد
وأودعَ الجدرانَ من نقشه بدائعاً من فنِّه المفردَ
فمن ملاكٍ في الدُّجَى رائحٍ عند ملاكٍ في الضُّحى مغتدي
ومن نباتٍ عاش كالبَبَّغا وهْوَ على الحائط غَضٌّ نَدِي
فقلْ لمن شادَ ، فهَدّ القُوى قوى الأَجيرِ ، المُتْعَبِ ، المُجهَد
كأنه فرعونُ لما بنى لربّه بيتاً ، فلم يَقصِد :
أَيعبدُ اللهُ بسوْمِ الوَرَى ما لا يُسام العَيْرُ في المِقْود ؟

١ مجامر الياقوت : جمع مجمرة وهو اسم ما يجعل فيه الجمر .

كنيسةٌ كالفَدَن المعتلي ومسجدٌ كالقصر من أصْيدِ[1]
واللهُ عن هذا وذا في غنًى لو يعقِلُ الإنسان أو يهتدي
قد جاءها الفاتح في عُصْبةٍ من الأُسُود الرُّكَّع ، السُجَّد
رمى بِهم بنيانَها ، مثلَما يصطدِمُ الجلْمَد بالجلْمَد[2]
فكبَّروا فيها ، وصلَّى العِدا واختلط المشهد بالمشهد
وما توانى الرومُ يَفْدُونَها والسيف في المفْدِيِّ والمفتدي
فخلتُها مِن قيصرٍ سعدُه وأُيِّدتْ بالقيصرِ الأسعد
بفاتحٍ ، غازٍ ، عفيفِ القَنَا لا يحملُ الحقدَ ، ولا يعتدي
أجار من ألقى مقاليدَه منهم ، وأصفى الأمنَ للمرتدي
وناب عمّا كان من زُخرفٍ جلالةُ المعبود في المعبَد
فيا لثأْرٍ بيننا بعده أقام ، لم يقرُبْ ، ولم يبعُد
باقٍ كثأْرِ القدس من قبله لا ننتهي منه ، ولا يبتدي
فلا يغرّنْك سكونُ الملا فالشرُّ حولَ الصَّارمِ المُغْمَد
لن يتركَ الرومُ عباداتِهم أو ينزلَ الترك عن السُّؤدَد
هذا لهم بيت على بيتِهم ما أَشبه المسجدَ بالمسجد
فإنْ يُعادوا في مفاتيحِه فيا ليومٍ للورَى أسود
يَشيب فيه الطفلُ في مهدِه ويُزعَج الميْتُ من المرقد
فكنْ لنا اللهمَّ في أمسنا وكن لنا اليومَ ، وكنْ في غد
لولا ضَلالٌ سابقٌ لم يقمْ من أَجلكَ الخلقُ ولم يَقْعُد
فكلُّ شرٍّ بينهم أو أذى أنت براءٌ منه طُهْرُ اليد

١ الفدن : القصر المشيد .
٢ الجلمد : الصخر .

غابُ بُولونيَا

يا غابَ بولون ، ولي ذِمَمٌ عليك ، ولي عُهودُ[1]
زمنٌ تقضَّى لِلهوَى ولنا بِظلّكَ ، هل يعود ؟
حُلُمٌ أُريدُ رجوعَه ورجوعُ أحلامي بعيد
وهَبِ الزّمانَ أعادَها هل للشبيبةِ مَن يُعيد ؟
يا غابَ بولونَ ، وبي وجْدٌ مع الذكرى يَزيدْ
خَفَقَتْ لرؤيتكَ الضلو ع ، وزُلْزِلَ القلبُ العَميد[2]
وأَراكَ أقسى ما عَهِدْ تُ ؛ فما تَميلُ ، ولا تَميد
كم يا جمادُ قساوَةً ؟ كم ؟ هكذا أبداً جُحود ؟
هلَّا ذكرتَ زمانَ كنّا والزمانُ كما نريد؟
نطوي إليك دُجى الليا لي ، والدّجَى عنا يَذود
فنقولُ عندكَ ما نقو لُ ، وليس غيرُك من يُعيد
نُطْقِي هوًى وصبابةٌ وحديثُها وَتَرٌ وعُود
نَسْرِي ، ونَسرحُ في فضا ئك ، والرياحُ به هُجودْ
والطيرُ أَقعدَها الكرى والناسُ نامت والوجود
فنبيتُ في الإيناس يغ بطنا به النجمُ الوحيد
في كلّ رُكْن وقفةٌ وبكلّ زاوية قُعود
نسقي ، ونُسقى ، والهوى ما بين أَعيننا ولِيد
فمِن القلوب تمائم ومن الجُنوبِ له مُهود

١ غاب بولونيا : متنزه مشهور في باريس .
٢ العميد : الذي هزه العشق .

والغصنُ يسجُدُ في الفضا ء ، وحبَّذا منه السجود
والنجمُ يلحظنا بعيْـ ـن ما تَحُولُ ولا تحيد
حتى إذا دَعت النَّوى فتبدَّد الشملُ النضيد
بتنا ، وممَا بيننا بحر ، ودون البحر بيد
ليلي بمِصرَ ، وليلُها بالغرب ، وهو بها سعيد

المرأةُ العُثمانيَّةُ

يا ملكاً تعبَّدا مُصَلِّياً موحِّدا
مبارَكاً في يومه والأَمسِ ، ميموناً غدا
مُسَخَّراً لأُمَّةٍ من حقها أن تَسْعَدا
قد جعلَتْه تاجَها وعِزَّها ، والسُّؤددا
وأعرضتْ حيث مشى وأَطرقَتْ حيث بدا
تُجِلُّه في حسنه كما تُجِلُّ الفَرقَدا
أنت شُعاعٌ من عَلٍ أَنزله اللهُ هُدَى
كم قد أَضاءَ منزلاً وكم أَنار مسجدا
وكم كسا الأَسواقَ من حُسْنٍ ، وزانَ البلدا
لولا التُّقَى لقلتُ : لم يَخْلُقْ سواك الولدا
إن شئت كان العَيْرَ ، أَو إن شئت كان الأَسدا
وإن تُرِدْ غَيًّا غَوَى أَو تبغِ رُشْداً رَشَدا
والبيتُ أَنت الصوتُ فيـ ـه ، وهو للصوت صَدَى
كالببَّغا في قفص قِيل له ، فقلَّدا
وكالقضيبِ اللَّدنِ ، قد طاوع في الشكل اليدا

يأخذ ما عوَّدتَه — والمرءُ ما تعوّدا
مما انفردتَ في الورَى — بفضله وانفردا
وكلُّ ليثٍ قد رَمَى — به الإمامُ في العدا
أنتَ الذي جندتَه — وسُقْتَه إلى الردى
وقلتَ : كنْ لله ، والسـ — ـلطانِ ، والتركِ ، فِدى

الْهِلالُ

سنونٌ تعادُ ، ودهرٌ يعيدْ — لَعَمْرُكَ ما في اللَّيالي جديد
أضاءَ لآدمَ هذا الهلالُ — فكيف تقولُ : الهلالُ الوليد ؟
نعدُّ عليه الزمانَ القريبَ — ويُحصِي علينا الزمانَ البعيد
على صفحتيْه حديثُ القُرى — وأيامُ عاد ، ودنيا ثمود
و طِيبةٌ آهلةٌ بالملوك — وطيبةُ مُقْفِرَةٌ بالصعيد
يزول ببعض سناه الصّفا — ويفنى ببعض سناه الحديد[1]
ومن عجَبٍ وهْوَ جَدُّ الليالي — يُبيدُ اللياليَ فيما يُبيد !!

* * *

يقولون يا عامُ : قد عدتَ لي — فياليت شعري بماذا تعود ؟
لقد كنتَ لي أَمسِ ما لم أُرِدْ — فهل أَنت لي اليومَ ما لا أُريد ؟
ومَنْ صابَر الدهرَ صبري له — شكا في الثلاثين شكوى لبيد[2]
ظمِئتُ ، ومثلي بريٌّ أَحقُّ — كأَني حسينٌ ودهري يَزيد[3]
تغابيتُ حتى صحِبتُ الجهولَ — وداريتُ حتى صحبتُ الحسود

---

١ الصفاء : الصخر .
٢ لبيد : هو لبيد بن أبي ربيعة أحد المعمرين .
٣ حسين : هو الحسين بن علي بن أبي طالب . ويزيد : هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

منظر الشروق والغروب
في عالم الماء من أعلى السفينة

لِمَنْ غُرةٌ تَنجلي من بعيد ... بمرْأى كما الحُلْم ضاح سعيد ؟
تَهُزُّ الوجودَ تباشيرُها ... كما هزَّ مِنْ والديه الوليد
ويغشى الدُّنا من حُلاها سَنًى ... أضاءَ لنا كلَّ حالٍ نضيد[1]
من الموج مُلْتَمِعٌ ، مثلما ... تَحَلَّتْ نحورُ الدُّمى بالعقودْ
أتتنا من الماءِ مُهتَزَّةً ... منوَّرةً ، تَعتلي للوجود
وتصْعَد من غير ما سُلَّمٍ ... فيا للمصوِّر هذا الصعود !
وهذا المنيرُ القريبُ القريب ... وهذا المنيرُ البعيدُ البعيد
وهذا المنير الذي لن يُرى ... وهذا المنير وكلٌّ شهيد
وهذا الجُسامُ الخفيفُ الخُطا ... وهذا الجُسامُ الذي ما يَميد
ويا للمصوِّر آثارها ... بكل بحارٍ ، وفي كل بيد ! !
وتقليلها كلَّ جمٍّ السنا ... وتصغيرها كلَّ عالٍ مَشيد
من النار ، لكنّ أطرافَها ... تدورُ بياقوتةٍ لن تَبيد
من النار ، لكنّ أنوارَها ... إلَهيَّةٌ ، زُيِّنَتْ للعبيد
هي الشمسُ ، كانت كما شاءها ... مماتُ القديمِ ، حياةُ الجديد
تَردّ المياهَ إلى حَدِّها ... وتُبلي جبالَ الصفا والحديد
وتطلُعُ بالعيشِ ، أو بالرَّدى ... على الزرعِ : قائِمهِ ، والحَصِيد
وتسعى لذا الناسِ مهما سعتْ ... بخيرِ الوعودِ ، وشرِّ الوعيد

[1] السنا : الضوء . وحليت المرأة : لبست حليها أي ما تتزين به .

وقد تتجلَّى إذا أقبلتْ ... بنُعْمى الشقيِّ ، وبؤسى السعيد
وقد تتولَّى إذا أدبرتْ ... وليست بمأْمونة أن تعود
فما للغروب يَهيجُ الأَسى ... وكان الشروقُ لنا أيَّ عيد ؟
كذا المرءُ ساعةَ ميلادِه ... وساعةَ يدعو الحِمامُ العنيد
وليس بجارٍ ولا واقعٍ ... سوى الحقِّ مما قضاه المُريد

مَنْظَرُ طُلُوعِ الْبَدْرِ مِن سَفِينَةٍ

مَلِكَ السماءِ ، بَهَرت في الأنوار ... ففداك كلُّ مُتوَّجٍ من ساري
لما طلعتَ على المياه تُنيرها ... سكنتْ ، وقد كانت بغير قرارِ
وزَهَتْ لناظرِها السماءُ ، وقرَّ ما ... في البحر من عُبُب ، ومن تيّار[1]
وأهلَّ لله السُّراةُ ، وأزلفوا ... لك في الكمال تحيَّةَ الإكبار
وتأمَّلوك ، فكل جارحةٍ لهم ... عينٌ تُسامِر نورَها وتساري
والبدر منكَ على العوالم يَجتلي ... بِشْرَ الوجوه وزحمة الأبصار
مُتقدِّمٌ في النور ، محجوبٌ به ... مُوفٍ على الآفاق بالأسفار
يا دُرَّةَ الغوّاصِ أَخرَج ظافراً ... يُمناه يجلوها على النُّظار
مُتَهلِّلا في الماء ، أبدَى نصفَه ... يسمُو بها ، والنصفُ كاسٍ عار
وافى بك الأُفقُ السماءَ ، فأسفرتْ ... عن قُفْل ماسٍ ، في سِوارِ نُضَار
ونهضتَ ، يزهو الكونُ منكَ بمنظر ... ضاحٍ ، ويحملُ منك تاجَ فَخَار
الماءُ والآفاقُ حولك فِضَّةٌ ... والشُّهْبُ دينارٌ لدى دينار
والفلكُ مشرقةُ الجوانبِ في الدُّجَى ... يبدو لها ذيلٌ من الأنوار

[1] العبب : الماء المتدفق .

بينَا تَخطرُ في لُجَيْنٍ مائجٍ　　إذ تَنثني في عسجدٍ زَخّارِ
وكأنها والموجُ منتظم وقد　　أوفيتَ ثم دنوتَ كالمُحتار
غَيداءُ لاهيةٌ ، تَخُطُّ لأَغيَدٍ　　شِعْراً ليقرأَه ، وأَنتَ القاري
فليهْنِ بدرَ الأَرضِ أَنكَ صِنوُهُ　　ونظيرُه قُرْباً وبُعدَ مَزار
وحلاكُما ، ما البدرُ إلا أَنتما　　وسواكما قمرٌ من الأَقمار
أَنت الكريمُ على الوجود بوجهه　　وهي الضنينةُ بالخيالِ الساري
هيفاءُ أَهواها ، وأَعشقُ ذكرَها　　لكن أُداري ، والمحبُّ يُداري
لي في الهوىَ سِرٌّ أَبيتُ أَصُونه　　والله مُطَّلِعٌ على الأَسرار

بَلدَةُ المُؤْتَمرِ لِناظِرهَا في بَهجَةِ مَناظِرِها*

لا السُّهْدُ يُدنيني إليه ، ولا الكرى　　طَيْفٌ يزورُ بفضله مهما سرى
تَخِذَ الدُّجَى ، وسمَاءه ، ونجومَه　　سُبُلاً إلى جفنيك ، لم يرضَ الثرى
وأَتاكَ موفورَ النعيم ، تخالُه　　ملَكاً تنمُّ به السماءُ ، مُطهَّرا
عِلِم الظلامُ هبوطَه ، فشَتْ له　　أَهدابُه يأْخذْنه مُتحدِّرا
وحَمى النسائمَ أَن تروحَ وأَن تَجِي　　حَذَراً وخوفاً أَن يُراع ويُذعَرا
ورقدْتَ تُزْلف للخيال مكانَه　　بين الجفون ، وبين هُدبك ، والكرى
فهَنِئْتَهُ مثلَ السعادةِ شائقاً　　متصوراً ما شئتَ أَن يَتصورا
تَطوى له الرقباء منصورَ الهوى　　وتَدوس أَلسنةَ الوشاةِ مظفَّرا
لولا امتنانُ العين يا طيفَ الرضا　　ما سامحت أَيامَها فيما جرى
باتت مُشوَّقةً ، وبات سوادها　　زُونَا بتمثال الجمال منوّرا

* جنيف وضواحيها .

تُعطَى المنى ، وتنيلهنَّ خليقة بك أن تُقدِّم في المنى وتؤخِّرا
وتعانِق القمرَ السَّنيَّ عزيزةً حتى إذا ودَّعتَ عانَقَت الثرى
في ليلةٍ قدِم الوجودَ هلالُها فدنت كواكبُها تُعلِّمه السُّرى
وتريه آثارَ البدورِ ليقتني ويرى له الميلادُ أن يتصدَّرا
ناجيتُ مَن أهوى ، وناجاني بها بين الرياض ، وبين ماءِ سُوَيْسرا
حيث الجبالُ صغارُها وكبارُها من كل أبيضَ في الفضاءِ وأخضرا
تَخِذَ الغمامُ بها بيوتاً ، فانجلت مشبوبةَ الأجرام ، شائبةَ الذُّرى
والصخرُ عالٍ ، قام يشبه قاعداً وأناف مكشوفَ الجوانبِ مُنذِرا
بين الكواكب والسحابِ ، ترى له أُذُناً من الحجر الأصمِّ ومِشفَرا[1]
والسفحُ من أيِّ الجهاتِ أتيتَه ألفيته دَرَجاً يَموج مُدوَّرا
نثرَ الفضاءُ عليه عِقدَ نجومِه فبدا زَبَرْجَدُه بهنَّ مجوهرا
وتنظَّمتْ بِيضُ البيوتِ ، كأنها أوكارُ طيرٍ ، أو خَميسٌ عسكرا[2]
والنجمُ يبعث للمياه ضياءَه والكهرباءُ تضيءُ أثناءَ الثرى
هام الفراشُ بها ، وحام كتائباً يحكي حوالَيْها الغمامَ مسيَّرا
خُلِقت لرحمته ، فباتت نارُه بَرْداً ، ونار العاشقين تَسَعَّرا
والماءُ من فوق الديار ، وتحتَها وخلالها يجري ، ومن حول القرى
مُتصوِّباً ، مُتصعِّداً ، مُتمهِّلاً مُتسرِّعاً ، مُتسلسِلاً ، مُتعثِّرا
والأرضُ جِسرٌ حيث دُرْت ومَعْبَرٌ يصلان جسراً في المياه ومعبرا
والفُلْكُ في ظلِّ البيوت مَواخِراً تطوي الجداولَ نحوها والأنهُرا
حتى إذا هَدأَ المَلا في ليله جاذبتُ لَيْلي ثوبَه متحيِّرا
وخرجت من بين الجسور ، لعلَّني أَستقبل العَرْفَ الحبيبَ إذا سرى

١ المشفر : الشفة من الإنسان .
٢ الخميس : الجيش .

آوي إلى الشجرات ، وهْيَ تهزُّني   وقد اطمأنَّ الطيرُ فيها بالكرى
ويهزّ مني الماءُ في لمعانه   فأميلُ أنظر فيه ، أطمعُ أن أرى
وهنالك ازدهَت السماءُ ، وكان أن   آنستُ نوراً ما أتمَّ وأبهرا !!
فسريتُ في لألائِهِ ، وإذا به   بدرٌ تسايره الكواكبُ خُطَّرا
حُلُم أعارتني العنايةُ سمعها   فيه ، فما استتممْتُ حتى فُسِّرا
فرأيتُ صفوَى جَهرةً ، وأخذتُ أنـ   ـسى يقظةً ، ومُنايَ لَبّتْ حُضَّرا
وأشرت : هل لُقْيا؟ فأُوحِيَ : أنْ غداً   بالطّود أبيض من جبال (سُوَيْسرا)
إن أشرقت زهراءَ تسمو للضحى   وإذا هوت حمراءَ في تلك الذُّرى
فشروقُها منه أتمُّ معانياً   وغروبُها أجلى وأكملُ منظرا
تبدو هنالك للوجود وَليدةً   تهْنا بها الدنيا ، ويغتبط الثرى
وتضيءُ أثناءَ الفضاءِ بغُرَّةٍ   لاحَت برأسِ الطَّوْدِ تاجاً أزهَرا
فسمَتْ ، فكانتْ نصفَ طارٍ ، ما بدا   حتى أنافَ ، فلاح طاراً أكبرا
يعلو العوالمَ ، مُستَقِلاً ، نامياً   مُستعصياً بمكانه أن يُنْقَرا
سالت به الآفاقُ ، لكنْ عسجداً   وتغطت الأشباحُ ، لكنْ جوهرا
واهتزَّ ، فالدنيا له مُهتزَّةٌ   وأنار ، فانكشف الوجودُ منوّرا
حتى إذا بلغ السُّمُوُّ كمالَه   أَذِنت لداعي النقصِ تهوى القهقرى[1]
فدنت لناظرِها ، ودان عنانُها   وتبدّل المستعظمُ المستصغرا
واصفرَّ أبيضُ كلِّ شيءٍ حولَها   واحمرَّ بُرْقُعُها وكان الأصفرا
وسما إليها الطَّودُ يأخذُها ، وقد   جعلتْ أعالِيَهُ شريطاً أحمرا
مسَّته ، فاشتعلت بها جَنَباته   وبدتْ ذُراه الشُّمُّ تحمل مِجْمرا
فكأنّما مدَّتْ به نيرانَها   شرَكاً لتصطادَ النهارَ المدْبِرا
حرقته ، واحرقت به ، فتولّيا   وأتى طُلولَها الظلامُ فعسكرا

١ أذنت : أنصتت .

فشروقُها الأملُ الحبيبُ لمن رأى		وغروبُها الأجلُ البغيضُ لمن درى
خَطبانِ قاما بالفناءِ على الصَّفا		ما كان بينهما الصفاءُ ليعمُرا
تتغير الأشياءُ مهما عاودا		والله عزّ وجلّ لن يتغيرا
أنهارنا تحت السليف ، وفوقَه		ولدى جوانبه ، وما بين الذُّرى
رَجْلاً ، ورُكُباناً ، وزَحْلَقَةً على		عَجلٍ هنالك كهربائيٍّ السرَى
في مركبٍ مُستأْنسٍ ، سالت به		قُضُبُ الحديدِ ، تعرُّجاً وتحدُّرا
ينساب ما بين الصخور تمهُّلاً		ويخفُّ بين الهُوَّتين تَخطُّرا
وإذا اعتلى بالكهرباءِ لذروةٍ		عصماءَ ؛ همّ معانقاً متسوِّرا
لما نزلنا عنه في أُمِّ الذُّرى		قمنا على فرع السليف لننظرا
أرضٌ تموجُ بها المناظرُ جَمَّةٌ		وعوالمٌ نِعْمَ الكتابُ لمن قرا
وقُرًى ضربن على المدائن هالةً		ومدائنٌ حَلَّيْنَ أجيادَ القُرَى
ومزارعٌ للناظرين روائعٌ		لَبِس الفضاءُ بها طرازاً أخضرا
والماءُ غُدْرٌ ما أرقَّ وأغزَرا !!		وجداولٌ هنّ اللُّجَيْنُ وقد جرى
فحشون أفواهَ السهولِ سبائكاً		وملأْنَ أقبالَ الرواسخِ جوهرا[1]
قد صغَّر البعدُ الوجودَ لنا ، فيا		لله ما أحلى الوجودَ مصغَّرا !!

وقال يصف مشاهد الطبيعة في طريقه إلى الآستانة قادماً من أوروبا

تلك الطبيعةُ ، قِف بنا يا ساريَ		حتى أُريك بديعِ صُنعِ الباري
الأرضُ حولك والسماءُ اهتزَّتا		لروائعِ الآياتِ والآثارِ
من كلّ ناطقةِ الجلال ، كأنها		أُمُّ الكتاب على لسان القاري[2]

---

١ أقبال الجبال : أي وجوهها .
٢ أم الكتاب : فاتحته .

دَلَّت على مَلِكِ الملوكِ ، فلم تَدَعْ   لأدِلَّة الفقهاءِ والأحبار[1]
مَنْ شَكَّ فيه فنظرةٌ في صُنعِه   تمحو أثيمَ الشكِّ والإنكار

* * *

كشف الغطاء عن الطرول وأشرقت   منه الطبيعةُ غيرَ ذاتِ سِتار
شبَّهْتَها بلقيسَ فوق سريرها   في نَضْرَةٍ ، ومواكبٍ ، وجواري
أو بابن داوُدٍ وواسعِ مُلكه   ومعالمٍ للعزِّ فيه كبار[2]
هُوجُ الرِّياحِ خواشعٌ في بابه   والطيرُ فيه نواكسُ المِنقار[3]

* * *

قامت على ضاحي الجنان كأنها   رضوانُ يُزجي الخُلد للأبرار[4]
كم في الخمائل وهي بعض إمائها   من ذاتِ خلخالٍ ، وذاتِ سوار
وحَسِيرَةٍ عنها الثيابُ ، وبَضَّةٍ   في الناعماتِ تجر فضلَ إزار[5]
وضَحوكِ سِنٍّ تملأُ الدنيا سنًى   وغريقةٍ في دمعها المِدْرار
ووحيدةٍ بالنجدِ تشكو وحشةً   وكثيرةِ الأترابِ بالأغوار

* * *

ولقد تمرُّ على الغدير تخاله   والنَّبْت مرآةً زهتْ بإطار
حلو التسلْسُل موجُهُ وجريرُه   كأنامل مرَّت على أوتار
مدّت سواعد مائه وتألقت   فيها الجواهر من حَصًى وجِمار
ينساب في مُخضلَّةٍ مُبتلَّةٍ   منسوجةٍ من سُندُسٍ ونُضار[6]
زهراءَ عَوْنِ العاشقين على الهوى   مختارةِ الشعراءِ في آذار
قام الجَليدُ بها وسالَ ، كأنه   دَمعُ الصبابةِ بلَّ غصنَ عذار

---

١ الأحبار : جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .
٢ المعالم : جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه .
٣ هوج : جمع هوجاء . والريح الهوجاء التي تستوي في هبوبها وتقلع البيوت .
٤ الضاحي : المكان البارز .
٥ الازار : الملحفة وكل ما ستر .
٦ النضار : الذهب .

وترى السماءَ ضحًى وفي جنحِ الدجى مُنشقَّةً من أنهرٍ وبحار
في كلِّ ناحيةٍ سلكتَ ومذهبٍ جبلانِ من صخرٍ وماءٍ جاري
من كلِّ مُنهمرِ الجوانبِ والذُّرى غَمْرِ الحضيضِ ، مُحلَّل بوقار[1]
عقد الضريبُ له عمامةَ فارعٍ جَمِّ المهابةِ من شيوخ نِزَار[2]
ومكذِّبٍ بالجنّ ريع لصوتها في الماءِ منحدراً وفي التيار
مَلأَ الفضاءَ على المسامع ضجَّةً فكأنما ملأَ الجهاتِ ضَواري
وكأنما طوفانُ نوحٍ ما نرى والفلكُ قد مُسِخَتْ حثيثَ قِطار
يجري على مثل الصِّراط ، وتارةً ما بين هاويةٍ وجُرْفٍ هاري

* * *

جاب الممالكَ حَزْنَها وسهولَها وطوى شعابَ الصرب والبلغار[3]
حتى رمى برحالنا ورجائنا في ساحِ مأمولٍ عزيزِ الجار
مَلِكٌ بمَفْرَقِه إذا استقبلتَه تاجان : تاجُ هُدًى ، وتاجُ فَخارِ
سكَنَ الثريّا مستقرُ جلالِه ومشت مكارمُه إلى الأمصار
فالشرقُ يُسقَى دِيمةً بيمينه والغربُ تمطره غيوثُ يَسار[4]
ومدائنُ البرَّيْنِ في إعظامه وعوالمُ البحرَيْنِ في الإكبار
الله أيّده بآساد الشّرى في صورة المُتَدجِّج الجرّار
الصاعدين إلى العدوِّ على الظُّبى النازلين على القنا الخطّار[5]
المشترين اللهَ بالأبناءِ ، والـ ـأزواجِ ، والأموالِ ، والأعمار
القائمين على لواءِ نبيِّه المنزلين منازلَ الأنصار

* * *

---

١ الحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .
٢ الضريب : الثلج . والفارع : المرتفع الهيىء الحسن .
٣ الحزن : ما غلظ من الأرض .
٤ الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .
٥ الخطار : المضطرب .

يا عرشَ قسطنطينَ ، نلت مكانةً — لم تُعطَها في سالف الأعصار
شُرِّفتَ بالصِّدِّيقِ ، والفاروقَ ، بل — بالأقربِ الأدنى من المُختَار
حامي الخلافةِ مجدِهَا وكيَانِها — بـالـرأيِ آونـةً وبـالـبَتَّـار[1]

* * *

تاهَتْ فروقُ على العواصم ، وازدهت — بجلوسِ أصْيَد باذِخَ المقدار[2]
(جَمِّ الجلالِ ، كأنما كرسيُّه — جُزءٌ من الكرسي ذي الأنوار)
أَخذت على البوسفور زُخْرفَها دُجًى — وتلألأتْ كـمـنـازلِ الأقمار
فالبدرُ ينظر من نوافِذِ منزل — والشمسُ ثَمَّ مُطِلَّةٌ من دار
وكواكِبُ الجوزاءِ تَخطُر في الرُّبَى — والنَّسْر مطلعُه من الأشجار
واسم الخليفة في الجهاتِ منوّر — تَبدو السبيلُ ، به ويهدى السَّاري
كتبوه في شُرفِ القصور ، وطالما — كتبوه في الأسماع والأبصار

* * *

يا واحدَ الإسلام غيرَ مُدافَعٍ — أنا في زمانك واحدُ الأشعار
لي في ثنائك – وهو باقٍ خالدٌ – — شعرٌ على الشِّعْرَى المنيعةِ زاري[3]
أَخلصتُ حبي في الإمام ديانةً — وجعلته حتى المماتِ شعاري
لم ألتمِس عَرضَ الحياةِ ، وإنما — أَقرضْتُهُ في الله والمُختار
إن الصنيعةَ لا تكون كريمةً — حتى تُقَلِّدَها كريمَ نِجار
والحبُّ ليس بصادق ما لم تكن — حَسَنَ التكرُّمِ فيه والإيثار
والشعر إنجيلٌ إذا استعملتَه — في نَشْرِ مَكْرُمَةٍ وسَتْرِ عَوار
وثنَيتَ عن كدَرِ الحِياضَ عِنانَه — إنّ الأديبَ مُسامحٌ ومُداري
عند العواهِلِ من سياسة دهرهم — سِرٌّ ، وعندك سائرُ الأسرار

---

١ البتار : السيف القاطع .
٢ الأصيد : الملك ، لأنه لا يلتفت من زهو يميناً وشمالاً .
٣ الشعري : الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدة الحر . وزرى عليه فعله : عابه .

(هذا مُقام أَنت فيه محمدٌ أعداءُ ذاتك فِرقةٌ في النار)
(إن الهلالَ – وأَنتَ وحدَك كهفُه – بين المعاقِل منك والأَسوار)
لم يبقَ غيرك مَنْ يقول : أَصونُه صُنْه بحولِ الواحدِ القهَّار

البُسفُورُ كأَنَّكَ تَرَاهُ

على أَيِّ الجنانِ بنا تَمرُّ ؟ وفي أَيِّ الحدائق تَستقِرُّ ؟
رويداً أَيها الفُلْكُ الأَبرُّ بلغتَ بنا الربوعَ ، فأَنتَ حُرٌّ ؟[1]

* * *

سهرتَ ولم تنم للركبِ عَيْنُ كأَن لَّمْ يُضْوِهم ضَجَرٌ وأَيْنُ[2]
يَحُثُّ خُطاكَ لُجٌّ ، بل لُجَينُ بل الإِبريزُ ، بل أُفقٌ أَغرّ

* * *

على شِبه السهول من المياه تُحيط بك الجزائرُ كالشِّياه
وأَنتَ لهنّ راعٍ ذو انتباه تَكُرُّ مع الظلام ولا تَفِرُّ

* * *

يُنيف البدرُ فوقك بالهَباء رفيعاً في السموِّ بلا انتهاء[3]
تَخالُكما العيونُ إِلى التقاء ودون المُلتقى كوْنٌ ودهرُ

* * *

إِلى أَن قيل : هذا الدردنيلُ فسِرتَ إِليه ، والفجرُ الدليلُ
يُجيزكَ ، والأَمانُ به سبيلُ إِذا هو لم يُجزْ فالماءُ خمر

* * *

١ الفلك : السفينة . يؤنّث ويذكّر .
٢ الأين : الإعياء .
٣ الهباء : الغبار أو ما يشبه الدخان .

تَمرُّ من المعاقلِ والجبالِ بعالٍ ، فوقَ عالٍ ، خلفَ عالي
إذا أومأْن وقَّفتِ الليالي وتَحمي الحادثات ، فلا تمرّ

* * *

مدافِعُ ، بعضها متقابلاتُ ومنها الصاعداتُ النازلاتُ
ومنها الظاهِرات وأُخرياتُ تَوارى في الصخور وتستسرُّ

* * *

فلو أنَّ البحارَ جرتْ مئِينا وكان اللُّجُّ أَجمعُه سفِينا
لِتَلْقى منفذاً ؛ لَلقِينَ حَيْنا ولمّا يمْسَس البوغازَ ضُرُّ

* * *

وبَعْدَ الأَرخبيل وما يليه وتيهٍ في العيالم أيِّ تيه[1]
بدا ضوءُ الصباح فسِرتَ فيه إلى البسفور واقترب المَقَرُّ

* * *

تُسايِرُكَ المدائنُ والأناسي وفُلْكٌ بين جوّالٍ وراسي[2]
وتحضُنك الجزائرُ والرّواسي وتجري رِقَّةً لك وهي صخر

* * *

تسير من الفضاءِ إلى المَضِيق فآناً أنتَ في بحر طليق
وآونةً لدى مَجْرى سحيق كما الشلالُ قام لديه نهر

* * *

وتأْتي الأُفْقَ تطويه سِجلّا لآخَرَ كالسَّراب إذا أَضَلّا
إذا قلنا : المنازلُ ، قيل : كلّا فدُون بلوغها ظُهرٌ وعصْرُ

* * *

١ العيالم : جمع عيلم وهو البحر .
٢ الأناسي : جمع أنسي .

إلى أن حلّ في الأَوْج النهارُ ... وللرّائي تبيَّنت الدّيارُ
فقلنا : الشمسُ فيها أم نُضار ... وياقوتٌ ، ومَرْجانٌ ، ودُرُّ ؟

* * *

ودِدنا لو مَشيتَ بنا الهُوينا ... وأين لنا الخلودُ لديك ؟ أينا ؟
لِنَبهَجَ خاطراً ونَقَرَّ عينا ... بأَحسنِ ما رأى في البحر سَفْرُ

* * *

بلَوْحٍ جامع الصُّور الغَوالي ... وديوانٍ تـفـرّد بالخيال
ومِـرآةِ المنـاظـر والمجالي ... تمرّ بها الطبيعةُ ما تمرّ

* * *

فضاءٌ مُثِّلَ الفِردوسُ فيه ... ومَرأًى في البحار بلا شبيه
فإيهٍ – يا بناتِ الشعرِ – إيه ... فما لَكِ في عقوقِ الشعر عُذرُ

* * *

لأَجلكِ سِرْتُ في برٍّ وبحرِ ... وأنتِ الدهرَ أنتِ بكل قُطْرِ
حننتِ إلى الطبيعة دون مصرِ ... وقُلتِ لدى الطبيعة : أين مصرُ ؟

* * *

فهلّا هزَّكِ التِّبرُ المذابُ ... وهذا اللَّوحُ ، والقلمُ العُجاب
وما بيني وبينهما حجابُ ... ولا دوني على الآيات ستر ؟

* * *

جهاتٌ ، أَمْ عذارى حالياتُ ؟ ... وماءٌ ، أم سماءٌ ، أم نباتُ ؟
وتلك جزائرٌ ، أم نيِّراتُ ؟ ... وكيف طلوعُها والوقت ظهرُ ؟

* * *

جلاها الأُفق صُفْراً وهْيَ خُضْرُ ... كزَهرٍ دونَه في الروض زهرُ

لوى بحرٌ بها ، والتفّ بحرُ كما ملَكت جهاتِ الدَّوْحِ غُدْرُ[1]

* * *

تلوح بها المساجدُ باذخاتِ وتتَّصل المعاقلُ شامخات
طِباقاً في العلى ، متفاوتات سما بَرٌّ بها ، وانحطَّ برُّ

* * *

وكم أَرضٍ هُنالك فوق أَرضٍ وروضٍ ، فوق روضٍ ، فوق روض
ودُور بعضُها مِن فوق بعض كسَطرٍ في الكتاب علاه سطر

* * *

سُطورٌ لا يحيط بهنّ رَسم ولا يُحصى معانيهنّ عِلم
إذا قُرِئتْ جميعاً فهْيَ نَظْم وإن قرئت فُرَادي فهْيَ نثر

* * *

تأَرَّجُ كلما اقتربت وتزكو ويجمعها من الآفاق سِلك[2]
تشاكل ما به ، فالقصرُ فُلْكُ على بُعْدٍ لنا ، والفُلْكُ قصرُ

* * *

ونونٌ دونها في البحر نونُ من البسفور نقَّطها السَّفين
كأَنَّ السُّبْلَ فيه لنا عيون وإنسانُ السفينة لا يقِرّ

* * *

هنالك حفّت النُّعْمى خُطانا وحاطتنا السلامةُ في حمانا
فأَلقينا المراسيَ ، واحتوانا بناءٌ للخلافةِ مُشْمَخِرُّ

* * *

فيا مَن يطلب المرأي البديعا ويعشقه شهيداً أَو سميعا
رأَيت محاسنَ الدنيا جميعا فهنّ الواوُ ، والبسفورُ عمرو

١ الدوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة المتسعة من أي شجر كانت .
٢ تأرّج : أي فاح .

الرِّحْلَةُ إِلَى الأَنْدَلُسِ

لما وضعت الحربُ الشؤمى أوزارها ، وفضحها الله بين خلقه وهتك إزارَها ، ورمَّ لهم ربوعَ السلم ، وجدّد مَزارَها[1] ؛ أَصبحتُ وإذا العوادي[2] مُقصرة ! والدواعي غير مقصِّرة ، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب ، والنفس بحق زيارته أطلب ؛ فقصدته من برشلونة وبينهما مسيرة يومين بالقطار المجدّ ، والبخار المشتدّ ، أو بالسفن الكبرى الخارجة إلى المحيط ، الطاوية القديم نحو الجديد من هذا البسيط[3] ، فبلغتْ النفس بمرآه الأرب ، واكتحلت العينُ في ثراه بآثار العرب ، وإنها لشتى المواقع ، متفرقة المطالِع ، في ذلك الفلكِ الجامع ، يسري زائرُها من حرَمٍ إلى حرم ، كمن يُمسي بالكرنك ويُصبح بالهرم ، فلا تقاربَ غيرَ العِتق والكرم : طُلَيْطِلَة تُطِلُّ على جسرها البالي ، وأَشبيلية تُشبِلُ[4] على قصرها الخالي ، وقرطبة منتبذةٌ ناحيةً بالبيعةِ الغراء ، وغرناطة بعيدةُ مَزارِ الحمراءِ . وكان « البحتري » رحمه اللهُ رفيقي في هذا الترحال ، وسميري في الرحال ، والأحوال تصلح على الرجال ، كل رجل لحال . فإنه أَبلغُ مَن حَلّى الأَثر ، وحيّا الحجر ، ونشر الخبر ، وحشرَ العِبَر ، ومَن قام في مأْتم على الدول الكُبَر ، والملوك البهاليل الغُرر ، عطف على الجعفري حين تَحمل عنه الملا ، وعطل من الحُلى ، ووُكِل بعد المتوكل للبِلى فرفع قواعدَه في السِّير ، وبنى رُكنَه في الخبر ، وجمع معالمه في الفكَر ، حتى عاد كقصور الخُلدِ امتلأَت منها

١ المزار : الزيارة .
٢ العوادي : العوائق .
٣ البسيط : الأرض الواسعة .
٤ أشبل عليه : أي عطف والمرأة تشبل على أولادها : أقامت عليهم بعد وفاة زوجها ولم تتزوج .

البصيرةُ وإن خلا البَصر وتكفل بعد ذلك لكسرى بإيوانه ، حتى زال عن الأَرض إلى ديوانه .وسينيَّته المشهورةُ في وصفه ؛ ليستِ دونه وهو تحت كسرى في رصِّه ورَصْفه[1] ، وهي تُريك حسنَ قيامِ الشعرِ على الآثار ، وكيف تتجدد الديار في بيوته بعد الاندثار . قال صاحب الفتح القُسي في الفتح القدسي بعد كلام : « فانظروا إلى إيوان كسرى وسينيةِ البحتري في وصفه ، تجدوا الإيوانَ قد خرّت شعَفاته ، وعُفّرت شرفاته ، وتجدوا سينية البحتري قد بَقِي بها كسرى في ديوانه ، أَضعاف ما بقِي شخصُهُ في إيوانه » .

وهذه السينية هي التي يقول في مطلعها :

صنت نفسي عما يُدنّس نفسي وترفعت عن ندى كل جبس

والتي اتفقوا على أن البديع الفرد من أبياتها قوله :

والمنايا مواثل وأُنو شر وان يُزجي الجيوش تحت الدّرَفس

فكنت كلما وقفتُ بحجر ، أَو أطفتُ بأثر ، تمثّلتُ بأبياتها ، واسترحتُ من مواثل العبر إلى آياتها ، وأنشدت فيما بيني وبين نفسي :

وعظ البحتريَّ إيوان كسرى وشفتني القصورُ من عبد شمس

ثم جعلتُ أَروض القولَ على هذا الروي ، وأُعالجه على هذا الوزن حتى نظمت هذه القافية المُهلهلة ، وأَتممت هذه الكلمة الرِّيضة . وأنا أَعرضها على القراءِ راجياً أَن يلحظوها بعين الرضاءِ ، ويسحبوا على عيوبها ذيل الإِغضاءِ ، وهذه هي :

اختلافُ النَّهارِ والليل يُنسى اذكرا لي الصِّبا ، وأَيامَ أُنسي

وصفا لي مُلاوةً من شباب صُوِّرت من تصورات ومَسِّ[2]

١ رصف الحجارة رصفاً : ضم بعضها إلى بعض .

٢ الملاوة : البرهة من الدهر .

عصفتْ كالصَّبا اللعوبِ ومرّت سِنةً حُلوةً ، ولذَّةُ خَلْس[1]
وسَلا مصرَ : هل سلا القلبُ عنها أو أَسا جُرحَه الزمان المؤسّي ؟[2]
كلما مرّت الليالي عليه رقَّ ، والعهدُ في الليالي تُقسِّي[3]
مُستَطارٌ إذا البواخِرُ رنَّتْ أولَ الليلِ ، أو عَوَتْ بعد جرْس[4]
راهبٌ في الضلوع للسفن فَطْن كلما ثُرْنَ شاعَهن بنَقس[5]
يا ابنةَ اليمِّ ، ما أبوكِ بخيلٌ ما له مولَعاً بمنعٍ وحبس ؟
أحرامٌ على بلابله الدَوْ حُ ، حلالٌ للطير من كل جنس ؟
كلُّ دارٍ أحقُّ بالأهل ، إلا في خبيثٍ من المذاهب رِجْس[6]
نفسي مِرجَلٌ ، وقلبي شِراعٌ بهما في الدموع سيِري وأَرسي[7]
واجعلي وجهَكِ الفنارَ ، ومجرا كِ يدَ الثغرِ بين رمل و مكس
وطني لو شُغِلتُ بالخلدِ عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي
وهفا بالفؤاد في سلسبيلٍ ظمأٌ للسوَاد من عين شمس[8]
شهِد اللهُ . لم يَغِب عن جفوني شخصُه ساعةً ، ولم يخلُ حِسّي
يُصبح الفكرُ و المسلَّةُ ناد يه ، و بالسَّرحة الزكية يُمسي
وكأَني أَرى الجزيرةَ أَيْكاً نَغَمَتْ طَيْرُه بأَرخم جَرس
هي بلقيسُ في الخمائل صَرْحٌ من عُباب ، وصاحبٌ غيرُ نِكس[9]

١ الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش . السنة : النعاس .
٢ أسا الجرح : داواه .
٣ قساه تقسية : أي صبره قاسياً .
٤ مستطار : استطير الشيء : طير وانتشر . رن : أي صاح ورفع صوته بالبكاء .
٥ الراهب : هو من تبتل لله ، واعتزل عن الناس إلى الدير ، طلباً للعبادة ، ويشبه به القلب . فطن للشيء : أي حذق به . النقس : ضرب النواقيس .
٦ الرجس : المأثم .
٧ المرجل : القدر من الحجارة والنحاس .
٨ هفا : أي أسرع . السواد : ما حول البلدة من القرى .
٩ النكس : الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه .

حَسْبُها أن تكونَ للنيل عِرْساً قبلها لم يُجنَّ يوماً بعرس
لبستْ بالأصيل حُلَّةَ وَشْيٍ بين صنعاء في الثياب وقَسّ[1]
قدّها النيلُ ، فاستحتْ ، فتوارتْ منه بالجسرِ بين عُرْيٍ ولُبس
وأرى النيلَ كالعقيق بواديـ ـه وإن كان كوثرَ المتحسّي[2]
ابنُ ماء السماءِ ذو الموكب الفخم الذي يَحسُر العيونَ ويُخسي[3]
لا ترى في ركابه غيرَ مُثْنٍ بخميلٍ ، وشاكرٍ فضلَ عرس
وأرى الجيزة الحزينة ثكْلَى لم تُفِقْ بَعدُ من مَناحة رمسي[4]
أكثرتْ ضجّةَ السواقي عليه وسؤالَ اليراع عنه بهَمْس[5]
وقيامَ النخيل ضَفَّرْنَ شعراً وتجرَّدْنَ غيْرَ طَوقٍ وسَلْس[6]
وكأنَّ الأهرامَ ميزانُ فرعو نَ بيومٍ على الجبابر نَحْس
أو قناطيرُه تأنّق فيها ألفُ جَابٍ وألفُ صاحبِ مَكْس[7]
روْعةٌ في الضحى ، مَلاعِبُ جِنٍّ حين يغشى الدّجى حماها ويُغسي[8]
و رهينُ الرمال أفطسُ ، إلّا أنه صُنْعُ جِنَّةٍ غير فُطْس[9]
تتجلّى حقيقةُ الناس فيه سَبُعُ الخَلْقِ في أساريرِ إنسي

١ صنعاء : قصبة بلاد اليمن ، وقرية بباب دمشق .
ثوب قسي وتكسر قافه : منسوب إلى قس وهو موضع بين العريش والفرما ، من أرض مصر .
٢ العقيق : كل ما شقه ماء السيل فأنهره ووسعه ، ويعني بالعقيق هنا عقيق المدينة ، وهو معروف .
المتحسي : أي الشارب .
٣ يخسي : من خسأ البصر ، كل وأعيا .
٤ رمسي : أي رمسيس .
٥ اليراع : القصب .
٦ سلسلت النخلة سلساً : ذهب كربها .
٧ جاب : الجابي الذي يجمع الخراج .
المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية .
٨ يغسي : يظلم .
٩ فطس الرجل : تطامنت قصبة أنفه وانتشرت في وجهه ، فهو أفطس ، والجمع فطس .

لعِبَ الدَّهرُ في ثراه صبيًّا ... واللياليَ كواعباً غيرَ عُنْس[1]

ركِبتْ صُيَّدُ المقادير عينيه ... لنَقْدٍ ، ومِخْلَبَيْهِ لفَرْس[2]

فأَصابت به الممالكَ : كسرى ... وهِرَقْلاً ، والعبقريَّ الفرنسي

يا فؤادي ، لكلِّ أَمرٍ قرارٌ ... فيه يبدو ويَنجلي بعدَ لَبْس

عقَلتْ لُجَّةُ الأُمورِ عقولاً ... طالتْ الحوتَ طُولَ سَبْح وَغَسِّ[3]

غَرِقتْ حيثُ لا يُصاحُ بطافٍ ... أو غريقٍ ، ولا يُصاخُ لِحِسٍّ

فَلَكٌ يَكسِفُ الشموسَ نهاراً ... ويسومُ البدورَ ليلةَ وكْس[4]

ومواقيتُ للأُمورِ ، إذا ما ... بَلغَتْهَا الأُمورُ صارتْ لِعَكْس

دُوَلٌ كالرجالِ ، مرتهناتٌ ... بقيامٍ من الجُدُودِ وتَعْس

وليالٍ من كلِّ ذاتِ سِوارٍ ... لطَمَتْ كلَّ رَبِّ رُومٍ وفُرْس

سدّدتْ بالهلالِ قوساً ، وسلتْ ... خِنْجَراً يَنْفُذان من كل تُرس

حكمتْ في القرون خوفو و دارا ... وعفت وائلا وأَلْوَتْ بعَبس[5]

أَين مروانُ : في المشارق عرشٌ ... أَمَويٌّ ، وفي المغارب كرسي ؟[6]

سَقِمَتْ شَمْسُهم ، فردَّ عليها ... نورها كلُّ ثاقبِ الرأْي نَطْس[7]

ثم غابتْ ، وكلُّ شمسٍ سوى هاتيـ ... ـكَ تَبْلَى ، وتَنْطوي تحتَ رَمْس[8]

وعظ البحتريَّ إيوانُ كسرى ... وشَفَتْني القصورُ من عبد شمس[9]

---

١ عنس : جمع عانس ، وهي الجارية التي طال مكثها في أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج .

٢ صيد : واحدها صائد .

الفرس : الافتراس .

٣ عقلت : قيدت .

غس في البلاد غسًّا : دخل فيها ومضى قدماً .

٤ ليلة الوكس : أي ليلة دخول القمر في نجم منحوس .

٥ عفت : درست ومحت .

٦ كرسي : أي عرش .

٧ نطس : أي عالم .

٨ الرمس : القبر .

٩ شفتني : أي وعظتني هي أيضاً وعظاً شافياً .

رُبَّ ليلٍ سريتُ والبرقُ طِرْفي وبِساطٍ طويتُ والريحُ عَنْسي[1]
أنظِمُ الشرقَ في الجزيرة بالغر بِ ، وأَطوي البلادَ حَزْناً لدَهس[2]
في ديارٍ من الخَلائف دَرْسٍ ومنارٍ من الطوائف طمس[3]
ورُبًى كالجنانِ ، في كنف الزيتو نِ خُضْرٍ ، وفي ذَرا الكَرْمِ طُلْس[4]
لم يَرُعني سوى ثَرىً قُرْطُبيٍّ لمستْ فيه عِبْرةَ الدهر خَمسي
يا وقَى اللهُ ما أُصبِّحُ منه وسقَى صَفْوَةَ الحيَا ما أُمَسِّي
قَرْيَةٌ لا تُعَدُّ في الأرض ، كانت تُمسِكُ الأَرضَ أن تَميدَ وتُرْسي
غَشِيتْ ساحِلَ المحيط ، وغطَّتْ لُجَّةَ الرُّومِ من شراعٍ وقَلْسِ[5]
ركِبَ الدهرُ خاطري في ثراها فأَتى ذلك الحِمَى بعد حَدْس[6]
فتجلَّتْ ليَ القصورُ ومن فيـ ـها من العزِّ في منازلَ قُعْس[7]
ما ضفتْ قَطُّ في الملوكِ على نَذْ لِ المعالي ، ولا تردَّتْ بنَجْس[8]
وكأَني بلغتُ للعلمِ بيتاً فيه ما لِلعقولِ من كل دَرسِ
قُدُساً في البلادِ شرقاً وغرباً حَجَّهُ القومُ من فقيهٍ وقَسّ
وعلى الجمعةِ الجلالةُ ، و النا صرُ نورُ الخميس تحت الدَّرفس[9]
يُنزِل التاجَ عن مفارقِ دُونٍ ويُحَلِّي به جبينَ البرنس
سِنَةٌ من كرًى ، وطيفُ أَمانٍ وصحا القلبُ من ضلالٍ وهَجْس[10]

....

١ العنس : الناقة .
٢ الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .
٣ المنار : العلم يجعل للطريق .
٤ طلس : واحدها أطلس ، وهو ما لونه أسود تخالطه غبرة .
٥ القلس : حبل السفينة .
٦ الحدس : السير على غير هداية .
٧ القعس : العز الثابت .
٨ ضفت : من ضفا : سبغ واتسع .
٩ الخميس : الجيش ، والدرفس : العلم الكبير .
١٠ الهجس : كل ما وقع في خلد الإنسان .

وإذا الدارُ ما بها من أنيسٍ   وإذا القومُ ما لهم من مُحسِ[1]
ورقيق من البيوت عتيق   جاوز الألفَ غيرَ مذموم حَرْس[2]
أثرٌ من محمد ، وتُراثٌ   صار للروح ذي الولاءِ الأَمَسِّ[3]
بَلَغَ النَّجمَ ذِرْوَةً ، وتناهى   بينَ ثَهْلَانَ في الأساسِ و قُدس[4]
مَرْمَرٌ تسبَحُ النواظرُ فيه   ويطول المدى عليها فتُرسي
وسَوارٍ كأنها في استواءٍ   أَلِفاتُ الوزيرِ في عَرضِ طِرْس[5]
فَترَةُ الدهر قد كست سَطرَيْها   ما اكتسى الهدبُ من فتور ونعس
وَيْحَهَا ! كَمْ تزيَّنتْ لعليم   واحِدِ الدَّهرِ ، واستعدت لخمس[6]
وكأن الرفيفَ في مسرح العيـ   ـن مُلاءٌ مُدَنَّراتُ الدِّمَقس[7]
وكأن الآياتِ في جانبيه   يتنزَّلن في معارج قدس[8]
مِنبرٌ تحت منذرٍ من جلال   لم يزل يكتسيه ، أو تحتَ قُسٍّ[9]
ومكانُ الكتاب يُغريكَ رَيَّا   وَرْدِه غائباً ، فتدنو لِلَمْس
صَنْعَةُ الداخِلِ المباركِ في الغر   ب ، وآلٍ له مَيامِينَ شُمس[10]

* * *

١ محس : أي حاس بهم .
٢ الحرس : الدهر .
٣ الأمس : الأقرب .
٤ ثهلان : جبل بالعالية .
قدس : جبل عظيم بنجد .
٥ السواري : واحدتها سارية ، وهي الأسطوانة العمود .
الوزير : يعني به ابن مقلة المشهور بجودة الخط .
٦ ويحها كم تزينت لعليم أي لمدرس عالم ، واستعدت لإقامة الصلوات الخمس .
٧ الرفيف : السقف .
٨ المعارج : واحدها معرج وهو السلم والمصعد .
٩ منذر : هو قاضي الأندلس منذر ابن سعيد المعروف بالعدل والزهد .
١٠ الداخل : هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام مؤسس الدولة الأموية بالأندلس .

مَنْ لحمراء جُلِّلَتْ بغُبار الـ ـدهرِ ، كالجرح بين بُرْءٍ ونُكس
كَسَنا البرقِ ، لو محا الضوءُ لحظاً لمحتها العيونُ من طول قَبْس
حِصْنُ غرناطة ، ودارُ بني الأحـ ـمر : من غافلٍ ، ويقظانَ نَدْس[1]
جَلَّلَ الثلجُ دونَها رأسَ شيري فبدا منه في عصائبَ برس[2]
سَرْمَدٌ شَيْبُهُ ، ولم أَرَ شَيْباً قبلَه يُرجى البقاءَ ويُنْسي
مَشَتِ الحادثاتُ في غُرَف الحمـ ـراءِ مَشْيَ النَّعِيِّ في دار عرس
هَتَكَتْ عِزَّةَ الحجابِ ، وفضَّت سُدَّةَ الباب من سمير وأُنس
عَرَصاتٌ تخلَّت الخيلُ عنها واستراحت من احتراسٍ وعَس
ومَغَانٍ على الليالي وِضاءٌ لم تجد للعَشِيِّ تَكرارَ مَسٍّ
لا ترى غيرَ وافدين على التا ريخ ، ساعِينَ في خشوع ونكس
نقَّلوا الطرفَ في نضارَةِ آسٍ من نقوش ، وفي عُصارة وَرْس
وقِبابٍ من لازَوَرْدٍ وتبرٍ كالرُّبى الشُّمِّ بين ظل وشمس
وخطوطٍ تكفَّلَتْ للمعاني ولألفاظها بأزين لبْس
وترى مجلسَ السباع خَلاءً مُقْفِرَ القاعِ من ظباءٍ وخنس
لا الثُّرَيَّا ، ولا جواري الثريا يتنزَّلْنَ فيه أقمارَ إنْس
مرْمرٌ قامت الأسودُ عليه كَلَّةَ الظُّفرِ ، لَيِّنَاتِ المَجسّ
تنثر الماءَ في الحياض جُماناً يَتنزّى على ترائبَ مُلْس
آخرَ العهدِ بالجزيرة كانت بعد عَرك من الزمان وضَرس[3]
فتراها ، تقول : رايةُ جيشٍ بادَ بالأمس بين أسرٍ وحَسّ[4]
ومفاتيحُها مقاليدُ مُلكٍ باعها الوارثُ المُضِيعُ بِبَخس

١ الندس : الفهم .
٢ عصائب برس : أي بيض كالقطن .
٣ الضرس : من ضرس الزمان القوم : اشتد عليهم .
٤ الحس : القتل .

خرجَ القومُ في كتائبَ صُمٍّ عن حفاظ ، كموكب الدَّفْن خُرْس[1]
رَكِبوا بالبحار نَعْشاً ، وكانت تحت آبائهم هي العرش أمس
رُبَّ بانٍ لهادِمٍ ، وجَمُوعٍ لمُشِتٍّ ، ومُحْسِن لمُخِسّ
إمْرَةُ الناسِ هِمَّةٌ ، لا تَأَنَّى لجبانٍ ، ولا تسنَّى لجبس[2]
وإذا ما أَصاب بنيانَ قوم وهْيُ خُلْقٍ ؛ فإنه وهْيُ أُسّ
يا دياراً نزلتُ كالخُلد ظِلاًّ وَجَنًى دانياً ، وسَلْسَالَ أنس
مُحسِناتِ الفُصولِ ، لا ناجرٌ فيـ ـها بِقَيْظٍ ، ولا جُمادَى بِقَرس[3]
لا تَحِشّ العيونُ فوق رُباها غيرَ حُورٍ حُوٍّ المراشف ، لُعْس[4]
كُسِيَتْ أَفْرُخي بظِلِّكِ رِيشاً وَرَبا في رُباكِ واشتدّ غَرْسي
هم بنو مصرَ ، لا الجميلُ لديهم بمُضاعٍ ، ولا الصنيعُ بمَنْسي
من لسانٍ على ثنائكِ وَقْفٌ وجَنانٍ على ولائكِ حَبْس
حَسْبُهم هذه الطلولُ عِظَاتٍ من جديدٍ على الدهور ودَرْس
وإذا فاتك التفات إلى الما ضي فقد غاب عنك وجهُ التأسّي

١ الحفاظ : الذب عن المحارم .
٢ الجبس : الجبان .
شهر رجب ، أو صفر ، أو شهر من شهور الصيف .
٣ بقرس : ببارد .
٤ حو المراشف : أي سمر الشفاه ، وهو مستملح من النساء .
اللعس : سواد مستحسن في الشفة .

كُوكْ صُو

تحية شاعرٍ يا ماءَ جَكْسو ... فليس سواكَ للأرواحِ أنْسُ
فدَتك مياهُ دِجلَةَ وهي سَعدٌ ... ولا جُعلتْ فداءَك وهي نحس
وجاءك ماءُ زمزمَ وهو طُهْرٌ ... وأمواهٌ على الأردُنِّ قُدْس
وكان النيلُ يعرِس كلَّ عامٍ ... وأنت على المدى فَرَحٌ وعُرس
وقد زعموه للغادات رَمْساً ... وأنت لِهَمِّهِنَّ الدهرَ رَمسُ
ورَدنكَ كوثراً ، وسَفَرنَ حُوراً ... وهل بالحور إن أَسفرنَ بأْس ؟
فقلْ للجانحين إلى حجاب ... أَتُحجَب عن صنيع الله نَفسُ ؟
إذا لم يَسترِ الأدبُ الغواني ... فلا يُغني الحريرُ ، ولا الدمِقس
تأملْ . هل ترى إلا جلالاً ... تُحِسُّ النفسُ منه ما تحس ؟
كأن الخُود مريمُ في سُفور ... ورائها حواريٌّ وقسٌ[1]
تهيَّبها الرجالُ ، فلا ضميرٌ ... يهم بها ، ولا عينٌ تُحِس
غَشيتُك والأصيلُ يَفيض تبراً ... ويَنسجُ للرُّبى حُلَلاً ويكسو
وتذهب في الخليج له وتأْتي ... أناملُ تَنْثر العِقيانَ خَمْس
وفي جيد الخميلةِ منه عِقدٌ ... وفي آذانها قُرْطٌ وسَلس[2]
ولألأت الجبالُ فضاءَ سَفْحٍ ... يَسُرُّ الناظرين ، ونارَ رأس
على فُلكٍ تسير بنا الهُوَيْنى ... ومِنْ شعري نديمٌ لي وجِلس

• قال يصف كوك صو وهو موقع جميل في الاستانة العلية . ومعنى اللفظين اللذين سمّي بهما ماء السماء .

١ الخود : جمع خودة وهي المرأة الشابة .

٢ الخميلة : الموضع الكثير الشجر .

السلس : الخيط الذي ينظم به الخرز الأبيض تلبسه الاماء ، وقيل القرط من الحلي .

تُنازِعُنا المذاهبَ حيثُ مِلْنا زَوارقُ حولنا تجري وترسو
لها في الماءِ مُنسابٌ كطير تُسِفُّ عليه أحياناً وتَحسو[1]
صغارُ الحجم ، مرهفَةُ الحواشي لها عُرفٌ إذا خطرت وجَرْس[2]
إذا المِجدافُ حَرَّكَها اطمأنّت وإنْ هو لم يُحَرِّكْ فَهْيَ رعس
وإنَّ هوَجد في الماءِ انسيابا فكُلّ طريقه وَتَرٌ وقَوْس
حَمَلْنَ اللؤلؤ المنثورَ عِيناً كما حَمَلَتْ حَبابَ الراحِ كأْس[3]
كأنّ سوافِرَ الغاداتِ فيها مَلائكُ ، هَمُّها نَظَرٌ وهَمْس[4]
كأنّ براقعَ الغاداتِ تهفو على وجناتها غَيْمٌ وشمس
كأنّ مآزِر العِينِ انتسابا زهورٌ لا تُشمُّ ، ولا تُمَسُّ[5]
إذا نُشِرتْ ؛ فريحانٌ ووَرْدٌ وإن طُويت ؛ فنَسْرِينٌ ووَرْس
عجبتُ لهنّ يَجْمعُهنّ حسنٌ ولكنْ ليس يجمعُهنّ لُبس
فكان لنا بظلّكَ خيرُ وقتٍ وخيرُ الوقتِ ما لَكَ فيه أُنس
نمتّع منكَ يا جكسو نفوساً بها من دهرها هَمٌّ وبُؤس
إلى أن بان سِرُّكَ فانثنينا وقد طُوِيَ النهارُ ، ومات أمس

* * *

وقال في كلاب الآستانة وكان يضرب بها المثل في الكثرة والقذارة :

قالوا فروقُ الملكِ دارُ مَخاوف لا ينقضي لنزيلها وسْواسُ
وكلابُها في مأْمنٍ ، فاعجب لها أَمِنَ الكلابُ بها ، وخاف الناسُ

١ أسف الطائر : طار على وجه الأرض .
٢ العرف : لحمة مستطيلة في أعلى رأس الديك .
٣ العين : جمع عيناء ، وهي المرأة التي عظم سواد عينها في سعة .
٤ سوافر : جمع سافرة ، وهي المرأة التي كشفت عن وجهها .
٥ مآزر : جمع إزار ، وهو الملحفة .

أَنسُ الوَجُود*

أتأذن لرجلٍ تعوّد أن يخرجَ عن دائرةِ الموظف كلما عرضَت حال يخدم الوطنَ فيها الرجالُ يرفع لشعرِه ذكره ، ويشرِّفَ قدرَه ، مهدياً إليكَ منه هذه القصيدة في لغة الضاد ، وهي مما قلتُ في أنس الوجود ذلك الأثر المحتضر ، الذي جمع العِبَر ، ومحاه الدهر أو كاد وكان إحدى آياته الكبر ، هياكل « لفرعون » و « بطليموس » ، تَوارثها عن « الكهنة » « القسوس » ، وصارت « للمسيح » وكانت « لهوروس » ، ثم ظهَرَ « الأذانُ » فيها على « الناقوس » ، ثم لا تكون عَشية أو ضُحاها حتى يهوي في الماءِ كلُّ حجر كان يُقبَّل كالأسْوَد [1] ، وكل ركن كان يُستلم « كالحطيم »[2] شهدتُ على « أنس الوجود » ما يُعلم الإنسانَ – ولو أنه روزفلت علماً وحكمة وأدباً – كيف يَحتقرُ الدنيا ويحترم الدين جميعاً .

دخلتُه ذات يوم وكان « الدوق أوف كونوت » لديه يتمشى في ظِلالِه ويتنقلُ بين رسومِه وأطلالِه ، عيناه ونفسه في إكباره وإجلاله ، فكانت مني التفاتة فرأيت « فلَّاحا » أقبلَ ثم ألقى عباءته وتوجه يصلي « العصر » غيرَ مُلقٍ بالاً « لفرعون » كيف كانٍ يعبد ويُعبد ، ولا « لبطليموس » كيف كان يُعظَّم ويُمجَّدْ ، ولا للمسيحية السمحةِ كيف دخلت على « الوثنية » المَعْبَد ، ولا « للملكِ إدوارد » الذي تحتل جنودُه الآن مصر وهو في ثياب أخيه « الدوق » يرفع البصرَ ويُسدِله ممتلئاً من آيات الدهر مهابة وإعجاباً ، مشتغِلا بالتاريخ القائم المجسم ، يقرؤه كتاباً

* إلى المستر روزفلت الرئيس الأسبق للولايات المتحدة .

١ الأسود : هو الحجر الأسود الذي بمكة .

٢ الحطيم : جدار حجر الكعبة ، وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام .

كتاباً . دين سهل سَمْح يَسَر ، وإله واحد يُعبَد حيث وجِد العابد ، على العَرَاء كما في الهياكل ، والكنائس والمساجد .

التاريخ – أيها الضيفُ العظيم – غابر متجدد ، قديمه مِنوال ، وحاضره مِثال ، والغدُ بيد الله المتعال . وأنت اليوم تمشي فوق مَهد الأعصُر الأول ، ولحد قواهر الدول ، أرض اتخذها « الإسكندر » عرينا ، وملأها على أهلها « قيصر » سفيناً ، وخلَّف « ابن العاص » فيها لساناً وجنساً وديناً ، فكان أعظمَ المستعمرين حقيقة وأكبرهم يقيناً ، وهو الذي لم يعلم عليه أن بغى أو ظلم أو سفك الدمَ ، أو نهى ، أو أمر ، إلا بين الرجاءِ والحذر ، من عدل « عمر » ، الذي تنبيك عنه السيِّر .

قمتَ – أيها الضيف العظيم – في السودان خطيباً فأنصت العصر ، والتفتت مصر ، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون : «كيف خالف الرئيس سُنة الأحرار من قادة الأمم وساسة الممالك أمثاله ، فطارد الشعور وهو يهب ، والوجدان وهو يشب ، والحياة وهي تدِب ، في هذا الشعب ؟! ومن حرمة العواطف السامية ، ألا تطارد كأنها وحوش ضارية ، على صحراءٍ أو بادية ، كما طاردتَ السباع بالأمس نقماً من طبائعها الجافية » .

المصريُّ – أيها الضيف العظيم – سمح كريم التجاوز ، فقد ظفِرت بمن مهَّد عذرك ، ونفى الظن عن كرمك ، وادخر ودك الذي تخطبه الأمم المستضعفة ، والشعوب المتلهفة ، المتشوِّقة ؛ إذ قيل : إنّمَا أراد الرئيس أن يَمدح ديناً من حقّه أن يَمدح بكل لسان ، وفي كل مكان ، فكيف به في بعض معاهده في السودان ؟! وأراد كذلك أن يحذِّر من الفتنة في الجيوش ، وينهي عن إيقاظها ، ويذكر للمحسن من الحكام ما رأى أو سمع من حسناته ، ويدعو هذه الأُمة التي حركتُها المستقبلة في السكون ، إلى العمل في ظلِّ الحق والصبر بإذن الله مضمون ، ومستقبل بمَشيئة الله مأْمون ، وقديمًا فاز بالصبر الصابرون » .

فإن كان ذلك – أيها الضيف العظيم – وهو ما لا نعتقد غيره – فمثلك من نصحَ للأُمم ، وبعث العزائمَ والهمم . وعلم باللسان والقلم .

على أننا نرجو أن ستذكرنا عند قومك الكرام الأحرار بما أنتم جميعاً أهله ، وأن ستعطينا عهدك ، وتصفينا ودّك ، وتملأ من أجمل الظنون وأحسنها بردَك ، يوم تقل السفينة عظمتك ومجدَك ، وتنقل من أقصى البروج إلى أقصاها سعدَك .

على يد الله تجري إن هي اندفعت   وفي حِمى الله – لا في الماء – تحتجب

* * *

أيها المنتحي بأسوان داراً   كـالثريّا تـريد أن تَنقضّا
اخلع النعل واخفِض الطرفَ ، واخشع   لا تحاول من آيةِ الدهر غضّا
قف بتلك القصورِ في اليمِّ غرقى   مُمسكاً بعضُها من الذعر بعضا
كعذارى أخْفَيْنَ في الماءِ بَضّا   سابحاتٍ به ، وأبْدَيْنَ بضّا[1]
مُشرفاتٍ على الزوالِ ، وكانت   مشرفات على الكواكب نهضا
شابَ من حولها الزمانُ وشابت   وشبابُ الفنونِ ما زال غضّا
رُبَّ «نَقْشٍ» كأنما نفض الصا   نعُ منه اليَدَيْنِ بالأمس نفضا
و «دهانٍ» كلامع الزيت ، مرّت   أعصرٌ بالسراج والزيت وُضّا[2]
و «خُطوطٍ» كأنها هدب ريم   حَسُنَتْ صنعةً ، وطولاً ، وعرضا[3]
و «ضحايا» تكاد تمشي وترعى   لو أصابتْ من قدرَةِ الله نبضا
و «محاريبَ» كالبروج ، بَنتها   عزماتٌ من عزمة الجنّ أمضى[4]
شيِّدتْ بعضَها الفراعينُ زُلْفَى   وبنَى البعضَ أجنبٌ يترضَّى[5]

---

١ البض : الرخص الجسد .
٢ وضا : وضاء .
٣ ريم : غزال .
٤ أمضى : أحد .
٥ زلفى : تقرباً .
يترضى : يطلب الرضا .

و «مقاصيرُ» أُبْدِلَت بفُتاتِ الـ حمسكِ تُرْباً ، وباليواقيت قضًّا[1]
حظُّها اليومَ هَدَّةٌ ، وقديماً صُرِّفتْ في الخطوط ، رفعاً وخَفضا
سَقَتِ العالمينَ بالسعد والنحـ س ، إلى أن تعاطت النحس محضا[2]
صنعةٌ تدهش العقولَ ، وفنٌّ كان إتقانُه على القوم فرضا

* * *

يا قصوراً نظرتُها وهْيَ تقْضي فسكبتُ الدموعَ ، والحقُّ يُقضى[3]
أنتِ سَطرٌ ، ومجدُ مصرَ كتابٌ كيف سامَ البِلى كتابَك فضًّا ؟
وأنا المحتفي بتاريخ مصرٍ مَنْ يَصُنْ مجدَ قومه صان عِرضا
رُبَّ سرٍّ بجانبيك مُزالٍ كان حتى على «الفراعين» غمضا
قل لها في الدعاءِ لو كان يجدي : يا سماء الجلالِ ، لا صِرْتِ أرضا
حارَ «فيكِ» المهندسون عقولاً وتولَّت عزائمُ العِلمِ مَرضى
أين ملكٌ حيالَها وفريد من نظام النعيم أصبح فضا ؟[4]
أين «فرعونُ» في المواكب تَتْرى يركض المالكين كالخيل ركضا ؟
ساق للفتح في الممالِك عَرضاً وجلا للفخارِ في السِلم عَرضا
أين «إيزيس» تحتها النيل يجري حكمت فيه شاطئيْن وعَرضا ؟
أَسْدَلَ الطرفَ كاهنٌ ومليكٌ في ثراها ، وأرسل الرأْسَ خَفضا
يُعْرَضُ المالكون أَسرَى عليها في قيود الهوانِ ، عانِينَ ، جَرضَى[5]
ما لها أَصبحت بغيرِ مُجيرٍ تشتكي من نوائب الدهر عضًّا ؟

---

١ قضا : حصى .
٢ محضاً : خالصاً .
٣ تقضي : تفني .
٤ فضا : مفضوضاً .
٥ جرضى : مغمومين .

هيَ في الأَسْرِ بين صَخرٍ وبحرٍ مَلَكة في السجون فوق حَضوضَى[1]
أَين «هوروسُ» بين سيف ونِطْعٍ ؟ أبهذا في شرعهم كان يُقْضَى ؟
ليت شعري : قضى شهيدَ غرامٍ أم رَماه الوشاةُ حقداً وبغضاً ؟
رُبَّ ضَربٍ من سَوْطِ فرعونَ مَضٍّ دونَ فعلِ الفِراقِ بالنفس مَضّا[2]
وهلاكٍ بسيفه وهْوَ قانٍ دون سيفٍ من اللواحظ يُنْضَى[3]
قتلوه ، فهل لذاك حديثٌ ؟ أين راوي الحديثِ نثراً وقرضا ؟

* * *

يا إمامَ الشعوبِ بالأَمس واليو م ، ستُعطَى من الثناء ، فتَرضى
مصر بالنازلين من ساحِ معنٍ وحِمى الجود حاتم الجود أفضى[4]
كن ظهيراً لأهلها ونصيراً وابذل النصحَ بعد ذلك مَحضا[5]
قل لقوم على الولايات أَيقا ظٍ إذا ذاقت البَرِيَّةُ غُمضا
شيمةُ النيلَ أَنْ يفي ، وعجيب أَحرجوه ، فضيّع العهدَ نقضا
حاشه الماءُ ، فهْوَ صيدٌ كريمٌ ليت بالنيل يوم يسقط غيضا[6]
شيد والمال والعلوم قليل أَنقذوه بالمال والعلم نقضا[7]

١ حضوضى : جبل في البحر .
٢ مض : موجع .
٣ ينضى : يسل .
٤ معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب .
٥ ظهيراً : نصيراً .
٦ حاشه : من حاش الصيد : أحرجه في كل مكان .
غيضاً : من غاض الماء غيضاً : نقص أو غار فذهب في الأرض .
٧ نقضاً : ما انتقض من البناء ، أي انتكث .

النفس

قال الرئيس ابن سينا :

هبطتْ إليكَ من المحل الأرفعِ ورقاءُ ذاتُ تَعزُّزٍ وتمنُّعِ
محجوبةٌ عن كلِّ مُقْلَةِ عارفٍ وهي التي سَفَرَتْ ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك ، وربما كرِهت فراقَكَ وهْيَ ذاتُ تفجُّعِ
ألِفت وما سكنت ، فلما واصلت ألِفت مجاورةَ الخرابِ البَلْقَعِ
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى ومَنازِلاً بفراقها لم تَقنعِ
حتى إذا اتصلت بهاءِ هبوطها عن ميم مركزها بذات الأجرَعِ
عَلِقت بها ثاءُ الثقيل ، فأصبحت بينَ المعالِمِ والطُّلولِ الخُضَّعِ
تبكي وقد ذكرت عهوداً بالحمى بمدامع تَهْمي ، ولما تُقْلِعِ
. . . . الخ الخ الخ

وقد قال المقتطف في الشاعرين بعد كلام طويل : « والاثنان جريا مجرى أفلاطون ، في حسبان النفس روحاً كانت عند الخالق ، ثم هبطت ودخلت جسم الإنسان ، إلا أن أفلاطون تصورها فرساً مجنحة ، غذاؤها الجمال والحكمة والصلاح ، فلما هبطت فقدت جناحيها ودخلت جسم الإنسان . والفلاسفة يشعرون بشيءٍ لا يستطيعون معرفته فيصفونه كما يتصورونه ، ويجاريهم الشعراء في التصور ، ويفوقونهم في الوصف .

* * *

ضُمِّي قِناعَكِ يا سُعادُ أو ارْفَعي هذي المحاسنُ ما خُلِقْنَ لِبُرْقُعِ [1]

---

[1] الخطاب للنفس ، خاطبها كما يخاطبها فيلسوف ، علم بدائعها ، وبحث عن حقيقتها ، فرآها تزيد غموضاً كلما زاد بحثاً ، مع أنها أقرب ما يكون إليه .

الضاحياتُ ، الضاحكاتُ ، ودونَها ستِرُ الجلالِ ، وبُعْدُ شأْوِ المطْلعِ[1]
يا دُمْيَةً لا يُستزاد جمالها زيديه حُسْنَ المُحْسِنِ المتبرِّعِ
ماذا على سلطانِه من وقفةٍ للضَّارعين ، وعَطفةٍ للخُشَّعِ ؟
بل ما يضرك لو سمحتِ بجلْوَةٍ ؟ إنّ العروسَ كثيرةُ المتطلِّعِ
ليس الحجابُ لمن يَعِزُّ مَنالُه إنّ الحجابَ لِهيِّنٍ لم يمنعِ
أَنتِ التي اتّخذ الجمالَ لعزِّه مِنْ مَظْهرٍ ، ولسرِّه مِن مَوضعِ
وهو الصَّناعُ ، يَصوغ كلَّ دَقيقةٍ وأدقَّ منكِ بَنانُه لم تَصْنَعِ
لمستكِ راحتُه ، ومسَّكِ روحُه فأَتى البديعُ على مِثال المُبْدِعِ
اللهَ في الأحبار : مِنْ مُتهالكٍ نِضْوٍ ، ومَهْتوكِ المُسوحِ مُصَرَّعِ[2]
من كلِّ غاوٍ في طَوِيَّةِ راشدٍ عاصي الظواهرِ في سريرةِ طَيِّعِ
يَتَوهَّجون ويَطفأون ، كأَنهم سُرُجٌ بِمُعْتَرَكِ الرِّياحِ الأَربعِ
علِموا ، فضاق بهم وشَقَّ طريقُهم والجاهلون على الطريقِ المَهْيَعِ
ذهب ابنُ سينا ، لم يَفُزْ بكِ ساعةً وتَوَلَّت الحكماءُ ، لم تَتَمتَّعِ
هذا مَقامٌ ؛ كلُّ عِزٍّ دونَه شمسُ النهارِ بمثله لم تَطْمَعِ
فمحمدٌ لك و المسيحُ تَرَجَّلا وترجَّلَتْ شمسُ النهار لِيُوشَعِ[3]
ما بالُ أَحمدَ عَيَّ عنكِ بيانُه ؟ بل ما لعيسى لم يَقُلْ أَو يَدَّعِ ؟
ولسانُ موسى انحلَّ ، إلا عقدةً مِنْ جانبيك ، عِلاجُها لم يَنْجَعِ ؟
لما حلَلْتِ بآدمٍ حلَّ الحُبى ومشى على الملإِ السُّجودِ الرُّكَّعِ[4]

١ الضاحيات : الظاهرات البارزات ، وصف بها محاسن النفس ، وقال : إنها مع ذلك ، مطلعها بعيد وجلالها مستور .
٢ نصب اسم الجلالة على الاستغاثة ، والكلام في الأبيات الخمسة بعده وصف لما عاناه الأحبار والفلاسفة من البحث عن حقيقة النفس ، فشق طريقهم كلما زادوا بحثاً ، أما الجاهلون فني راحة سائرون في المهيع ، أي الطريق الواسع البين .
٣ الضمير في ذلك يرجع إلى النفس ، أراد بها الجوهر الآلهي .
٤ حل الحبا : نهض ، والمقصود هنا تقديس الروح العالي الذي نفخ الله في آدم .

وأرى النبوَّةَ في ذَراكِ تكرَّمَتْ | في يوسفٍ ، وتكلَّمت في المُرْضَعِ[1]
وسَقَتْ قريشَ على لسان محمد | بالبابليِّ من البيان المُمْتِعِ[2]
ومَشَتْ بموسى في الظلام مُشَرَّداً | وحدَتْه في قُلَلِ الجبالِ اللُّمَّعِ[3]
حتى إذا طُوِيَتْ ورِثْتِ خِلالَها | رُفِعَ الرَّحيقُ وسِرُّه لم يُرفَعِ[4]
قَسَمَتْ مَنازِلَكِ الحُظوظُ : فمنزلاً | أَتْرَعْن منكِ ، ومنزلاً لم تُترَعِ
وخلِيَّةً بالنحل منكِ عَميرةً | وخليَّةً مَعمورةً بالتُّبَّعِ[5]
وحَظيرةً قد أُودِعَت غُرَرَ الدُّمَى | وحظيرةً محرومةً لم تودَعِ[6]
نظرَ الرئيسُ إلى كمالكِ نظرةً | لم تَخلُ من بَصَرِ اللبيبِ الأَرْوَعِ
فرآه منزلةً تعرَّضَ دُونَها | قِصَرُ الحياةِ ، وحالَ وَشْكُ المصْرَعِ
لولا كمالُكِ في الرئيس ومثْلِه | لم تَحْسُنِ الدنيا ، ولم تتَرَعْرَعِ[7]
اللهُ ثبَّتَ أرضه بدعائمٍ | هم حائطُ الدنيا ، وركن المجمع
لو أنَّ كلَّ أخي يراعٍ بالغٌ | شأْوَ الرئيسِ وكلَّ صاحب مِبضَعِ
ذهب الكمالُ سُدًى ، وضاع مَحلُّه | في العالم المتفاوِتِ المتنوِّعِ

* * *

يا نفسُ ، مثلُ الشمس أنتِ : أشعَّةٌ | في عامرٍ ، وأشعَّةٌ في بَلقَعِ

١ أراد بيوسف : يوسف الصديق ، ومعنى تكرم النبوة فيه أنها سمت بنفسه وبلغت بها الكمال لما عف ، وأراد بالمرضع : السيد المسيح .
٢ أراد بالبابلي : السحر إشارة إلى قوله : «أن من البيان لسحراً» .
٣ إشارة إلى العليقة الملتهبة .
٤ فاعل طويت يعود إلى النبوة . والخلال : الصفات والمزايا التي يبقى أثرها كما يبقى أثر الخمر بعد ما تزول .
٥ التبع : يعسوب النحل الأعظم ، وهو ما يسمونه الملكة .
٦ الدمى : الصور ، أو التماثيل الجميلة ، أشار بما في الأبيات الثلاثة المتقدمة إلى تفاوت النفوس في الناس .
٧ أي لولا كبار النفوس لما إرتقى العالم وصلحت الأنام ، والمقصود من الكمال هنا : بلوغ النفس الكمال في النبوة ، أو ما يقرب من الكمال في بعض العبقريين من الناس ، والرئيس منهم .

فإذا طوى اللهُ النهارَ تراجَعَتْ ... شتّى الأشعةِ ، فالتقَتْ في المرجع
لما نُعيتِ إلى المنازل غُودِرَتْ ... دَكًّا ، ومثلُكِ في المنازل ما نُعي
ضَجَّتْ عليكِ معالماً ومعاهداً ... وبكَتْ فراقكِ بالدموع الهُمَّع[1]
آذَنْتِها بنوًى ، فقالت : لَيْتَ لَمْ ... تَصِلِ الحبالَ ، وليتها لم تَقْطع
ورداء جُثْمانٍ لبستِ مُرَقَّمٍ ... بيد الشباب على المشيبِ مُرَقَّع
كم بِنْتِ فيهِ ، وكم خَفِيتِ ، كأنه ... ثوبُ الممثّل ، أو لباسُ المَرْفع ؟[2]
أَسَئمتِ من دِيباجِهِ ، فنزعْتِه ؟ ... والخزُّ أكفانٌ إذا لم يُنزَع
فزِعَتْ وما خَفِيَتْ عليها غايةٌ ... لكنَّ مَنْ يَرِدِ القيامةَ يَفْزع[3]
ضرَعَتْ بأدمُعِها إليك ، وما دَرَتْ ... أنَّ السفينةَ أقلعت في الأدمع
أنتِ الوفيَّةُ ، لا الذِّمامُ لديكِ مَذْ ... مومٌ ، ولا عهدُ الهوى بمضيَّع
أَزْمَعْتِ ، فانهلَّتْ دموعُكِ رِقّةً ... ولو استطعتِ إقامةً لم تُزْمِعي
بان الأحبةُ يومَ بَيْنِكِ كلُّهم ... وذَهبتِ بالماضي وبالمتوقَّع

مَيْدَانُ الكُونكُورد*

أَمَيْدانَ الوفاقِ ، وكنتَ تُدعى ... بميدان العداوةِ والشِّقاقِ
أَتدري : أيُّ ذنبٍ أنتَ جَانٍ ؟ ... وأيّ دمٍ ذهبتَ بِهِ مُراقِ ؟
هَوَى فيك السريرُ ومَنْ عليه ... وماتَ الثائرون ، وأنتَ باق
أَصابوا ، واستراح لويسُ منهم ... لذا سُمِّيتَ مَيْدانَ الوفاق

....

١ فاعل ضجت عائد إلى المنازل أي الأجسام ، ومعالم ومعاهد منصوبتان على التمييز ، أراد بالمعالم : ذوي النفوس الصغيرة ، وبالمعاهد : ذوي النفوس الكبيرة .
٢ المرفع : الكرنفال الذي يلبس الناس فيه ثياباً مزوقة .
٣ فزعت : تأهبت أو استجارت ، والضمير عائد إلى أجسام وأراد بالقيامة : ساعة الموت .
* ميدان الكونكورد (الوفاق) بباريس ، وهو الذي أعدم فيه الملك لويس السادس عشر في أيام الثورة الفرنساوية .

أيُّها النِّيلُ*

أَيها الأُستاذ الكريم :

تذكرتُ «أثينا» مدينةَ الحكمة في الدهور الخالية ، وأَياماً غنمناها على رسومها العافِية ، وأطلالها البالية ، فكأَني أنظر إلى المؤتمر ، علماؤه الهالة ، وأَنت القمر ، أَو زُمَرُ الحجيجِ وأَنت حادي الزُّمَر ، وأَرى الملوكَ في الحفر ، بُنيانهم مصدوعُ الجُدر ، وبيانهم نور البشر ، نزلنا بهم فإذا الدول خبر ، وإِذا الممالك أَثر ، والطولُ شُغلُ الفؤادِ والبَصر ، منَّا العبرات ومنها العِبَر ، صَمَت الإِنسان ونَطقَ الحجر ، فسبحان العزيز المقتدر القاهرِ فوق عبادِه بالقدَر . كان ذلك والحوادث أَجنة ، والأُمور في أَحسن الأَعنَّة ، والأَرض بالسلم مطمئنة ، مغتبطة بسلامةِ الشبابِ ، منبسطة بتلاقي الأَحباب ، والصَّفوُ في الدار والأَكدارُ بالباب ، ثم أَخذ الله الأُممَ بذنوبهم فرماهم بعَوانٍ في الماءِ ، ضَروسٍ في الأَرض والسماءِ ، مَنهومةٍ بالأَموال مُدمِنةٍ للدماءِ ، نزلتْ بالبريَّةِ فعصفتْ بأَحسن شبابها ونباتها ، ونَقضت موفورَ أَمنها وأَقواتها ، وهتكتْ في الثرَى مَصونَ رُفاتِها ، وخلطتْ في الخنادقِ أَحياءَها بأَمواتها ، وعدَت على الوحشِ في فلواتِها ، وعلى الطيرِ في وكناتِها ، وعلى الرِّياح في مخترقاتها ، وعلى بَلَم البحار وأَخواتها ، وهَوامِّ القِفار وحشراتها ، وعلى بيوت الله في ستراتها ، والنواقيس في قِبابها ، والمآذن في سماواتها ، فسبحان الملك الأَكبر ، الذي يَقهر ولا يُقهر ، ويُغيِّر ولا يَتغيَّر ، والذي يقيم القيامة في مِيقاتها .

الشعر كالأَحلامِ ؛ تدخل على المسرور الكرى ، وتَكثر على المحزون في

* إلى الأستاذ مرجليوت مدرس اللغة العربية في جامعة أكسفورد .

السَّرى . وقريحة الشاعر كعَين صاحب الأيام ، عندها للحزن عَبرة ، وللسرور عِبرة ، وهذه أيها – الأُستاذ الكريم – كلمة قيلت والهموم سارية ، والأقدار بالمخاوف جارية ، والدموع متبارية ، وذِئاب البشر يقتتِلون على الفانية ، نظمتها تَغنِّياً بمحاسن الماضي ، وتقييداً لمآثر الآباء ، وقضاءً لحق « النيل » الأسعد الأمجد . ونسبتها إليك ، عِرفاناً لفضلك على لغة العرب ، وما أنفقت من شباب وكهولة في إحياء علومها ، ونشر آدابها ، وإلقائها كلما طلعت الشمس خلف الضَّباب دروساً نافعة على أنبل شباب العصر ، في أعظم جامعات العالم ، فلعلها تقع إليك . فنتذاكر على النوى تلك الأيام ، ونتنادم من بعد على بِساط الأدب والكلام . ونسأل الله أن يحقنَ الدماء ، ويقيم جِدارَ السلام .

* * *

مِنْ أي عَهدٍ في القُرى تَتدفَّقُ ؟ وبأيِّ كَفٍّ في المدائن تُغدِقُ ؟

ومن السماءِ نزلتَ أم فُجِّرتَ من عُلْيا الجنان جَداوِلاً تترقرق ؟

وبأيِّ عَيْنٍ ، أم بأيَّة مُزْنَةٍ أم أيِّ طُوفانٍ تفيض وتَفْهَق ؟[1]

وبأيِّ نَوْلٍ أنتَ ناسجُ بُرْدَةٍ للضفَّتيْن ، جَديدُها لا يَخلق ؟[2]

تَسْوَدُّ دِيباجاً إذا فارقتها فإذا حضرتَ اخْضَوْضَرَ الإسْتَبْرَق[3]

في كلِّ آونةٍ تُبدِّل صِبغةً عجباً ، وأنت الصابغُ المُتأنِّق

أتَت الدهورُ عليكَ ، مَهْدُكَ مُتْرَعٌ وحِياضُكَ الشُّرق الشهيَّةُ دُفَّق[4]

١ المزنة : هي هنا السحابة الممطرة .
تفهق : فهق الاناء أي امتلأ حتى صار يتصبب .
٢ النول : خشبة الحائك ينسج عليها .
يخلق : يبلى .
٣ الاستبرق : الحرير .
٤ مترع : ممتلىء .
الشرق : الغرقى .

تَسْقي وتُطْعِمُ ، لا إناؤكَ ضائقٌ بالواردين ، ولا خوانُك يَنفُق[1]
والماءُ تَسْكُبُه فيُسْبَكُ عَسْجَداً والأرضُ تُغرِقها فيحيا المُغرَق[2]
تُعيي مَنابِعُك العقولَ ، ويستوي مُتخبِّطٌ في علمِها ومُحقِّق
أَخلَقْتَ راووقَ الدهورِ ، ولم تزل بكَ حَمْأَةٌ كالمسك ، لا تترَوَّق[3]
حمراءُ في الأحواض ، إلّا أنها بيضاءُ في عُنُق الثرى تتألَّق
دِينُ الأوائِل فيك دِينُ مُروءَة لِمَ لا يُؤَلَّه مَنْ يَقُوتُ ويَرزُق ؟
لو أن مخلوقاً يُؤَلَّه لم تكن لِسواكَ مَرْتبَةُ الأُلوهَةِ تَخلُق[4]
جعلوا الهوى لكَ والوَقَارَ عبادةً إنَّ العبادةَ خَشيةٌ وتَعلُّق
دانوا ببحرٍ بالمكارِم زاخرٍ عَذْبِ المشارعِ ، مَدُّهُ لا يُلْحَق
مُتقيِّد بعهودِه ووُعودِه يَجري على سَنَنِ الوفاءِ ويَصدُق[5]
يَتقبَّلُ الوادي الحياةَ كريمةً من راحَتَيْكَ عَميمةً تتدفَّق
متقلِّب الجنبيْن في نَعْمائه يَعْرَى ويُصْبَغُ في نَداك فيُورِق
فيبيتُ خِصْباً في ثَراه ونعْمة ويعُمُّه ماءُ الحياةِ الموسق[6]
وإليك - بَعْدَ اللهِ - يَرجع تحته ما جَفَّ ، أَو ما مات ، أَو ما يَنْفُق[7]

* * *

١ تنفق : يفنى ويقل .
٢ العسجد : الذهب .
٣ الراووق : المصفاة .
الحمأة : الطين الأسود .
تتروق : من روق الشراب : صفاه .
٤ تخلق : أي تكون خليقة وجديرة .
٥ السنن : النهج .
٦ الموسق : اسم فاعل من أوسق ، والهمزة فيه للتعدية ، وثلاثيه وسق من وسقت الشاة ونحوها بمعنى لقحت ، أو من وسقت الشيء إذا حملته .
٧ ينفق : من نفق الرجل والدابة : ماتا ، يعني ما مات من الإنسان ، وما هلك من الحيوان .

أين الفراعنةُ الأُلى استذرى بهم		عيسى ، ويوسفُ ، والكَليمُ المصْعَق ؟[1]
المُورِدونَ الناسَ مَنْهَلَ حكمةٍ		أَفْضَى إليه الأَنبياءُ ليَستقوا[2]
الرافعون إلى الضحى آباءَهم		فالشمسُ أَصلُهمُ الوَضِيءُ المُعْرِق[3]
وكأَنما بين البِلى وقبورِهم		عهدٌ على أَنْ لا مِساسَ ، ومَوْثِق
فحجابُهم تحت الثرى من هَيْبَةٍ		كحجابهم فوق الثرى لا يُخرَق
بلغوا الحقيقةَ مِنْ حياة علمُها		حُجُبٌ مُكَثَّفَةٌ ، وسِرٌّ مُغلَق
وتبيَّنوا معنىَ الوجودِ ، فلم يَرَوا		دونَ الخلودِ سعادةً تَتحقَّق
يَبنون للدنيا كما تَبني لهم		خِرَباً ، غرابُ البَيْن فيها يَنْعَق
فقصورُهم ، كُوخٌ ، وبيتُ بَداوةٍ		وقبورُهم ، صرْحٌ أَشَمُّ ، وجَوْسَق[4]
رفعوا لها مِنْ جَنْدَلٍ وصفائحٍ		عَمَداً ، فكانت حائطاً لا يُنْتَق[5]
تتشايعُ الدّاران فيه : فما بدا		دُنيا ، وما لم يَبْدُ أُخرى تَصْدُق
للموتِ سِرٌّ تحتَه ، وجِدارُه		سُورٌ على السرِّ الخفيِّ ، وخَنْدَق
وكأَنَّ منزلهم بأَعماق الثرى		بين المحلَّةِ والمحلَّةِ ، فُنْدُق[6]
مَوْفورةٌ تحت الثرى أَزْوَادُهم		رَحْب بهم بين الكهوف المُطْبِق[7]

* * *

ولِمَنْ هياكلُ قد علا الباني بها		بين الثريَّا والثَّرى تتَنسَّق ؟[8]

١ استذرى بفلان : التجأ إليه ، واستذرى بالشجرة : أي استظل بها .
٢ المنهل : المورد .
٣ المعرق : العريق في النسب .
٤ الجوسق : القصر .
٥ ينتق : يزعزع .
٦ المحلة : المنزل .
٧ الأزواد : جمع زاد وهو الطعام يتخذ للسفر .
المطبق : السجن تحت الأرض .
٨ تتنسق : تنتظم .

منها المشيَّدُ كالبروجِ ، وبعضُها كالطَّوْدِ مُضطجعٌ أَشَمٌّ مُنَطَّق[1]
جُدُدٌ كأَوّلِ عهدها ، وحِيالَها تتقادَمُ الأَرضُ الفضاءُ وتَعْتُق[2]
مِنْ كلِّ ثَهْلٍ كاهلُ الدُّنيا به تَعِبٌ ، ووَجْهُ الأَرضِ عنه ضَيِّق
عالٍ على باعِ البِلى ، لا يَهتدي ما يَعتلي منه وما يتَسلَّق
مُتمكِّنٌ كالطودِ أصلاً في الثرى والفرعُ في حَرَمِ السماءِ مُحلِّق
هي من بناءِ الظلمِ ، إلا أنه يَبيَضُّ وجهُ الظلمِ منه ويُشْرِق
لم يُرهِقِ الأُمَمَ الملوكُ بمثلها فخراً لهم يَبْقَى وذكراً يَعْبَق
فُتِنَتْ بشطِّيْكَ العِبادُ ، فلم يزل قاصٍ يَحُجُّهُمَا ، ودانٍ يَرْمُق
وتضوَّعَتْ مِسْكَ الدُّهورِ ، كأَنَّما في كلِّ ناحيةٍ بَخورٌ يُحرَق
وتقابلتْ فيها على السُّرُرِ الدُّمَى مُسْتَرْدِياتِ الذلّ لا تَتَفَنَّق[3]
عَطِلَتْ ، وكان مكانُهنّ من العُلى بلقيسُ تَقْبِسُ من حلاهُ وتَسْرِق[4]
وعَلا عليهن الترابُ ، ولم يكن يَزكُو بهنّ سوى العبيرِ ويَلْبَق[5]
حُجُراتُها مَوْطوءَةٌ ، وستورُها مَهتوكةٌ ، بيد البِلى تَتخرّق
أَوْدَى بزينتها الزمانُ وحَلْيِها والحسنُ باقٍ والشبابُ الرَّيِّق[6]
لو رُدَّ فِرعونُ الغداةَ ؛ لراعه أن الغَرانيقَ العُلى لا تَنطق[7]
خلع الزمانُ على الورى أيامَه فإذا الضُّحى لكَ حِصَّةٌ والرَّونَق

١ منطق : مرتفع لا يبلغ السحاب رأسه .
٢ تعتق : من عتق الشيء قدم .
٣ مستردیات : لابسات .
تتفنق : تتنعم .
٤ عطلت : من عطلت المرأة لم يكن عليها حلي .
٥ العبير : أخلاط من الطيب .
يلبق : يليق .
٦ الريق من كل شيء : أوله وأصله .
٧ الغرانيق : جمع غرنيق ، وهو الشاب الأبيض الجميل ، ويقصد التماثيل .

لكَ من مواسمه ومن أعياده ... ما تَحْسِرُ الأبصارُ فيه وتَبْرَق[1]
لا الفرسُ أُوتوا مثلَه يوماً ، ولا ... بغدادُ في ظلِّ الرشيد و جِلَّق[2]
فَتْحُ الممالك ، أَو قيامُ العِجْلِ ، أَو ... يومُ القبور ، أَو الزفافُ المُونق ؟
كم موكب تَتخايلُ الدنيا به ... يُجْلَى كما تُجْلَى النجومُ ويُنْسق !
فرعونُ فيه من الكتائبِ مُقبِلٌ ... كالسُّحْب ، قَرْنُ الشمس منها مُفتِق[3]
تَعْنو لعزَّته الوجوه ، ووجهُهُ ... للشمسِ في الآفاق عانٍ مُطرِق[4]
آبتْ من السفرِ البعيدِ جنودُه ... وأَتتْه بالفتحِ السعيدِ الفَيْلَق[5]
ومشى الملوكُ مُصفَّدِين ، خدودُهم ... نعلٌ لفرعونَ العظيمِ ونُمْرُق[6]
مملوكةٌ أَعناقُهم ليمينهِ ... يَأْبَى فَيَضْرِبُ ، أَو يَمُنُّ فَيُعتِق
ونجيبةٍ بين الطفولةِ والصِّبا ... عذراء ، تَشْرَبُها القلوبُ وتَعلَق
كان الزفافُ إليكَ غايةَ حَظِّها ... والحظُّ إن بلغ النهايةَ مُوبِق[7]
لاقَيْتَ أَعراساً ، ولاقَتْ مأْتماً ... كالشيخِ يَنْعَمُ بالفتاةِ وتُزْهَق
في كلِّ عامٍ دُرَّةٌ تُلقَى بلا ... ثمنٍ إليكَ ، وحُرَّةٌ لا تُصدَق[8]
حَوْلٌ تُسائِلُ فيه كلُّ نجيبةٍ ... سَبقتْ إليكَ : متى يحولُ فتَلْحق ؟
والمجدُ عند الغانياتِ رَغيبةٌ ... يُبغَى كما يُبْغَى الجمالُ ويُعشَق
إن زوّجوكَ بهنّ فهْيَ عقيدةٌ ... ومن العقائدِ ما يَلَبُّ ويَحْمُق[9]

١ تحسر : من حسر البصر كل لطول مدى .
٢ جلق : دمشق .
٣ مفتق : من فتق قرن الشمس أصاب فتقاً من السحاب فبدأ منه .
٤ تعنو : تخضع وتذل .
٥ الفيلق : الكتيبة العظيمة .
٦ النمرق : الوسادة الصغيرة .
٧ موبق : مهلك .
٨ تصدق : من أصدق الرجل المرأة أي سمّى لها صداقها .
٩ يلب : من لب أي صلو لبياً .

ما أجملَ الإيمانَ !! لولا ضَلّةٌ ... في كلِّ دِينٍ بالهدايةِ تُلصَق
زُفّتْ إلى ملكِ الملوكِ يَحثُّها ... دِينٌ ، ويدفعها هَوًى وتَشوُّق
ولربّما حَسَدَتْ عليكَ مكانَها ... تِربٌ تَمَسَّحُ بالعروس وتُحْدِق[1]
مَجْلُوّةٌ في الفُلْكِ يَحدو فُلْكَها ... بالشاطئَيْن مُزَغرِدٌ ومُصفّق[2]
في مِهرجَانٍ هزّتْ الدنيا به ... أعطافَها ، واختالَ فيه المَشْرق
فرعونُ تحتَ لوائِه ، وبَناتُه ... يَجري بهنّ على السفينِ الزَّوْرَق
حتى إذا بلغتْ مواكبُها المَدَى ... وجرى لغايته القضاءُ الأسْبق
وكسا سماءَ المِهرجانِ جلالةً ... سيفُ المنية وهو صَلْتٌ يبرقُ[3]
وتَلفّتتْ في اليمِّ كلُّ سفينةٍ ... وانثال بالوادي الجموعُ وحدّقوا[4]
ألقتْ إليكَ بنفسها ونفيسِها ... وأتتكَ شيّقةً حواها شيِّق
خلَعت عليكَ حياءَها وحياتَها ... أأعزُّ من هذين شيءٌ يُنفَق ؟
وإذا تَناهى الحبُّ واتفقَ الفِدى ... فالروحُ في بابِ الضحيَّة أَليَق
ما العَالمُ السُّفليُّ إلا طِينَةٌ ... أزليّةٌ فيه تُضيءُ وتَغسِق
هي فيه للخِصْبِ العميمِ خميرةٌ ... يَنْدَى بما حملتْ إليه ، ويَبثُق
ما كان فيها للزيادةِ مَوْضِعٌ ... وإلى حِماها النقصُ لا يتطرّق
مُنبَثّةٌ في الأرضِ ، تَنتظمُ الثّرى ... وتنالُ مِمَّا في السماءِ ، وتَعْلَق
منها الحياةُ لنا ، ومنها ضِدُّها ... أبداً نَعودُ لها ، ومنها نُخلَق
والزّرعُ سُنْبُلُه يطيبُ ، وحَبُّه ... منها ، فيخرج ذا ، وهذا يفلق
وتَشدُّ بيتَ النحلِ ، فهو مُطنَّبٌ ... وتَمُدُّ بيتَ النّمل ، فهو مروَّق
وتظلُّ بين قوى الحياةِ ، جوائلاً ... لا تستقرُّ ، دوائلاً لا تُمْحَق

١ الترب : من ولد معك .
٢ يحدو : من حدا الإبل ساقها وغنى لها .
٣ الصلت : السيف الصقيل الماضي .
٤ انثال : أي انصب .

هي كِلمةُ الله القديرِ ، ورُوحُه في الكائنات ، وسرُّه المستغلِق

في النجم والقمرين مظهُرها ، إذا طلعَتْ على الدنيا ، وساعةَ تَخفُق

والذرُّ والصَّخَراتُ مِمَّا كَوَّرتْ والفيلُ مما صَوَّرَتْ ، والخِرْنِق[1]

فتنتْ عقولَ الأولين ، فأَلَّهوا من كلّ شيءٍ ما يَرُوع ويَخرُق

سجَدوا لمخلوق ، وظنُّوا خالقاً مَنْ ذا يُمَيِّزُ في الظلام ويَفرُق ؟

دانت بآبِيسَ الرعيةُ كلُّها من يستغلُّ الأَرضَ ، أَو من يَعزق

جاءُوا من المرعى به يمشي ، كما تَمشي وتَلْتَفِتُ المهاةُ وتَرْشقُ

داجٍ كجنح الليل زان جبينهُ وَضَحٌ عليه من الأَهلَّة أَشْرَق[2]

العسجد الوهّاجُ وشْيُ جلالِه والوردُ مَوْطِئُ خُفِّه ، والزَّنْبَق

ومن العجائِب بَعْدَ طولِ عبادةٍ يُؤْتَى به حوضَ الخلودِ فيُغْرَق

ياليتَ شعري : هل أَضاعوا العهدَ ، أَم حَذِروا من الدنيا عليه وأَشفقوا ؟

قومٌ وقارُ الدّين في أَخلاقهم والشعبُ ما يعتاد أَو يتخَلَّق

يَدعُون خلفَ السِّتر آلهةً لهم ملأُوا النَّدِيَّ جلالةً ، وتَأَبّقوا[3]

واستحجبوا الكُهّانَ ، هذا مُبلغٌ ما يهتِفون به ، وذاك مُصدِّق[4]

لا يُسأَلون إذا جرت أَلفاظُهم مِنْ أَين للحجر اللسانُ الأَذلَقُ ؟

أَو كيف تخترق الغيوبَ بهيمةٌ فيما يَنوب من الأُمور ويَطْرُق ؟

وإذا همو حجّوا القبورَ حسبتهم وَفْدَ العتيقِ بهم تَرامَى الأَيْنُق[5]

يأْتون طيبةَ بالهَدِيِّ أَمامَهم يغشى المدائنَ والقرى ويُطَبِّق[6]

١ الخرنق : الفتى من الأرنب .
٢ الوضح : الغرة ، والوضح : التحجيل في القوائم .
٣ النديّ : النادي .
٤ استحجبوا الكهان : أي ولوهم الحجابة ، وهي خطة الحاجب أي البواب .
٥ العتيق : الكعبة .
٦ الهدي : ما يهدي إلى الحرم من النعم ، وقيل : هو جمع الهدي ، واحدتها هدية .

فالبرُّ مشدودُ الرَّواحلِ مُحْدَجٌ ... والبحرُ ممدودُ الشِّراعِ مُوَسَّق[1]
حتى إذا ألْقَوْا بهيكلها العصا ... وَفَّوا النذورَ ، وقرَّبوا ، واصَّدَّقوا
وجَرَتْ زوارقُ بالحجيج ، كأنها ... رُقْطٌ تَدافعُ ، أو سهامٌ تَمْرُق[2]
من شاطئ فيه الحياةُ لشاطئ ... هو مُضْجَعٌ للسابقين ومِرفق
غَرَبوا غروبَ الشمسِ فيه ، واستوى ... شاهٌ ورُخٌّ في الترابِ وبَيْدق[3]
حيثُ القبورُ على الفضاءِ كأنها ... قِطَعُ السحابِ ، أو السرابُ الدَّيْسَق[4]
للحقِّ فيه جَوْلةٌ ، وله سَناً ... كالصبح من جَنَباتِها يَتَفلَّق
نزلوا بها فمشى الملوكُ كرامةً ... وجثا المُدِلُّ بماله والمُمْلق
ضاقت بهم عَرَصاتُها ، فكأنما ... رَدَّتْ ودائعَها الفلاةُ الفَيْهَق
وتَنادم الأحياءُ والموتى بها ... فكأنهم في الدهر لم يتفرّقوا

* * *

أصلُ الحضارةِ في صَعيدِكَ ثابتٌ ... ونَباتُها حَسَنٌ عليك مُخلَّق
وُلدَتْ ، فكنتَ المهدَ ، ثم ترعرعَتْ ... فأظلَّها منكَ الحَفيُّ المُشْفِق
ملأت ديارَك حكمةً ، مأثورُها ... في الصخر والبَرْدِي الكريمِ مُنَبَّق
وَبَنَتْ بيوتَ العلم باذخةَ الذُّرَى ... يسعى لهن مُغَرِّبٌ ومُشَرِّق
واستحدثتْ دِيناً ، فكان فضائلاً ... وبناءَ أخلاقٍ يطول ويَشْهَق
مَهَدَ السبيلَ لكلِّ دِينٍ بعدَه ... كالمسك رَيَّاه بأخرى تُفْتَق[5]
يدعو إلى بِرٍّ ، ويرفع صالحاً ... ويعاف ما هو للمروءة مُخلِق

١ محدج ، من حدج الأحمال : شدها ووسقها .
٢ رقط : واحدتها رقطاء وهي الحية .
٣ الرخ ، والبيدق : قطعة شطرنج يلعب بها .
٤ الديسق : بياض السراب وترقرقه ، وهو اسم للسراب أيضاً ، وتطلق كذلك على كل شيء ينير ويضيء .
٥ تفتق : من فتق المسك بغيره استخرج رائحته بشيء يدخله عليه .

للناسِ من أسرارِه ما عُلِّموا ولشُعْبةِ الكَهَنوتِ ما هو أعمق
فيه محلٌّ للأقانيم العُلى ولجامع التوحيدِ فيه تَعَلُّق
تابوتُ موسى ؛ لا تزال جلالةٌ تبدو عليك له ، ورَيًّا تُنْشَق
وجمالُ يوسُفَ ؛ لا يزال لواؤُهُ حَوْلَيك في أُفُق الجلال يُرنِّق
ودموعُ إخوته ؛ رسائلُ توبةٍ مَسْطُورُهُنّ[1] بشاطئَيْك مُنمَّقُ
وصلاةُ مريم ؛ فوقَ زرعك لم يزل يَزكو لذكراها النبات ويَسمُق
وخُطَى المسيح عليك روحاً طاهراً بركاتُ ربِّك ، والنعمُ الغَيدَق
وودائعُ الفاروقِ عندك ، دينه ولواؤُه ، وبيانُه ، والمنطِق[1]
بعث الصحابةَ يَحملون من الهدى والحقِّ ما يُحيي العقولَ ويَفتق
فَتْحُ الفتوح ، من الملائك رزْدَقٌ فيه ، ومن أصحاب بدرٍ رَزْدَق[2]
يبنون لله الكنانةَ بالقنا والله من حول البناءِ مُوَفِّق
أحلاسُ خيل ، بَيْدَ أن حسامَهم في السلم من حذرِ الحوادثِ مُقْلَق
تُطوَى البلادُ لهم ، ويُنْجِدُ جيشُهم جيشٌ من الأخلاقِ غازٍ مُورِق
في الحقِّ سُلَّ وفيه أُغْمِد سيفُهم سيفُ الكريم من الجَهالة يَفرَق
والفتحُ بغيٌ لا يهوِّن وَقْعَه إلا العفيفُ حسامُه ، المترفِّق
ما كانت «الفسطاطُ» إلا حائطاً يأوي[1] الضعيفُ لركنه والمُرهَق
وبه تلوذُ الطيرُ في طلبِ الكرَى ويبيتُ «قيصرُ» وهْو منه مؤرَّق
«عَمْرو» على شطبِ الحصير مُعصَّبٌ بقلادةِ الله العَليِّ مُطوَّق[3]
يدعو له «الحاخامُ» في صلواته موسى ، ويسأل فيه عيسى البَطْرَقُ
يا نيلُ ، أنتَ بطيب ما نَعتَ «الهدى» وبمِدْحةِ التوراةِ أحْرَى أَخْلَق

١ الفاروق : عمر بن الخطاب .
٢ الرزدق : الصف من الناس .
٣ الشطب : السعف الأخضر الرطب من جريد النخل .

وإليك يُهْدِي الحمدَ خَلْقٌ حازهم كَنَفٌ على مَرِّ الدهورِ مُرَهَّق
كَنَفٌ «كَمَعْنٍ» ، أوكساحة «حاتم» خَلْقٌ يُوَدِّعُه ، وخَلْقٌ يَطْرُق
وعليك تُجلَى منَ مَصونات النُّهَى خُودٌ ، عرائسُ ، خِدْرُهنّ المُهرَق
الدرُّ في لَباتهنّ مُنَظَّمٌ والطيبُ في حَبراتهنّ مُرَقْرَق
لي فيكَ مدْحٌ ليس فيه تكلُّفٌ أملاه حُبٌّ ليس فيه تَمَلُّق
مما يُحمِّلنا الهوى لكَ أَفْرُخٌ سنطير عنها ، وهي عندك تُرزَق
تَهْفُو إليهم في التراب قلوبُنا وتكاد فيه بغير عِرْقٍ تَخْفُق
تُرْجَى لهم ، واللهُ جلَّ جلالُه منا ومنك بهم أبَرُّ وأرفق
فاحفظ ودائعَك التي استُودِعْتَها أنت الوفيُّ إذا اؤتمنتَ الأَصدق
للأرض يومٌ ، والسماءِ قيامةٌ وقيامةُ «الوادي» غداةَ تَحلّق[1]

نَكْبَةُ دِمَشْق*

سلامٌ من صَبا بَرَدَى أَرقُّ ودمعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دِمَشْقُ[2]
ومعذِرة اليَرَاعةِ والقوافي جلالُ الرُّزْءِ عن وَصْفٍ يَدِقُّ[3]
وذكرى عن خواطرِها لقلبي إليكِ تلفُّتٌ أبداً وخَفْق
وبي مما رَمَتْكِ بهِ الليالي جراحاتٌ لها في القلب عُمْق
دخلتكِ والأَصيلُ له ائتلاقٌ ووجهُك ضاحكُ القسماتِ طَلْق[4]

١ تحلق : تجف ، من حلقت الابل إذا ارتفع لبنها وجف .
* قيلت في حفلة أقيمت لإعانة منكوبي سوريا بتياترو حديقة الأزبكية في يناير سنة ١٩٢٦
٢ بردى : نهر دمشق .
٣ الرزء : المصيبة .
٤ ائتلاق : من ائتلق لمع وأضاء .

وتحتَ جنانِك الأنهارُ تجري ومِلءُ رُباك أوراقٌ ووُرْق[1]
وحولي فتيةٌ غُرٌّ صِباحٌ لهم في الفضلِ غاياتٌ وَسَبْق
على لهواتهم شعراءُ لُسْنٌ وفي أعطافِهم خُطباءُ شُدْق[2]
رُواةُ قصائدي ، فاعجبْ لشعرٍ بكلٍّ محلَّةٍ يَرْوِيه خَلْق
غَمزتُ إباءَهم حتى تلظَّتْ أنوفُ الأُسْدِ واضطرَم المَدَق[3]
وضجَّ من الشَّكيمةِ كلُّ حُرٍّ أبيٍّ من أُميَّةَ فيه عِتْق[4]

* * *

لحاها اللهُ أنباءً توالتْ على سَمْعِ الوليِّ بما يَشُقّ[5]
يُفصِّلها إلى الدنيا بَريدٌ ويُجْمِلُها إلى الآفاق بَرْقُ[6]
تكادُ لروعةِ الأحداثِ فيها تخال من الخُرافةِ وهْيَ صِدْق
وقيل : معالمُ التاريخ دُكَّت وقيل : أصابها تلفٌ وحَرَق
ألستِ – دِمَشقُ – للإسلام ظِئْراً ومُرْضِعَةُ الأُبُوَّةِ لا تُعَقّ ؟[7]
صلاحُ الدين ؛ تاجُك لم يُجَمَّل ولم يُوسَم بأزين منه فَرْق
وكلُّ حضارةٍ في الأرض طالتْ لها من سَرْحِكِ العُلْويِّ عِرْق[8]
سماؤكِ من حُلَى الماضي كتابٌ وأرضُك من حلى التاريخ رق[9]
بنيْتِ الدولةَ الكبرى ومُلكاً غبارُ حضارتَيْه لا يُشَقّ

١ الورق : جمع ورقاء وهي الحمامة .
٢ لهوات : جمع لهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم . لسن : من لسن الرجل فصح ، أو تناهى في الفصاحة والبلاغة .
٣ المدق : قصبة الأنف .
٤ الشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة في فم الفرس .
٥ الولي : المحب والصديق .
٦ يجمل ، من أجمل الكلام : فصله وبينه .
٧ الظئر : المرضعة .
٨ السرح : الشجر العظام .
٩ الرق : جلد رقيق يكتب فيه .

له بالشامِ أعلامٌ وعُرْسٌ ... بشـائرُه بأندلُسٍ تدَق

* * *

رباعُ الخلدِ – وَيْحَكِ – ما دَهاها؟ ... أحقٌّ أنها دَرَستْ؟ أَحَقُّ؟
وهل غُرَفُ الجنانِ مُنضَّداتٌ؟ ... وهل لنعيمهن كأمسِ نَسْقُ؟[1]
وأين دُمَى المقاصِرِ من حِجالٍ ... مُهَتَّكَةٍ، وأستارٍ تُشَقُّ[2]
بَرزْنَ وفي نواحي الأيْكِ نارٌ ... وخلفَ الأيكِ أفراخٌ تُزَقُّ
إذا رُمْنَ السلامةَ من طريق ... أَتتْ من دونه للموت طُرْق
بلَيْلٍ للقذائفِ والمنايا ... وراءَ سمائِه خَطْفٌ، وصَعْقُ
إذا عصفَ الحديدُ؛ احْمَرَّ أُفقٌ ... على جنباتِه، وأسودَّ أُفْق
سَلي مَنْ راعَ غِيدَكِ بعدَ وَهْنٍ ... أبين فؤادِه والصخرِ فَرْق؟[3]
وللمستعمرين – وإن ألانوا – ... قلوبٌ كالحجارةِ، لا تَرِقّ
رماكِ بطَيْشِه، ورمى فرنسا ... أخو حربٍ، به صَلَفٌ، وحُمْق
إذا ما جاءَه طُلَّابُ حَقٍّ ... يقول: عصابةٌ خرجوا وشَقّوا
دَمُ الثّوارِ تعرفُه فرنسا ... وتعلم أنه نورٌ وحَقّ
جرى في أرضِها، فيه حياةٌ ... كمُنْهَلِّ السماءِ، وفيه رزقُ[4]
بلادٌ ماتَ فِتْيَتُها لِتحيا ... وزالوا دونَ قومِهِمُ ليبقوا
وحُرِّرت الشعوبُ على قَناها ... فكيف على قناها تُستَرَق؟[5]
بني سوريَّةَ، اطَّرِحوا الأماني ... وأَلْقُوا عنكمُ الأحلامَ، أَلْقوا
فمِنْ خِدَعِ السياسة أن تُغَرُّوا ... بألقاب الإمارةِ وهْيَ رِقُّ

---

١ منضد : منسق .
٢ المقاصير : واحدتها مقصورة وهي الحجر .
٣ الوهن : نصف الليل ، أو بعده بساعة .
٤ منهل السماء : أي قطره .
٥ تسترق : تستعبد .

وكم صَيَد بدا لك من ذليل	كما مالت من المصلوب عُنُق[1]
فُتوق الملكِ تَحْدُثُ ثمّ تمضي	ولا يمضي لمختلفِين فَتق
نَصَحْتُ ونحن مختلفون داراً	ولكِنْ كلُّنا في الهمِّ شرق
ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ	بيانٌ غيرُ مختلفٍ ونُطْق
وقفتم بين موتٍ أو حياةٍ	فإن رمْتم نعيمَ الدهر فاشْقوا
وللأوطانِ في دَمِ كلِّ حُرٍّ	يَدٌ سلِفتْ ودَيْنٌ مُستحِق
ومن يَسقي ويَشربُ بالمنايا	إذا الأحرارُ لم يُسقوا ويَسقوا ؟
ولا يبنى الممالكَ كالضحايا	ولا يُدني الحقوقَ ولا يُحِقُّ
ففي القتلى لأجيالٍ حياةٌ	وفي الأسرَى فِدًى لهمو وعِتْق[2]
وللحريةِ الحمراءِ بابٌ	بكلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ
جزاكم ذو الجلالِ بني دِمَشقٍ	وعزُّ الشرقِ أوَّلُهُ دِمَشْقُ
نصرتم يومَ مِحنته أخاكم	وكلُّ أخٍ بنصرِ أخيه حق
وما كان الدُّروزُ قَبيلَ شرٍّ	وإن أُخِذوا بما لم يَستحِقُّوا
ولكنْ ذادَةٌ ، وقُراةُ ضيفٍ	كينبوعِ الصَّفا خَشُنوا ورَقُّوا[3]
لهم جبلٌ أشمُّ له شعافٌ	موارد في السحاب الجُونِ بُلق
لكلٍّ لبوءةٍ ، ولكلِّ شبْلٍ	نِضالٌ دونَ غايته ورَشْق
كأن مِن السَّمَوْألِ فيه شيئاً	فكلُّ جِهاتِه شرفٌ وخلْق

١ الصيد : ميل العنق تكبراً .
٢ العتق : الحرية .
٣ الذادة : جمع ذائد وهو الحامي .

رَمَضانُ وَلّى*

رمضانُ وَلّى ، هاتِها يا ساقي ... مُشتاقةً تسعى إلى مُشتاقِ
ما كان أكثَرَه على أُلّافِها ... وأقلَّهُ في طاعةِ الخَلّاق ! !
اللهُ غُفّارُ الذنوبِ جميعِها ... إن كان ثَمَّ من الذنوب بَواقي
بالأمس قد كُنّا سَجينَيْ طاعةٍ ... واليومَ مَنَّ العيدُ بالإطلاق
ضحِكتْ إليَّ مِن السرور ، ولم تزل ... بنتُ الكُرومِ كَريمةَ الأعراق
هاتِ اسقِنيها غيرَ ذاتِ عواقبٍ ... حتى نُراعَ لصيْحَة الصَّفّاق[1]
صِرفاً مُسَلَّطةَ الشُّعَاعِ ، كأنما ... من وَجنَتَيْكَ تُدار والأحداق
حمراءَ أو صفراءَ ، إنَّ كريمَها ... كالغِيدِ ، كلٌّ مَليحةٍ بمذَاق
وحَذارِ من دَمِها الزكيِّ تُريقُهُ ... يَكفيك – يا قاسي – دَمُ العشاق
لا تَسقِني إلا دِهاقاً ، إنني ... أُسْقَى بكأْسٍ في الهموم دِهاق[2]
فلعلَّ سلطانَ المدامةِ مُخرِجي ... مِن عالمٍ لم يَحْوِ غيرَ نِفاق
(وطني ، أَسِفْتُ عليكَ في عيدِ المَلا ... وبكيتُ من وَجْدٍ ، ومن إشفاق)
(لا عيدَ لي حتى أَراك بأُمّةٍ ... شَمّاءَ راويةٍ من الأخلاق)
(ذهب الكرامُ الجامعون لأمرهم ... وبقِيتُ في خَلَفٍ بغير خَلاق)
(أيظلّ بعضُهمُ لبعضٍ خاذلاً ... ويقال : شعبٌ في الحضارة رَاقي) ؟
(وإذا أَراد اللهُ إشقاءَ القُرى ... جعلَ الهُداةَ بها دُعاةَ شِقاق)

* * *

* الأبيات التي بين قوسين ترجمتها جريدة الطان بقلم المرحوم عثمان باشا غالب .

١ الصفاق : الديك .

٢ الدهاق من الكئوس : الممتلئة .

العيدُ بينَ يَدَيْكَ يا ابْنَ محمدٍ ... نثَرَ السُّعودَ حُلًى على الآفاق
وأتى يقبِّل راحتَيْكَ ، ويَرْتجي ... أن لا يفوتكما الزمانَ تَلاقِ
قابلْتَه بسُعودِ وجهك والسَّنا ... فازداد من يُمْنٍ ، ومن إشراق
فاهنأْ بطالعِهِ السعيدِ ، يزينُه ... عيدُ الفقير ، وليلةُ الأرزاق
يتنزَّلُ الأَجرانِ في صُبحيْها ... جَزْلَيْن عن صَوْم وعن إنفاق[1]
إني أُجلُّ عن القتالِ سرائري ... إلّا قِتالَ البؤسِ والإملاق[2]
وأرى سُمومَ العالمين كثيرةً ... وأرى التعاونَ أنجعَ التِّرياق[3]
قسَمتْ بَنِيها ، واستبدَّتْ فوقَهم ... دُنيا تَعُقُّ ، لَئيمةُ الميثاق
واللهُ أتعبها ، وضلَّل كيدها ... من راحتيْك بوابلٍ غَيْداق
يَأْسو جِراحَ البائسين من الورى ... ويُساعِدُ الأَنفاسَ في الأَرْماق[4]
بلغ الكرامُ المجدَ حين جَرَوْا له ... بسوابقٍ ، وبَلغْتَه ببُراق
ورأَوْا غُبارَكَ في السُّها ، وتراكَضُوا ... مَنْ للنجوم ، ومَنْ لهم بلَحاق ؟
مَوْلايَ ، طِلْبَةُ مصرَ أن تَبْقى لها ... فإذا بَقِيتَ فكلُّ خيرٍ باق
سبق القريضُ إليك كلَّ مُهَنِّئٍ ... مِن شاعرٍ ، مُتَفَرِّدٍ ، سبَّاق
لم يَدَّخِرْ إلَّا رضاكَ ، ولا اقتنى ... إلَّا وَلاءَك أنفسَ الأعلاق[5]
إن القلوبَ — وأنتَ ملءُ صَميمِها — ... بَعَثَتْ تهانيهَا من الأعماق
وأنا الفتى الطَّائيُّ فيك ، وهذه ... كَلِمِي هَزَزْتُ بها أَبا إسحاق[6]

١ الأجران : مثنى أجر أي أجر زكاة الفطر والصوم .
٢ الاملاق : من أملق الرجل أنفق ماله حتى افتقر .
٣ الترياق : دواء مركب يدفع السموم .
٤ الأرماق : جمع رمق وهو بقية الحياة .
٥ الأعلاق : جمع علق وهو النفيس من كل شيء .
٦ الطائي : أبو تمّام الطائي الشاعر .
أبو إسحاق : المعتصم بالله .

مِصْر *

أيها الكاتبُ المصوِّرُ ، صَوِّرْ   مصرَ بالمنظرِ الأنيقِ الخليق
إن مصراً روايةُ الدهرِ ، فاقرأ   عِبرَةَ الدهرِ في الكتابِ العتيق
ملْعبٌ مَثَّل القضاءُ عليه   في صِبا الدهرِ آيةَ الصِّدّيق[1]
وامِّحَاءَ الكَليمِ آنسَ ناراً   والتجاءَ البَتُولِ في وقت ضيق[2]
ومنايا مِنا ، فكسرى ، فذي القَرْ   نَيْنِ ، فالقَيْصَرَيْنِ ، فالفاروق[3]
دُوَلٌ لم تَبِدْ ، ولكن توارت   خلْفَ سِتْرٍ من الزمان رَقيق
رَوْضَتي ازَّيَّنَتْ ، وأَبدَتْ حُلاها   حين قالوا : رِكابُكم في الطريق
مثلَ عَذْراءَ من عجائزِ روما   بشَّروها بزَوْرَةِ البطريق
ضَحِكُ الماءِ ، والأقاحي عليها   قابلتْه الغصونُ بالتصفيق[4]
زُرْنَها والربيعُ فَصْلاً ، فخفَّت   نحوَ رَكْبَيْكما خُفوفَ المشوق
فانزلا في عيونِ نرجِسها الغضِّ   صِياناً ، وفوق خَدِّ الشقيق

* قال وقد كان أعد وليمة إلى الكاتب الإنجليزي المستر هول كين .

١ الصديق : يوسف عليه السلام .

٢ امحاء : صعق .
الكليم : موسى عليه السلام .
البتول : مريم العذراء عليها السلام .

٣ الفاروق : عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٤ الأقاحي : جمع أقحوانة وهو نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء .

الْبَحْرُ الأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ

أيُّ الممالكِ ؟ أيُّها في الدهرِ ما رفعتْ شِراعَك ؟
يا أَبيضَ الآثارِ ، والصَّـ ـفحَاتِ ، ضُيِّعَ مَنْ أَضاعَك
إنَّ البيانَ ، وإنَّ حُسْـ ـنَ العقلِ ؛ ما زالا متاعَك
أَبـداً تُـذَكِّرنا الـذيـ ـن جَلَوْا على الدنيا شُعاعك
وبَـنَـوْا منـارَك عـالـياً مُتَأَلِّقاً ، وبَنَوْا قِلاعك
وتحكَّموا بك في الوجو دِ ، تَحكُّماً كان ابتداعَك
حتى إذا جئتَ الأَنا مَ بأَهل حكمتِه أَطاعك
واليومَ عَقَّ ، كأَنما ينسى جميلَك واصطناعَك
فابْلَعْ – فَدَيْتُكَ – كلَّ ما ئك ، فالملا ينوي ابتلاعك

وقال عندما زار قسم الأزهار والثمار في المعرض بباريس سنة ١٩٠١

رزق اللهُ أَهلَ باريسَ خيراً وأَرى العقلَ خيرَ ما رُزِقوه
عندهم للثمارِ والزّهر ممّا تُنجب الأَرضُ مَعْرِضٌ نَسقوه
جنَّةٌ تَخلِب العقولَ ، وروضٌ تجمع العينُ منه ما فرقوه
من رآه يقول : قد حُرموا الفر دوسَ ، لكنْ بسحرهم سرقوه
ما ترى الكَرْم قد تشاكلَ ، حتى لو رآه السُّقَاةُ ما حقَّقوه ؟
يُسكِرُ الناظرين كَرْماً ، ولمَّا تَعْتَصِرْهُ يَدٌ ، ولا عتَّقوه
صوَّروه كما يشاءُون ، حتى عَجبَ الناسُ : كيف لم يُنطِقُوه ؟
يجدُ المتَّقي يدَ الله فيه ويقول الجَحودُ : قد خَلَقوه

بَارِيسُ

جَهْدُ الصَّبابةِ ما أُكابدُ فيكِ ... لو كان ما قد ذُقْتُه يكفيكِ
حتَّامَ هِجراني ؟ وفيمَ تَجنُّبي ؟ ... وإلامَ بِيَ ذُلُّ الهوى يُغريكِ ؟
قد مُتُّ من ظَمَأٍ ، فلو سامَحْتِني ... أن أَشتهيَ ماءَ الحياةِ بفيكِ !!
أَجدُ المنايا في رضاكِ هي المُنى ... ماذا وراءَ الموتِ ؟ ما يُرْضيكِ ؟
يا بنتَ مَخضوبِ الصوارمِ والقنا ... بَرِئَتْ بَنانُكِ من سلاحِ أَبيكِ
فخضابُ تلك ، من العيونِ وِقايةٌ ... وخصابُ ذاك من الدمِ المسفوكِ
جَفْناكِ ؛ أيُّها الجريُّ على دمي ؟ ... بأَبي هُمَا مِنْ قاتلٍ وشَريكِ !!
بالسيفِ ، والسحرِ المُبينِ ، وبالطِّلى ... حَمَلا عَليَّ ، وبالقنا المَشبوكِ[1]
بهما وبي سقمٌ ، ومِنْ عَجَبِ الهوى ... عُدْوانُ مُنْكَسِرٍ على مَنْهوكِ
رِفقاً بمسبلَةِ الشئونِ قريحةٍ ... تسلو عن الدنيا ولا تَسْلوكِ[2]
أَبكيتِها ، وقعدتِ عن إنسانها ... يا لَلرِّجالِ لِمُغرَقٍ متروكِ[3]
ضَلَّت كَرَاها في غَياهِبِ حالِكٍ ... ضَلَّ الصباحَ عليه صوتُ الديكِ
رقَّ النسيمُ على دُجاه لأَنَّني ... ورَثى الحالي في السماءِ أَخوكِ[4]
قاسيتُه ، حتى انجلى بالصبحِ عن ... سِرِّي المَصُونِ ، ومَدْمَعي المهتوكِ
سُلَّت سيوفُ الحيِّ ، إلَّا واحداً ... إِفْرِنْدُه في جَفْنِه يَحْميكِ[5]

١ الطلى : الخمر .
٢ مسبلة : من أسبل الدمع ، أي أرسله .
الشئون : الدموع .
٣ انسانها : إنسان العين ، وهو المثال يرى في سوادها .
٤ أخوك : يعني البدر .
٥ الافرند : جوهر السيف ووشيه .

جَرَّدْتِه في غيرِ حقٍّ ، كالأُلَى سَلُّوا سيوفَهُمُ على أَهليك
طلعتْ على حَرَمِ الممالكِ خيلُهم ناراً سَنابِكُها على البلجيك[1]
البأْسُ والجبروتُ في أَعْرافِها والموتُ حولَ شَكيمها المعْلوك[2]
عَرتْ لياجَ عن الحصونِ ، وَجَرَّدَتْ نامورَ عن فُولاذِها المشكوك
تَمشي على خَطِّ الملوكِ وخَتْمِهم وعلى مصُونِ مَواثِقٍ وصُكُوك[3]
والحربُ لا عقلٌ لها فتسومها ما ينبغي من خُطَّةٍ وسلوك
دَكَّت حصونَ القوم إِلَّا مَعْقِلاً من نَخْوَةٍ ، وحَمِيَّةٍ ، وفُتوك
وإذا احتمى الأَقوامُ باستقلالهم لاذوا بركنٍ ليس بالمدْكوك
ولقد أَقول وأَدمُعي مُنْهَلَّةٌ : باريزُ ، لم يعرفكِ مَنْ يَغْزوكِ
ما خِلْتُ جَنَّاتِ النعيم ولا الدُّمى تُرمَى بمشهود النهار سَفوك[4]
زعموكِ دارَ خلاعةٍ ، ومَجانةٍ ودَعارةٍ : يا إِفكِ ما زعموك !
إِن كنتِ للشهواتِ رِيًّا ؛ فالعُلا شَهَوَاتُهنَّ مُرَوَّيَاتٌ فيك
تلِدِينَ أَعلامَ البيانِ ، كأَنهم أَصحابُ تيجانٍ ، ملوكُ أَريك
فاضت على الأَجيال حكمةُ شِعرِهم وتفجَّرَتْ كالكوثر المعْروك[5]
والعلمُ في شرقِ البلادِ وغربِها ما حجَّ طالبُه سوى ناديك
العصرُ ؛ أَنتِ جمالُه ، وجلالُه والركنُ من بُنْيَانِه المَسْمُوك[6]
أَخذَتْ لواءَ الحقِّ عنكِ شُعوبُه ومشَتْ حَضارتُه بنور بَنيك

١ سنابكها : جمع سنبك ، وهو طرف الحافر .
٢ أعرافها : الواحد عرف ، وهو شعر عنق الفرس .
المعلوك : من علك الفرس اللجام : لاكه وحركه في فمه .
٣ أي أنها انتهكت المعاهدات .
٤ يعني الحرب .
٥ ماء معروك : أي مزدحم عليه .
٦ المسموك : المرتفع .

وخِزانةُ التاريخِ ؛ ساعةُ عَرْضِها للفَخرِ ؛ خيرُ كنوزها ماضيك
ومن العجائِبِ أَن واديكِ الشَّرَى ومَراتع الغزلانِ في واديك[1]
يا مكتبي قبلَ الشبابِ ، وملعبي ومَقيلَ أيامِ الشباب النُّوك[2]
ومراحَ لذَّاتي ، ومَغداها على أُفُقٍ كجنّاتِ النعيم ضَحُوك
وسماءَ وَحْيِ الشِّعر من مُتدفِّقٍ سَلِسٍ على نَوْلِ السماءِ مَحُوك[3]
لما احتملتُ لكِ الصَّنيعةَ ، لم أَجد غيرَ القوافي ما به أَجزيك
إن لم يَقُوكِ بكل نفسٍ حُرَّةٍ فاللهُ جلّ جلالُه واقيك

وقال في صاحب أَهوج كثير الحركة والكلام :

لنا صاحبٌ قد مُسَّ إلا بقيَّة فليس بمجنون ، وليس بعاقل
له قَدَمٌ لا تستقرُّ بموضع كما يتنَزَّى في الحصى غيرُ ناعل[4]
إذا ما بدا في مجلسٍ ظُنَّ حافلاً من الصَّخَب العالي ، وليس بحافل
ويُمطرنا من لفظهِ كلَّ جامدٍ ويُمطرنا من رَيْلِه شرَّ سائل[5]
ويُلقي على السُّمَّارِ كفًّا دِعابُها كعَضَّةِ بَرْدٍ في نواحي المفاصل

وقال يشيع صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو مسافر ، وفيها وصف لبعض الأماكن المقدسة :

محجوبُ ، إن جئتَ «الحجا زَ» ، وفي جوانحك الهوى له
شوقاً ، وحباً بالرسو ل ، وآلهِ أَزكى سُلاله
فلَمحتَ نَضْرَةَ بانِه وشممتَ كالرَّيْحان ضالَه
وعلى العتيق مَشَيْتَ تنـ ـظر فيه دمعَك وانهماله

....

١ الشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل .
٢ النوك : جمع أنوك ، وهو الأحمق ، وقيل : العاجز الجاهل .
٣ محوك : من حاك أي نسج .
٤ يتنزى : يثب .
٥ الريل : اللعاب . من رال الصبيّ ريلاً أي جرى لعابه .

ومضى السُّرى بك حيثُ كا ن الروحُ يسري والرِّساله
وبلغتَ بيتاً بالحجا ز ، يُبارك الباري حِياله
اللهُ فيه جلا الحرا مَ لخلقه ، وجلا حلاله
فهناك طِبُّ الروحِ ، طِـ ـبُّ العالمين من الجهاله
وهناكَ أطلالُ الفَصَا حةِ ، والبلاغةِ ، والنَّباله
وهناك أزكى مسجَدٍ أزكى البريَّة قد مشى له
وهناك عُذْرِيُّ الهوىَ وحديثُ قَيْسٍ والغزاله
وهناك مُجرِي الخيل ، يجري في أعِنتها خياله
وهناك مَنْ جمعَ السماحة والرجاحة ، والبساله
وهناك خيَّمَت النُّهَى والعلمُ قد ألقى رِحاله
وهناك سَرْحُ حضارةٍ اللهُ فَيَّأنا ظِلالَه
إنَّ الحسَينَ بنَ الحسـ ـينِ أميرَ مَكَّةَ والإياله
قمرُ الحجيجِ إذا بدا دارُ الحجيجِ عليه هاله
أنتَ العليلُ ، فلُذ به مُستشفياً ، واغنم نَواله
لا طِبَّ إلا جَدُّه شافي العقولِ من الضَّلاله
قَبِّل ثراه ، وقُلْ له عني ، وبالغ في المقاله
أنا يا ابنَ أحمدَ بعدَ مَدْ حي في أبيك بخير حاله
أنا في حِمَى الهادي أبيـ ـك ، أحبُّهُ ، وأُجِلُّ آله
شوقي إليك على النَّوى شوقُ الضرير إلى الغزالة[1]
يا ابنَ للملوك الراشديـ ـن ، الصالحين ، أولي العَداله
إن كان بالملك الجلا لةُ ، فالنبيُّ لكم جلاله
أوَليس جدُّكمُ الذي بلغَ الوجودُ به كماله ؟

---

١ هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون بني عامر ، وله أحاديث يرجع إليها في الأغاني ، ومنها حديث الغزالة الآنفة .

طُوكيُو *

قِف بطوكيو ، وطُف على يوكاهامَه　　وسل القريتيْن : كيف القيامه !
دنت الساعةُ التي أُنْذِرَ النا　　سُ ، وحَلَّتْ أشراطُها والعلامه[1]
قِفْ ، تأَمَّلْ مَصارعَ القوم ، وانظُرْ　　هل ترى من ديار عادٍ دِعامه ؟
خُسفت بالمساكن الأَرضُ خَسْفاً　　وطَوَى أَهلُها بِسَاطَ الإقامه
طوَّفَتْ بـالمديـنتين المنايا　　وأَدارَ الردَى على القوم جامَه[2]
لا تَرى العينُ منهما أين جالت　　غيرَ نِقْضٍ ، أو رِمَّةٍ أو حُطامه[3]
حازَهم من مراجِل الأَرضِ قبرٌ　　في مدى الظَّنِّ - عُمْقُه أَلفُ قامه[4]
تحسبُ الميْتَ في نواحيه يُعيي　　نفخةَ الصور أن تُلمَّ عِظامه
أَصبحوا في ذَرا الحياة ، وأَمسوْا　　ذهبَتْ رِيحُهم وشالوا نَعامه[5]
ثِقْ بما شئتَ من زمانك ، إلَّا　　صحبةَ العيشِ ، أَو جِوارَ السلامه
دولةُ الشرق وهي في ذِرْوَة العزِّ　　تَحارُ العيونُ فيها فخامه
خانها الجيشُ وهْوَ في البرِّ دِرعٌ　　والأَساطيلُ وهْيَ في البحر لامه[6]
لو تأَمَّلْتَها عشيَّةَ جاشتْ　　خِلْتَها في يد القضاءِ حمامه
رجَّها رجَّةً أَكبَّتْ على قَرْ　　نَيْهِ بوذا ، وزلزلتْ أَقدامه

....

* وصف نكبة اليابان الأخيرة بالزلزال الشهير .
١ الأشراط : المفرد شرط : العلامة .
٢ الجام : الكأس .
٣ النقض : اسم البناء المنقوض .
٤ مراجل : جمع مرجل ، وهو القدر من الحجارة والنحاس .
٥ أي ارتحلوا وتفرقوا .
٦ اللامه : الدرع .

استعذنا بالله من ذلك السَّيْـ ـلِ الذي يكسحُ البلادَ أمامه
مَن رأى جَلْمَداً يَهُبُّ هُبوباً وحميماً يَسُحَ سحَّ الغمامه ؟[1]
ودخاناً يَلُفُّ جُنْحاً بجُنْحٍ لا ترى فيه مِعْصَميها اليمامه ؟
وهزيماً كما عَوى الذئبُ في كـ ـلِّ مكانٍ ، وزَمْجَرَ الضِّرغامه ؟

* * *

أَتت الأَرضُ والسماءُ بطوفا نٍ يُنَسِّي طوفانَ نوحٍ وعامه
فترى البحرَ جُنَّ ، حتى أَجاز الـ ـبرَّ ، واحتلَّ مَوْجُه أَعلامه
مُزْبِداً ، ثائرَ اللُّجاجِ ، كجيشٍ قَوَّضَ العاصفُ الهَبوبُ خيامه
فُلْكَ نوحٍ تعوذُ منه بنوحٍ لو رأَته ، وتستجير زِمامه
قد تخَيَّلتُهم مَتابيلَ سحرٍ من قراعِ القضاءِ صَرْعَى مُدامه
وتخيّلتُ مَنْ تخلَّف منهم ظنَّ ليلَ القيامِ ذاك ، فنامه
أَبراكينُ تلكَ ، أَم نَزَواتٌ من جراحٍ قديمةٍ مُلْتامه ؟[2]
تجد الأَرضُ راحةً حيثُ سالتْ راحةُ الجسم من وراءِ الحجَامه[3]
ما لها لا تَضِجُّ مما أَقلَّتْ من فساد ، وحُمِّلَت من ظُلامه ؟
كلما لُبِّسَتْ بأَهل زمانٍ شهِدَتْ من زمانهم آثامه
استووا بالأَذى ضَرًّا ، وبالشـ ـرِّ وُلوعا ، وبالدماءِ نَهامه
لبِّسَتْ هذه الحياةُ علينا عالَمَ الشرِّ : وَحْشَه ، وأَنامه
ذاك من مُؤنساتِه الظُّفْرُ والنّا بُ ، وهذا سلاحُه الصَمْصَامه
سَرَّهُ من أُسامةَ البَطْشُ والفتـ ـكُ ، فسَمَّى وليدَه بأُسامه[4]
لُؤِّمَتْ منهما الطباعُ ، ولكن وَلَدُ العاصِيَيْنِ شرٌّ لآمه ![5]

---

١ الحميم : الماء الحار .
٢ نزوات الجرح : سوراته ونزفاته .
٣ الحجامة : الفصد .
٤ أسامة : الأسد .
٥ العاصيين : آدم وحوّاء .

طَابَعُ الْبَرِيد*

أنا من خمسة وعشرين عاما | لم أُرحْ في رِضاكمُ الأقْداما
أَركبُ البحرَ تارةً ، وأَجوبُ الـ | ـبَرَّ طَوْراً ، وأَقطعُ الأيّاما
ويُوافي النفوسَ مِنِّي رسولٌ | لم يكن خائناً ، ولا نَمّاما
يَحمِلُ الغِشَّ والنصيحةَ ، والبغضا | ءَ والحُبَّ ، والرِّضَى والمَلاما
ويَعِي ما تُسِرُّه من كلامٍ | ويُؤَدِّي كما وعَاهُ الكلاما
ولقدِ أُضْحِكُ العَبُوسَ بيومٍ | فيه أُبْكِي المُنعَّمَ البسّاما
وأُهنِّي على النوى وأُعزِّي | وأُفيدُ الحِرْمانَ والإنعاما
وجزائي عن خدمتي ووَفائي | ثمنٌ لا يُكلِّف الأَقواما
رُبَّ عبدٍ قد اشتراني بمالٍ | وغُلامٍ قد ساقَ مِنِّي غُلاما
عرفَ القومُ في جنيفا مَحلِّي | وجَزَوْني عن خدمتي إِكراما
جامَلوني إذ تَمَّ لي رُبْعُ قَرْنٍ | مِثْلَما جاملوا الملوكَ العِظاما
ويوبِيلُ الملوكِ يَلْبَثُ يوماً | ويوبيلي يدوم في الناس عاما

* العيد الفضي – ١٠ سبتمبر سنة ١٩٠٠ – لطابع البوستة في جنيف – سلام على لسان البريد

الطَّيّارُونَ الْفَرَنْسِيُّون

قُمْ سليمانُ ، بِساطُ الريح قاما   مَلَكَ القومُ من الجوِّ الزِّماما
حينَ ضاقَ البرُّ والبحرُ بهم   أسرَجوا الريحَ ، وساموها اللِّجاما[1]
صارَ ما كانَ لكم مُعْجِزةً   آيةً للعلمِ آتاها الأَناما
قدرةٌ كنتَ بها مُنْفَرِداً   أصبحَتْ حِصَّةَ مَنْ جَدَّ اعتزاما
عينُ شمسٍ قام فيها ماردٌ   من عفاريتكَ يُدْعَى شباتهاما
يملأُ الجَوَّ عَزيفاً كُلَّمَا   ضرب الريحَ بسَوْطٍ والغَماما
مَلِكُ الجوِّ تليه عُصْبَةٌ   جمعتْ شَهْماً ، ونَدْباً ، وهماما[2]
استَوَوْا فوقَ «مناطيدهمُ»   ما يُبالونَ : حياةً ، أم حِماما
وقبوراً في السَّمٰواتِ العُلا   نَزَلوا ، أم حُفَرات ورَغاما[3]
مُطْمئِنِّين نفوساً ، كلَّما   عبَسَت كارثةٌ زادوا ابتساما
صهوةَ العِزِّ اعتلَوْا ، تحسبهم   جَمْعَ أملاكٍ على الخيل تَسامى
رفعوا «لَوْلَبَها» ، فاندفَعَتْ   هل رأيتَ الطيرَ قد زَفَّ وحاما ؟[4]
شال بالأَذناب كلٌّ ، وَرَمَى   بجَناحَيْهِ كما رُعْتَ النَّعاما
ذهبتْ تَسْمُو ، فكانت أَعقُباً   فنسوراً ، فصقوراً ، فحماما
تَنْبَرِي في زَرَقِ الأُفقِ ، كما   سبحَ الحُوتُ بدَأْماءٍ وعاما

١ سام : من سام فلاناً الأمر : كلفه إياه .
٢ الندب : الخفيف في الحاجة الظريف النجيب ، لأنه إذا ندب إليها خف لقضائها .
٣ الرغام : التراب .
٤ زف الطائر : رمى بنفسه أو بسط جناحيه .

بعْضُها في طلبِ البعضِ ، كما طاردَ «النّسرُ» على الجوِّ القُطاما[1]
ويراها عالمٌ في زُحَلٍ أرسلتْ من جانب الأرضِ سِهاما[2]
أو نجوماً ذاتَ أذنابٍ بدتْ تُنْذِرُ الناسَ نُشوراً وقِياما[3]
أترى القوّة في جُؤجُؤِهِ وهو بالجؤجؤ ماضٍ يترامى ؟[4]
أم تراها في الخوافي خَفِيَتْ أم مَقَرُّ الحَوْلِ في بعض القُدَامى ؟[5]
أم ذُناباه إذا حرّكه يَزِنُ الجسمَ هُبوطاً وقِياما ؟
أم بعينيه إذا ما جالتا تكشفان الجَوَّ غيثاً أم جَهاما ؟[6]
أم بأظفارٍ إذا شبَّكها نفذت في الريح دفْعاً واستلاما ؟
أم أمدَّتْهُ بروحٍ أُمُّه يوم ألقته وما جاز الفطاما ؟
فتلقّاه أبٌ ، كم من أبٍ دونَه في الناس بالوُلْدِ اهتماما !
فَلَكيٌّ هو ، إلّا أنه لم يَنَلْ فَهْماً ، ولم يُعْطَ الكَلاما
طِلْبَةٌ قد رامها آباؤنا وابتغاها من رأى الدهرَ غُلاما
أسقطَتْ «إيكارَ» في تَجْرِبَةٍ «وابنَ فِرْناسٍ» ، فما استطاعا قِياما
في سبيلِ المجدِ أودَى نَفَرٌ شُهداءُ العلمِ أعلاهُمْ مَقاما
خلفاءُ الرُّسْلِ في الأرض همو يَبْعَثُ اللهُ بهم عاماً فعاما
قطرةٌ من دمهم في مُلْكه تملأُ الملكَ جمالاً ونظاما

* * *

١ القطاما : الصقر .
٢ زحل : كوكب من الخنس ، سمّي به لبعده وتنحيه .
٣ نشوراً : من نشر الله الموتى : أحياهم .
٤ الجؤجؤ من الطائر : الصدر .
٥ الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، وقيل : هي الأربع اللواتي بعد المناكب .
الحول : القوة والقدرة على التصرف .
٦ الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

رَبِّ ، إن كانت لخيرٍ جُعِلَتْ　　فاجعلِ الخيرَ بناديها لزاما
وإن اعتزَّ بها الشرُّ غداً　　فتعالتْ تُمطِرُ الموتَ الزُّؤاما
فاملأْ الجوَّ عليها رُجُماً　　رحمةً منكَ ، وعدلاً ، وانتقاما

* * *

يا «فرنسا» ، لا عَدِمنا مِنَناً　　لكِ عند العلمِ والفنّ جُساما
لَطف اللهُ «بباريسَ» ، ولا　　لَقِيَتْ إلَّا نعيماً وسلاما
رَوَّعَتْ قلبي خُطوبٌ رَوَّعَتْ　　سامِرَ الأحياءِ فيها والنِّياما
أنا لا أدعو على «سينٍ» طَغَى　　إنَّ «للسِّينِ» — وإن جار — ذِماما
لستُ بالناسي عليه عِيشةً　　كانت الشهدَ ، وأحباباً كراما
اجعلوها رُسْلكم أهلَ الهوى　　تحملُ الأشواقَ عنكم والغراما
واستعيروها جَناحاً طالما　　شَغف الصَّبَّ وشاقَ المستَهاما
يحمِلُ المُضْنَى إلى أرضِ الهوى　　«يمَناً» حلَّ هَوَاهُ ، أم «شآما»

* * *

أركبُ الليثَ ، ولا أركبُها　　وأرى لَيْثَ الشَّرَى أوفى ذِماما
غَدَرَتْ «جيرونَ» ، لم تَحْفِلْ به　　وبما حاوَلَ مِنْ فَوْزٍ وراما
وقعتْ ناحيةً ، فاحترقت　　مِثْلَ قُرْصِ الشَّمسِ بالأفقِ اضطراما
راضها باليُمنِ مِنْ طَلعَتِه　　خيرُ مَنْ حَجَّ ، ومَنْ صَلَّى ، وصاما
كخليلِ اللهِ ، في حَضْرته　　خرَّتِ النارُ خُشُوعاً واحتراما

* * *

ما لروحي صاعداً ما ينتهي ؟　　أتُراه آثرَ الجوَّ ، فَرَاما ؟
كلَّما دارَ به دوْرَتَه　　أبدَت الريحُ امتثالا وارْتساما
أنا لو نِلْتُ الذي قد ناله　　ما هَبطْتُ الأرضَ أرضاها مُقاما
هل ترى في الأرضِ إلا حَسَداً　　ورياءً ، ونزاعاً ، وخِصاما ؟

مُلْكُ هذا الجوِّ في مَنْعَتِه طالما للنّجمِ والطّيْرِ استقاما
حَسَدَ الإنسانُ سِرْبَيْهِ بما أُوتيا في ذرْوَةِ العزِّ اعتصاما[1]
دخلَ العُشَّ على «أَنْسُرِهِ» أَتُرى يغشى من النّجم السَّناما ؟
أَيُّها الشرق ، انْتبِهْ من غفلةٍ ماتَ مَنْ في طُرُقاتِ السَّيل ناما
لا تقولَنَّ : عِظاميٌّ أَنا في زمانٍ كان للناسِ عِصاما
شاقت العلياءُ فيه خَلَفاً ليس يأْلوها طِلاباً واغتناما
كلَّ حينٍ منهمو نابغةٌ يفضُل البدرَ بهاءً وتماما

* * *

خالِقَ العُصْفورِ ، حيَّرْتَ به أُمَماً بادوا وما نالوا المَراما
أَفنَوا النَّقْدَيْنِ في تقليدِه وهو كالدِّرهم ريشاً وعِظاما

وَصْفُ مَرْقَصٍ*

طال عليها القِدَم فهي وجودٌ عَدَمْ
قد وُئِدَتْ في الصِّبا وانبعثَتْ في الهَرَم[2]
بالغَ فِرعونُ في كَرمِتِها من كرَم
أَهرق عُنقودَها تَقْدِمةً للصنم
خَبَّأَها كاهِنٌ ناحيةً في الهَرَم
اكتُشِفَتْ فامَّحَتْ غيرَ شَذاً أو ضَرَم

---

١ السرب : القطيع من الظباء والنساء وغيرها .
* وقال يصف « البال » الخديوي الذي أقيم سنة ١٩٠٣ بسراي عابدين .
٢ وئدت : من وأد ابنته دفنها في القبر وهي حية .

أو كخيال لها بعد متابٍ ألمّ[1]
نَمَّ بها دَنُّها وهْيَ عليه أنمّ
بي رَشأٌ ناعمٌ ما عرف العمرَ هَمّ[2]
أخرجها اللهُ كالـ ـزَّهرة ، والحسنُ كِمّ[3]
تخطُر عن عادلٍ لم يُرَ إلّا ظَلَم
تبْسِمُ عن لؤلؤٍ قَدَّرَه مَنْ قَسَم
كرَّمه في النّوى هذَّبه في اليتم[4]
مُضطهدٌ خَصْرُها جانِبُه مُهْتَضَم
طاوعَ مِنْ صَدْرِها أيَّ قَويٍّ حَكَم
حَمَّلَه ثِقْلَه ثُمَّ عليه ادَّعم
تسأل أترابَها مُومِئَةً بالعَنَم[5]
أيُّ فتًى ذٰلِكَـ ـنَّ العربيّ العَلَم ؟
يشربها ساهراً ليلتَه لم يَنَم
قُلْنَ : تجاهَلْتِه ذلك ربُّ القلم
شاعرُ مصرَ الذي لو خَفي النَّجمُ لَم
قلتُ لها : ليتَ لم نُرْمَ وفي نُتَّهَم
عاذلَتي في الطِّلى لو أنصفتْ لم ألَم
إن عَبس العيشُ لي عُذْتُ بها فابتسم
يشربُها كابرٌ بين ضلوعي أشَمّ

١ أي كخيال الخمر إذا ألم بالتائب عنها .
٢ رشا : الرشا ولد الظبية الذي قد تحرك ومشى .
٣ الكم : غطاء النور .
٤ اليتم : مصدر يقال : درة يتيمة أي ثمينة لا نظير لها .
٥ العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .

يذلُ ، إلّا النُّهى يَهتِك ، إلّا الحُرَم
يُكْسِبُها خُلْقَه يَمزجُها بالشِّيَم
يَمنعها حلمَه إن دفعتْه احتشم
تلك شموسُ الدّجَى أم ظَبياتُ الخِيَم ؟
تُقْبِلُ في موكبٍ شَقَّ سناه الظُّلَم
خِلْتُ بأنواره قرْنَ ذُكاءِ تَجَم
مقصِدُها سُدَّةٌ آلَ إليها العِظَم
حيث كبارُ المَلا بعضُ صغارِ الخدم
قد وقفوا للمَها فانسربتْ من أَمَم[1]
تخطِر مِن جمعهم بين ليوثٍ بُهَم[2]
خارجةً مِن شرًى داخلةً في أجم
ناعِمةً لم تُرَعْ لاهيةً لم تَجم
انتثرت لؤلؤاً في المُهَجاتِ انتظم
تَمرَح في مأمَنٍ مثلَ حَمام الحَرَم
مؤتلِفٌ سربُها حيث تلاقى التُّأم
مندفعاتٌ على مختلفاتِ النَّغم
بينَ يَدٍ في يَدٍ أو قَدَم في قَدَم
تذهب مَشْيَ القطا ترجع كَرَّ النَّسَم
تبعث أنّى بَدَتْ ضوءَ جبينٍ وفَم
تُعْجِل خطواً تَني فاتنة بالرَّسَم[3]

١ انسربت : يقال انسرب الظبيّ إذا دخل في سربه .
من أمم : أي من قريب .
٢ بهم : واحدها بهمة وهو الشجاع .
٣ تني : تتأنى . الرسم : حسن المشي .

تجمع مِنْ ذَيلها تتركه لَمْ يُلَمّ
ترفُل في مُخمَلٍ نَمٍّ ولمَّا يَتِمّ
تَتبعُ ، إلّا الهوى تَقْرَبُ ، إلّا التُّهَم
فاجتمعتْ فالتقتْ حولَ خِوانٍ نُظِم
مُنْتَهَبٍ كلَّما ظُنَّ به النقصُ تَمّ
مائدةٌ مَدَّها بحرُ نوالٍ خِضَمّ
تحسَبها صُوِّرَتْ من شهوات النَّهم
لم تُرَ في بابلٍ ما عُهِدَتْ في إرَم
حاتِمُ لو شامَها أقلعَ عما زَعَم
مَعْنُ لو انتابها أدركَ معنى الكرم
أشبَهُ بالبحر ، لا يُخْرِجُها مُزْدَحَم
قام لديها المَلا يبلغ ألفين ثَم
مقترحاً ما اشتهى ملتقياً ما رَسَم
لو طلَب الطيرَ من أيكتِه ما احترم[1]
يا ملِكاً لم تضِق ساحتُه بالأُمَم
تجمعُ أشرافها من عَرَبٍ أو عَجَم
تَخْطِر مَنْ أمَّها بين صنوف النِّعَم
سادةُ أفريقيا لُجَّتِها والأكَم
أنت رشيدُ العُلَى في المَلأَيْنِ احتَكِم[2]
ليلتُكم قدْرُها فوقَ غوالي القِيَم
مُشرِقةٌ ، مثلُها في زمنٍ لم يَقُم
لا برح الصفوُ في ظِلِّكمو يُغْتَنَم
ما شربوها وما طال عليها القِدَم

....

١ احترم الشيء : منعه .

٢ الملأين : العرب والعجم .

تُوت عَنْخ آمُونَ وحضَارَةُ عَصْرِه

دَرَجَتْ على الكنزِ القُرونْ وأتتْ على الدَّنِّ السُّنونْ[1]
خيرُ السيوفِ مضى الزما نُ عليه في خيرِ الجفون[2]
في منزلٍ كمُحَجَّب الـ غَيْبِ استَسَرَّ عن الظنون[3]
حتى أتى العلمُ الجسو رُ ففضَّ خاتَمَه المَصون
والعلم بَدْرِيٌّ ، أُحِـ ـلَّ لأَهله ما يصنعون[4]
هتك الحِجالَ على الحضا رةِ ، والخُدورَ على الفنون[5]
واندسَّ كالمِصباح في حُفَرٍ مِنَ الأَجْداثِ جُون[6]
حُـجَـرٌ مُمَرَّدَةُ المعا قِلِ في الثَّرى ، شُمُّ الحُصون[7]
لا تهتدي الريحُ الهَبو بُ لها ، ولا الغيثُ الهَتون
خـانت أمـانةَ جارِها والقـبْرُ كالدّنيا يَخون

* * *

يا ابنَ الثواقبِ من رَعٍ وابنَ الزّواهِرِ من أمُونْ[8]
نَسَبٌ عريقٌ في الضُّحى بَـذَّ الـقـبائلَ والبُطون

١ الدن ، باطية الخمر .
٢ الجفون : الأغماد .
٣ استسر : توارى .
٤ بدري : نسبة إلى بدر ، وفي الأثر أن أهل بدر مغفورة لهم هفواتهم .
٥ الحجال : جمع حجلة وهو ستر العروس في جوف البيت .
٦ جون : سود .
٧ ممرده : مطولة .
٨ رع وأمون : معبودان مصريان قديمان .

أَرأَيتَ كيف يَثُوب من غَمْرِ القضاءِ المُغْرَقون ؟
وتَدولُ آثارُ القُرو نِ ، على رَحَى الزَّمنِ الطَّحون ؟
حُبُّ الخلودِ بَنَى لكم خُلُقاً به تتفرّدون
لم يأخذِ المتقدِّمو ن به ولا المتأخِّرون
حتى تسابقتم إلى الإ حسان فيما تعمَلون
لم تتركوه في الجلي ـلِ ولا الحقيرِ من الشئون
هذا القيامُ ، فقل لنا : الـ ـيَوْمُ الأَخيرُ متى يكون ؟
البعثُ غايةُ زائلٍ فانٍ ، وأنتم خالدون
السَّبْقُ مِن عاداتِكم أَتُرى القيامةَ تسبِقون ؟
أنتم أساطينُ الحضا رةِ والبُناةُ المحسِنون
المتقِنون ، وإنما يُجزَى الخلودَ المتقنون

* * *

أَنَزَلْتَ حُفرةَ هَالكٍ أَم حجرةَ الملكِ المَكينْ ؟
أم في مكانٍ بينَ ذ لكَ يُدهش المتأمِّلين ؟
هو من قبور المُتْلَف ـين ، ومن قصور المُتْرَفين
لم يبقَ غالٍ في الحضا رةِ لم يَحُزْهُ ، ولا ثَمين
ميْتٌ تُحيط به الحيا ةُ ، زمانُه معه دَفين
وذخائرٌ من أعصُرٍ ولَّ ـتْ ، ومن دُنيا ودين
حملَتْ على العَجَبِ الزَّما نَ وأهلَه المستكبرين
فتلفَّتَتْ باريسُ تَحْ سَبُ أنها صنعُ البنين

* * *

ذهبٌ ببطنِ الأرضِ لم تذهبْ بلَمْحَتِهِ القُرون
استحدثَتْ لك جَنْدَلاً وصفائحاً منه القُيُون[1]

---

[1] القيون : الصناع .

وَنواوِساً وَهَّـــاجَـتَـةً لم يتَّخذها الهامدون[1]
لو يفطنُ الموتى لها سَرَحوا الأَناملَ يَنبشُون
وتنازعوا الذهبَ الذي كانوا له يتفَاتَنون

* * *

أكفانُ وَشْيٍ فُصِّلتْ برقائق الذهب الفَتِين[2]
قد لفَّها لَفَّ الضِّما دِ مُحَنَّطٌ آسٍ رَزين
وكـــأَنهنَّ كمائـــمٌ وكأَنكَ الوردُ الجَنين
وبكلِّ رُكن صورةٌ وبـكـلِّ زاوية رَقِين[3]
وترى الدُّمَى ، فتخالها انْـ ـتَثَرَتْ على جَنَباتِ زُون[4]
صُوَرٌ تُريكَ تَحَرُّكاً والأَصلُ في الصُّوَرِ السُّكون
ويمرُّ رائعُ صَمتِها بالحِسِّ كالنُّطق المُبين
صحبَ الزّمانَ دِهانُها حيناً عهيداً بعدَ حين[5]
غَضٌّ على طول البِلَى حَيٌّ على طول المَنُون
خَدَعَ العيونَ ولم يَزَلْ حتى تَحَدَّى اللَّامِسين
غِلمانُ قَصْرِك في الرِّكا بِ يُناولونَ ، ويَطْرُدون[6]
والبوقُ يهتِفُ ، والسِّها مُ تَرِنُّ ، والقوسُ الحَنون
وكلابُ صيدِكَ لُهَّثٌ والخيلُ جُنَّ لها جُنون
والوحشُ تَنْفرُ في السُّهو لِ ، وتارةً تَثِبُ الحُزُون

١ نواوس : توابيت .
٢ الفتين : المحرق .
٣ الرقين : الرقيم وهو الكتاب .
٤ الزون : معرض الأصنام .
٥ العهيد : القديم .
٦ يطردون : يزاولون الصيد .

والطيرُ تَرسُفُ في الجرا ... حِ ، وفي مَناقِرِها أنين
وكـأنَّ آبـاءَ البريَّـ ... ـةِ في المدائن مُحضَرون
وكأنَّ دُولةَ آلِ شمـ ... ـسٍ عن شمالكَ واليَمين[1]

* * *

ملِكَ الملوكِ ، تحيَّةٌ ... ووَلاءُ مُحتـفِـظ أَمين
هـذا المقـامُ عـرفتُه ... وسَبقتُ فيه القائلين
ووقـفتُ في آثـارِكم ... أَزِنُ الجلالَ وأستبين
وبنيتُ في العشرينَ من ... أَحجارِها شِعْري الرَّصين
سالتْ عيونُ قصائدي ... وجَرى من الحجَرِ المَعين
أَقْعَدتُ جيلاً للهوى ... وأقمتُ جيلاً آخَرين
كنتمْ خيالَ المجدِ يُرْ ... فعُ للشبابِ الطامِحين
وكم استعرتَ جلالكم ... لمحمَّـــــد والمالـــكين[2]
تاجٌ تَنَقَّلَ في الخيا ... لِ ، فما استقر على جَبين
خَرَزاتُه السيفُ الصقيـ ... ـلُ يَشدُّه الرمحُ السَّنين

* * *

قلْ لي : أَحينَ بدا الثَّرى ... لكَ ، هل جزعتَ على العَرين ؟
آنسْتَ مُلْكاً ليس بالشا ... كي السِّلاحِ ، ولا الحَصين
البَرُّ مغلوبُ القنا ... والبحرُ مَسلوبُ السفين
لما نظرتَ إلى الديا ... رِ صدَفتَ بالقلب الحزين[3]
لم تلقَ حولكَ غيرَ كرْ ... تَرَ ، والنِّطاسيِّ المُعين

١ آل الشمس : الفراعنة .
٢ الخديو محمد توفيق الأول .
٣ صدفت : أعرضت .

أَقبلتَ من حجُبِ الجلا   لِ على قبيلٍ مُعرضِين
تاجُ الحضارة حين أَشر   قَ لم يجدْهم حافلين
واللهُ يـعلم لم يَرَوْ   هُ من قرونٍ أَربعين

* * *

قَسَماً بمن يُحيي العظا   مَ ، ولا أَزيدُكَ من يَمين
لو كان مِنْ سَفَرٍ إِيا   بُكَ أَمسِ ، أَو فتحٍ مُبين
أَو كان بعثُكَ من دبيـ   ـبِ الرُّوح ، أَو نَبْضِ الوَتِين
وطلعتَ من وادي الملو   كِ ، عليكَ غارُ الفاتحين
الخيلُ حولَك في الجِلا   لِ العَسْجَدِيَّةِ يَنْثنينَ[1]
وعلى نِجادِكَ هالتا   نِ من القَنا ، والدَّارعين
والجندُ يدفعُ في رَكا   بكَ بالملوكِ مُصَفَّدينَ
لرأَيتَ جِيلاً غيرَ جيـ   ـلِكَ ، بالجبابرِ لا يَدِين
ورأَيتَ محكومِين قـد   نصبوا ، ورَدُّوا الحاكمين
روحُ الزَّمانِ ونَظْمُه   وسبيلُه في الآخرين
إِن الـزمـانَ وأَهـلَـه   فَرَغا من الفردِ اللعين
فـإِذا رأَيتَ مَشـايخاً   أَو فِتيةً لك ساجدين
لاقِ الزمانَ ، تَجدْهمو   عـن رَكْبِه مُتخلِّفين
همْ في الأَواخرِ مَوْلداً   وعقولُهم في الأَولين !

[1] الجلال : جمع جل وهو غطاء الفرس .

دِمَشْق

قم ناجِ جِلَّقَ ، وانْشُدْ رسمَ مَن بانوا ... مَشَتْ على الرَّسم أحداثٌ وأزمان[1]
هذا الأَديمُ كتابٌ لا كِفاءَ له ... رَثٌّ الصحائفِ ، باقٍ منه عُنوان[2]
الدِّينُ والوَحْيُ والأَخلاقُ طائفةٌ ... منه ، وسائره دُنيا وبُهتان
ما فيه إن قُلِّبَتْ يوماً جواهرُهُ ... إلّا قرائحُ مِن رادٍ وأذهان[3]
بنو أُميَّةَ للأَنباءِ ما فتحوا ... وللأَحاديثِ ما سادوا وما دانوا[4]
كانوا ملوكاً ، سَريرُ الشرقِ تحتَهُمُ ... فهل سأَلتَ سريرَ الغرب : ما كانوا ؟
عالِينَ كالشمسِ في أطراف دولتِها ... في كلِّ ناحيةٍ مُلكٌ وسلطان
يا ويحَ قلبيَ ! مهما انتاب أَرْسُمَهُم ... سَرى به الهمُّ ، أَو عادتهُ أَشجان
بالأمس قمتُ على الزهراءِ أَندُبُهم ... واليومَ دمعي على الفَيْحاءِ هتَّان[5]
في الأَرضِ منهم سماواتٌ ، وأَلْوِيَةٌ ... ونَيِّراتٌ ، وأَنواءٌ ، وعقبان
معادنُ العزِّ قد مال الرَّغام بهم ... لو هانَ في تُرْبهِ الإِبْريزُ ما هانوا
لولا دِمَشْق لمَا كانت طُلَيْطِلةٌ ... ولا زَهتْ ببني العبّاسِ بَغدان[6]
مررتُ بالمسجدِ المحزونِ أَسأَله ... هل في المُصَلَّى أو المحرابِ مَرْوان ؟
تَغَيَّرَ المسجدُ المحزونُ ، واختلفَتْ ... على المنابرِ أَحرارٌ وعِبدان

١ جلق : دمشق .
٢ الأديم : الأرض .
٣ الراد : الراديوم .
٤ ما دانوا : ما غلبوا من الأمم وقهروا .
٥ الزهراء : قصر خلفاء بني أمية بالأندلس .
٦ بغدان : إحدى لغات كثيرة في بغداد .

فلا الأذانُ أذانٌ في منارته   إذا تعالى ، ولا الآذانُ آذان

* * *

آمنتُ بالله ، واستثنيتُ جنَّته   دمشقُ رَوْحٌ ، وجنَّاتٌ ، ورَيْحان

قال الرفاقُ وقد هبَّتْ خمائلُها :   الأرضُ دارٌ لها الفيحاءُ بستان

جَرَى وصفَّقَ يلقانا بها بَرَدَى   كما تلقَّاك دونَ الخُلْدِ رضوان

دخلتُها وحواشيها ، زُمُرُّدَةٌ   والشمسُ فوق لُجَينِ الماءِ عِقْيان[1]

والجَوزُ في دُمَّرٍ ، أو حولَ هامَتِها   حورٌ كَوَاشِفُ عن ساقٍ ، وولدان[2]

و رَبْوَةُ الوادِ في جِلبابِ راقصةٍ   الساقُ كاسِيَةٌ ، والنحرُ عُريان

والطيرُ تَصدح من خلفِ العيونِ بها   وللعيونِ كما للطَّيرِ أَلحان

وأقبلتْ بالنَّبات الأرضُ مُختلِفاً   أَفوافُه ، فهْوَ أَصباغٌ وألوان[3]

وقد صَفَا بَرَدَى للرِّيح ، فابترَدَتْ   لدى ستورٍ ، حَواشيهنَّ أفنان

ثم انثنت لم يزل عنها البلالُ ، ولا   جفَّتْ مِنَ الماءِ أَذيالٌ وأردان

خَلَّفتُ لُبنانَ جنَّاتِ النعيم ، وما   نُبِّئْتُ أَنَّ طريقَ الخلدِ لُبنان

حتى انحدرتُ إلى فيحاءَ وارفةٍ   فيها النَّدَى ، وبها طَيٌّ وشَيْبان[4]

نزلتُ فيها بفِتيانٍ جَحَاجِحَةٍ   آباؤهم في شبابِ الدَّهرِ غسَّان[5]

بِيضِ الأَسِرَّةِ ، باقٍ فيهُمُ صَيَدٌ   من عبد شمس وإن لم تَبْقَ تِيجان[6]

١ العقيان : الذهب الخالص .
٢ دمر : ضاحية دمشق .
الجور : شجر عظيم يشبه السرو .
٣ أفوافه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب ، والمراد هنا الزهر .
٤ طي وشيبان : قبيلتا حاتم ومعن .
٥ جحاجح : جمع جحجح وهو السيد المسارع إلى المكارم .
غسان : أبو قبيلة باليمن ، منهم ملوك غسان وكانوا ملوكاً للشام .
٦ الصيد : رفع الرأس كبراً .
عبد شمس : يعني بني أمية .

يا فتيةَ الشام ، شكراً لا انقضاءَ له ... لو أن إحسانَكم يَجزيه شُكران
ما فوقَ راحاتِكم يومَ السماحِ يَدٌ ... ولا كأوطانكم في البشر أوطان
خميلةُ اللهِ وشَتْها يَداهُ لكم ... فهل لها قَيِّمٌ منكم وجنَّان ؟
شِيدُوا لها الملكَ ، وابنوا ركنَ دولتها ... فالملكُ غرسٌ ، وتجديدٌ ، وبنيان
لو يُرجعُ الدهرُ مفقوداً له خَطَرٌ ... لآبَ بالواحد المبْكيِّ ثكلان
المُلكُ أنْ تعملوا ما استطعْتُمو عملاً ... وأن يَبينَ على الأعمالِ إتقان
الملكُ أن تُخرَجَ الأموالُ ناشِطةً ... لمطلبٍ فيه إصلاحٌ وعُمران
الملكُ تحتَ لسانٍ حوله أدبٌ ... وتحتَ عقلٍ على جَنْبَيْهِ عِرفان
الملكُ أن تتلاقَوْا في هوى وطنٍ ... تفرَّقت فيه أجناسٌ وأديان

* * *

نصيحةٌ مِلْؤها الإخلاصُ ، صادقةٌ ... والنُّصحُ خالصُه دِينٌ وإيمان
والشِّعر ما لم يكن ذكرى وعاطفةً ... أو حكمةً ؛ فهو تقطيع وأوزان
ونحن في الشرق والفُصْحى بنو رَحِمٍ ... ونحن في الجُرح والآلام إخوان

أختُ أمينَة*

هذه نورُ السفينة ... هذه شِبْهُ أمينهْ
هذه صورتُها مُنْـ ... ـبئةٌ عنها مُبينه
هذه لؤلؤةٌ عنـ ... ـدي لها مِثْلٌ ثمينه
من بناتِ الرومِ ، لكن ... لم تكن عندي مَهينه
أنا مَنْ يترك للديَّـ ... ـان في الدنيا شئُونه

* وقال وقد رأى في الفلك وهي ترجع به إلى مصر طفلة فيها من كريمته أمينة مشابهة .

يا مَلاكَ الفُلْكِ ، لي صِنْـ ـوُكِ في تلك المدينه[1]
أنتِ في الفُلْك بَهاءٌ وهْو في حُلْوانَ زِينه
ناجِهِ ، واذكُرْ له وجْـ ـدَ أبيه ، وحَنِينَه
وأَفِدْهُ : أنني في الـ ـبحر مذْ دُسْتُ عَرِينه
لستُ بالنفس ضَنيناً وبه نفسي ضَنينه
أسأل الرحمٰنَ يُرْعيـ ـكَ وإيّاهُ عُيونَه

أَنْدَلُسِيَّةٌ *

يا نائح الطلْحِ ، أشباهٌ عَوَادِينا نَشْجى لِوَادِيكَ ، أم نأْسَى لوادينا ؟[2]
ماذا تقُصُّ علينا غيرَ أنّ يداً قصَّتْ جَناحك جالت في حواشينا ؟
رمى بنا البينُ أيكاً غيرَ سامِرنا – أخا الغريب – وظِلاًّ غيرَ نادينا
كلٌّ رَمَتْهُ النَّوى : رِيشَ الفِراقُ لنا سَهْماً ، وسُلّ عليكَ البينُ سكِّينا
إذا دعا الشوقُ لم نَبرحْ بمُنْصَدِعٍ من الجناحين عيٌّ لا يُلَبِّينا
فإن يَكُ الجنسُ يا ابنَ الطَّلْحِ فرّقنا إنّ المصائبَ يجمعْنَ المُصابينا
لم تألُ ماءك تحْناناً ، ولا ظمأً ولا ادِّكاراً ، ولا شجوْا أفانينا[3]
تَجُرُّ من فنَنٍ ساقاً إلى فَنَنٍ وتسحبُ الذيلَ ترتادُ المؤاسينا[4]

١ الصنو : الأخ .
* نظمها في منفاه باسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف كثيراً من مشاهده ومعاهده .
٢ الطلح : نوع من الشجر ، سمّي به واد بظاهر إشبيليا كان ابن عباد شديد الولع به .
عوادينا : عوادي الدهر النازلة بنا ، وهي مصائبه .
٣ أفانين : أجناس .
٤ الفنن : الغصن المستقيم .

أساةُ جسمِكَ شتَّى حين تطلبهم فمَنْ لروحك بالنُّطْسِ المُداوينا ؟[1]

* * *

آها لنا نازحَيْ أيْكٍ بأَندَلُسٍ وإن حَلَلْنا رفيقاً من رَوَابينا ! !
رَسْمٌ وقفنا على رَسْمِ الوفاء له نَجيش بالدَّمع ، والإجلالُ يَثنينا
لِفِتْيَةٍ لا تنال الأرضُ أدمُعَهم ولا مَفارقَهم إلَّا مُصَلِّينا[2]
لو لم يسودوا بدينٍ فيه مَنْبَهةٌ للناسِ ؛ كانت لهم أخلاقُهم دينا[3]
لم نَسْرِ من حَرَمٍ إلَّا إلى حَرَمٍ كالخمرمن بابلٍ سارت لدارينا[4]
لما نَبا الخلدُ نابت عنه نُسْختُه تَماثُلَ الورْدِ خِيريًّا و نسْرينا
نسْقِي ثراهُمْ ثَناءً ، كلَّما نُثِرتْ دُموعُنا نُظِمتْ منها مراثينا
كادت عيونُ قوافينا تُحَرِّكُه وكِدْنَ يوقِظْنَ في التُّربِ السلاطينا
لكنَّ مصرَ وإن أَغضتْ على مِقَةٍ عَيْنٌ من الخُلْدِ بالكافور تَسقينا[5]
على جوانِبها رَفَّتْ تَمائِمُنا وحولَ حافاتِها قامتْ رَواقينا[6]
ملاعبٌ مَرِحَتْ فيها مَآرِبُنا وأَربُعٌ أَنِسَتْ فيها أَمانينا
ومَطْلَعٌ لِسُعودٍ من أَوَاخِرِنا ومَغْرِبٌ لجُدُودٍ من أَوَالينا
بِنَّا . فلم نَخلُ من رَوْحٍ يُراوِحُنا من بَرِّ مصرَ ، وَرَيْحَانٍ يُغادِينا[7]
كأمِّ موسَى ، على اسمِ الله تكْفُلُنا وباسمِهِ ذهبتْ في اليَمِّ تُلقِينا[8]

---

١ الأساة : الأطباء .
النطس : الأطباء الحذاق .
٢ يقصد بهم ملوك الأندلس .
٣ منبهة : أي شرف ورفعة .
٤ بابل ودارينا : مدينتان مشهورتان بجودة الخمر .
٥ المقة : المحبة .
٦ الرواقي : واحدها راقية ، وهي التي ترقي الصبيّ إذا كان به سحر .
٧ الروح : الرحمة والرزق .
٨ شبه مصر – حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج إلى المنفى – بأم موسى عليه السلام حين ألقته في اليم صبيًّا وسألت الله أن يكفله .

ومصرُ كالكَرْمِ ذي الإحسان فاكهةٌ لحاضِرينَ ، وأكوابٌ لبَادينا

* * *

يا ساريَ البرقِ يَرمي عن جوانحنا بعدَ الهدوءِ ، ويهمي عن مآقينا
لما تَرقرق في دمعِ السماءِ دماً هاج البكا ، فخَضبْنا الأرضَ باكينا
الليلُ يشهد لم نَهتِك دَياجيَهُ على نيامٍ ، ولم نهتِف بساليِنا
والنَّجمُ لم يَرَنا إلّا على قدمٍ قيامَ ليلِ الهوى ، للعهد راعِينا
كزفْرةٍ في سماءِ الليلِ حائرةٍ ممَّا نُرَدِّدُ فيه حين يُضْوينا
باللهِ إن جُبتَ ظلماءَ العُبابِ على نجائبِ النُّورِ مَحْدُوًّا بجرينا
تَرُدُّ عنك يداه كلَّ عاديةٍ إنساً يَعِثْنَ فساداً ، أو شياطينا
حتى حَوَتكَ سماءُ النيلِ عاليةً على الغيوث ، وإن كانت مَيامينا
وأحرزتكَ شُفوفُ اللازوَرْدِ على وَشْيِ الزَّبرْجَدِ من أفْوافِ وادينا[1]
وحازكَ الريفُ أرجاءً مُؤَرَّجةً رَبَتْ خمائلَ ، واهتزَّت بساتينا
فقِف إلى النيل ، واهتف في خمائله وانزل كما نزل الطلُّ الرَّياحينا
وآسِ ما بَاتَ يَذْوي من منازلنا بالحادثات ، ويَضوَى من مغانينا

* * *

ويا مُعطِّرَةَ الوادي سرَتْ سَحَراً فطابَ كلُّ طروحٍ من مرامينا
ذكيَّةَ اللَّيلِ ، لو خِلْنا غِلالتَها قميصَ يوسفَ لم نُحْسَبْ مُغالينا
جَشِمتِ شَوْكَ السُّرى حتى أتيتِ لنا بالوَرْدِ كُتْباً ، وبالرَّيّا عناوينا
فلو جزيناكِ بالأرواح غاليةً عن طيب مَسْراك لم تنهضْ جَوازينا
هل من ذيولكِ مسْكيٌّ نُحَمِّلُه غرائبَ الشوق وَشْياً من أمالينا؟
إلى الذين وجدنا وُدَّ غيرِهمُ دُنْيا ، وودَّهمو الصافي هو الدينا

* * *

١ الشفوف : واحدها شف : الثوب الرقيق ، واللازورد : حجر صاف شفاف أزرق ، والأفواف : يريد بها الخمائل .

يا من نَغارُ عليهم من ضمائرنا ... ومن مَصون هواهم في تناجينا
خاب الحنينُ إليكم في خواطرِنا ... عن الدّلال عليكم في أمانينا
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا ... في النائبات ، فلم يأْخذ بأيدينا
وما غلبنا على دمع ، ولا جَلَدٍ ... حتى أتتنا نَواكُمْ من صَياصِينا[1]
ونابغي كأنّ الحشرَ آخرُه ... تُميتُنا فيه ذكراكم وتُحيِينا[2]
نَطوي دُجاه بجُرحٍ من فراقِكمو ... يكاد في غلَس الأسحار يَطوينا
إذا رَسا النجمُ لم ترْقأْ مَحاجِرُنا ... حتى يزولَ ، ولم تهدأْ تراقينا
بتنا نقاسي الدواهي من كواكبه ... حتى قعدنا بها حَسْرَى تُقاسينا
يبدو النهارُ فيخفيه تجلُّدُنا ... للشامتين ، ويأْسوه تأسِّينا

* * *

سقياً لعهدٍ كأكناف الرُّبَى رِقةً ... أنّى ذهبنا ، وأعطافِ الصَّبا لِينا[3]
إذِ الزمانُ بنا غَيْناءُ زاهيةٌ ... تَرِفُّ أوقاتُنا فيها رَيَاحينا
الوصلُ صافيةٌ ، والعيشُ ناغيةٌ ... والسعدُ حاشيةٌ ، والدهرُ ماشينا
والشمسُ تَختالُ في العِقْيان تَحْسبها ... بلقِيسَ تَرْفُلُ في وَشْيِ اليمَانينا
والنيلُ يُقبِل كالدنيا إذا احتفلتْ ... لو كان فيها وفاءٌ للمُصافِينا
والسعدِ لَوْ دامَ ، والنعمَى لو اطَّردتْ ... والسيلِ لَو عَفَّ ، والمقدارِ لَوْ دِينا
ألقى على الأرض — حتى ردَّها ذَهباً — ... ماءً لمَسنا به الإكْسِيرَ ، أَو طِينا
أعداه من يُمْنِه التابوتُ ، وارتسَمَتْ ... على جوانبه الأنوارُ من سِينا
له مَبالغُ ما في الخُلْقِ من كَرَمٍ ... عهدُ الكرامِ ، وميثاقُ الوفيِّينا

١ الصياصي : الحصون وكل ما امتنع به .
٢ يريد به الليل الذي ملؤه الهم والأرق إشارة إلى قول النابغة :

كليني لهم يا أُميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

٣ الرقة : النضرة .

لم يَجرِ للدهرِ إعذارٌ ولا عُرُسٌ إلَّا بأيَّامِنا ، أو في ليالينا[1]
ولا حوى السعدُ أطغى في أعِنَّتِه منّا جيَاداً ، ولا أرحَى ميادِينا
نحن اليواقيتُ ، خاضَ النارَ جَوهَرُنا ولم يهُنْ بيَدِ التَّشْتيتِ غالينا
ولا يحول لنا صِبْغ ، ولا خُلُقٌ إذا تلوّن كالحِرْباءِ شانِينا
لم تنزل الشمسُ ميزاناً ، ولا صعدَتْ في مُلْكِها الضخمِ عرشاً مثلَ وادينا
ألم تُؤَلَّهْ على حافاتِه ، ورأَتْ عليه أبناءها الغرَّ الميامينا ؟
إن غازلتْ شاطئيه في الضحى لبِسا خمائلَ السُّنْدُسِ المَوشِيَّةِ الغينا[2]
وبات كلُّ مجاج الوادِ من شجرٍ لوافِظَ القزِّ بالخيطان ترمينا
وهذه الأرضُ من سَهْلٍ ومن جبلٍ قبل القياصر دِنَّاها فراعينا
ولم يضَعْ حجَراً بانٍ على حجرٍ في الأرضِ إلَّا على آثار بانِينا
كأن أهرامَ مصرٍ حائطٌ نهضت به يَدُ الدهرِ ، لا بنيانُ فانينا
إيوانُه الفخمُ من عُليا مقاصرِه يُفْنِي الملوك ، ولا يُبقِي الأواوينا
كأنها ورمالا حولها التَطمتْ سفينةٌ غَرِقتْ إلَّا أساطينا
كأنها تحت لألاءِ الضُّحَى ذهباً كنوزُ فِرعوْن غَطَّيْنَ الموازينا

* * *

أرضُ الأُبوةِ والميلادِ طيَّبها مرُّ الصِّبا في ذيول من تصابينا
كانت مُحَجَّلةً فيها مواقِفُنا غُرًّا مُسَلْسَلَةَ المَجْرى قوافينا
فآبَ مِنْ كُرَةِ الأيامِ لاعِبنا وثابَ مِنْ سِنَةِ الأحلامِ لاهينا
ولم ندعْ لليالي صافياً ، فدَعتْ (بأن نغَصَّ ، فقال الدهرُ : آمينا)
لو استطعنا لخُضْنَا الجوَّ صاعقةً والبرَّ نارَ وَغًى ، والبحرَ غِسْلِينا[3]

١ الاعذار : طعام يتخذ لسرور حادث .
٢ الغين : واحدها أغين : الخضر .
٣ الغسلين : الصديد .

سَعياً إلى مصرَ نقضي حقَّ ذاكرنا ... فيها إذا نَسيَ الوافي ، وباكينا
كنزٌ بحُلوان عندَ اللهِ نطلبُهُ ... خيرَ الودائع من خير المؤدِّينا[1]
لو غاب كلُّ عزيز عنه غَيْبَتَنا ... لم يأْتِه الشوقُ إلّا من نواحينا
إذا حمَلْنا لمصرٍ أو له شَجَناً ... لم ندْرِ : أيُّ هوى الأُمَّيْن شاجينا ؟

وَصْفُ الغَوَّاصَة ونكبَةُ الباخِرةِ لُوزِيتانْيا*

رأيت على لَوْحِ الخيالِ يتيمةً ... قضى يومَ لوسيتانيا أبَواها[2]
فيا لك من حالٍ أمين مُصَدَّقٍ ... وإن هاج للنفس البُكا وشَجَاها
فوَاهاً عليها ، ذاقَت اليُتْمَ طِفلةً ... وقُوِّضَ رُكْناها ، وذَلَّ صِباها
وليت الذي قاست من الموت ساعة ... كما راح يَطْوي الوالدين طواها
كفرْخٍ رمى الرامي أباهُ فغالهُ ... فقامت إليه أُمُّهُ فرماها
فلا أبَ يَسْتَذْري بظلّ جناحِه ... ولا أمَّ يَبغي ظِلَّها وذَراها[3]
ودبَّابةٍ تحتَ العُباب بمَكمَنٍ ... أمينٍ ، ترى الساري وليس يَراها
هي الحوتُ ، أو في الحوت منها مَشابه ... فلو كان فولاذاً لكان أخاها
أَبَثُّ لأصحابِ السَّفين غوائِلا ... وألأَمُ ناباً حينَ تَفْغَرُ فاها
خَئونٌ إذا غاصتْ ، غدورٌ ، إذا طَفت ... مُلعَّنةٌ في سَبْحها وسُراها
تُبَيِّتُ سُفْنَ الأبرياءِ من الوغى ... وتَجني على من لا يخوض رَحاها

١ إشارة إلى المرحومة والدة الناظم .
* قال في حادثة نسف غواصة ألمانية للباخرة لوزيتانيا .
٢ الخيال : السينما توغراف .
٣ الذرى بالفتح : الفناء .

فلو أدركت تابوت موسى لسلَّطت	عليه زُباناها ، وحرَّ حُماها[1]
ولو لم تُغَيَّبْ فُلْكُ نُوحٍ وتحتجبْ	لما أَمِنَتْ مَقذوفَها ولَظَاها
فلا كان بانيها ، ولا كان رَكْبُها	ولا كان بحرُ ضمَّها وحواها
وأُفٌّ على العلم الذي تَدَّعونه	إذا كان في علم النفوس رَدَاها

جسرُ البُسْفُور *

أميرَ المؤمنين ، رأيتُ جسراً	أَمرُّ على الصراطِ ، ولا عليْهِ
له خشبٌ يجوع السوسُ فيه	وتمضي الفأْرُ لا تأْوي إليه
ولا يتكلَّفُ المِنْشارُ فيه	سوى مرِّ الفطيمِ بساعديْه
وكم قد جاهد الحيوانُ فيه	وخلَّف في الهزيمة حافِريْه
وأَسمجُ منه في عيني جُباةٌ	تراهم وَسْطَه وبجانبَيْه
إذا لاقيتَ واحِدهم تَصدَّى	كعِفْريتٍ يُشيرُ براحَتَيْه
ويمشي الصدرُ فيه كلَّ يوم	بموكِبه السَنِيِّ وحارِسَيْه[2]
ولكن لا يمرُّ عليه إلّا	كما مرَّتْ يَداه بعارضَيْه
ومن عجبٍ هو الجسرُ المعلَّى	على البوسفور ، يجمع شاطِئَيْه
يفيدُ حكومةَ السلطانِ مالاً	ويُعطيها الغنى من مَعْدِنَيْه
يجود العالمون عليه ، هذا	بعَشْرتِه ، وذاك بعَشْرَتَيْه
وغايةُ أَمرِه أَنَّا سمِعنا	لسانَ الحال يُنشِدُنا لديْه
(أَليس من العجائب أن مثلي	يَرَى ما قلَّ مُمتنِعاً عليه ؟
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً	وما من ذاك شيءٌ في يديه) ؟

....

١ زبانا العقرب : قرناها .

* هذه القصيدة اهتم بها المغفور له السلطان عبد الحميد وطلبها وقرأها باهتمام .

٢ يريد به الصدر الأعظم ، وهو كبير الوزراء .

كتاب بعث به إلى المرحوم حسين واصف باشا ، يستهديه لكرمة ابن هاني بالمطرية شجيرات ، وكان مشهوراً باقتناء الرياحين والعناية بتربيتها .

إلى حسينٍ حاكمِ القَنالِ ... مثالِ حُسْنِ الخُلق في الرِّجالِ
أُهدِي سلاماً طيِّباً كخُلقِهِ ... مع احترامٍ هو بعضُ حقِّه
وأَحفظ العهدَ له على النَّوى ... والصدقَ في الودّ له وفي الهوى
وبَعدُ فالمعروفُ بينَ الصَّحبِ ... أَنَّ التهادي من دواعي الحبِّ
وعندك الزَّهرُ ، وعندي الشِّعرُ ... كلاهما فيما يقال نَدْرُ
وقد سَمعتُ عنك من ثِقاتِ ... أَنك أَنتَ مَلِكُ النباتِ
زهرُك ليس للزهور رَوْنَقُه ... تكاد من فرْطِ اعتناءٍ تَخلُقه
ما نظرتْ مثلَكَ عينُ النرجس ... بعد ملوك الظرف في الأَندلسِ
ولي من الحدائق الغنَّاء ... رَوْضٌ على المطْرِيَّةِ الفيْحاء
أَتيتُ أَستهدي لها وأَسأَلُ ... وأَرتضي النَّزْر أَثَقِّلُ
عشرَ شُجيْراتٍ من الغوالي ... تَندُر إِلَّا في رياض الوالي
تزكو وتزهو في الشتا والصيف ... وتجمع الأَلوانَ مثلَ الطيْفِ
تُرسلها مُؤَمِّناً عليها ... إِن هلكَتْ لي الحقُّ في مِثْلَيْها
والحق في الخرطوم أَيضاً حقِّي ... والدرسُ للخادم كيف يسقي
وبعد هذا لي عليك زوْرَهْ ... لكي تدور حول روْضِي دوْرهْ
فإِن فعلت فالقوافي تفعلُ ... ما هو من فعل الزهور أَجملُ
فما رأَيتُ في حياتي أَزْينا ... للمرء بين الناس من حُسْنِ الثَّنا

باب النسيب

خَدَعُوها

خدعوها بقولهم : حسناءُ والغواني يَغُرُّهن الثناءُ
أتراها تناست اسمِيَ لمّا كثُرت في غرامِها الأسماءُ ؟
إن رأتني تميل عني ،كأن لم تكُ بيني وبينها أشياءُ !
نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ
يوم كُنا – ولا تسلْ: كيف كُنّا؟– نتهادَى من الهوى ما نشاءُ
وعلينا من العَفافِ رقيبٌ تَعِبَتْ في مِراسه الأهواءُ
جاذبتني ثوبي العصِيَّ وقالت : أنتمُ الناسُ أيُّها الشعراءُ
فاتقوا اللهَ في قلوبِ العذارَى فالعذارَى قلوبُهنّ هواءُ

أخذ البيت الرابع فزاد عليه قوله :

نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ فكلامٌ ، فمَوعدٌ ، فلقاءُ
ففراقٌ يكون فيه دواءٌ أو فراقٌ يكون منه الداءُ

وقال :

لا السُّهْدُ يَطويه ولا الاغفاءُ لَيْلٌ عِدادُ نُجُومِه رُقَباءُ
داجِي عُبابِ الجُنْحِ ، فَوْضَى فُلْكُه ما للهموم ولا لها إرساءُ
أغزالة الإشراق ، أنتِ من الدُّجى ومن السُّهادِ إذا طلعْتِ شِفاءُ
رفقاً بجفْنٍ كلَّما أبكيتِهِ سال العَقيقُ به ، وقام الماءُ[1]
ما مدَّ هُدْبَيْه ليصطادَ الكرى إلَّا وطيفُكِ في الكرى العنقاءُ

[1] العقيق : كناية عن الدم .

مَنْ لي بهنّ لياليًا نَهِل الصِّبا | مما أَفَضْنَ وَعَلَّت الأهواءُ ؟[1]
أَلِفْنَ أوطاري؛ فعَيْشيَ والمُنَى | في ظلِّهنّ الكأسُ والصَّهباءُ

وقال :

سُوَيْجعَ النيلِ ، رِفقاً بالسُّوَيْداءِ | فما تُطيق أَنينَ المفردِ النائي[2]
لله وادٍ كما يَهوى الهوى عَجَبٌ | تركتَ كلَّ خَليٍّ فيه ذا داء
وأنتَ في الأَسرِ تشكو ما تُكابده | لصخرةٍ من بني الأعجام صَمَّاء
اللهَ في فَنَنٍ تلهو الزمانَ به | فإنّما هو مشدودٌ بأحشائي
وفي جوانحك اللّاتي سمحْت بها | فلو ترفَّقْت لم تسمح بأَعضائي
ماذا تريد بذي الأنات في سهري ؟ | هٰذي جفوني تَسقي عهدَ إغفائي
حَسْبُ المضاجع مني ما تعالج من | جَنْبي ، ومن كَبِدٍ في الجنْب حرّاء
أُمسي وأُصبحُ مِنْ نَجْواك في كَلَفٍ | حتى لَيعْشَقُ نُطقي فيك إصغائي
الليلُ يُنهِضني من حيث يُقعدني | والنجمُ يَملأُ لي ، والفكرُ صَهبائي
آتي الكواكبَ لم أَنقل لها قَدَماً | لا ينقضي سهري فيها وإسرائي
وألحظُ الأرضَ ، أَطوي ما يكون إلى | ما كان مِنْ آدمٍ فيها وحوّاء
مُؤيَّداً بك في حِلِّي ومُرتَحَلي | وما هُما غيرُ إصباحي وإمسائي
تُوحي إلي الذي تُوحي ، وتسمع لي | وفي سماعك بعد الوحي إغرائي

قال أبو نواس :

يا ويْحَ أهلي أَبلَى بينَ أَعيُنِهم | على الفراشِ ، ولا يَدْرُون ما دائي

وطلب إليه تشطير هذا البيت فقال :

١ نهل ، من نهلت الإبل : شربت أول الشرب .
علت ، من عل الرجل : شرب شربة ثانية .
٢ سويجع : تصغير ساجع . والسويداء : حبة القلب .

يا ويحَ أهليَ ، أَبلَى بين أَعينهم ويَدْرُجُ الموتُ في جسمي وأَعضائي
وينظرون لجَنْبٍ لا هدوءَ له على الفراشِ ، ولا يدرون ما دائي

وقال :

منكَ يا هاجرُ دائي وبكفَّيْكَ دَوائي
يا مُنَى روحي ، ودنيا يَ ، وسُؤلي ، ورَجائي
أنت إن شئتَ نعيمي وإذا شئتَ شقائي
ليس مِنْ عُمرِيَ يومٌ لا ترى فيه لِقائي
وحياتي في التَّداني ومماتي في التَّنائي
نَمْ على نسيان سُهدي فيك ، واضحكْ من بُكائي
كلُّ ما ترضاه يا مَوْ لايَ يرضاه وَلائي
وكما تعلم حُبِّي وكما تدري وَفائي
فيك يا راحة روحي طال بالواشي عَنائي
وتواريْتُ بدمعي عن عيون الرُّقَباء
أنا أهواكَ ، ولا أرْ ضى الهوى مِن شُرَكائي
غِرْتُ ، حتى لَترى أر ضِيَ غَيْرَى من سمائي
ليتني كنتُ رِداءً لك ، أو كنت رِدائي
ليتني ماؤك في الغُـ ـلَّةِ ، أو لَيْتَكَ مائي

وقال :

لقد لامني يا هندُ في الحب لائمٌ مُحِبٌّ إذا عُدَّ الصِّحابُ حبيبُ
فما هو بالواشي على مذهب الهوى ولا هو في شَرع الوداد مُريب
وصفتُ له مَنْ أنتِ ، ثم جرى لنا حديثٌ يَهُمُّ العاشقين عجيب
وقلت له : صبراً ؛ فكلُّ أخي هَوى على يَدِ مَنْ يَهْوى غداً سيتوب

وقال :

على قدرِ الهوى يأْتي العِتابُ ... ومَنْ عاتبتُ يَفْديه الصِّحابُ
أَلومُ مُعذِّبي ، فأَلومُ نفسي ... فأُغضِبها ويُرضيها العذاب
ولو أَني استطعتُ لتبتُ عنه ... ولكنْ كيف عن روحي المتاب ؟
ولي قلب بأَن يهْوَى يُجَازَى ... ومالِكُه بأَن يَجْنِي يُثاب
ولو وُجد العِقابُ فعلتُ ، لكن ... نِفارُ الظَّبْي ليس له عِقاب
يلوم اللائمونَ وما رأَوْه ... وقِدْماً ضاع في الناس الصَّواب
صَحَوْتُ ، فأَنكر السُّلْوان قلبي ... عليّ ، وراجع الطَّرب الشباب
كأَنَّ يَدَ الغرامِ زِمامُ قلبي ... فليس عليه دون هَوًى حِجاب
كأَنَّ روايةَ الأَشواقِ عَوْدٌ ... على بَدءٍ وما كمل الكتاب
كأَني والهوى أَخَوا مُدامٍ ... لنا عهدٌ بها ، ولنا اصطحاب
إِذا ما اعْتَضْتُ عن عشقٍ بعشقٍ ... أُعِيدَ العهدُ ، وامتد الشَّراب

وقال :

أُريدُ سُلُوَّكم ، والقلبُ يأْبى ... وأُعتِبُكم ، وملْءُ النفس عُتْبى
وأَهجركم ، فيهجرني رقادي ... ويُضْويني الظلامُ أَسًى وكرْبا[1]
وأَذكركم برؤيةِ كلِّ حُسْنٍ ... فيصبو ناظري ، والقلبُ أَصْبَى[2]
وأَشكو من عذابي في هواكم ... وأَجزيكم عن التعذيبِ حُبّا
وأَعلمُ أَن دَأْبكُمُ جفائي ... فما بالي جعلتُ الحبَّ دأْبا ؟
ورُبَّ مُعاتَبٍ كالعيش ، يُشكى ... وملْءُ النفس منه هَوًى وعُتْبى
أَتجزيني عن الزُّلْفَى نِفاراً ؟ ... عَتَبْتُكَ بالهوى ، وكفاكَ عَتبا
فكلّ ملاحةٍ في الناس ذنبٌ ... إِذا عُدّ النِّفارُ عليكَ ذنبا

١ يضويني : يضعفني ، من أضواه الأمر : أضعفه .
٢ والقلب أصبى : أي أشد صبوة .

أَخذتُ هواكَ عن عيني وقلبي ... فعيني قد دَعَتْ ، والقلبُ لَبّى
وأَنتَ من المحاسن في مثال ... فديتكَ قالباً فيه وقلبا
أُحِبُّكَ حين تثني الجيدَ تِيهاً ... وأَخشى أَن يصيرَ التِّيهُ دَأْبا
وقالوا : في البديلِ رضاً ورَوْحٌ ... لقد رُمتُ البديلَ ، فرمتُ صَعْبا
وراجعتُ الرشادَ عَساي أَسلو ... فما بالي مع السُّلوانِ أَصْبَى ؟
إِذا ما الكأْسُ لم تُذْهِبْ همومي ... فقد تَبَّتْ يدُ الساقي ، وتَبّا
على أَني أَعَفُّ مَنَ احتساها ... وأَكرمُ مِنْ عَذارَى الدير شربا
ولي نفسٌ أُرَوِّيها فتزكو ... كزهرِ الوردِ نَدَّوْهُ فهبّا

وقال :

رَوّعوه ، فتولّى مُغْضَبا ... أَعلِمتم كيفَ ترتاعُ الظِّبا ؟
خُلِقت لاهيةً ناعمة ... رُبَّما رَوَّعها مرُّ الصَّبا
لي حبيبٌ كلَّما قيل له ... صَدَّقَ القولَ ، وزكَّى الرِّيَبا
كذب العُذّالُ فيما زعموا ... أَمَلي في فاتِني ما كذبا
لو رَأَوْنا والهوى ثالثنا ... والدُّجى يُرْخي علينا الحُجُبا
في جِوار الليل ، في ذمَّتِه ... نذكر الصبحَ بأَنَّ لا يقربا
مِلْءُ بُرَدينا عفافٌ وهوى ... حفظ الحسنَ ، وصنتُ الأَدبا
يا غزالاً أَهِلَ القلبُ به ... قلبيَ السَّفْحُ وأَحْنى ملْعبا[1]
لكَ ما أَحببتَ مِنْ جَنَّتِه ... مَنهلاً عَذباً ، ومَرْعًى طَيِّبا
هو عندَ المالِكِ الأَوْلَى به ... كَيف أَشكو أَنه قد سُلِبا ؟
إِن رأَى أَبقى على مملوكه ... أَو رأَى أَتلفه واحتسبا
لكَ قدٌّ سجدَ البانُ له ... وتمنَّت لو أَقلَّته الرُّبى

١ أهل به : عمر .

ولِحاظٌ ، من معاني سحرِه جمع الجفنُ سهاماً وظُبى[1]
كان عن هذا لقلبي غُنيَةٌ ما لقلبي والهوى بعد الصِّبا ؟
فِطرتي لا آخُذ القلبَ بها خُلِقَ الشاعِرُ سَمحاً طَرِبا
لو جَلَوْا حُسْنَكَ أو غنَّوْا به «لِلَبيدٍ» في الثمانين صَبا[2]
أيها النفسُ ، تجِدّين سُدًى هل رأيتِ العيشَ إلا لَعِبا ؟
جَرِّبي الدنيا تَهُنْ عندكِ ، ما أهونَ الدنيا على من جرّبا !!
نلتِ فيما نِلْتِ من مَظهرها ومُنِحْتِ الخلدَ ذكراً ، ونَبا

وقال والمعنى لشاعر تركي :

ما تلكَ أهدابي تَنَظَّـ ـمَ بينها الدمعُ السَّكوبْ
بل تلك سُبحةُ لؤلؤٍ تُحْصَى عليكَ بها الذنوب

وقال :

لا والقوامِ الَّذي ، والأعينِ اللَّاتي ما خُنْتُ رَبَّ القَنا والمَشْرَفيَّاتِ
ولا سَلَوْتُ ، ولم أهْمُمْ ، ولا خطرَتْ بالبالِ سَلْوَاكِ في ماضٍ ولا آت
وخاتَمُ الملكِ للحاجات مُطَّلَبٌ وثَغرُكِ المتمنَّى كلُّ حاجاتي

وقال :

لَحظها لَحظها ، رُوَيْداً رُوَيْدا كم إلى كم تَكيد الروح كَيْدا؟
كُفَّ أو لا تكُفَّ ؛ إنّ بجنبي لَسِهاماً أَرسَلْتَها لن تُرَدّا
تصِلُ الضربَ ما أرى لك حدّا فاتّقِ اللهَ ، والتزِمْ لك حدّا

١ الظبى : جمع ظبة وهي حد السيف .
٢ هو لبيد بن ربيعة الشاعر الذي قال حين بلغ الثمانين وقد شكا ثقل السمع وتهدم الشيخوخة :
إن الثمانين — وبلغتها — قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

أوْ فصُغ لي من الحجارة قلبا ثم صُغ لي من الحدائدِ كِبْدا
واكفِ جَفْنَيَّ دافقاً ليس يرْقا واكْفِ جنْبيَّ خافِقا ليس يَهْدا
فمن الغَبْنِ أن يصير وعيداً ما قطعتُ الزمانَ أرجوه وعْدا

وقال :

الرُّشْدُ أجملُ سيرة يا أحمدُ ودُّ الغوانِي مَنْ شَبابِكَ أبعدُ
قد كان فيك لِوُدِّهنّ بَقِيَّةٌ واليومَ أوشَكَتِ البقيةُ تَنْفَدُ
هاروتُ شِعْرِكَ بعدَ ماروتِ الصبا أعيا ، وفارقه الخليلُ المُسعِد
لما سَمِعْنَكَ قُلْنَ : شعرٌ أمْرَدٌ يا ليت قائلَهُ الطَّرِيرُ الأَمْرَدُ
ما لِلّوَاهِي الناعماتِ وشاعرٍ جعل النسيبَ حبالةً يتصيَّد ؟
ولكَمْ جمعتَ قلوبَهن على الهوى وخدَعْتَ مَنْ قَطَعَتْ ومَنْ تتودّد
وسَخِرْتَ من واشٍ ، وكِدْتَ لعاذِلٍ واليومَ تَنْشُدُ من يَشِي ويُفَنِّد
أئذا وَجَدْت الغِيدَ ألهاكَ الهوى وإذا وجدت الشِّعْرَ عزَّ الأغيد ؟

وقال :

إن الوُشاةَ – وإن لم أُحْصِهم عَددا – تعلموا الكَيْدَ من عينيك والفَنَدَا[1]
لا أخْلفَ اللهُ ظنّي في نواظِرِهم ماذا رأَتْ بيَ ممّا يبعثُ الحسدا ؟
هم أغضبوكَ فراح القدُّ مُنْثَنياً والجفنُ مُنكسراً ، والخدُّ مُتَّقدا
وصادفوا أُذُنا صَغْواءَ لَيِّنَةً فأسمعوها الذي لم يُسمِعوا أحدا
لولا احتراسيَ من عينيْك قلتُ : ألا فانظر بعينيك ، هل أبقَيْت لي جَلَدَا ؟
اللهَ في مُهْجَةٍ أيْتَمْتَ واحدَها ظلماً ، وما اتَّخذَتْ غيرَ الهوى ولدا
وروحِ صبٍّ أطالَ الحبُّ غُرْبَتَها يخافُ إن رَجَعَتْ أن تُنكرَ الجسدَ

١ الفند : الكذب وكفر النعمة .

دع المواعيدَ ؛ إني مِتُّ مِنْ ظمَإٍ   وللمواعيدِ ماءٌ لا يَبُلُّ صَدى
تدعو ، ومَنْ لِيَ أن أسعى بال كَبِدٍ ؟   فمن مُعِيرِيَ من هذا الورى كَبدا ؟

وقال :

بثثت شكواي ، فذابَ الجليدُ   وأشفق الصخرُ ، ولان الحديدْ
وقلبُك القاسي على حاله   هيهاتَ ! بلْ قَسْوتُه لي تَزيد

وقال :

يَمُدُّ الدُّجَى في لَوْعتي ويَزيدُ   ويُبدِئُ بَثِّي في الهوى ويُعيدُ
إذا طال واستعصى فما هي ليلة   ولكنْ ليالٍ ما لهنّ عَديدُ
أَرِقْتُ وعادتني لذكرى أحِبَّتي   شُجونٌ قِيامٌ بالضلوع قُعودُ
ومَنْ يَحْمِلِ الأشواقَ يَتعَب ، ويَختلفْ   عليهِ قديمٌ في الهوى ، وجديد
لقيتَ الذي لم يَلْقَ قلبٌ من الهوى   لكَ اللهُ يا قلبي ، أأنت حديد ؟
ولم أخلُ من وجدٍ عليك ؛ ورقّةٍ   إذا حلَّ غِيدٌ ، أو ترحَّل غِيدُ
وروْضٍ كما شاءَ المحبّون ، ظِلُّهُ   لهم ولأسرارِ الغرامِ مَدِيدُ
تُظَلِّلُنا والطيرَ في جَنَباتِه   غصونٌ قيامٌ للنسيمِ سجود
تميل إلى مُضْنَى الغرام ، وتارةً   يعارضها مُضْنَى الصَّبا فتَحيد
مَشَى في حوَاشِيها الأصيلُ ، فذُهِّبَتْ   ومارتْ عليها الحلْيُ وهْيَ تَميد
وقامت لديها الطَّيْرُ شتَّى ، فآنسٌ   بأهلٍ ، ومَفقودُ الأليفِ وَحيد
وباكٍ ولا دمعٌ ، وشاكٍ ولا جوًى   وجَذْلانُ يَشْدُو في الرُّبَى ويُشيد
وذي كَبْرَةٍ لم يُعْطَ بالدهر خِبْرَةً   وعُريان كاسٍ تَزْدَهيه مُهود
غَشِيناهُ والأيّامُ تَنْدَى شَبيبَةً   ويَقْطُر منها العيشُ وهْوَ رَغيد
رَأَتْ شفقاً يَنْعَى النهارَ مُضَرَّجاً   فقلتُ لها : حتى النهارُ شَهيد
فقالت : وما بالطير ؟ قلتُ : سكينةٌ   فما هي ممّا نبتغي ونَصيد

أُحِلَّ لنا الصيدان : يومَ الهوى مَهاً ... ويومَ تُسَلُّ المُرْهَفاتُ أُسودُ
يُحَطِّم رُمْحٌ دوننا وَمُهَنَّدٌ ... ويَقْتُلنا لَحْظٌ ، ويأْسِر جِيدُ
ونحكم حتى يقبلَ الدهرُ حُكْمَنا ... ونحن لسلطان الغرام عبيد
أقول لأيام الصِّبا كلَّما نأَتْ : ... أما لكَ يا عهدَ الشباب مُعيد ؟
وكيف نأَتْ والأمسُ آخرُ عهدِها ؟ ... لَأَمْسُ كباقي الغابراتِ عهيد
جَزِعْتُ ، فراعتني من الشَّيبِ بَسْمَةٌ ... كأني على دَرْبِ المشيبِ لبيد
ومن عبثُ الدنيا وما عبثت سدًى ... شَبَبْنا وشِبنَا والزَّمانُ وَليدُ

وقال :

هـام الفـؤادُ بشادنٍ ... أَلِفَ الدَّلالَ على المدَى
أبْكِي ، فيضحكُ ثَغْرُه ... والكِمُّ يفتحه النَّدى[1]

وقال عن شاعر تركي :

للعاشقين رِضاكَ والْـ ... ـحُسنَى ، ولي هَجْرٌ وصدُّ
ذُكِروا ، فكانوا سُبْحَةً ... وأنا العلامةُ ، لا تُعدّ

وقال :

في مقلتيك مَصارعُ الأكبادِ ... اللهَ في جَنْبٍ بغير عِماد
كانت له كَبِدٌ ، فحاق بها الهوى ... قُهِرتْ . وقد كانت من الأَطواد
وإذا النفوسُ تطَوَّحَتْ في لذَّةٍ ... كانت جنايتُها على الأجساد
نَشْوى ، وما يُسْقَيْنَ إلَّا راحتي ... وَسْنَى ، وما يَطْعَمْنَ غير رُقادي
ضَعفي ، وكم أَبْلَيْنَ من ذي قوة ... مَرْضَى ، وكم أَفْنَيْنَ من عواد

١ الكم بكسر القاف : الغلاف الذي ينشق عن الثمر .

يا قاتلَ اللهُ العيونَ ؛ فإنها في حَرٍّ ما نَصْلَى الضعيفُ البادي
قاتلنَ في أَجفانهنّ قلوبَنا فصَرعْنَها ، وسلِمْنَ بالأَغماد
وصبَغْنَ من دمها الخدودَ تَنصُّلاً ولقِينَ أَرباب الهوى بسَواد

وقال :

قفْ باللّواحظِ عندَ حَدِّكْ يكفيكَ فتنةُ نارِ خَدِّكْ
واجعلْ لِغِمْدِكَ هَدْنَةً إنّ الحوادث مِلْءُ غِمْدِك
وصُنِ المحاسنَ عن قلو بٍ لا يَدَيْنِ لها بجُنْدِك
نظرتْ إليكَ عن الفُتو رِ ، وما اتّقَتْ سَطَوات حَدِّك
أَعلى رِوايـاتِ الـقَنا ما كان نِسبتُه لقَدِّك
نالَ العواذلُ جهدَهم وسمعْتَ منهم فوق جهْدك
نقـلوا إليكَ مقـالةً ما كان أَكثرُها لعبدك
قسـماً بمَـا حمَّلتني فحملتُ من وَجْدي وصَدِّك
ما بي السهامُ الكُثْرُ من جَفْنَيْكَ ، لكنْ سهمُ بُعدِك

وقال :

مُضْناك جفاهُ مَرْقَدُه وبَكاه ورَحَّمَ عُوَّدُهُ
حيرانُ القلبِ مُعَذَّبُهُ مَقْروحُ الجَفْنِ مُسهَّدُه
أَودَى حَرَفاً إلا رَمَقاً يُبقيه عليك وتُنْفِدهُ
يستهوي الوُرْق تأَوُّهه ويُذيب الصخرَ تَنهُّدهُ
ويناجي النجمَ ويُتعبه ويُقيم الليلَ ويُقْعِدهُ
ويُعلم كلَّ مُطَوَّقَةٍ شَجَناً في الدَّوحِ تُرَدِّدهُ
كم مدّ لِطَيْفِكَ من شَرَكٍ وتأَدَّب لا يتصيَّدهُ
فعساك بغُمْضٍ مُسْعِفُهُ ولعلّ خيالَك مُسعِدهُ

الحسنُ ، حَلَفْتُ بيُوسُفِهِ — والسُّورَةِ إنك مُفْرَدُهُ
قد وَدَّ جمالَك أو قَبَساً — حوراءُ الخُلْدِ وأَمْرَدُه
وتمنَّت كلُّ مُقطِّعةٍ — يَدَها لو تُبْعَثُ تَشهدُهُ[1]
جَحَدَتْ عَيْناك زَكِيَّ دَمي — أكذلك خدُّك يَجْحَدُه ؟
قد عزَّ شُهودي إذ رمَتا — فأشَرْتُ لخدِّك أُشهِدُه
وهَممتُ بجيدِك أَشرَكُه — فأبى ، واستكبر أَصْيَدُه
وهَزَزْتُ قَوامَك أعْطِفُه — فنَبا ، وتمنَّع أَمْلَدُه
سببٌ لِرضاك أُمَهِّده — ما بالُ الخصْرِ يُعَقِّدُه ؟
بيني في الحبِّ وبينَك ما — لا يَقدِرُ واشٍ يُفْسِدُه
ما بالُ العاذِلِ يَفتح لي — بابَ السُّلْوانِ وأُوصِدُه ؟
ويقول : تكاد تُجَنُّ به — فأقول : وأُوشِكُ أَعبُده
مَوْلايَ ورُوحي في يَدِه — قد ضَيَّعها سَلِمتْ يَدُه
ناقوسُ القلبِ يَدُقُّ لهُ — وحنايا الأَضْلُعِ مَعْبَدُه
قسماً بثنايا لؤلؤها — قَسم الياقوت مُنَضَّدُه
ورُضابٍ يُوعَدُ كَوْثَرُهُ — مُقتولُ العِشْقِ ومُشْهَدُه
وبخالٍ كاد يُحَجُّ له — لو كان يُقبَّل أَسْوَدُه
وقَوامٍ يَرْوي الغُصْنُ له — نَسَباً ، والرُّمْحُ يُفَنِّدُه
وبخَصْرٍ أَوْهَنَ مِنْ جَلَدِي — وعَوادِي الهجر تُبَدِّدُه
ما خُنْتُ هواكَ ، ولا خطرَتْ — سَلْوَى بالقلب تُبَرِّدُه

وقال :

باللهِ يا نَسَماتِ النيل في السَّحَرِ — هل عندكُنَّ عن الأَحباب مِنْ خبَرِ ؟

[1] يعني بكل مقطعة يدها الخ . . . صواحبات يوسف الصديق اللواتي ورد ذكرهن في السورة .

عرفتكُنَّ بعَرْفٍ لا أُكيِّفُه لا في الغَوالي ، ولا في النَّوْرِ والزَّهَر
من بعض ما مسح الحسنُ الوجوهَ به بينَ الجبينِ ، وبينَ الفَرْقِ والشَّعَر
فهل عَلِقْتُنَّ أثناءَ السُّرَى أَرَجاً من الغدائر ، أو طيبا من الطُّرَر ؟
هِجْتُنَّ لي لَوْعةً في القلبِ كامنةً والجُرْحُ إنْ تعْتَرِضْه نَسْمَةٌ يَثُر
ذكرتُ مصرَ ، ومَنْ أهوى ، ومجلسَنا على الجزيرة بين الجسر والنَّهَر
واليومُ أشْيَبُ ، والآفاقُ مُذْهَبَةٌ والشمسُ مُصْفَرَةٌ تجري لمُنْحَدَر
والنخلُ مُتَّشِحٌ بالغيم ، تحسبُهُ هِيفَ العرائسِ في بيضٍ من الأُزُر
وما شجانيَ إلَّا صوتُ ساقيةٍ تستقبل الليلَ بين النَّوْح والعَبَر
لم يترك الوجدُ منها غيرَ أَضلُعِها وغيرَ دَمعٍ كصَوْب الغَيْثِ مُنْهَمِر
بخيلة بمآقيها ، فلو سُئِلَتْ جَفْناً يُعين أخا الأشواقِ لم تُعِر
في ليلة من ليالي الدهر طَيِّبَةٍ محا بها كلَّ ذنبٍ غيرِ مُغْتَفَر
عَفَّتْ ، وعفَّ الهوى فيها ، وفاز بها عفُّ الإشارةِ ، والألفاظِ ، والنظر
بتْنا ، وباتَتْ حَناناً حولنا ورِضاً ثلاثةٌ بين سمْعِ الحبِّ والبصر
لا أكذِبُ اللهَ ، كان النجمُ رابعَنا لو يُذْكَرُ النجمُ بعد البدر في خبر
وأنصفتنا ، فظُلمٌ أن نُجازِيَها شكوى من الطول ، أو شكوى من القِصَر
دَعْ بعد رِيقَةِ مَنْ تهوَى ومَنْطِقِه ما قيل في الكأس ، أو ما قيل في الوتر
ولا تُبالِ بكنزٍ بعد مَبْسِمِه أغلى اليواقيت ما أُعْطِيتَ والدُّرَر
ولم يَرُعْني إلَّا قولُ عاذِلةٍ ما بالُ أحمدَ لم يَحلُمْ ولم يَقِرْ؟
هلا ترفَّع عن لَهْوٍ وعن لَعِبٍ ؟ إن الصغائرَ تُغري النفسَ بالصِّغَر
فقلتُ : للمجد أشعاري مُسَيَّرة وفي غواني العُلا – لا في المها – وَطَرِي
مصرُ العزيزةُ ، ما لي لا أُودِّعُها وداعَ مُحتفِظٍ بالعهد مُدَّكِرِ
خلَّفْتُ فيها القَطا ما بين ذي زَغَبٍ وذي تمائمَ لم ينهض ولم يَطِرِ
أسلمتُهم لعيون الله تحرسُهم وأسلموني لظلِّ الله في البشر

وقال :

عَرَضوا الأمانَ على الخواطرْ   واستعرضوا السُّمْرَ الخواطر[1]
فوقفتُ في حَذَرٍ ، ويأْ   بَى القلبُ إلا أنْ يُخاطِر
يا قلب شأْنك والهوى   هذي الغصونُ وأنت طائر
إن التي صادتْك تسـ   ـعى بالقلوب لها النواظر
يا ثغرَها ، أمسيتُ كالـ   ـغوَّاص ، أحْلُم بالجواهر
يا لحظَها ، مَنْ أمُّها ؟   أو مَنْ أبوها في الجآذِر ؟
يا شعرَها ، لا تَسْعَ في   هتكي ، فشأْنُ الليلِ ساتر
يا قَدَّها ، حتَّام تغـ   ـدو عاذِلاً وتروح جائر ؟
وبأيِّ ذنبٍ قد طعنـ   ـتَ حَشايَ يا قدَّ الكبائر ؟

وقال :

في ذي الجفونِ صوارمُ الأقدار   راعي البريَّةَ يا رَعاكِ الباري
وكفى الحياةُ لنا حوادثَ ، فافْتِني   مَلأَ النجومِ وعالَمَ الأقمار
ما أنتِ في هٰذي الحلى إنْسِيَّة   إنْ أنتِ إلّا الشمسُ في الأنوار
زهراءَ بالأُفُقِ الذي من دونه   وثْبُ النُّهى ، وتطاوُلُ الأفكار
تتهتَّك الألبابُ خَلْفَ حجابها   مهما طلَعتِ ، فكيف بالأبصار ؟
يا زينة الإصباحِ والإمساءِ ، بل   يا رَونَقَ الآصال والأسحار
ماذا تحاول من تنائينا النَّوى ؟   أنتِ الدُّنى وأنا الخيالُ الساري
ألقى الضُّحى ألقاكِ ، ثم من الدّجى   سُبُلٌ إليك خَفيَّةُ الأغوار
وإذا أنِسْتُ بوحدتي فلأَنها   سببي إليكِ ، وسُلَّمي ، ومَناري

١ السمر : الرماح ، والخواطر : المهتزات ، يقال : خطر الرمح إذا اهتز ، وهي هنا كناية عن القدود .

إيهٍ زماني في الهوى وزمانَها ما كنتما إلا النَّميرَ الجاري
مُتسلْسلا بين الصبابة والصِّبا مُتَرقرقاً بمسارحِ الأَوْطار
نظر الفُراقُ إليكما ، فطواكما إن الفراق جَهَنَّمُ الأَقدار

وقال :

لك أَن تلومَ ، ولي من الأَعذار أن الهوى قَدَرٌ من الأَقدار
ما كنتُ أَسْلَمُ للعيون سلامتي وأُبيحُ حادثةَ الغرام وَقاري
وطَرٌ تَعَلَّقَه الفؤادُ وينقضي والنفسُ ماضيةٌ مع الأَوْطار
يا قلبُ ، شأْنَك ، لا أَمُدُّك في الهوى أَبدا ، ولا أَدعوك للإِقصار
أَمري وأَمرُك في الهوى بيدِ الهوى لو أنه بيَدِي فككْتُ إساري
جارِ الشبيبةَ ، وانتفع بجوارها قبلَ المشيب ، فما له من جار
مَثَلُ الحياة تُحَبّ في عهد الصِّبا مثلُ الرياضِ تحَبُّ في آذار[1]
أَبداً فروقُ من البلاد هي المنى ومنايَ منها ظبيةٌ بسِوار
ممنوعةٌ إلا الجمالَ بأَسره محجوبةٌ إلَّا عنِ الأَنظار
خُطُواتُها التقوى ، فلا مَزْهُوَّةٌ تمشي الدَّلال ، ولا بذات نِفار
مرّتْ بنا فوق الخليج ، فأَسفرتْ عن جنّة ، وتلفتت عن نار
في نِسْوَةٍ يُورِدْن مَنْ شِئْن الهوى نظرا ، ولا ينظرْن في الإِصدار
عارضتُهنّ ، وبين قلبي والهوى أَمرٌ أُحاول كتْمَه وأُداري

وقال :

أَتغلبني ذاتَ الدلالِ على صبري ؟ إذن أَنا أَولى بالقناع وبالخِدْر[2]

١ آذار : شهر مارس وهو أول فصل الربيع .
٢ هذا الشطر من المطلع للمرحوم محمود سامي باشا البارودي ، نظمه ثم أمسكه ، فأكمله الشاعر وأضاف إليه هذه الأبيات .

تتيهُ ، ولي حِلمٌ إذا ما ركِبتُه ... رددتُ به أَمرَ الغرامِ إلى أَمري
وما دَفْعِيَ اللُّوّامَ فيها سآمةٌ ... ولكنّ نفسَ الحرّ أَزجرُ للحرّ
وليلٍ كأَنّ الحشرَ مطلعُ فجرِه ... تراءت دموعي فيه سابقةَ الفجر
سَرَيْتُ به طيفاً إلى من أحبُّها ... وهل بالسُّها في حُلّةِ السُّقمِ من نُكرْ
طرقْتُ حِماها بعدَ ما هبّ أَهلُها ... أَخوضُ غِمارَ الظنِّ والنظرِ الشزْر
فما راعني إلّا نساءٌ لقِينيَ ... يبالِغن في زَجْري ، ويُسرفن في نهري
يقلْن لمن أهوى وآنسْنَ رِيبةً : ... نرى حالةً بين الصَّبابة والسّحر
إليكنّ جاراتِ الحمى عن ملامتي ... وذَرْنَ قضاءَ الله في خَلْقه يجري
وأَحرَجني دمعي ، فلما زجرتُه ... رددتُ قلوبَ العاذِلاتِ إلى العُذْر
فساءلْنها: ما اسمي ؟ فسَمَّتْ ، فجئنني ... يَقُلْنَ : أَماناً للعذارى من الشِّعر
فقلتُ : أَخافُ اللهَ فيكُنَّ ، إنني ... وجدتُ مقالَ الهُجْرِ يُزْرَى بأَن يُزْري
أَخذتُ بحَظٍّ من هواها وبينِها ... ومَنْ يَهْوَ يَعْدِلْ في الوصال وفي الهجر
إذا لم يكن للمرءِ عن عيشةٍ غِنًى ... فلا بدّ من يُسر ، ولا بد من عُسر
ومن يَخبُرِ الدنيا ويشْربْ بكأْسها ... يجدْ مُرَّها في الحلو ، والحلوَ في المرّ
ومن كان يغزو بالتَّعِلّات فقرَه ... فإني وجدتُ الكَدَّ أَقتلَ للفقر
ومن يستعنْ في أَمرِه غيرَ نفسه ... يَخُنْه الرفيقُ العون في المسلك الوعْر
ومن لم يُقِم ستراً على عيبِ غيره ... يعِش مستباحَ العِرْضِ ، مُنهَتِك السّتر
ومن لم يُجمِّل بالتواضع فضلَه ... يَبِنْ فضلُه عنه ، ويَعْطَلْ من الفخر

وقال :

قلبٌ يذوب ، ومدمعٌ يجري ... يا ليلُ ، هل خبرٌ عن الفجر
حالت نجومُك دون مطلعه ... لا تبتغي حِوَلاً ، ولا يسري
وتطاولَتْ جُنْحاً ، فخُيِّل لي ... أَن الصباحَ رهينةُ الحشر
أَرسيتَها وملكتَ مذهبَها ... بدُجُنَّةٍ كسريرة الدّهر

ظُلَمٌ تَجيءُ بها وتُرجعُها والموجُ منقلبٌ إلى البحرِ
ليت الكرى .موسى فيوردَها فِرْعَون هذا السُّهدِ والفِكرِ

* * *

ولقد أقول لهاتفٍ سحراً يَبكي لغيرِ نَوًى ولا أَسْرِ
والروضُ أَخرسُ غيرَ وسوسةٍ خَفَقَ الغصونِ ، وجِرْية الغُدْرِ
والطيرُ مِلْءُ الأَيكِ ، أَرؤُسُها مثلُ الثمار بدت من السِّدْرِ
أَلقى الجناحَ ، وناءَ بالصدرِ ورَنا بصَفْرَاوَيْنِ كالتِّبرِ
كلَمِ السهادُ بيوتَ هدْبهما وأَقام بين رُسومِها الحُمْرْ
تهدا جوانِحه ، فتحسَبهُ من صَنْعَة الأَيدي أَو السِّحْرْ
وتثور ، فهْو على الغصون يَدٌ عَلِقتْ أَنامِلُها من الجمرِ

* * *

يا طيرُ ، بثَّ أَخاكَ ما يجري إنّا كِلانا مَوْضِعُ السِّرِّ
بي مثلُ ما بِكَ من جوًى ونوًى أَنا في الأَنام ، وأَنتَ في القُمْرْ[1]
عَبثَ الغرامُ بنا وروّعنا أَنا بالملام ، وأَنت بالزّجْرِ
يا طيرُ ، لا تجزَعْ لحادثةٍ كلُّ النفوسِ رهائنُ الضرِّ
فيما دهاكَ لو اطّلعتَ رضًى شرٌّ أَخفُّ عليكَ من شرِّ
يا طيرُ ، كَدَرُ العيشِ لو تدري في صفوه ، والصفوُ في الكَدْرِ
وإذا الأُمورُ استُصعِبتْ صَعُبَتْ ويهون ما هوّنتَ من أَمْرِ
يا طيرُ ، لو لُذْنا بمصْطَبَرٍ فلعلّ رُوحَ اللهِ في الصَّبْرِ
وعسى الأَمانيُّ العذابُ لنا عونٌ على السلوان والهجرِ

وقال :

بَدَأَ الطيفُ بالجميلِ وزَارا يا رسولَ الرِّضى وُقِيتَ العِثارا

---

١ القمر : جمع قمرية وهي ضرب من الحمام .

خذ من الجفن والفؤاد سبيلا وتَيَمَّمْ من السُّوَيْداءِ دارا
أَنت إن بتَّ في الجفون فأَهلٌ عادةُ النورِ ينزل الأَبصارا
زار . والحربُ بين جفني ونومي قد أَعدّ الدُّجى لها أَوزارا
حَسَنٌ يا خيالُ صُنْعُك عندي أَجملُ الصنعِ ما يُصيبُ افتقارا
ما لربِّ الجمالِ جارَ على القلـ ـبِ ، كأَن لم يكن له القلبُ جارا ؟
وأَرى القلبَ كلما ساءَ يَجزيـ ـه عن الذنب رِقَّةً واعتذارا
أَجريحُ الغرامِ يطلب عطفاً وجريحُ الأَنام يطلب ثارا ؟
أَيها العاذلون ، نِمتم ، ورام السُّـ ـهدُ من مقلتيَّ أَمراً ، فصارا
آفةُ النُّصحِ أَن يكونَ لَجاجاً وأَذى النصحِ أَن يكون جِهارا
ساءَلْتني عن النهار جفوني رحِمَ اللهُ يا جفوني النهارا
قلن : نَبكيه ؟ قلت : هاتي دموعاً قلْن : صبراً ، فقلت : هاتي اصطبارا
يا لياليَّ ، لم أَجِدْكِ طوالاً بعد ليلي ، ولم أَجدْك قِصارا
إن مَنْ يحملُ الخطوبَ كِباراً لا يُبالي بحملهن صِغارا
لم نُفِقْ منك يا زمانُ فنشكو مُدْمنُ الخمر لا يُحِس الخُمارا
فاصرف الكأْس مُشفِقاً ، أَو فواصِلْ خرج الرشدُ عن أَكُفِّ السُّكارى

وقال :

أَبثُّكَ وَجْدي يا حَمامُ ، وأُودِعُ فإنك دونَ الطَّيرِ للسرِّ مَوْضِعُ
وأَنت مُعينُ العاشقين على الهوى تئنُّ فنُصْغي ، أَو تحنُّ فنَسْمَع
أَراك يمانِيًّا ، ومصرُ خميلتي كلانا غريبٌ ، نازحُ الدارِ ، مُوجَع
هما اثنان : دانٍ في التغرُّب آمنٌ وناءٍ على قربِ الديار مُرَوع
ومن عجبِ الأَشياءِ أَبكي وأَشتكي وأَنت تُغَنِّي في الغصونِ وتَسجَع
لعلك تُخفي الوجدَ ، أو تكتم الجَوى فقد تُمْسِك العينان والقلبُ يَدْمَع
شجاكَ صِغارٌ كالجُمانِ ومَوْطِنٌ نَدٍ مثلُ أيامِ الحَداثةِ مُمْرِعُ

إذا كان في الآجال طولٌ وفسحةٌ فما البينُ إلا حادثٌ مُتَوَقَّع
وما الأهلُ والأحبابُ إلّا لآلئٌ تُفرِّقُها الأيامُ ، والسِّمْطُ يجمع
أمُنكِرَتي . قلبي دليل وشاهدي فلا تُنكريه ، فهْو عندَكِ مُودَع
أسيرُكِ . لو يُفْدَى فدته بجمعها جوانحُ في شوقٍ إليه وأضْلُع
رماه إليكِ الدهرُ من حالِقِ الهوى يُذالُ على سفح الهوانِ ويُوضَع
ومن عجبٍ ، يأْسَى إذا قلت : مُتْعَبٌ ويطرَبُ إن قلت : الأَسيرُ المُمنَّع
لقيتِ عليماً بالغواني . وإنما هو القلبُ ، كالإنسانِ يُغرَى ويُخدَع
وأعلم أن الغدرَ في الناس شائعٌ وأن خليلَ الغانيات مُضيَّع
وأن نزاعَ الرُّشدِ والغَيِّ حالةٌ تجيءُ بأحلامِ الرِّجالِ وتَرْجع
وأنَّ أمانيَّ النفوسِ قواتلٌ وكثرتُها من كثرة الزَّهرِ أصْرَع
وأن دُعاةَ الخيرِ والحقِّ حربُهم زمانٌ بهم من عهد سُقراطَ مُولَع

وقال :

تأْبَى الدَّلالَ سجيَّةً وتصنُّعا وأراك في حالَيْ دَلالِكَ مُبدِعا
تهْ كيف شئت . فما الجمالُ بحاكم حتى يُطاعَ على الدلال ويُسْمَعا
لك أن يُرَوِّعَك الوشاةُ من الهوى وعليّ أن أهوى الغزالَ مُرَوَّعا
قالوا : لقد سَمع الغزالُ لمن وشَى وأقول : ما سَمع الغزالُ ، ولا وعَى
أنا مَنْ يحبُّك في نِفارك مؤنساً ويُحبُّ تِيهَكَ في نِفارِكَ مطمعا
قدَّمتُ بين يديَّ أيامَ الهوى وجعلتُها أملاً عليكَ مُضيَّعا
وصدقتُ في حبِّي . فلستَ مُبالياً أن أُمْنَحَ الدنيا به أو أُمْنَعا
يا مَنْ جرى من مُقلتيْهِ إلى الهوى صِرفاً ، ودار بوَجنتيْه مُشَعْشَعا[1]
اللهَ في كبدٍ سَقَيْتَ بأربَع لو صبَّحوا رضْوى بها لتصدَّعا[2]

[1] المشعشع : الشراب يمزج بالماء .
[2] رضوى : اسم جبل .

وقال :

رُدَّت الروحُ على المُضْنَى معكْ ... أحسنُ الأيام يومٌ أَرجَعَك
مَرَّ من بُعدِكَ ما رَوَّعَني ... أَتُرى يا حُلْوُ بُعدي روّعك ؟
كم شكوتُ البيْن بالليل إلى ... مَطلع الفجر عسى أَن يُطْلِعَك
وبعثتُ الشوقَ في ريح الصَّبا ... فشكا الحُرقةَ مما استْودَعك
يا نعيمي وعذابي في الهوى ... بعذولي في الهوى ما جَمعَك ؟
أنت روحي ، ظَلَم الواشي الذي ... زَعَم القلبَ سَلا ، أَو ضَيَّعَك
مَوْقِعي عندَكَ لا أَعلمُه ... آهِ لو تعلمُ عندي موقِعَك ! !
أَرْجَفوا أَنك شاكٍ مُوجَعٌ ... ليت لي فوق الضَّنا ما أَوجعك
نامت الأَعينُ ، إلا مُقلة ... تسكُب الدمعَ ، وترعى مضجَعك

وقال مشطِّراً حيث اجتمع بعض الأُدباءِ في مجلس ، فذكر أَحدهم بيتاً للبهاء زهير وهو :

يقول : أُناسٌ : لووصفت لنا الهوى ... فوالله ما أَدري الهوى كيف يوصف ؟

فقال :

يقول أُناسٌ : لو وصفت لنا الهوى ... لعل الذي لا يعرفُ الحبَّ يَعرف
فقلتُ : لقد ذُقْتُ الهوى ، ثم ذُقتُهُ ... فوالله ما أَدري الهوى كيف يوصف ؟

وقال :

علَّموه كيفَ يجفو فجفا ... ظالمٌ لاقيْتُ منه ما كفى
مسرفٌ في هجرِه ما ينتهي ... أَتُراهم علَّموه السَّرَفا ؟
جعلوا ذنبي لديْه سَهَري ... ليتَ بَدْري إذ دَرَى الذنبَ عفا
عرف الناسُ حقوقي عنده ... وغريمي ما درى . ما عَرَفا

صحّ لي في العمرِ منه موعِدٌ ... ثم ما صدَّقتُ حتى أخلفا
ويرى لي الصبرَ قلبٌ ما دَرى ... أنّ ما كلفني ما كلفا
مُستهامٌ في هواه مُدْنَفٌ ... يترضَّى مستهاماً مُدنفا
يا خليليّ ، صِفا لي حيلة ... وأرى الحيلةَ أن لا تَصِفا
أنا لو ناديتُه في ذِلَّةِ ... هي ذي روحي فخذها ، ما احتفى

وقال :

جئتنا بالشعورِ والأحداقِ ... وقسمن الحظوظَ في العشاقِ
وهَزَزْنَ القَنا قُدوداً ، فأبلى ... كل قلبٍ مُستضعَفٍ خَفَّاقِ
حبذا القسمُ في المحبين قِسمي ... لو يلاقون في الهوى ما أُلاقي
حيلتي في الهوى وما أتمنى ... حيلة الأذكياء في الأرزاق
لو يجازى المحبُّ عن فَرْطِ شوْقٍ ... لَجُزيتُ الكثيرَ عن أشواقي
وفتاةٍ ما زادها في غريبِ الـ ... ـحسن إلا غرائب الأخلاق
ذقت منها حلواً ومرًّا ، وكانت ... لذّةُ العشق في اختلاف المذَاق
ضَرَبتْ موعداً ، فلما التقينا ... جانبتني تقول : فِيمَ التلاقي ؟
قلت : ما هكذا المواثيقُ ، قالت : ... ليس للغانياتِ من ميثاق
عَطَفتْها نَحافتي ، وشجاها ... شافعٌ بادرٌ من الآماق
فأرتني الهوى ، وقالت : خَشِينا ... والهوى شُعبةٌ من الإشفاق
يا فتاةَ العراقِ ، أكتمُ مَنْ أنـ ... ـتِ ، وأكني عن حبّكم بالعراق
لي قوافٍ تَعِفُّ في الحبّ إلا ... عنْكِ ، سارت جوائبَ الآفاق
لا تَمنّى الزمانُ منها مزيداً ... إن تمنيتُ أن تفكّي وَثاقي
حمّليني في الحبِّ ما شئتِ إلّا ... حادثَ الصدّ ، أو بلاءَ الفراق
واسمحي بالعناق إن رضي الدّلُّ ... وسامحت فانياً في العناق

وقال :

مُضْنًى وليس به حَراكْ ... لكنْ يخِفُّ إذا رآكْ
ويَميل من طربٍ إذا ... ما مِلْتَ يا غصنَ الأَراك
إن الجمالَ كساكَ من ... ورَق المحاسن ما كساك
ونــبَتَّ بين جوانحي ... والقلبُ من دَمِه سقاك
حُلوَ الوعودِ . متى وفاك ؟ ... أَتُراكَ مُنْجزَها تُراك ؟
من كلِّ لفظٍ لو أذِنـ ... ـتَ لأَجلِه قبَّلتُ فاك
أخذَ الحلاوةَ عن ثَنا ... ياك العِذاب ، وعن لَمَاك
ظلماً أقول : جَنَى الهوىَ ... لم يجْنِ إلا مُقْلتاك
غدَتا منيَّةَ مَنْ رَأَيْـ ... ـتَ ، ورُحْتَ مُنْيَةَ منْ رآك

وقال :

فدَتْكَ الجوانحُ من نازلٍ ... وأهلاً بطيْفكَ من واصِل
بَذلت له الجفنَ دون الكرى ... ومَنْ بالكرى للشجي الباذِل ؟
وقلت : أراك برغم العذول ... فنابَ السُّهادُ عن العاذل
فوَيْحَ المتيَّم ! ! حتى الخيالُ ... إذا زارَ لم يَخلُ من حائل
يَحِنُّ إليك ضلوعٌ عَفَتْ ... من البيْن في جَسَدٍ ناحل
وقلبٌ جَوٍ عندها خافقٌ ... تـعَـلَّقَ بالسَّنَدِ المائل
ومِنْ عَبَثِ العشقِ بالعاشقين ... حنينُ القتيل إلى القاتل
غفلتُ عن الكأْسِ حتى طغت ... ولي أدبٌ ليس بالغافل
وشَفَّتْ. وما شفَّ مني الضميرُ ... وأين الجماد من العاقل ؟
يَظَلُّ نَديميَ يُسْقَى بها ... ويشربُ من خُلُقِي الفاضل
أبــدّدُهــا كــرمــاً كـلّما ... بدَتْ ليَ كالذهب السائل

وقال :

لامَ فيكم عذولُه وأطالا ... كمْ إلى كمْ يُعالج العُذّالا ؟
كلّ يوم لهم أحاديثُ لَوْمٍ ... بدأتْ راحةً ، وعادتَ مَلالا
بعثت ذكرَكم . فجاءت خِفافاً ... واقتضت هجرَكم ، فراحت ثقالا
أيها المُنكِرُ الغرامَ علينا ... حَسْبُكَ اللهُ . قد جَحدت الجمالا
آيةُ الحُسن للقلوب تجلَّت ... كيف لا تعشق العيون امتثالا ؟
لكَ نُصحي . وما عليكَ جدالي ... آفةُ النصحِ أن يكون جدالا
وهَبِ الرشدَ أنني أنا أسلو ... ما من العقل أن تَروم محالا

وقال :

بات المعنَّى والدجى يبتلي ... والبَرْحُ لا وانٍ وما مُنجَلي
والشُّهْبُ في كلِّ سبيلٍ له ... بموقف اللوَّام والعُذَّل
إذا رعاها ساهياً ساهراً ... رَعيْنَهُ بالحَدَقِ الغُفَّل
يا ليلُ . قد جُرْتَ . ولم تعدلِ ... ما أنت يا أسودُ إلَّا خَلي
تالله لو حُكِّمْت في الصبح أن ... تفعل أحجمْتَ فلم تفعل
أوشمتَ سيفاً في جيوش الضحى ... ما كنتَ للأعداء ما أنت لي
أبيتُ أسقَى ويُدير الجوى ... والكأسُ لا تفْنى ولا تمتلي
الخَدُّ من دمعي ومن فَيْضه ... يشرب من عينٍ ومن جَدْول
والشوقُ نارٌ في رَماد الأسَى ... والفكرُ يُذكي . والحشا يَصطلي
والقلب قوّامٌ على أضلُعي ... كأنه الناقوسُ في الهيكل

وقال :

أنا إن بذلتُ الروحَ كيف أُلامُ ... لمّا رمَتْ فأصابتِ الآرامُ ؟
عمدتْ إلى قلبي بسهمٍ نافذٍ ... فيه لمحتومِ القضاء سِهام

يا قلبُ ، لا تجزع لحادثة الهوى — واصبِر ، فما للحادثاتِ دَوام
عرَفَتْ قلوبُ الناس قبلكَ : ما الجوى ؟ — وأذاقَها قدرٌ له أحكام
تجري العقولُ بأهلها ، فإذا جرى — كبَتِ العقولُ وزلَّتِ الأحلام
ما كنتُ أعلمُ — والحوادثُ جمَّةٌ — — أن الحوادثَ مُقْلَةٌ وقَوام
جَنَيا على كبدي وما عرَّضتُها — كبدي ، عليكِ من البريءِ سلام
ولقد أقولُ لمن يَحُثّ كُئوسَها — قعدتْ كُئوسُك والهمومُ قِيام
لم تجرِ بين جوانحي إلّا كما — جرَتِ الدِنان بها وسال الجَام

وقال :

هل تَيَّمَ البانُ فؤادَ الحَمام — فناح فاسْتبكى جفونَ الغمام ؟
أم شَفَّه ما شفَّني فانثنى — مُبَلْبَلَ البالِ شريدَ المنام ؟
يَهُزُّه الأيكُ إلى إلفه — هزَّ الفِراشِ المُدْنَفَ المستهام
وتُوقِدُ الذكرى بأحشائه — جمراً من الشوق حثيث الضِّرام
كذلك العاشقُ عند الدجى — يا للهوى مما يثير الظلام !
له إذا هبَّ الجوى صَرْعةٌ — من دونها السحرُ وفعلُ المدام
يا عادِيَ البينِ ، كفى قسوةً — روّعتَ حتى مُهجات الحَمام
تلك قلوب الطيرِ حَمَّلْتَها — ما ضعفتْ عنه قلوبُ الأنام
لا ضرب المقدورُ أحبابَنا — ولا أعادينا بهذا الحُسام
يا زمنَ الوصل ، لأنت المنى — وللمُنى عقد ، وأنت النظام
لله عيشٌ لي وعيشٌ لها — كنتَ به سمحاً رخيَّ الزِّمام
وأُنْسُ أوقاتٍ ظفرنا بها — في غفلة الأيام . لو دُمْتَ دام
لكنه الدهرُ قليلُ الجَدَى — مُضيعُ العهد . لئيمُ الذِّمام
لو سامَحَتْنا في السلام النَّوى — لطال حتى الحشرِ ذاك السلام
ولانْقضَى العمران في وقفة — نسلو بها الغمضَ ونسلو الطعام

قالت وقد كاد يَميد الثرى ... من هَدَّةِ الصبر وهَوْلِ المقام
وغابت الأعينُ في دمعها ... ونالت الألسن إلَّا الكلام:
يا بينُ، وَلَّى جَلدي فاتَّئِدْ ... ويا زماني، بعضُ هذا حرام
فقلت والصبرُ يجاري الأسى ... واللبُّ مأْخوذٌ، ودمعي انسجام:
إن كان لي عندك هذا الهوى ... بأَيِّمَا قلت كتمت الغرام

وقال:

صريعُ جفنيك ينفي عنهما التهما ... فما رميت ولكن القضاءَ رمى
اللهَ في روح صَبٍّ يَغشيان بها ... مَوارِدَ الحتْفِ لم ينقل لها قدما
وكُفَّ عن قلبه المعمودِ نَبْلَهما ... أَليس عهدُك فيه جبَّةً ودما؟
سلوا غزالاً غزا قلبي بحاجبه ... أَما كفى السيفُ حتى جرّد القلما؟
واستخبروه: إلى كم نارُ جَفْوَته؟ ... أَما كفى ما جنت نارُ الخدودِ أَما؟
واستوهبوه يداً في العمر واحدةً ... ومَهِّدا عُذْرَه عني إذا حرما
ولا تَرَوْا منه ظلماً أَن يُضيِّعني ... من ضيَّع العرَضَ المملوكَ ما ظلما

وقال:

ذاد الكرى عن مقلتيك حمامُ ... لبّاه شوقٌ ساهرٌ وغرام
حيرانُ، مشبوبُ المضاجعِ، ليلُه ... حربٌ، وليلُ النائمين سلام
بين الدّجى لكما وعاديةِ الدّجى ... مهجٌ تُؤلِّفُ بينها الأَسقام
تتعاونان، وللتعاون أُمّةٌ ... لا الدهرُ يخذلها ولا الأَيام
يا أيها الطيرُ الكثيرُ سميرُه ... هل ريشةٌ لجناحه فيُقام؟
عانقت أَغصاناً، وعانقتُ الجوى ... وشكوتَ، والشكوى عليَّ حرام
أَمُحرَّمَ الأَجفانِ إدناءُ الكرى ... يَهْنِيكَ ما حرَّمتْ حين تنام
حاوَلْن منه إلى خيالك سُلَّما ... لو سامَحَتْ بخيالك الأَحلام

فأْذَنْ لِطَيْفِكَ أن يُلِمَّ مُجامِلاً   ومُؤَمِّلٌ من طيفك الإلمام

وقال :

شغلَتْه أَشغالٌ عن الآرام   وقضى اللُّبانةَ من هوًى وغرامِ
ومَضَى يجرُّ على الهوى أذيالَه   ويلومُ حاملَه مع اللُّوَّام
ويذُمُّ عهدَ الغانياتِ كناقِهٍ   بعد الشِفاءِ يذمُّ عهدَ سَقام
لا تعجلَنَّ وفي الشباب بقيَّةٌ   إن الشبابَ مَزَلَّة الأَحلام
كانت إنابتُك المُرِيبَةُ سَلْوة   نسجَتْ على جُرحٍ بجنبك دامي
إن الذي جعل القلوبَ أَعِنَّةً   قاد الشبيبةَ للهوى بزِمام
يا قلبَ أَحمدَ –والسهامُ شديدةٌ–   ماذا لقِيتَ من الغزال الرامي ؟
تَدْري ، وتسأَلني تجاهلَ عارفٍ :   أَرَنَا بعينٍ أم رمَى بسهام ؟
ما زلتَ تركَبُ كلَّ صعبٍ في الهوى   حتى ركِبْتَ إلى هواك حِمامي
وإذا القلوبُ استرسلت في غيِّها   كانت بليَّتُها على الأَجسام

وقال :

به سِحْرٌ يُتَيِّمُهُ   كلا جَفْنَيْكَ يَعْلَمُهُ
هما كادا لمهجتهِ   ومنكَ الكيدُ مُعظمُه
تعذِّبه بسحرهما   وتُوجِدُه وتُعدِمه
فلا هَارُوتَ رَقَّ له   ولا مَارُوتَ يَرْحَمُه
ويَظلِمُه فلا يشكو   إلى من ليس يَظلِمه
أَسرَّ ، ففاتَ كتماناً   وباح ، فخانه فمُه
فويْحَ المُدنَفِ المعمـ   ـودِ ، حتى البثُّ يُحرِمَه
طويلُ الليل ، ترحمُه   هواتِفُه وأنجُمه
إذا جدّ الغرامُ به   جرَى في دَمعِه دمُه

يكاد لطول صحبتِه بعادِي السُّقْم يُسقمُه
ثَنَى الأَعنَاقَ عُوَّدُه وألقى العذرَ لُوَّمُه
قضى عشقاً سوى رَمَقٍ إليكَ غدا يقدِّمه
عسى إن قيل: ماتَ هوًى تقول : اللهُ يرحمُه
فتحيا في مَراقِدِها بلفظٍ منكَ أَعْظُمُه

* * *

بروحي البانُ يومَ رَنا عن المقدورِ أَعْصَمُه
ويومَ طُعِنْتُ من غُصُن مُعَلِّمُه مُنَعِّمُه
قضاءُ اللهِ نظرتُه ولطفُ اللهِ مَبْسمُه
رمى، فاستهدفَتْ كبدي بيَ الرّامي وأَسْهمُه
له من أَضلُعي قاعٌ ومن عَجَبٍ يسلِّمه
ومن قلبي وحَبَّتِه كِناسٌ بات يَهْدِمُه
غزالٌ في يديه التِّيـ ـهُ بينَ الغيدِ يَقْسِمُه

وقال :

مَنْ صَوَّرَ السِّحْرَ المُبينَ عيونا وأَحلَّه حَدَقاً لها وجفونا؟
نَظرتْ، فحُلْتُ بجانبي، فاستهدفَتْ كبدي، وكان فواديَ المغْبونا
وَرمَتْ بسهم جال فيه جَوْلَةً حتى استقرَّ، فَرَنَّ فيه رَنينا
فلَمَسْتُ صدري مُحساً ومُرَوَّعاً ولَمَستُ جَنْبي مُشْفِقاً وضَنِينا
يا قلبُ، إن من البَواتر أَعيُناً سُوداً، وإنّ من الجآذِرِ عِينا
لا تأْخذنَّ من الأُمور بظاهرٍ إنَّ الظواهرَ تَخْدعُ الرائينا
فلكم رَجَعتُ من الأَسِنّة سالماً وصدرْتُ عن هِيفِ القدودِ طَعِينا
وخَميلةٍ فوق الجزيرة مَسَّها ذَهَبُ الأَصيل حواشياً ومُتونا
كالتِّبر أُفْقاً ، والزَّبرْجَدِ ربْوَة والمِسْكِ تُرْباً ، واللُّجَيْن معِينا

وقف الحيا من دونها مُستَأْذِناً		ومشى النسيمُ بظلِّها مأْذونا
وجرى عليها النيلُ يَقْذِفُ فضَّة		نثراً ، ويَكسِر مَرْمَراً مَسْنونا
يُغري جواريَهُ بها ، فَيجئْنها		ويُغيرُهُنَّ بها ، فيَسْتَعْلِينا
راع الظلامُ بها أُوانسَ تَرْتَمي		مثلَ الظباءِ من الرُّبى يَهوِينا
يخطُرن في ساح القلوب عوالياً		ويَمِلْنَ في مَرْأَى العيون غصُونا
عِفْنَ الذيولَ من الحرير وغيره		وسَحَبْنَ ثَمَّ الآسَ والنَّسْرينا
عارضتُهن ولي فؤادٌ عُرْضةٌ		لهوى الجآذرِ دانَ فيه ودِينا
فنظرن لا يَدرين :أَذْهبُ يَسْرَةً		فيَحِدْنَ عنّي، أَم أَميلُ يمينا؟
ونَفَرْنَ من حَوْلي وبينَ حَبائلي		كالسِّرب صادفَ في الرَّواح كَمِينا
فجمعتُهن إلى الحديثِ بدأْتُه		فغضبن ، ثم أعدته فرضينا
وسمعتُ من أَهوى تقول لِتِرْبها:		أَحْرَى بأَحمدَ أَن يكون رزينا[1]
قالت: أَراه عندَ غايةِ وَجْدِه		فلعلَّ ليلى ترحمُ المجنونا

وقال :

أَذْعَنَ للحُسن عَصِيُّ العِنانْ		وحاولتْ عيناك أَمْراً فكان
يعيش جفناك لِبَثِّ المُنى		أو الأَسى في قلب راجٍ وعان
يا مُسرفاً في التِّيهِ ما ينتهي		أَخافُ أَن يَفْنَى علينا الزمان
ويا كثيرَ الدَّلّ في عِزِّه		لا تنس لي عزِّي قُبَيْلَ الهَوان
ويا شديدَ العُجْبِ، مهلاً، فما		مِنْ مُنكرٍ أَنك زينُ الحِسان

وقال :

يا حسنَه بين الحِسانْ		في شكله إن قيل: بانْ

....

١ الترب بالكسر : ما ولد معك ، وأكثر ما يستعمل في المؤنث ، يقال هذه ترب فلانة إذا كانت على سنها .

كـالبـدرِ تأْخذه العيو ... نُ وما لهنّ به يَدان
مَلك الجوانحَ والفوا ... دَ فني يديه الخافقان
ومـنـايَ منه نظرةٌ ... فعسى يُشير الحاجبان
فعَسى يُزَكّي حُسْنَه ... مَنْ لا لَه في الحسن ثان
فدعوه يَعْدِلُ أو يَجو ... رُ ؛ فإنه مَلكَ العِنان
حقٌّ الدلالُ لمن له ... في كل جارحة مكان

وقال :

يا ناعماً رقدت جُفونُه ... مُضناكَ لا تهدا شُجونُه
حملَ الهوى لك كلَّه ... إن لم تُعنْه فَمَنْ يُعِينُه؟
عُدْ مُنْعِماً، أو لا تَعُدْ ... أَوْدَعْتَ سرَّكَ مَنْ يصُونُه
بيني وبينكَ في الهوى ... سببٌ سيجمعُنا مَتينه
رشأ يُعابُ الساحرو ... ن وسحرُهم، إلَّا جفونُه
الـروحُ مِـلْكُ يميـنه ... يَفديه ما مَلَكَتْ يَمينهُ
مـا البـانُ إلَّا قدُّه ... لو تَيَّمَتْ قلباً غصونُه
ويـزينُ كـلَّ يتيمة ... فمُه، وتحسبُها تَزينُه
مـا العـمرُ إلا ليلةٌ ... كان الصباحَ لها جَبينُه
بـات الغـرامُ يَـديننا ... فيها كما بتنا ندينه
بين الـرقيب وبيننا ... وادٍ تُـبـاعـدُه حُزونُه
نَغتـابُه ونقـول: لا ... بَقِيَ الرقيبُ ولا عيونُه

وقال :

صحا القلبُ، إلَّا من خُمَارِ أَماني ... يجاذبُني في الغِيدِ رَثَّ عِناني
حَنانيْكَ قلبي، هل أعيدُ لك الصِّبا؟ ... وهل للفَتى بالمستحيل يَدان ؟

تحنُّ إلى ذاكَ الزمانِ وطيبه ... وهل أنتَ إلا من دم وحَنان ؟
إذا لم تصُن عهداً، ولم تَرعَ ذمةً ... ولم تذَّكِرْ إلْفا ، فلستَ جَناني
أتذكر إذ نُعْطِي الصَّبابةَ حقَّها ... ونشربُ من صرفِ الهوى بدِنان؟
وأنتَ خَفوقٌ ، والحبيبُ مباعدٌ ... وأنت خفوقٌ ، والحبيبُ مدَان ؟
وأيامَ لا آلو رِهاناً مع الهوَى ... وأنتَ فؤادي عند كل رِهان
لقد كنتُ أشكو من خُفوقِك دائباً ... فولَّى ، فيا لهفي على الخفقان
سقاكَ التَّصابي بعد ما علَّك الصِّبَا ... فكيف ترى الكأسين تختلِفان؟
وما زلتُ في رَيْعِ الشباب، وإنما ... يشيبُ الفتى في مصرَ قبلَ أوان
ولا أكذبُ الباري، بنى اللهُ هيكلي ... صنيعة إحسانٍ ، ورِقَّ حِسان
أدينُ إذا اقتادَ الجمالُ أزمَّتي ... وأعنو إذا اقتادَ الجميلُ عِناني

وقال :

اللهَ في الخلق من صَبٍّ ومن عاني ... تفنى القلوبُ ويَبقى قلبُكِ الجاني
صوني جمالَكِ عنّا إنّنا بَشَرٌ ... من التراب، وهذا الحسنُ روحاني
أو فابتغي فَلَكاً تأْوينَه مَلَكاً ... لم يتَّخِذ شرَكاً في العالم الفاني
يَنساب في النور مَشغوفاً بصورته ... مُنعَّماً في بديعاتِ الحُلَى هاني
إذا تبسّم أبدى الكونُ زينتَه ... وإن تنفّس أهدى طِيبَ رَيْحان
وأشرقي من سماءِ العزِّ مُشْرقةً ... بمنظَرٍ ضاحكِ اللألاءِ فتّان
عسى تَكُفُّ دموعٌ فيكِ هاميَةٌ ... لا تطلعُ الشمسُ والأنداءُ في آن[1]
يا مَنْ هجرتُ إلى الأوطان رؤيتَها ... فرُحْتُ أشوقَ مُشتاقٍ لأوطان
أتذكرين حنيني في الزمان لها ... وسَكْبيَ الدّمعَ من تذْكارها قاني ؟
وغَبْطيَ الطيرَ ألقاه أصيحُ به : ... ليت الكريمَ الذي أعطاك أعطاني ؟

[1] الأنداء : الأمطار .

وقال :

قلبٌ بوادي الحمى خلَّفْته رَمقاً ماذا صنعْتِ به يا ظبيةَ البان؟
أَحنى عليكِ من الكُثبان، فاتّخذي عليه مَرْعاكِ من قاعٍ وكُثْبان
عَزَّيْتِه، فَوَهى جَنْبِي لفُرقته وحَنَّ للنازح المأْسورِ جُثْماني
لا ردّه اللهُ من أَسْرٍ، ومن خَبَلٍ إن كان في ردّه صَحْوِي وسُلْواني
دلَّهتِه بعزيزٍ في مَحاجِره ماضٍ، له من مُبين السِّحرِ جَفنان
رمى فضجَّتْ على قلبي جوانحُه وقلن: سهمٌ، فقال القلبُ: سهمان
يا صورةَ الحُورِ في جِلباب فانِيَةٍ وكوكبَ الصبحِ في أَعطاف إنسان
مُري عَصِيَّ الكرى يَغشَى مُجامَلَةً وسامِحي في عناق الطيفِ أَجفاني
فحسبُ خَدَّيْ مِنْ عَيْنَيَّ ما شربا فمثل ما قد جرى لم تلقَ عينان

وقال :

قالوا له : روحى فِداه هذا التجنّي ما مَداه ؟
أنا لم أَقُم بصدودِه حتى يُحمِّلَني نَواه
تجري الأُمور لـغايةٍ إلَّا عذابي في هواه
سمَّيتُه بدرَ الدُّجى ومن العجائِب لا أَراه
ودعوتُه غصنَ الرِّيا ضِ ، فلم أَجدْ رَوْضاً حواه
وأَقولُ عنه : أَخو الغزا لِ ، ولا أَرى إلَّا أَخاه
قال العواذلُ : قد جفا ما بالُ قلبك ما جفاه ؟
أنا لو أَطعتُ القلبَ فيـ ـه لم أَزِدْه على جَواه
والنُّصحُ مُتَّهَمٌ وإن نَثَرَتهُ كالدُّرّ الشفاه
أُذُنُ الفتى في قلبه حيناً ، وحيناً في نُهاه

وقال :

مقاديرُ من جَفْنَيْكِ حوّلْنَ حاليا   فذُقْتُ الهوى من بعد ما كنتُ خاليا
نفذْن عليَّ اللبَّ بالسهم مُرْسَلاً   وبالسِّحر مَقْضِيًّا ، وبالسيف قاضيا
وألبَسْنَني ثوبَ الضَّنى فلبستُه   فأَحْبِبْ به ثوباً وإن ضمّ باليا
وما الحبُّ إلّا طاعةٌ وتجاوزٌ   وإن أكثروا أوصافَه والمعانيا
وما هو إلا العينُ بالعين تلتقي   وإن نوّعوا أسبابَه والدَّواعيا
وعندي الهوى ، موصوفُه لا صفاتُه   إذا سألوني : ما الهوى ؟ قلتُ : ما بيا
وبي رَشأٌ قد كان دنيايَ حاضِراً   فغادَرَني أشتاقُ دُنيايَ نائيا
سمحتُ بُروحي في هواه رخيصَةً   ومَنْ يَهْوَ لا يُوثِرْ على الحبِّ غاليا
ولم تَجْرِ ألفاظُ الوشاة بريبةٍ   كهذي التي يجري بها الدّمعُ واشِيا
أقول لمن وَدَّعْتُ والركبُ سائرٌ :   برغم فؤادي سائرٌ بفواديا
أماناً لقلبي من جفونكِ في الهوى   كفى بالهوى كأساً ، وراحاً ، وساقيا
ولا تجْعليه بين خدَّيْكِ والنوى   من الظلم أن يغدو لنارَيْن صاليا
ولم يَنْدملْ من طعنة القَدِّ جُرحُه   فرفقاً به من طعنة البيْن داميا

وقال :

أَهلَ القُدودِ التي صالت عَواليها   اللهَ في مُهَجٍ طاحت غَواليها
خُذْن الأَمانَ لها لو كان ينفعها   وارْدُدْنها كرَماً لو كان يُجديها
وانظرنَ ما فعلَتْ أَحداقُكُنّ بها   ما كان من عَبَثِ الأحداقِ يكفيها
تعرّضت أَعينٌ منّا ، فعارَضَنا   على الجزيرة سِرْبٌ من غَوانيها
ما زُرْن من كُنُسٍ إلّا إلى كُنُسٍ   من الجوانح ضَمَّتْها حَوانيها[1]

[1] الكنس : جمع كناس ، وهو بيت الظبي .

عَنَّتْ لنا أُصُلاً ، تُغْري بنا أسَلاً مَهزوزةً شكَلاً ، مشروعةً تِيهاً[1]
وأَرْهَفَتْ أعيُناً ضَعْفَى حمائلُها نَشْوَى مَناصِلُها ، كَحْلَى مَواضِيها
لنا الحبائلُ نُلْقِيها نَصِيدُ بها ولم نَخَلْ ظَبَيَاتِ القاعِ تلْقِيها
نصَبْنها لكَ من هُدْبٍ ومن حَدَقٍ حتى انثنيْتَ بنفسٍ عزَّ فاديها
من كلِّ زهراءَ في إشراقها ضَحكَتْ لَبَّاتُها عن شبيه الدُّرِّ مِن فيها
شمسُ المحاسنِ يُسْتَبْقَى النهارُ بها كأَن يُوشَعَ مفتونٌ يُجاريها
مَشت على الجسر رِيماً في تلفُّتِها للناظرين ، وباناً في تَثَنِّيها
كأَن كلَّ غوانيه ضرائرُها عُجْباً ، وكلَّ نواحيه مَرائِيها
عارَضْتُها وضميري من محارمها يَزْوَرُّ عن لحظاتي في مَساريها
أعِفُّ من حَلْيِها عمّا يُجاورُه ومن غلائلها عمّا يُدانيها
قالت : لعلَّ أَديبَ النيلِ يُحرجُنا فقلت : هل يُحرجُ الأَقمارَ رائيها
بيني وبينك أَشعارٌ هتفتُ بها ما كنتُ أَعلم أَن الرِّيم يرويها
والقولُ إن عفَّ أَو ساءَت مواقِعُه صدى السريرةِ والآدابِ يَحكيها

وقال :

أداري العيونَ الفاتراتِ السَّواجيا وأَشكو إليها كَيْدَ إنسانِها لِيا
قتلنَ ومنَّين القتيلَ بأَلْسُنٍ من السحر يُبْدِلْنَ المنايا أَمانيا
وكلَّمْنَ بالأَلحاظِ مَرْضَى كَليلةً فكانت صِحاحاً في القلوب مَواضِيا
حَبَيْتُكِ ذاتَ الخالِ ، والحبُّ حالةٌ إذا عَرَضت للمرءِ لم يَدْرِ ما هيا
وإنك دُنيا القلب مهما غَدَرْتِه أَتى لكِ مملوءاً من الوجْد وافيا
صدودُك فيه ليس يأْلوه جارحاً ولفظُكِ لا ينفَكُّ للجرح آسيا

١ يقال : شكلت المرأة شكلاً : كانت ذات شكل أي غنج ودلال وغزل .

وبين الهَوى والعَذْلِ للقلب موقفٌ   كخالِكِ بينَ السيفِ والنارِ ثاويا[1]
وبين المُنى واليأْسِ للصبر هِزَّةٌ   كَخَصْرِكِ بينَ النَّهْدِ والرِّدْفِ واهيا
وعرَّض بي قومي ، يقولونَ : قدغوى   عدِمتُ عذولي فيكِ إن كنتُ غاويا
يَرومونَ سُلواناً لقلبي يُريحُهُ   ومن لِيَ بالسُّلْوانِ أَشريه غاليا ؟
وما العشقُ إلا لذةٌ ثم شِقوةٌ   كما شَقِيَ المخمورُ بالسُّكر صاحيا

١ يعني الشاعر بهذه التورية أن خالها بين نار الخد – وهي كناية عن الحمرة – وبين سيف الغمد وهو معروف .

متفرقات

مَصَايرُ الأَيَّامِ

أَلا حَبَّذَا صُحبةُ المكتَبِ وأَحبِبْ بِأَيَّامه أَحببِ !
ويا حبّذا صِبيةٌ يَمرحو نَ ، عِنانُ الحياةِ عليهم صَبي
كأنهمو بَسَماتُ الحيا ةِ وأنفاسُ ريْحانِها الطيِّب
يُراحُ ويُغدَى بهم كالقَطيـ ـع على مشرِقِ الشمس والمَغرِب
إلى مَرْتَعٍ أَلِفوا غيرَه وراعٍ غريبٍ العصا أَجنبي
ومُستقبَل من قيود الحيا ةِ شديدٍ على النفس مُستصعَب
فِراخٌ بأَيكٍ : فمن ناهضٍ يَروضُ الجناحَ ، ومن أَزْغَب
مقاعِدُهم من جَناحِ الزَّما نِ وما علِموا خَطَرَ المَرْكَب
عصافيرُ عند تهجِّي الدرو س ، مِهارٌ عرابيدُ في المَلْعَب[1]
خَلِيُّون من تَبِعات الحيا ةِ ، على الأُمِّ يُلقونها والأَب
جنونُ الحَداثة من حولهم تضيقُ به سعةُ المذهب
عدا فاستبدَّ بعقل الصبيّ وأَعدى المؤدّبَ حتى صَبي !
لهم جَرسٌ مُطْربٌ في السرا ح ، وليس إذا جَدَّ بالمطربِ
توارثْ به ساعةٌ للزما ن على الناس دائرةُ العَقْرب
تشُولُ بإبرتها للشبا بِ، وتقذِف بالسّم في الشُّيَّب[2]
يَدُقُّ بمِطرقتيْها القضا ءُ وتجري المقاديرُ في اللَّوْلَب
وتلك الأَواعي بأَيمانهم حقائبُ فيها الغدُ المُختَبي[3]

١ المهار : جمع مهر ، والعرابيد جمع عربيد بالكسر ، والعربيد الكثير العربدة .
٢ تشول : ترفع ، أخذاً من قولهم : شالت الناقة ذنبها إذا رفعته .
٣ الأيمان : جمع يمين ، وهي اليد اليُمنى .

ففيها الذي إن يُقِم لا يُعدَّ من الناس ، أو يَمض لا يُحسب
وفيها اللِّواءُ ، وفيها المنا رُ ، وفيها التَّبيعُ ، وفيها النَّبي
وفيها المؤخَّرُ خلفَ الزحا مِ ، وفيها المقدّمُ في الموكِب

* * *

جميلٌ عليهم قشيبُ الثيا بِ ، وما لم يُجمَّل ولم يَقشب[1]
كساهم بَنانُ الصِّبا حُلَّةً أعزَّ من المخملِ المُذْهَب
وأبهى من الوردِ تحت الندى إذا رفَّ في فرعه الأهْدب
وأطهرَ من ذيلها لم يَلُمّ من الناس ماشٍ ، ولم يَسحَب

* * *

قطيعٌ يُزَجِّيه راعٍ من الدهـ ـر ، ليس بلَيْنٍ ولا صُلَّب
أهـابت هِرواتُه بالـرِّفا ق ، ونادت على الحيَّدِ الهُرَّب
وصرّفَ قطعانه ، فاستبدّ ولم يخشَ شيئاً ، ولم يَرهَب
أراد لمن شاءَ رَعْيَ الجَديـ ـب ، وأنزلَ من شاءَ بالمُخصِب
ورَوّى على رِيِّها النَّاهلا تِ ، وردّ الظِّماءَ فلم تَشرَب
وألقى رِقاباً إلى الضاربيـ ـن ، وضَنّ بأُخرى فلم تُضرَب
وليس يبالي رضا المستَريـ ـحِ ، ولا ضَجَرَ الناقمِ المُتعَب
وليس بمُبْقٍ على الحاضريـ ـن ، وليس بباكٍ على الغُيَّب

* * *

فيا وَيْحَهم ! هل أَحَسُّوا الحيا ةَ ؟ لقد لعبوا وهْيَ لم تَلْعَب
تجرِّبُ فيهم وما يعلمو ن ، كتجربة الطبِّ في الأَرْنب
سَقَتْهم بسُمّ جرى في الأُصو ل ، ورَوَّى الفروعَ ولم يَنضُب
ودار الزمانُ ، فدالَ الصِّبا وشبَّ الصِّغارُ عن المكتب

[1] القشيب : الحديد .

وجَدَّ الطِّلابُ ، وكدَّ الشبا ... بُ وأوغَل في الصَّعب فالأصعب
وعـادت نـواعِـمُ أيّامِه ... سِنينَ من الدَّأْبِ المُنصِب
وعُـذِّبَ بـالعلم طُلّابُه ... وغصُّوا بِمَنْهَلِهِ الأعذب
رَمَتْهم به شهواتُ الحيا ... ةِ ، وحُبُّ النَّباهَةِ والمَكسب
وزَهو الأُبُوَّةِ من مُنجبٍ ... يفاخرُ مَنْ ليس بالمُنجب
وعقلٌ بعيدُ مَرامي الطِّما ... حِ ، كبيرُ اللُّبانةِ والمأْرَب
وَلوعُ الرّجاءِ بمَا لم تَنَلْ ... عقولُ الأَوالي ولم تطلُب
تنقَّلَ كالنَّجم من غَيْهَبٍ ... يَجوبُ العصورَ إلى غَيْهَب
قديمُ الشُّعاعِ كشمسِ النها ... رِ جديدٌ كمِصباحها المُلهب
أبوقْراطُ مثلُ ابنِ سينا الرئيـ ... ـسِ ، وهوميرُ مثلُ أبي الطَّيِّب
وكلُّهمو حَجَرٌ في البنا ... ءِ ، وغرسٌ من المثمرِ المُعقبِ

* * *

تُولِّفُهم في ظلال الرخا ... ءِ ، وفي كَنَفِ النسبِ الأَقرب
وتَكسِرُ فيهم غرورَ الثرا ... ءِ ، وزَهْوَ الولادةِ والمنصِب
بيـوتٌ مُنَزَّهةٌ كـالعتيـ ... ـقِ وإن لم تُستَّرْ ولم تُحجَب
يُداني ثراها ثَرى مكَّةٍ ... ويقربُ في الطُّهر من يَثرب
إذا ما رأيتَهمو عندها ... يموجون كالنحل عند الرُّبي
رأيتَ الحضارَةَ في حصنِها ... هناك ، وفي جُنْدِها الأغلب
وتَعرِضُـهم مَوكِباً موكِباً ... وتسأَل عن عَلَم الموكِب
دَعِ الحظَّ يطلَعْ به في غدٍ ... فإنَّك لم تَدْرِ من يجتبي
لقد زَيَّنَ الأرض بالعبْقَريِّ ... مُحَلِّي السماواتِ بالكوكب

* * *

وَخَدَّشَ ظفرُ الزمانِ الوجو ... هَ ، وغَيَّض من بشرِها المُعْجب
وغال الحداثةَ شَرْخُ الشبا ... بِ ، ولوشِيَتِ المُرْدُ في الشُّيَّب

سَرَى الشيبُ مُتَّئِداً في الرؤو س سُرَى النارِ في الموضعِ المُعْشِبِ
حريقٌ أحاط بخيطِ الحيا ةِ ، تعَجَّبْتُ كيف عليهم غَبِي ؟
ومن تَظهرِ النارُ في دارِه وفي زرعه منهمو يَرْعَب
قد انصرفوا بعد علمِ الكتا بِ لبابٍ من العلم لم يُكتَب
حياةٌ يُغامِرُ فيها امرؤٌ تسلَّحَ بالنَّابِ والمِخْلَب
وصار إلى الفاقةِ ابنُ الغنيِّ ولاقى الغِنى ولدُ المُتْرِب
وقد ذهبَ المُمتلي صِحَّةً وصَحَّ السقيمُ فلم يَذْهَب
وكم مُنْجِبٍ في تَلَقِّي الدرو سِ تَلَقَّى الحياةَ فلم يُنجِب
وغاب الرفاقُ ، كأن لم يكن بهم لك عهدٌ ، ولم تَصْحَب
إلى أن فـنوا ثَـلَّـةً فناءَ السرابِ على السَّبْسَب

لُبْنان

السِّحْرُ من سُودِ العيونِ لقِيتُهُ والبابِليُّ بلحظهنّ سُقِيتُهُ
الفاتراتِ وما فَتَرْنَ رمايةً بمُسَدَّدٍ بينَ الضلوع مَبيتُه
الناعساتِ الموقظاتِ للهوى المُغْرياتِ به وكنتُ سَلِيته
القاتلاتِ بعابثٍ في جَفنه ثَمِل الغِرار مُعَرْبد إصْليته[1]
الشارعاتِ الهُدْبَ أمثالَ القنا يُحيي الطَّعينَ بنظرة ويُميته
الناسجاتِ على سواءِ سطورهِ سَقَماً على منوالهن كُسِيته

* * *

وأغنَّ أكحلَ من مَها « بِكَفَيَّة » علِقت محاجرُه دمي وعَلِقته

١ الاصليت : السيف .

لُبنانُ دارَتُه وفيه كِناسُه بين القنا الخطّار خُط نحَيته
السلسبيلُ من الجداول وِرْدُه والآسُ من خُضْرِ الخمائل قوتُه
إن قلتُ تمثال الجمال مُنَصّبا قال الجمال براحتيَّ مَثلْته
دخل الكنيسةَ فارتقبْتُ فلم يُطِل فأتيت دون طريقِه فزحمته
فازْوَر غضباناً وأَعرض نافِراً حالٌ من الغِيد الملاحِ عرفتُه
فصرفتُ تلْعَابي إلى أترابه وزَعمتهن لُبانتي فأغرتُه
فمشى إليَّ وليس أَوّلَ جؤْذَرٍ وقعت عليه حبائلي فقنصته
قد جاءَ من سحر الجفون فصادَني وأتيتُ من سحر البيان فصدْتُه
لما ظفرتُ به على حَرَم الهُدَى لابن البتول وللصلاة وهبته
قالت ترى نجمَ البيان فقلت بل أُفق البيان بأَرضكم يمّمته
بلغ السُّها بشموسه وبدُوره لُبنانُ وانتظم المشارقَ صيته
من كلّ عالي القدر من أَعلامه تتهللُ الفُصْحى إذا سميته
حامي الحقيقة ، لا القديم يئُودُه حفظاً ولا طلبُ الجديد يفوته
وعلى المشيد الفخمِ من آثاره خلق يبين جلالُه وثبوته
في كلِّ رابيةٍ وكل قرارة تبُر القرائح في التراب لمحته
أَقبلتُ أَبكي العلم حول رسومهم ثم انثنيت إلى البيان بكيته

* * *

لبنانُ والخُلد ، اختراع الله لم يُوسَم بأَزينَ منهما ملكوته
هو ذِرْوة في الحسن غيرُ مَرُومة وذَرا البراعة والحِجى «بيروته»
مَلِكُ الهضابِ الشمِّ سلطانُ الرُّبى هامُ السحاب عروشُه وتُخوتُه
سيناءُ شاطره الجلالَ فلا يُرى إلَّا له سُبُحاته وسُموته[1]
والأَبلقُ الفردُ انتهت أَوصافهُ في السُّؤدد العالي له ونُعوته
جبل عن آذار يُزْرى صيفُه وشتاؤه يَئِد القرى جبروته

....

[1] السبحة : الأنوار الإلهية ومواضع السجود . والسمت : هيئة أهل الخير .

أبهى من الوَشْيِ الكريم مروجُه   وألذُّ من عَطَلِ النُّحور مُروتُه[1]
يغْشى روَابيَه على كافورها   مِسْكُ الوهادِ فَتيقُه وفَتيتُه[2]
وكأن أيامَ الشباب ربوعُه   وكأن أحلامَ الكعاب بيوتُه
وَكأنّ ريْعانَ الصِّبا ريْحانُه   سِرُّ السرور يَجودهُ ويقوتُه
وكأنّ أثداءَ النواهد تِينُه   وكأن أقراط الولائد توته
وكأن هَمسَ القاع في أُذنِ الصفا   صوتُ العتابِ ظهوره وخُفوته[3]
وكأن ماءهما وَجَرْسَ لُجَينه   وَضحُ العروس تبينه وتصيتُه[4]

* * *

زعماء لُبنان وأهلَ نَديِّه   لبنانُ في ناديكمو عظمتُه
قد زادني إقبالُكم وقبولُكم   شرَفاً على الشرفِ الذي أوليته
تاجُ النيابة في رفيع رءوسكم   لم يُشرْ لؤلؤه ولا ياقوتُه
«موسى» عدوُّ الرِّقِّ حولَ لوائكم   لا الظُّلمُ يرْهِبه ، ولا طاغوتُه[5]
أنتم وصاحبكم إذا أصبحتمو   كالشهرِ أكملَ عدَّة موقوتُه
هو غرَّةُ الأيامِ فيه ، وكلكم   آحادُه في فضلها وسُبوته

المؤْتَمرُ *

صرْحٌ على الوادي المباركِ ضاحي   مُتظاهرُ الأعلامِ والأوضاحِ

---

١ عطل النحر من الحلى : خلا . والمروت : جمع مرت وهي المفازة بلا نبات .
٢ فتق المسك : استخرجه بشيء يدخله عليه . والفتيت : المفتوت .
٣ ينبوعان في لبنان .
٤ الجرس : الصوت . الوضح : حلى من الفضة . تصيته : تجعله يصوت .
٥ موسى نمّور بك رئيس مجلس النواب اللبناني .
* مؤتمر سياسي اجتمعت فيه كلمة الأحزاب السياسية المصرية على إنقاذ الدستور برئاسة المغفور له سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٦ .

ضافي الجلالة كالعَتيق مُفَصل		ساحاتِ فضل في رِحابِ سَماح
وكأن رَفْرَفَه رِواقٌ من ضحىً		وكأن حائطَه عَمودُ صباحِ
الحقُّ خَلْفَ جَناحٍ استَذرَى به		ومَرَاشِدُ السلطانِ خلفَ جَناح
هو هيكلُ الحرّيةِ القاني ، له		ما للهياكلِ من فِدىً وأضاح
يبنى كما تُبنى الخنادقُ في الوغى		تحتَ النبالِ وصَوْبِها السحّاح
يَنهارُ الاستبدادُ حولَ عِراصِه		مِثلَ انهيارِ الشِّركِ حولَ صَلاح[1]
وَيُكَبُّ طاغوتُ الأُمور لوَجهِه		مُتَحَطِّمَ الأصنامِ والأشباح
هو ما بَنَى الأَعْزَال بالرَّاحات ، أو		هو ما بَنى الشهداءُ بالأرواح
أخذته مصر بكل يومٍ قاتمٍ		وَرْدِ الكواكب أحمرِ الإصْباح
هَبَّتْ سِباحاً بالحياةِ شبابها		والشيبُ بالأَرْماق غيْرُ شحاح
ومشتْ إلى الخيل الدوَارِع وانبرتْ		للظّافر الشاكي بغير سِلاح
وَقَفاتُ حقٍّ لم تقفْها أُمَّةٌ		إلا انْثنتْ آمالُها بنجاح
وإذا الشُّعوبُ بَنَوْا حقيقة مُلْكِهم		جعلوا المآتمَ حائطَ الأفراحِ

* * *

بشرى إلى الوادي تَهزُّ نَباتَه		هَزَّ الربيعِ مَنَاكِبَ الأدواح
تسري ملمَّحة الحجول على الرُّبى		وتسيل غُرَّتُها بكل بِطاح[2]
التَامَتِ الأحزابُ بعدَ تَصَدُّع		وتصافتِ الأقلامُ بعد تَلاحي
سُحِبَتْ على الأحقاد أذيالُ الهوى		وَمَشَى على الضّغن الودادُ الماحي
وَجَرَتْ أَحاديثُ العتابِ كأنها		سَمَرٌ على الأوتارِ والأقداح
ترْمي بِطرْفِكِ في المجامع لا ترى		غيرَ التعانُقِ واشتباكِ الراحِ

* * *

١ صلاح : اسم لمكة .
٢ الحجول : الخلاخيل .

شمسَ النهارِ ، تعلّمي الميزانَ من ... سَعْدِ الديار وشيخِها النَّضّاح[1]
مِيلي انظُريه في النَّدِيِّ كأنّه ... عثمانُ عن أُمِّ الكتابِ يُلاحي
كم تاجِ تضحيةٍ وتاجِ كرامةٍ ... للعين حولَ جبينه اللمّاحِ
والشيبُ مُنْبَثِقٌ كنور الحقِّ من ... فُودَيْه ، أو فجرِ الهدى المِنْصاحِ[2]
لَبّى أذانَ الصُّلحِ أوّلَ قائمٍ ... والصلحُ خُمس قواعِد الإصلاح
سبق الرجالَ مُصافِحاً ومُعانقاً ... يمْنىٰ السمّاحِ وهيكَلَ الإسجاح[3]
عدلى الجليل ابن الجليل من الملا ... والماجد ابن الماجد المِسماح
حُلْوُ السجيَّة في قناةٍ مُرَّةٍ ... ثَمِلُ الشمائل في وَقارٍ صاح

* * *

شتّى فضائلَ في الرجال ، كأنها ... شتّى سلاحٍ من قناً وصِفاح[4]
فإذا هيَ اجتمعت لِمُلكٍ جَبْهَةً ... كانت حصونَ مَناعَةٍ ونطاح
اللهُ ألّف للبلاد صدورَها ... من كل داهيةٍ وكل صُراح
وزراءُ مملكةٍ ، دَعائِمُ دولةٍ ... أعلامُ مُؤتَمَرٍ ، أسودُ صَباحِ[5]
يَبنون بالدستورِ حائطَ مُلْكِهم ... لا بالصِّفاحِ ولا على الأرْماحِ
وجَواهرُ التيجانِ ما لم تُتَّخَذْ ... من مَعدِنِ الدستورِ غيرُ صِحاح

* * *

احْتل حِصْنَ الحقّ غيرُ جنودِهِ ... وتكالبت أيْدٍ على المفتاحِ
ضجَّتْ على أبطالها ثُكُناتُه ... واسْتَوْحَشَتْ لِكُماتِها النُّزاحِ
هُجِرَت أرائِكُهُ ، وعُطِّلَ عودُه ... وخلا من الغادين والرُّوّاحِ

١ النضاح : الرامي بالنبل وهو كناية عن الحامي والمدافع .
٢ المنصاح : الخالص .
٣ يقال سجح خلقه : سهل ولان .
٤ الصفح : السيوف .
٥ صباح هنا : أي حرب .

وعَلاهُ نَسْجُ العنكبوتِ ، فزاده كالغارِ مِن شرفٍ وسمتِ صلاح

* * *

قلْ للبنين مقالَ صدقٍ ، واقْتَصِدْ ذَرْعُ الشباب يضيق بالنُّصّاحِ :
أنتم بنو اليوم العصيب ، نشأْتمو في قَصْفِ أنواءٍ ، وعَصْفِ رياحِ
ورأيتمو الوَطَنَ المؤلَّفَ صخرةً في الحادثات وسَيْلِها المجتاحِ
وشهدتمو صَدْعَ الصفوفِ وما جَنَى من أمْرِ مُفْتاتٍ ونَهْيِ وَقاحِ
صوتُ الشعوب من الزئير مُجمَّعاً فإذا تفرَّقَ كان بعضَ نُبَاحِ
أَظْمَتْكُمو الأيامُ ، ثم سقتكمو رَنقاً من الإحسانِ غيرَ قَراحِ
وإذا مُنِحْتَ الخيرَ من مُتَكَلِّفٍ ظَهَرَتْ عليه سجيَّةُ المنّاحِ
تركَتْكُمو مثلَ المَهيضِ جناحُه لا في الحبال ، ولا طليقَ سَراحِ
مَنْ صَيَّرَ الأغلالَ زَهْرَ قَلائدٍ وكسا القيودَ محاسنَ الأوضاحِ ؟
إنَّ التي تبغون ، دون منالِها طولُ اجتهادٍ ، واضطرادُ كِفاحِ
سيروا إليها بالأناة طويلةً إن الأناةَ سبيلُ كلِّ فَلاحِ
وخذوا بناءَ المُلكِ عن دستوركم إن الشِّراعَ مُثقِّفُ الملّاحِ
يا دارَ محمودٍ . سَلِمْتِ ، وبورِكتْ أركانُكِ الهرميَّةُ الصُّفَّاحُ[1]
وازددْتِ من حسنِ الثناء وطيبه حجراً هو الدُّرِّيُّ في الأمداحِ
الأمةُ انتقلتْ إليكِ ، كأنما أنزلتِها من بيتها بجناحِ
بركاتُ شيخٍ بالصعيد مُحمَّلٍ عِبْءَ السنينَ مُؤمَّلٍ نفّاحِ
بالأمسِ جادَ على القضيةِ بابنه واليومَ آواها بأكرمِ ساحِ

[1] الصفاح : حجارة عريضة .

النَّسْرُ المِصْريُّ *

أَعُقابٌ في عَنان الجوِّ لاح — أم سحابٌ فرّ من هُوج الرياحْ ؟
أَم بساطُ الريحِ ردّته النوى — بعد ما طوّف في الدهر وساح ؟
أَو كأَن البرجَ أَلقى حوتَه — فترامى في السماوات الفِساح

* * *

أَقبلَتْ مِنْ بُعْدٍ تحسبُها — نَحْلَةً عَنَّتْ وطَنَّتْ في الرياح
يا سلاحَ العصر بُشِّرنا به — كلُّ عصرٍ بِكَمِيٍّ وسلاح
إِن عزًّا لم يظَلَّلْ في غدٍ — بجناحَيْكَ ذليلٌ مُستَباح
فتكاثَرْ وتأَلَّفْ فَيْلَقاً — تَعْصِمُ السِّلمَ وتعلو للكفاح
مصرُ للطير جميعاً مسرحٌ — ما لنا فيه ذُنابى أَو جَناح
رُبَّ سِرْبٍ قاطعٍ مرَّ به — هبط الأَرض مَلِياً واستراح
لِمَ لا يفتن فتيانَ الحمى — ذلك الإِقدامُ ، أَو ذاك الطِّماح ؟
من فتىً حلّ من الجوِّ بهم — فتلقَّوْهُ على هامٍ وراح
إنه أَوّلُ عُصفورٍ لهم — هزّ في الجوِّ جَناحيْه وصاح
دَبَّتْ الهِمَّةُ فيه ، ومشت — عزماتٌ منكَ يا حربُ صِحاح[1]
ناطَحَ النَّجمَ فتىً علَّمَته — في حياةٍ حُرَّةٍ كيف النِّطاح
لك في الأَجيالِ تمثالٌ مشى — وجدوا الرشدَ عليه والصّلاح
جاوز النيل وعبّرْيْه إلى — أَكَم الشام وهاتيك البطاح

* * *

فارسَ الجوِّ ، سلامٌ في الذُّرَى — وعلى الماءِ ، ومن كل النواح

---

* قيلت بمناسبة قدوم صدقي الطيار المصري الأول من برلين إلى القاهرة طائراً في سنة ١٩٣٠

١ طلعت بك حرب مدير بنك مصر .

ثِبْ إلى النجم ، وزاحِمْ ركنَه   وامتلئْ من خُيَلاءٍ ومِراح
إنَّ هذا الفَتحَ لا عهدَ به   لضِفاف النيلِ من عهد فتاح
تلك أبوابُ السماءِ انفتحت   ما وراءَ البابِ يا طيرَ النجاح ؟
أسماءُ النيلِ أيضاً حَرَمٌ   من طريق الهندِ ، أم جوٌّ مُباح ؟

* * *

عينُ شمسٍ مُلِئَتْ من موكب   كان للأبطال أحياناً يُتاح
ربّمَا جلَّل وجهَ الأرض ، أو   رُبّمَا سدّ على الشمس السراح
أن يَفُتْه الجيشُ أو روعتُه   لم يفُتْه النَّشأُ الزُّهرُ الصِّباح
وفِدى فائزةٍ سُمْرُ القَنا   وفِدى حارِسها بيضُ الصِّفاح
ولقد أبطأت حتى لم يَنمْ   للحمىٰ ليلٌ ولم يَنعم صَباح
فابتغى العُذْرَ كِرامٌ ، وانْبرَتْ   ألسنٌ في الثَّلْم والهَدْمِ فِصاح
تلتوي الخيلُ على راكبها   كيف بالعاصف في يوم الجِماح ؟
ليس مَنْ يركبُ سَرْجاً ليِّناً   مثلَ مَنْ يركب أعرافَ الرياح
سِرْ رُوَيْداً في فضاءٍ سافرٍ   ضاحكِ الصفحةِ كالفردوس صاح
طرفت عَيْناً به الشمسُ ، فلو   خُيِّرَتْ لم تتحفَّز للرواح
وتكاد الطيرُ من خفَّته   تتعالى فيه من غير جَناح
قف تأمل من عُلُوٍّ قُبَّةً   رُفعتْ للفضل والرأيِ الصُراح
نزل النوّابُ فيها فتيةً   في جَناح وشيوخاً في جَناح
حملوا الحقَّ وقاموا دونَهُ   كرَعِيلِ الخيل أو صفِّ الرماح

* * *

يا أبا الفاروقِ ، مَنْ ترعى ففي   كنَفِ الفضل وفي ظلِّ السَّماح
أنت من آبائك السُّحْب ، وما   في بناءِ السُّحُبِ الأيدي الشِّحاح
يَدُكَ السَّمْحَةُ في الخير ، وفي   هِمَّةِ الغَرْسِ ، وفي أُسْوِ الجراح
نحن أفلحنا على الأرض بكم   ورجونا في السماوات الفلاح

تُوتْ عَنْخ آمون وَالبَرْلمان

قُمْ، سابِقِ الساعة واسْبِقْ وعدَها | الأرضُ ضاقَت عنكَ فاصْدعْ غمدها
واملأْ رماحاً غورَها ونَجْدَها | وافتح أُصولَ النيل واستردَّها
شَلَّالَها، وعَذْبَها، وعِدَّها | واصرفْ إلينا جَزْرَها ومَدَّها[1]
تلك الوجوهُ لا شكَوْنا فقدَهَا | بيَّضَتِ القُرْبى لنا مُسْوَدَّها
سُلِلْتَ من وادي الملوك فازْدَهَى | وألقت الشمسُ عليه رَأْدَها
واسترجعتْ دولتُه إفرِنْدَها | أبيضَ، ريَّانَ المُتونِ، وَرْدَها
أَبلَى ظُبَى الدهرِ، وفَلَّ حَدَّها | وأَخْلَقَ العصورَ، واستجدَّها
سافَرَ أَربعينَ قَرْناً عدّها | حتى أَتى الدارَ، فألفَى عِندها
إنجلترا، وَجَيْشَها، ولُوردَها | مَسلولَةَ الهندِيِّ تَحمي هِندَها
قامت على السودانِ تَبْني سدَّها | وركَزتْ دونَ القناةِ بَنْدَها[2]

* * *

فقالَ والحسرةُ ما أَشدَّها | : ليت جدارَ القبرِ ما تَدَهْدَها[3]
وليتَ عَيني لم تفارق رَقْدَها | قُمْ نَبِّي يا بنتؤورُ: ما دها؟[4]
مِصرُ فَتاتي لم تُوَفِّرْ جَدَّها | دَقَّتْ وراءَ مَضجعي جازْبَنْدَها
وخلَطتْ ظِباءَها وأُسدَها | وسكبَ الساقي الطِّلا. وبَدَّها[5]
قد سَحبتْ على جلالي بُرْدَها | ليتَ جلالَ الموتِ كان صَدَّها

* * *

١ العد: الماء الجاري له مادة لا تنقطع.
٢ البند: العلم.
٣ تدهده: انقض وتدحرج.
٤ بنتاءور: شاعر مصري قديم.
٥ بد الشيء: فوقه. وهنا بمعنى أراقها.

فقلت : يا ماجدَها وجَعْدَها لو لم تكُ ابنَ الشمس كنتَ رِئدَها[1]
لَحْدُكَ وَدَّتْهُ النجومُ لحدَها أَريتنا الدنيا بهِ وجدَّها
سلطانها ، وعزَّها ، ورَغْدَها وكيف يُعْطَى المتَّقون خُلْدها
آثاركم يُخْطِي الحسابُ عَدَّها انهدمَ الدهرُ ولم يَهُدّها
أبوابُكَ اللاّتي قَصَدْنا قَصْدَها كارترُ في وجهِ الوفودِ رَدَّها
لولا جهودٌ لا نريدُ جَحْدَها وحُرمةٌ من قُربك استمدَّها
قلتُ لك : اضربْ يَدَه وقُدَّها وابعث له من البعوضِ نُكْدَها

* * *

مِصرُ الفتاةُ بَلَغَتْ أَشُدَّها وأَثبتَ الدمُ الزّكيُّ رُشْدَها
ولعِبتْ على الحبالِ وحْدَها وجَرَّبَتْ إرخاءَها وشَدَّها
فأرسلتْ دُهاتَها ولُدَّها في الغرْب سدُّوا عنده مَسَدَّها[2]
وبَعَثَت للبرلمان جُنْدَها وحَشَدَتْ للمِهْرَجانِ حَشْدَها
حَدَتْ إليه شيبَها ومُرْدَها وأبرزَتْ كَعابَها وخَوْدَها
ونثرتْ فوق الطريق وَرْدَها واستقبَلت فؤادها ووَفْدَها
مَوْئلَها ، وكهفها ، وردَّها[3] وابنَ الذين قَوَّموا مَقَدَّها
وأَلَّفوا بعد انفراطٍ عِقْدَها وجَعَلوا صحراءَ ليبيا حَدَّها
وبَسطوا على الحجاز أَيْدَها وصيّروا العَاتيَ فيه عَبْدَها
حتى أتى الدارَ التي أعدّها لمِصرَ تبْني في ذَراها مَجْدَها
فثبَّتَ الشُّورى ، وشَدَّ عَقْدَها وقلَّدَ الجيلَ السعيدَ عَهْدَها
سُلْطتَه إلى بنينا ردَّها

١ الجعد : الكريم .
الرئد : الترب .
٢ اللد : الأشداء في الخصومة .
٣ الرد : العماد .

يا ربِّ قَوِّ يَدَهَا ، وشُدَّها وافْتح لها السُّبْلُ ، ولا تَسُدَّها
وقِسْ لكلِّ خطْوةٍ ما بعدها وعن صغيرات الأُمور حُدَّها
واصرف إلى جدّ الشئونِ جدّها ولا تُضِعْ على الضحايا جُهْدَها
واكبحْ هوى الأنفسِ واكسرْ حِقدَها واجمعْ على الأُمِّ الرَّءوم وُلْدَها
واملأْ بألبانِ النُّبوغِ نَهْدَها ولا تَدَعْها تُحْيي مُسْتَبِدَّها
وتنتحتْ براحتَيْها فَرْدَها

مَصْرَعُ اللُّوردِ كِتْشنر

قِفْ بهذا البحرِ وانظُرْ ما غَمَرْ مظهر الشمس وإقبال القمرْ
واعرضِ الموجَ مَلِيًّا . هل ترى غَمْرَةً أَوْدَتْ بخَوَّاض الغُمر ؟
أَخذَتْ ناحيةَ الحقِّ به وسبيلَ الناس في خالي العُصُر
مَنَعَ اللُّبْثَ وإن طال المدَى فَلَكٌ ما لعصاه مُسْتَقَرّ
دائرُ الدُّلابِ بالناس على جانبَيْهِ المُرْتَقَى والمُنْحَدَر
نقضَ الإيوانَ من آساسِهِ وأَتى الأَهرامَ من أُمِّ الحُجَر
ومَحا الحمراء إلا عمداً نَزْعُها من عَضُدِ الأَرضِ عَسِر[1]
أَين روميَّةُ ؟ ما قَيْصَرُها ؟ ما لياليها المُرِنَّاتُ الوَتَر ؟
أَين وادي الطَّلْحِ واللاَّئي به من دُمىً يَسْحَبْنَ في المِسْكِ الحِبَر[2]
أَين نابليون ؟ ما غاراته ؟ شنَّها الدهرُ عليه من غِيَر
أَيُّها الساكنُ في ظلِّ المنى نَمْ طويلاً ، قد تَوَسَّدْتَ الزَّهَر

١ الحمراء : قصر عظيم بالأندلس .
٢ وادي الطلح : متنزه بأشبيلية للمعتمد بن عباد .

شَجَرٌ نامٍ ، وظِلٌّ سابغٌ — بَيْدَ أَن الصِّلَّ في أَصل الشجر[1]
يَذَرُ المرءُ ويأْتي ما اشتهى — وقضاءُ اللهِ يَأْتي ويَذَر
كلُّ مَحمولٍ على النعش أَخٌ — لك صافٍ ودُّهُ بعدَ الكَدَر
إنْ تكن سِلْماً له لم ينتفع — أَو تكن حرباً فقد فات الضَّرَر
راكبَ البحرِ ، أَمَوْجٌ ما ترى ؟ — أَم كتابُ الدهرِ ، أَم صُحْفُ القَدَر ؟
لُجَّةٌ كاللَّوْحِ ، لا يُحْصَى على — قَلَمِ القُدرةِ فيها ما سطِر
فتلفَّتْ ، وتنسَّمْ حكمةً — والمسِ العِبْرَةَ من بين الفِقَر[2]
وتَأَمَّلْ مَلْعباً أَعْجَبُهُ — آيةٌ جانِبُه المُرْخَى السُتُر
هٰهُنا تمشي الجواري مَرَحاً — وجَواري الدّهرِ يَمْشِينَ الخَمَر[3]
رُبَّ سيفٍ ضرَب الجمع به — في كنوز البحر مطروح الكِسَر
وَنجاد لم يُطاوَل ضَحوَةً — ناله الفجرُ عِشاءً بالقِصَر
وسفين آمر فيها البلى — طالما أَوْحَتْ إليْه فأْتَمَر
ووجوهٍ ذهب الماءُ بها — في نهار الفَرْقِ ، أَو ليلِ الشَّعَر
وعيونٍ ساجياتٍ سُجِّيَتْ — برُفاتِ السحرِ ، أَو فَلِّ الحَوَر[4]
قُلْ لِلَيْثٍ خُسِفَ الغِيلُ به — بين طِمٍّ ، وظلامٍ مُعْتَكِر
انظر الفُلْكَ : أَمِنْهَا أَثرٌ ؟ — هكذا الدنيا إذا الموتُ حَضَر
هذه منزلةٌ لو زدتَها — ضاق عنك السعدُ ، أَو ضاق العُمُر
فامْضِ شيخاً في هوى المجدِ قضَى — رحمةَ المجدِ ، ورفقاً بالكِبَر
مِيتةٌ لم تَلْقَ منها عَلَزاً — من وَقار اللَيْثِ أَن لا يُحْتَضَر[5]

* * *

١ الصل : الثعبان .
٢ الفقر : كل كلام مختار نظماً كان أو نثراً .
٣ يمشي الخمر : جملة تقال لمن يختل صاحبه .
٤ الفل : الكسر في حد السيف .
٥ العلز : القلق والهلع من الموت .

أنتمُ القومُ حِمَى الماءِ لكم ... يَرجع الوِرْدُ إليكم والصَّدَر
لُجَجُ الدَّأْماءِ أوطانٌ لكم ... ومن الأَوطانِ دُورٌ وحُفَر
لَسْتَ في البحرِ وحيداً، فاستضِف ... فيه آباءك تنزِلْ بالدُّرَر
رسَبوا فيه كراماً وطفا ... طائفُ النصرِ عليهم والظَّفَر

* * *

نَشَأَ النيلُ، إليكم سيرة ... لكمو فيها عِظاتٌ وعِبر
إقرأُوها يُكْشَف العصرُ لكم ... كلُّ عصرٍ برجالٍ وسِيَر
لا تقولوا : شاعرُ الوادي غَوَى ... مَنْ يُغَالِطْ نفْسَه لا يعتبر
موقفُ التاريخ من فوق الهوى ... ومَقامُ الموتِ من فوق الهَذَر
ليس مَنْ مات بخافٍ عنكمو ... أو قليلِ الفعلِ فيكم والأَثَر
شِدتُمو دنياهُ في أَحْسَنِها ... غزوة السودان والفتحَ الأَغَرّ
وبنى مملكةَ النُّوبِ بكم ... فاذكروا القتلى، ولا تنسوا البِدَر[1]
واحذَروا من قِسْمَةِ النيلِ فيا ... ضيْعَةَ الوادي إذا النيلُ شُطِر

* * *

رجلٌ ليس ابنَ قارونَ، ولا ... بابن عاديٍّ من العَظْم النَّخِر
ليس بالزاخر في العلم، ولا ... هو ينبوعُ البيانِ المنفَجِر
رَضَع الأَخلاقَ من أَلبانها ... إن للأَخلاق وقعاً في الصِّغَر
ورآها صورةً في أُمَّةٍ ... ومن القُدْوَةِ ما تُوحي الصُّوَر
ذلك المجدُ، وهٰذي سُبْلُهُ ... بَيِّنٌ فيها سبيلُ المُعْتَذِر
أَبْعَدَ الساعونَ يَبغون المَدى ... والمدى في المجد دانٍ لِنَفَر
كجياد السَّبْقِ، لن تُغنيها ... أَدواتُ السبْقِ ما تغنى الفِطَر

* * *

١ البدر : جمع بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم .

وجَناحُ السِّلم إلا أنها ساعةَ الرَّوعِ جَناحٌ من سَقَر
من حديدٍ جانِباها سابغٍ ربَض الموتُ عليه وفَغَر
أَشبَهَتْ أَفواهُها أَعجازَها قُنْفُذٌ في اليَمِّ مشروعُ الإبَر
أَرهفَتْ سَمْعَ العصا واكتحلت إثْمِدَ الزرقاءِ في عرض السَّدَر[1]
وتؤدِّي القولَ ، لا يسبقُها رُسُلُ الأَرواحِ في نَقْلِ الفِكَر
خَطَرَتْ في مَخْجَرَيْها ومَشَتْ بعيون الملكِ في بحرٍ وبَرّ
غايةٌ تجري بسلطان الشَّرى خادراً في أَلف نابٍ وظُفر[2]
وإذا الموتُ إلى النفس مشى وَرَكِبْتَ النجمَ بالموت عَثَر
رُبَّ ثاوٍ في الظُّبى مُمْتَنِعٍ سَلَّهُ المِقدارُ من جفن الحَذَر
تسحَبُ الفولاذَ في مُلْتَطِمٍ بالعوادِي مُتعالٍ مُعْتَكِر
لو أَشارَتْ جاءَها ساحلُهُ في حديدٍ وعديدٍ مُنْتَصِر
أَو فَدَى الميْتَ حَيٌّ فُدِيَتْ بوَقاحٍ في الجواري وخَفِر[3]
بعث البحرُ بها كالموج من لُجَج السِّنْدِ وخُلجَانِ الخَزَر[4]
لِمَسَتْها للمقاديرَ يَدٌ تلْمس الماءَ فَيَرمي بالشَّرَر
ضربتها وهْيَ سِرٌّ في الدُّجى ليس دونَ اللهِ تحتَ الليلِ سِرّ
وجَفَتْ قلباً ، وخارَتْ جُؤْجُؤاً ونَزَتْ جَنْباً ، ونَاءَت من أُخَر
طُعِنَتْ ، فانْبَجَسَتْ ، فاسْتصرخت فأَتاها حَيْنُها ، فَهْيَ خَبَر

١ العصا : الفرس المشهورة التي ورد ذكرها في مصرع الزباء ، وقد كانت لقصير الذي يقول فيه المثل : «لأمر ما جدع قصير أنفه» .
السدر : البحر .
٢ الخادر : كناية عن أسد ، يقال أسد خادر : مقيم في خدره .
٣ الوقاح : ذو الوقاحة ، يقال امرأة وقاح الوجه .
٤ بحر الخزر : هو بحر قزوين ، والخزر أيضاً : جيل من الناس .

الْبَرْلَمَانُ

على أثر ائتلاف الأحزاب

سكن الزمانُ ، ولانت الأَقدارُ ... ولكلِّ أمرٍ غايةٌ وقرارُ
أَرْخَى الأَعِنَّةَ للخطوبِ وردَّها ... فَلَكٌ بكلِّ فُجاءَة دوّار
يجري بأمرٍ ، أَو يدور بضدِّه ... لا النقضُ يُعجزه ، ولا الإمرار
هل آذنتنا الحادثاتُ بهدنة ؟ ... وهل استجاب ، فسالمَ المقدار ؟
سُدِلَ الستارُ ، وهل شَهِدْتَ روايةً ... لم يعترضها في الفصول ستار ؟
وجرتْ فما استولَتْ على الأَمد المنى ... وعدَتْ فما حَوَتْ المدى الأَوطار
دون الجلاءِ ، ودون يانِع وَرْدِهِ ... خطواتُ شعبٍ في القَتادِ تُسار
وبناءُ أَخلاقٍ عليه من النُّهى ... سُوَرٌ ، ومن عِلْم الزمان إطار
وحضارةٌ من منطق الوادي لها ... أَصلٌ ، ومن أَدب البلاد نِجار

* * *

أَعْمَى هوى الوطن العزيز عصابة ... مُسْتَهْتَرين ، إلى الجرائم ساروا
يا سوءَ سُنَّتِهم وقُبْحَ غُلُوِّهم ... إن العقائدَ بالغُلُوِّ تُضار
والحقُّ أَرفعُ مِلَّةً وقضيَّةً ... من أن يكون رسولَه الإضرارُ
أُخِذَتْ بذنبهم البلادُ وأُمَّةٌ ... بالريف ما يدرون : ما السِّردار ؟
في فتنةٍ خُلِطَ البريءُ بغيرهِ ... فيها ، ولُطِّخَ بالدم الأَبرار
لَقِيَ الرجالُ الحادثاتِ بصبرهم ... حتى انجلَتْ غُمَمٌ لها وغِمار
لانوا لها في شدَّةٍ وصلابةٍ ... لينَ الحديدِ مَشَتْ عليه النارُ
الحقُّ أَبلجُ ، والكنانةُ حُرَّةٌ ... والعزُّ للدستور والإكبارُ
الأَمرُ شورى ، لا يَعِيثُ مُسَلَّطٌ ... فيه ، ولا يَطْغَى به جبّار

إن العنايةَ للبلاد تخيَّرتْ والخيرُ ما تقضي وما تختار
عهدٌ من الشُّورَى الظَّليلةِ نُضِّرَتْ آصالُه ، واخْضَلَّت الأَسحار
تجني البلادُ به ثمارَ جهودها ولكل جهدٍ في الحياةِ ثمار
بنيانُ آباءٍ مَشَوْا بسلاحهم وبَنِينَ لم يجدوا السلاحَ فثاروا
فيه من التلِّ المُدَرَّجِ حائطٌ ومن المشانق والسجون جدار
أَبت التقيُّدَ بالهوى ، وتقيَّدَتْ بالحقِّ أَوَ بالواجبِ الأَحرارُ
في مجلس لا مالُ مصرَ غنيمةٌ فيه ، ولا سلطانُ مصر صَغارُ
ما للرجال سوى المَراشد منهجٌ فيه ، ولا غيرَ الصَّلاحِ شِعار
يتعاونون كأَهل دارٍ زُلْزِلَتْ حتى تَقَرَّ وتَطمئِنَّ الدار
يُجرون بالرفق الأُمورَ وفُلْكَها والريحُ دونَ الفلكِ والإِعصارُ
ومع المجدِّدِ بالأَناة سلامةٌ ومع المجدِّد بالجِماح عِثار
الأُمةُ ائتلفتْ ، ورَصَّ بناءها بانٍ زعامتُه هدىً ومَنار
أَسدٌ وراءَ السنِّ مَعقودُ الحُبا يأْبى ويَغضبُ للشَّرَى ويَغار
كَهْفُ القضيَّةِ لا تنام نُيوبُه عنها ، ولا تتناعس الأَظفار
يومَ الخَميسِ ، وراءَ فَجْرِك للهدى صبحٌ ، وللحقِّ المبين نهار
ما أَنت إِلَّا فارسيٌّ ، لَيْلُهُ عُرسٌ ، وصدرُ نهارِه إِعذار
بَكَرَتْ تُزاحِم مِهْرَجانَك أُمّةٌ وتَلَفَّتَتْ خلفَ الزحامِ ديار
وروى مواكبك الزمان لأَهله وتنقَّلَتْ بجلالها الأَخبار
أَقبلتَ بالدستور أَبلَجَ زاهراً يَفْتِنَّ في قَسَماتِه النُّظار
وذُوءابةُ الدنيا تَرِفُّ حَداثةً عن جانبيه ، وللزمان عِذار
يحمي لفَائِفَهُ ، ويحرس مَهْدَه شيخٌ يَذودُ ، وفتيةٌ أَنصار
وكأَنه عيسى الهُدى في مهدِه وكأَن سعداً يوسُفُ النجار
التاج فُصِّل في سمائك بالضحى منك الحلَى ، ومن الضحى الأَنوار
يكسو من الدستور هامةَ رَبِّهِ ما ليس يكسو الفاتحين الغار

بالحق يفتح كلُّ هادٍ مُصلحٍ ما ليس يفتح بالقنا المِغْوارُ

* * *

وطني لديكَ – وأنت سَمْحٌ مُفْضِلٌ – تُنْسَى الذنوبُ ، وتُذكَر الأعذار
تاب الزمانُ إليكَ من هفواته بوزارة تُمْحَى بها الأوزار

وقال وقد أُلقيت في حفلة نسائية عظيمة انعقدت بدار التَمثيل العربي برئاسة السيدة هدى شعراوي :

قُلْ للرِّجالِ : طغى الأَسيرْ طيرُ الحِجالِ متى يَطيرْ ؟
أَوْهَى جناحَيْهِ الحديـ ـدُ ، وحَزَّ ساقَيْهِ الحرير
ذهب الحِجابُ بصبره وأَطال حيْرتَه السُّفور
هل هُيِّئَتْ دَرَجُ السما ء له . وهل نُصَّ الأثير ؟
وهل استمرَّ به الجَنا حُ ، وهمَّ بالنَّهض الشكير ؟[١]
وسما لمنزله من الد نيا ، ومنزله خطير ؟
ومتى تُساس به الريا ضُ كما تُساس به الوكور ؟
أَوَكُلُّ ما عند الرجا لِ له الخواطبُ والمهور ؟
والسجنُ في الأكواخ ، أَو سجنٌ يقال له : القصور ؟

* * *

تـالله لو أن الأدْ يمَ جميعَه روضٌ ونور
في كلّ ظلٌّ ربوةٌ وبكلّ وارفةٍ غدير
وعليه من ذَهبٍ سيا جٌ ، أَو من الياقوت سور
ما تمَّ من دون السما ء له على الأَرض الحُبور
إن السماءَ جديرةٌ بالطير ، وهْوَ بها جدير

١ الشكير : صغار الريش بين كباره .

هي سَرْجُهُ المشدودُ ، وهـ ـو على أَعِـنَّتِهـا أَمير
حُـرِّيَّـةٌ خُـلِق الإنـا ثُ لها ، كما خُلِقَ الذكور

* * *

هاجتْ بناتِ الشعرِ عيـ ـنٌ من بنات النيل حُور
لي بـيـنهن ولائـدٌ هم من سواد العين نور
لا الشعْر يأْتي في الجما ن بمثلهن ، ولا البحور
من أَجلهن أَنا الشفيـ ـقُ على الدُّمَى ، وأَنا الغيور
أَرجو وآمل أَن ستجـ ـري بالذي شِئنَ الأُمور

* * *

يا قاسمٌ . انظر : كيف سا ر الفِكرُ وانتقل الشعور ؟
جـابت قضـيَّتُكَ البلا دَ ، كأَنها مَثَلٌ يسير
مـا الـنـاسُ إلا أَوّلٌ يمضي فـيَـخلُفه الأَخير
الـفـكـرُ بـينهما على بُعْدِ المَزارِ هو السفير
هذا البناءُ الفخمُ ليـ ـس أَساسُه إلا الحَفير
إن التي خـلَّـفْـتَ أَمـ ـسِ ، وما سِواكَ لها نصير
نهض الخفيُّ بشـأْنها وسعى لخدمتها الظهير
في ذمة الفُضْلَى هدى جـيـلٌ . إلى هـاد فقير
أَقـبـلْـنَ يسأَلْنَ الحضا رةَ ما يُفيد وما يَضير
ما السُّبْلُ بَيِّنَةٌ ، ولا كـلُّ الـهُداةِ بها بصير

* * *

مـا في كـتـابِكَ طَفْرَةٌ تُنْعى عليكَ ، ولا غرور
هَـذَّبْـتَه حتى استقامت من خلائـقك السطور
ووضعْتَهُ ، وعلمْتَ أَن حسـابَ واضِـعِه عسير
لكَ في مسائله الكلا مُ العفُّ والجدلُ الوَقور

ولك البيانُ الجذلُ في أثنائه العلمُ الغزير
في مطلبٍ خشنٍ ، كثـ ـيرٌ في مَزالقه العُثور
ما بالكتاب ولا الحديـ ـث إذا ذكرْتَهُمَا نكير
حتى لَنسألُ : هل تَغا رُ على العقائد ، أم تُغير ؟
عشرون عاماً من زوا لك ما هي الشيءُ الكثير
رُعْنَ النساءَ ، وقد يَرُو عُ المُشْفِقَ الجَلَلُ اليسير
فـنَسِـينَ أنك كالبدو ر ، ودونَ رِفعتِك البُدور
تفنى السِّنون بها ، وما آجـــــالها إلا شهور

* * *

لقد اختلفنا ، والمُعا شِرُ قد يخالفه العَشير
في الرأي ، ثُمّ أهاب بي وبك المُنادِمُ والسَّمير
ومحا الرَّوَاحُ إلى مغا ني الودِّ ما اقترف البُكور
في الرأي تَضْطَغِنُ العقو لُ وليس تضطغن الصدور

* * *

قل لي بعيشك : أين أنـ ـت ؟ وأين صاحبك الكبير ؟
أين الإمامُ ؟ وأين إسـ ـماعيلُ والملأُ المنير ؟
لما نـــزلتم في الثرى تاهت على الشهب القبور
عصر العباقرةِ النجو مِ بنوره تمشي العصور

تَكْرِيمُ حَسَنين بك بمُناسبَة طَيَرانه

جِنٌّ على حَرَمِ السماء أغاروا أم فتيةٌ ركبوا الجَناح فطاروا ؟
من كلّ أهوجَ في الهواءِ عِنانه هُوجُ الرياحِ ، وسَرْجُه الأعصار

يبغي حجابَ الشمس يطلب عندها عزاً تَحَمَّلَه الجدود وساروا
لم يبقَ منه ومن حضارةِ عهدِه إلَّا صُوىً مَحجوجةٌ ومنار
ومقالةُ الأجيالِ لم يَلْحَقْ بهم بانٍ ، ولم يُدركهُمُ حَفَّار

* * *

طلعوا على الوادي براية عصرهم ولكلِّ عصرٍ رايةٌ وشعار
اثنان ثم ترى النسور كثيرةً من كلِّ ناحية لها أوكار
سرُّ النجاحِ ورُكْنُ كلِّ حضارةٍ هِمَمٌ من المتطوعين كِبار
نُسِخَتْ بأبطال السماءِ بطولةٌ في الأرض يوشِكُ ركنُها ينهار
هذا زمانٌ لا الأعِنَّةُ منزلٌ للبأس فيه ، ولا الأسِنَّةُ دار
ما البأسُ إلا من جَنَاحَيْ خاطف في البرِّ والبحرِ اسمُه الطيّار
أترى السلامة في السماءِ وظلِّها أم بالسماءِ يصولُ الاستعمار ؟
حَرَمُ الهدى والحقِّ رِيعَ جلالُه وغدا وراح بجانِبَيْه دَمار
يا جانبَ الصحراءِ مِلْءُ سرابها غَرَرٌ ، ومِلْءُ تُرابها أخطار
يكفيك من هِمَمِ الشجاعةِ ليلةٌ لك من غَوائلها خَلَتْ ونهار
لما اعتمدْتَ على الجناحِ تلفَّتَتْ بِيدٌ ، وقَلَّبَت العيونَ قِفار
في كلِّ صحراءٍ ، وكلِّ تَنوفَةٍ أرضٌ عليك من السماءِ تَغار
حَسْبَيْنُ ، لو لم يَعذِروكَ لبادرَتْ لكَ من لسان جِراحِكَ الأعذار
لله سرجُكَ في السماءِ ، فانه سَرْجُ الأهِلَّةِ ما عليه غُبار
عَرَضَ الخُسوفُ له فما أزرى به ما في الخسوف على الأهلَّةِ عار
أوَ لَمْ تَطَأْ أرضَ السماءِ ، ولم تَدُرْ حيثُ الشموسُ تَدورُ والأقمار ؟
ألقى أبو الفاروق نحوَك بالَه وتشاغلت بك أُمَّةٌ ودِيار
مَلِكٌ رُحِمْتَ بقُربِهِ وجِوارِهِ حتى كأنك للعناية جار

* * *

نُصِبَ السُّرادِقُ والمطارُ ، وحَلَّقَتْ في الجوِّ تَلْمَسُ شَخْصَكَ الأبصار

فلمسْتَ أقضيَةَ السماءِ ، وأَسْفَرَتْ حتى نَظَرْتَ وجوهها الأقدار
قَدَرٌ على يُمْنَى يَدَيْهِ سلامةٌ لك حيثُ مِلْتَ ، وفي السماءِ عِثار
فإذا سَقَطتَ على حديد مُضْرَمٍ صَدَفَ الحديدُ ، ولم تَنَلْكَ النار
ماذا لَقِيتَ من النجائب كُلِّها ؟ قُلْ لي ، أعندك للنجائب ثار ؟
هٰذي تَعَثَّرُ في الزِّمام ، وتلك لا تمضي ، وأُخرى في السُّلوك تَحار
فَشَلٌ يُعَظِّمُ كالنجاح عليه من شَرَفِ الجروحِ ونورِهِنَّ فَخَار
لو لم يكن قَتْلَى وجَرْحَى في الوَغَى لم يَعْلُ هامَ الظافرين الغار

صَقْرُ قُرَيْش*

موشّح أندلسي

مَنْ لِنضْوٍ يتَنَزَّى أَلمَا بَرَّحَ الشوقُ به في الغَلَسِ[1]
حَنَّ للْبان وناجَى العَلَما أين شرقُ الأرض من أندَلُسِ

* * *

بُلْبُلٌ علَّمه البينُ البيانْ بات في حَبْل الشُّجونِ ارْتَبكا
في سماءِ الليلِ مَخلوعَ العِنان ضاقت الأرضُ عليه شَبَكا
كلما اسْتَوْحَشَ في ظلِّ الجِنانْ جُنَّ فاسْتَضْحَكَ مِنْ حَيْثُ بكى
ارتَـدى بُـرْنُسَـه والْـتَـثَما وخَطا خُطْوَةَ شَيْخٍ مُرْعَسِ[2]
ويُرَى ذا حَدَبٍ إن جَثَما فإن ارتَدَّ بدا ذا قَعَسِ[3]

* * *

* هو عبد الرحمٰن الدّاخل .
١ يتنزى : يتوثب .
٢ المرعس : من رعس الرجل : إذا مشى مشياً ضعيفاً من الإعياء .
٣ القعس : ضد الحدب ، وهو نتوء الصدر .

فَمُهُ القاني على لَبَّتِه   كبقايا الدَّمِ في نَصْل دَقيق
مَدَّه فانْشَقَّ من مَنْبِته   مَنْ رأى شِقَّيْ مِقَصّ مِنْ عَقيق ؟
وبكى شجواً على شعبته   شَجْوَ ذاتِ الثُّكْلِ في السِّتْرِ الرَّقيق
سَلَّ من فِيهِ لساناً عَنَماً   ماضياً في البَثِّ لم يَحتَبِسِ[1]
وتَرٌ من غير ضربٍ رَنَّمَا   في الدُّجى ، أو شَرَرٌ من قَبَسِ

* * *

نَفَرَتْ لَوْعَتُه بعدَ الهدوءْ   والدُّجى بيتُ الجَوَى والبُرحا
يَتعايا بجَناحٍ وَيَنوءْ   بجناحٍ مُذْ وَهَى ما صلحا
ساءَه الدهرُ . وما زال يَسوءْ   ما عليه لو أَسا ما جَرَحَا
كلَّما أَدْمَى يَدَيْه نَدَمَا   سالتا من طَوْقِه والبُرنُسِ
فَنِيَتْ أهدابُه إلّا دَمَا   قام كالياقوت لم يَنْبَجِسِ[2]

* * *

مَدَّ في الليلِ أنيناً وخَفَقْ   خَفَقَانَ القُرْطِ في جُنح الشَّعَرْ
فَرَغَتْ منه النَّوى غيرَ رَمَقْ   فضلَةَ الجُرحِ إذا الجُرْحُ نَغَرْ[3]
يتلاشى نَزَواتٍ في حُرَقْ   كذُبَالٍ آخِرَ الليلِ اسْتَعَرْ
لم يكن طَوْقاً ، ولكنْ ضَرَمَا   ما على لَبَّتِه من قَبَسِ
رحمةُ اللهِ له ! هل عَلِمَا   أَنّ تلك النفسَ من ذا النَّفَسِ ؟

* * *

قُلْتُ لِلَّيْلِ – ولليل عَوَادْ –   مَنْ أَخو البَثِّ ؟ فقال : ابنُ فِراقْ
قلت : ما واديه ؟ قال : الشَّجْوُ وادْ   ليس فيه من حِجازٍ أَو عِراقْ
قلتُ : لكنْ جَفْنُه غيرُ جوادْ   قال : شرُّ الدمعِ ما ليس يُراقْ

١ العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .
٢ لم ينبجس : لم يتفجر .
٣ يقال جرح نغاز : أي جياش بالدم .

نَغْبِطُ الطيرَ ، وما نعلم ما هي فيه من عذاب يَئِسِ
فدَعِ الطيرَ وحظًّا قُسِما صَيَّرَ الأَيْكَ كُدورِ الأَنَسِ

* * *

ناحَ إذ جَفْنايَ في أَسْرِ النجومْ رَسَفَا[1] في السُّهْدِ والدّمعُ طليقْ
أَيُّها الصارخُ من بحرِ الهموم ما عسى يُغْني غريقٌ عن غريقْ ؟
إن هذا السَّهمَ لي منه كُلومْ كلُّنا نازحُ أَيْكٍ وفريق
قلِّب الدنيا تَجِدْهَا قِسماً صُرِّفَتْ من أَنْعُمٍ أو أَبْؤسِ
وانظر الناسَ تَجدْ من سَلِما من سهام الدهر شَجَّتْهُ القِسي

* * *

يا شبابَ الشرقِ عُنْوانَ الشبابْ ثمراتِ الحَسَبِ الزّاكي النَّمير
حَسْبُكم في الكرمِ المحْضِ اللُّبابْ سيرةٌ تبقى بقاءَ ابنيْ سَميرْ[2]
في كتاب الفخر للداخلِ بابْ لم يَلِجْه من بني المُلْكِ أميرْ[3]
في الشموس الزُّهْرِ بالشام انتمى ونَمَى الأَقمارَ بالأَندلسِ
قعد الشرقُ عليهم مأْتَما وانثنى الغربُ بهم في عُرُسِ

* * *

هل لكم في نَبَإٍ خيرِ نَبَأْ حِلْيَةِ التاريخِ ، مأْثورٍ عظيمْ
حلَّ في الأَنباءِ ما حَلَّتْ سَبَأْ منزلَ الوُسْطى من العِقْدِ النَّظيمْ
مِثْلَه المقدار يوماً ما خَبَأْ لسَليب التاجِ والعرشِ كَظيم
يُعْجِزُ القُصّاصَ إلا قَلَمَا في سوادٍ مِنْ هَوىً لم يُغْمَسِ
يُؤْثِرُ الصدقَ ويَجْزِي عَلَمَا قلبَ العالمَ لو لم يُطْمَس ؟

* * *

١ رسف : مشى مشية المقيد .
٢ ابني سمير : الليل والنهار .
٣ هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بني أمية في الأندلس .

عن عِصاميٍّ نبيلٍ مُعْرِقِ في بُناةِ المجدِ أبناءِ الفِخارْ ؟
نهضت دَوْلَتُهم بالمشرقِ نهضةَ الشمس بأطراف النهارْ
ثم خان التاجُ وُدّ المَفْرِقِ ونبَتْ بالأَنْجُمِ الزُّهْرِ الديارْ
غفلوا عن ساهر حولَ الحِمى باسطٍ من ساعدَيْ مُفْترِسِ
حام حولَ الملكِ ثم اقتحما ومشى في الدم مَشْيَ الضَّرسِ

* * *

ثَأْرُ عثمانَ لمروانٍ مَجازْ وَدَم السِّبْطِ أثار الأقربونْ[1]
حَسَّنوا للشام ثأْراً والحجازْ فتغالى الناسُ فيما يطلبونْ
مَكْرُ سُوّاسٍ على الدَّهْماءِ جازْ ورُعاةٌ بالرعايا يلعبون[2]
جعلوا الحقَّ لبَغْيٍ سُلَّمَا فهو كالسِّتر لهم والتُّرسِ
وقديماً باسمه قد ظَلَما كلُّ ذي مِئذَنَةٍ أو جَرَسِ

* * *

جُزِيَتْ مَرْوَانُ عن آبائها ما أراقوا من دماءٍ ودُموعْ[3]
ومن النفس ومن أهوائها ما يؤدِّيه عن الأصل الفُروعْ
خَلَتْ الأعوادُ من أسمائها وتَغَطَّتْ بالمصاليبِ الجُذوعْ
ظَلَمتْ حتى أصابَتْ أَظلَمَا حاصدَ السيفِ ، وبيءَ المَحبَس[4]
فَطِناً في دعوة الآل لما هَمس الشَّاني وما لم يَهْمِسِ[5]

* * *

لبِسَتْ بُرْدَ النبيِّ النَّيِّراتْ من بني العباس نوراً فوقَ نُور

١ يعني بالسبط الحسين بن علي صلوات الله عليه .
٢ الدهماء : جماعة الناس .
٣ يعني بمروان : بني مروان .
٤ الأظلم هنا : هو أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس وقد سلب بني أمية ملكهم .
٥ الشانيء : المبغض .

وقديماً عند مَرْوَانٍ تِراتْ   لزكيّات من الأَنفُسِ نُورْ
فنجا الداخلُ سَبْحاً بالفُراتْ   تاركَ الفتنةِ تطْغَى وتَنورا[1]
غَسَّ كالحُوتِ به واقتحما   بين عِبْرَيْهِ عيونَ الحَرَسِ[2]
ولقد يُجْدِي الفتى أَن يَعلَما   صَهوةَ الماءِ ومَتْنَ الفَرَس

* * *

صَحِبَ الداخلَ من إخوتهِ   حَدَثٌ خاض الغُمارَ ابنَ ثَمَانْ
غـلَبَ الموجَ على قُوَّتـه   فكأَن الموجَ من جُندِ الزمانْ
وإذا بالشَّطِّ من شِقْوَتهِ   صائحٌ صاحَ به : نِلتَ الأَمانْ !
فانثنى مُنْخَدِعاً مُسْتَسْلِما   شاةٌ اغتَرَّتْ بعهدِ الأَطلسِ[3]
خَضَبَ الجندُ به الأَرضَ دَما   وقلوبُ الجندِ كالصخرِ القَسي

* * *

أَيُّها اليائسُ ، مُتْ قبلَ المماتْ   أَو إذا شئتَ حياةً فالرَّجا
لا يَضِقْ ذَرْعُك عند الأَزمات   إن هي اشتدَّتْ وأَمِّلْ فَرَجا
ذلك الداخلُ لاقَى مُظْلِماتْ   لم يكن يأْمل منها مَخرْجا
قد تولَّى عِزُّه وانصَرما   فمضى من غَدِه لم يَيْأَس
رامَ بالمغرب مُلْكاً فرمى   أَبعدَ ، الغَمْرِ ، وأَقصى اليَبَسِ

* * *

ذاك — واللهِ — الغِنى كلُّ الغِنى   أَيّ صعبٍ في المعالي ما سَلَكْ
ليس بالسائل إن هَمَّ : مَتى ؟   لا ، ولا الناظرِ ما يُوحي الفَلَكْ
زايَلَ المُلْكُ ذَويهِ فأَتى   مُلكَ قومٍ ضَيَّعوه فملكْ

١ نارت الفتنة : وقعت وانتشرت .
٢ غس : دخل ومضى .
٣ الأطلس : الذئب .

غَمَراتٌ عارَضَتْ مُقْتَحِماً عاليَ النفسِ أَشمَّ المَعْطِسِ[1]
كلُّ أَرضٍ حَلَّ فيها ، أَو حِمَى منزلُ البدرِ ، وغابُ البَيْهَسِ[2]

* * *

نَزَلَ النَّاجي على حُكم النَّوى وتَوارَى بالسُّرى من طالبيهْ[3]
غيرَ ذي رَحْلٍ ولا زادٍ سوى جَوْهَرٍ وافاه من بيت أَبيهْ
قمرٌ لاقى خُسوفاً فانْزَوى ليس من آبائه إِلا نبيهْ
لم يَجِدْ أَعوانَه والخَدَما جانبوه غيرَ بدْرِ الكَيِّسِ
من مَوَالِيه الثِّقاتِ القُدما لم يخنه في الزمان المُوئسِ

* * *

حينَ في إِفريقيا انحلَّ الوِئامْ واضمحلَّتْ آيةُ الفتحِ الجليلْ
ماتت الأُمَّةُ في غير التئامْ وكثيرٌ ليس يلتامُ قليلْ
يَمَنٌ سَلَّتْ ظباها والشآمْ شامَها هِنديَّةً ذاتَ صَليلْ[4]
فرَّق الجندَ الغِنى فانقسما وغدا بينهم الحقُّ نَسِي
أَوحَشَ السُّؤددُ فيهم ، وسما للمعالي مَنْ به لم تأْنسِ

* * *

رُجِموا بالعبقريِّ النَّابهِ البعيدِ الهِمَّةِ الصَّعْبِ القِيادْ
مدَّ في الفتحِ وفي أَطنابِهِ لم يَقِفْ عندَ بِناءِ ابنِ زِيادْ[5]
هجَرَ الصَّيْدَ ، فما يُغْنَى به وهْوَ بالملك رفيقٌ ذو اصطيادْ

١ المعطس : الأنف .
٢ البيهس : الأسد .
٣ السرى : سير الليل .
٤ ظباها : سيوفها . شام : سل .
٥ هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي .

سَلْ به أندلساً : هل سَلِما   من أخي صَيْدٍ رفيقٍ مَرِسِ ؟[1]
جرَّد السيفَ ، وهزَّ القلما   ورمى بالرأْي أُمَّ الخُلَسِ[2]

* * *

بسلامٍ يا شراعاً ما دَرَى   ما عليه من حياءٍ وسَخاءْ
في جَنَاحِ المَلَكِ الرُّوح جَرى   وبريحٍ حفَّها اللطفُ رُخاءْ[3]
غسل اليَمُّ جراحَاتِ الثَّرى   ومَحا الشِّدَّةَ مَنْ يَمحو الرَّخاءْ
هل درى أندلسٌ مَنْ قَدِما   دارَه من نحو بيتِ المَقدِسِ ؟
بســليــل الأمَويّين سَما   فتحُ موسى مُسْتَقَرَّ الأُسُسِ[4]

* * *

أُمويٌّ لـلـعُلا رِحلَتُهُ   والمعـالي بـمِطِيٍّ وطُـرُقْ
كـالهلال انفردَتْ نُقْلَتُهُ   لا يُجاريه ركابٌ في الأُفُقْ
بُنِيَتْ مِن خُلُقٍ دُولتُهُ   قد يَشيدُ الدُّوَلَ الشُّمَّ الخُلُقْ
وإذا الأخلاقُ كانت سُلَّما   نالت النجمَ يَدُ المُلتَمِسِ
فارْقَ فيها تَرْقَ أسبابَ السما   وعلى ناصيةِ الشمسِ أجلِسِ

* * *

أيّ مُلكٍ من بِنايَاتِ الهِمَمْ   أَسَّسَ الدّاخلُ في الغربِ وشادْ ؟
ذلك الناشئُ في خيرِ الأُمَمْ   ساد في الأرض ولم يُخْلَقْ يُسادْ
حكمَتْ فيه الليالي وحَكَمْ   في عَواديها قِياداً بقِيادْ
سُلِب العزَّ بشرقٍ فرَمى   جانبَ الغربِ لعزٍّ أَقْعَسِ

١ المرس : الشديد المجرب في الحروب . يقال : أنه لمرس حذر .
٢ الخلس : جمع خلسة وهي الفرصة .
٣ الملك الروح : جبريل .
٤ موسى : يعني موسى بن نصير .

وإذا الخيـرُ لـعبـد قُسِما سنَح السَّعدُ له في النَّحَسِ

* * *

أيُّها القلبُ ، أَحقٌّ أَنتَ جارْ للذي كان على الدهر يجيرْ ؟
ها هنا حلّ به الرّكبُ وسارْ وهنا ثاوٍ إلى البعث الأَسيرْ
فَلَكٌ بالسعدِ والنحسِ مُدارْ صَرع الجَامَ وأَلْوَى بالمُديرْ[1]
ها هنا كنتَ تَرى حُوَّ الدُّمَى فاتـنـاتٍ بالشِّفـاه اللُّعُسِ[2]
ناقلاتٍ في العَبيرِ القَدَما واطئاتٍ في حَبير السُّنْدُسِ

* * *

خُذْ عن الدنيا بليغَ العِظَةِ قد تَجَلَّتْ في بليغ الكَلِم
طرَفاها جُمِعا في لَفْظَةِ فـتـأَمَّلْ طرَفيْـها تَعْلَـمِ
الأَمـاني حُلُـمٌ في يَقْظَةِ والمنَايا يقظةٌ من حُلُمِ
كلُّ ذي سِقْطَيْنِ في الجوِّ سما واقعٌ يوماً وإن لم يُغرّسِ[3]
وسيلقى حَيْنَهُ نَسرُ السما يوم تُطْوى كالكتاب الدرس

* * *

أَين – يا واحدَ مروانَ – عَلَمْ من دعاك الصقر سَمَّاه العُقابْ ؟[4]
رايةٌ صرَّفها الفرْدُ العَلَمْ عن وجوه النصرِ تصريفَ النقابْ
كنتَ إن جرَّدْتَ سيفاً أو قَلَمْ أُبْتَ بالأَلباب أو دِنْتَ الرِّقابْ
ما رأى الناسُ سواه عَلَما لم يُرَمْ في لُجَّةٍ أو يبسِ
أَعَلى رُكن السِّماك ادَّعَما وتـغـطَّى بجَـنـاحِ القُدُسِ

* * *

١ الجام : الكأس .
٢ اللعس : سواد مستحسن في الشفة .
٣ السقط : جناح الطائر .
٤ العقاب : اسم راية الداخل .

قصرُك المُنْيَةُ من قُرْطُبَةٍ   فيه وارَوْكَ ، ولله المَصير
صَدَفٌ خُطَّ على جوهرةٍ   بَيْدَ أن الدهر نَبَّاشٌ بصيرْ
لم يَدَعْ ظلاً لقصر المُنْيَةِ   وكذا عُمْرُ الأمانيِّ قصيرْ
كنتَ صقراً قُرَشياً عَلَمَا   ما على الصقر إذا لم يُرْمَسِ[1]
إن تَسَلْ : أين قبورُ العُظَما ؟   فعلى الأفواه أو في الأنفُسِ

* * *

كم قبورٍ زَيَّنَتْ جِيدَ الثرى   تحتها أنجسُ من مَيْتِ المجوسْ
كان مَنْ فيها وإن جازوا الثرى   قبل موتِ الجسم أمواتُ النفوسْ
وعــظـامٌ تـتـزكّى عـنبرا   من ثناءٍ صِرْنَ أغفالَ الرُّموسْ
فاتَّخِذْ قبرَك من ذكرٍ ، فمَا   تَبْنِ من محموده لا يُطْمَسِ
هَبْكَ من حرص سكنْتَ الهرما   أين بانيه المنيعُ المَلْمَسِ ؟!

رَحْلَة

شيّعتُ أحلاميَ بقلبٍ باكِ   ولمحتُ من طُرُق المِلاحِ شِباكي
ورجعتُ أدراجَ الشباب ووِرْدَه   أمشي مكانَها على الأشواك
وبجانبي واهٍ ، كأن خُفوقَه   لمّا تلفَّتَ جَهْشَةُ المتباكي
شاكي السلاحِ إذا خلا بضلوعه   فإذا أُهيبَ به فليس بشاكِ
قد راعه أني طَوَيْتُ حبائلي   من بعد طول تناولٍ وفكاك
وَيْحَ ابنِ جَنْبي ؟ كلُّ غايةِ لذَّةٍ   بعدَ الشباب عزيزةُ الإدراك[2]

١ يرمس : يغطى ويدفن .
٢ ابن جنبي : أي قلبه .

لم تبقَ منا – يا فؤادُ – بقيّةٌ لفتوّةٍ ، أو فَضلةٌ لعِراك
كنا إذا صفَّقْتَ نستبق الهوى ونَشُدُّ شَدَّ العُصبةِ الفُتّاك
واليومَ تبعث فيَّ حين تهُزُّني ما يبعث الناقوسُ في النُّسّاك

* * *

يا جارةَ الوادي ، طَرِبْتُ وعادَني ما يشبهُ الأحلامَ من ذكراكِ[1]
مَثَّلْتُ في الذكرى هواكِ وفي الكرى والذكرياتُ صَدَى السنينَ الحاكي
ولقد مررْتُ على الرياض برَبْوةٍ غَنّاء كنتُ حِيالَها ألقاك
ضَحِكَتْ إليَّ وجوهُها وعيونُها ووجدْتُ في أنفاسها ريّاك
فذهبتُ في الأيام أذكر رَفْرَفاً بين الجداولِ والعيون حَوَاك
أذكَرْتِ هَرْوَلَةَ الصبابةِ والهوى لمّا خَطَرْتِ يُقبّلان خُطاك ؟
لم أدر ما طيبُ العِناقِ على الهوى حتى ترفّق ساعدي فطواك
وتأوَّدَتْ أعطافُ بانِك في يدي واحمرّ من خَفَرَيْهِما خدّاك
ودخَلْتُ في ليلين : فَرْعِك والدُّجى ولثمتُ كالصّبح المنوِّرِ فاكِ
ووجدْتُ في كُنْهِ الجوانحِ نَشْوَةً من طيب فيك ، ومن سُلاف لَمَاك
وتعطّلتْ لغةُ الكلامِ وخاطبتْ عَيْنَيَّ في لغة الهوى عيناك
ومَحَوْتُ كلَّ لُبانةٍ من خاطري ونَسيتُ كلَّ تَعاتُبٍ وتَشاكي
لا أَمسِ من عمرِ الزمان ولا غَدٌ جُمِعَ الزمانُ فكان يومَ رِضاك

* * *

لُبنانُ ، ردّتني إليكَ من النوى أقدارُ سَيْرٍ للحياة دَرَاك
جمعَتْ نزيليْ ظَهرِها من فُرقةٍ كُرَةٌ وراءَ صَوالجِ الأفلاك
نمشي عليها فوقَ كلِّ فجاءةٍ كالطير فوقَ مَكامِنِ الأشراك
ولو انّ الشوقَ المزارُ وجدتني مُلقى الرحالِ على ثَراك الذاكي

* * *

---

[1] جارة الوادي : أي وادي البردوني .

بِنْتَ البِقاعِ وأُمَّ بَرْدُونِيِّها ... طِيبي كجِلَّقَ ، واسكبي بَرداكِ
ودِمَشْقُ جَنَّاتُ النعيمِ ، وإنَّمَا ... أَلفَيْتُ سُدَّةَ عَدْنِهِنَّ رُباكِ
قَسَماً لو انتمت الجداولُ والرُّبا ... لتهَلَّل الفردوسُ ، ثُمَّ نَماكِ
مَرْآكِ مَرْآه وَعَيْنُكِ عَيْنُه ... لِمْ يا زُحَيْلَةُ لا يكون أَباكِ ؟
تلكَ الكُرومُ بقيَّةٌ من بابلٍ ... هَيْهاتَ ! نَسَّى البابليَّ جَناكِ
تُبْدِي كَوَشْيِ الفُرْسِ أَفْتَنَ صِبْغَةٍ ... للناظرِين إلى أَلذِّ حِياكِ
خَرَزاتِ مِسكٍ، أَو عُقودَ الكهربا ... أُودِعْنَ كافوراً من الأسلاكِ
فكَّرْتُ في لبن الجِنانِ وخمرِها ... لمَّا رأَيتُ الماءَ مَسَّ طِلاكِ
لم أَنْسَ من هِبَةِ الزمانِ عَشِيَّةً ... سَلَفَتْ بظلِّكِ وانقضَتْ بذَراكِ
كُنتِ العروسَ على مِنَصَّةِ جِنْحِها ... لُبنانُ في الوَشْيِ الكريمِ جَلاكِ
يمشي إليكِ اللَّحظُ في الديباج أَو ... في العاج من أَيِّ الشِّعابِ أَتاكِ
ضَمَّتْ ذراعيها الطبيعةُ رِقَّةً ... صِنِّينَ والحَرَمُونَ فاحتضناكِ[1]
والبدرُ في ثَبَج السماءِ مُنَوِّرٌ ... سالت حُلاه على الثرى وحُلاكِ
والنيِّراتُ من السحاب مُطِلَّةٌ ... كالغِيد من سِتْرٍ ومن شُبَّاكِ
وكأَنَّ كلَّ ذُؤابةٍ من شاهِقٍ ... ركنُ المجرَّةِ أَو جدارُ سِماكِ
سكنَتْ نواحي الليلِ ، إلا أَنَّةً ... في الأَيْكِ ، أَو وَتَراً شَجِيَّ حَراكِ
شرفاً – عروسَ الأَرْزِ – كلُّ خَريدةٍ ... تحتَ السماءِ من البلاد فِداكِ
رَكَزَ البيانُ على ذراك لواءَه ... ومشى ملوكُ الشعر في مَغناكِ
أُدباؤكِ الزُّهْرُ الشُّموسُ ، ولا أرى ... أَرضاً تَمَخَّضُ بالشموس سِواكِ
من كلِّ أَرْوَعَ عِلْمُه في شعره ... ويراعُه من خُلْقه بمَلاكِ
جمع القصائدَ مِن رُباكِ ، وربَّمَا ... سرق الشمائلَ من نسيمِ صَباكِ
موسى ببابِكِ في المكارمِ والعلا ... وعَصاهُ في سحرِ البيانِ عَصاكِ

١ هضبتان في زحلة .

أَحْلَلْتِ شعري منكِ في عُليا الذُّرا وجَمْعتِه بروايةِ الأملاك
إن تُكرمي يا زَحْلُ شعري إنني أنكرتُ كلَّ قصيدة إلّاك
أنتِ الخيالُ : بديعُهُ ، وغريبُه اللهُ صاغك ، والزمانُ رَواك

ذِكرَى اسْتِقْلالِ سُورِيّا وذِكْرَى شُهَدائِها

حياةٌ ما نريدُ لها زِيالا ودنيا لا نَودّ لها انتقالا
وعيشٌ في أُصول الموتِ سمٌّ عُصارتُه ، وإن بَسَط الظلالا
وأيامٌ تطيرُ بنا سحاباً وإن خِيلَتْ تَدِبّ بنا نِمالا
نَريها في الضمير هَوىً وحُبًّا ونُسمِعها التبرُّمَ والملالا
قِصارٌ حين نجري اللهوَ فيها طوالٌ حين نقطعها فعالا
ولم تضق الحياةُ بنا ، ولكنْ زحامُ السوءِ ضيَّقها مَجالا
ولم تقتل براحتها بَنيها ولكنْ سابقوا الموتَ اقتتالا
ولو زاد الحياةَ الناسُ سعياً وإخلاصاً لزادتهم جمالا

* * *

كأن الله إذ قَسَم المعالي لأهل الواجب ادّخر الكمالا
ترى جدًّا ، ولست ترى عليهم ولوعاً بالصغائر واشتغالا
وليسوا أرغَد الأحياءِ عيشاً ولكنْ أنْعَمَ الأحياءِ بالا
إذا فعلوا فخيرُ الناس فعلاً وإن قالوا فأكرمُهم مَقالا
وإن سألتْهمُو الأوطانُ أعطَوْا دماً حرًّا ، وأبناءً ، ومالا

* * *

بَني البلدِ الشقيقِ . عزاءُ جارٍ أهاب بدمعه شَجَنٌ فسالا
قضى بالأمس للأبطال حقًّا وأضحى اليومَ بالشهداءِ غالى

يُعَظِّم كلَّ جُهدٍ عبقريٍّ   أكان السِّلْمَ أم كان القتالا
وما زلنا إذا دَهَت الرزايا   كأرحم ما يكون البيتُ آلا
وقد أنسى الإساءَةَ من حسودٍ   ولا أنسى الصنيعةَ والفَعالا
ذكرتُ المِهْرَجانَ وقد تجلَّى   ووفدَ المشرقين وقد توالى
وداري بينَ أعراسِ القوافي   وقد جُلِيَتْ سماءٌ لا تُعالى
تسلَّلَ في الزحام إليَّ نِضْوٌ   من الأحرار تحسبه خيالا
رسولُ الصابرين ألمَّ وهناً   وبلَّغني التحيةَ والسؤالا
دنا مني فناولني كتاباً   أحسَّتْ راحتاي له جلالا
وجدتُ دمَ الأُسودِ عليه مِسْكاً   وكان الأصلُ في المِسْكِ الغزالا
كأنَّ أساميَ الأبطالِ فيه   حَوَامِيمٌ على رَقٍّ تتالى
رواةُ قصائدي قد رتَّلوها   وغنَّوْها الأسِنَّةَ والنِّصالا
إذا ركزوا القنا انتقلوا إليها   فكانت في الخيام لهم نِقالا

* * *

بَني سوريَّةَ ، التئموا كيومٍ   خرجتم تطلبون به النِّزالا
سَلُو الحريةَ الزهراءَ عنَّا   وعنكم : هل أذاقتنا الوِصالا ؟
وهل نِلْنَا كلانا اليومَ إلا   عراقيبَ المواعِدِ والمِطالا ؟
عرفتم مهرَها فمهرتموها   دماً صَبَغَ السباسبَ والدِّغالا
وقمتم دونها حتى خضبتمْ   هَوَادِجَها الشريفةَ والحِجالا
دعوا في الناس مفتوناً جباناً   يقول : الحربُ قد كانت وَبالا
أيطلب حقَّهم بالروح قومٌ   فتسمع قائلا : ركبوا الضلالا ؟
وكونوا حائطاً لا صدعَ فيه   وصفًّا لا يُرَقَّع بالكسالى
وعيشوا في ظلالِ السلمِ كدًّا   فليس السلمِ عجزاً واتكالا
ولكن أبْعَدَ اليومين مَرْمىً   وخيرَهما لكم نصحاً وآلا

وليس الحربُ مَرْكَبَ كلِّ يومٍ   ولا الدمُ كلَّ آونةٍ حلالا

* * *

سأذكر ما حَييتُ جدارَ قبرٍ   بظاهر جِلَّق رَكِبَ الرمالا
مقيمٌ ما أقامت ميلسونٌ   يذكر مصرَعَ الأسدِ الشِّبالا
لقد أَوْحَى إليّ بمَا شَجاني   كما توحي القبورُ إلى الثَّكالى
تَغَيَّبَ عظْمةُ العَظَماتِ فيه   وأَوّلُ سيِّدٍ لَقِيَ النِّبالا
كأن بُناتَهُ رفعوا مَناراً   من الإخلاص ، أو نصبوا مِثالا
سراجُ الحقِّ في ثَبَجِ الصحارى   تَهاب العاصفاتُ له ذُبالا
ترى نورَ العقيدةِ في ثراه   وتنشَقُ من جوانبه الخِلالا
مشى ومَشَتْ فيالقُ من فرنسا   تجرّ مَطارِفَ الظفرِ اختيالا
ملأْنَ الجوّ أسلحةً خِفافاً   ووجهَ الأَرضِ أسلحةً ثِقالا
وأرسَلْن الرياحَ عليه ناراً   فما حفل الجنوب ولا الشَّمَالا
سلوه : هل ترجَّل في هبوبٍ   من النيران أرجَلَت الجبالا ؟
أقام نهارَه يُلقِي ويَلْقَى   فلما زال قرصُ الشمس زالا
وصاح . ترى به قَيْدَ المنايا   ولست ترى الشَّكيمَ ولا الشِّكالا
فكفِّن بالصوارم والعوالي   وغُيِّب حيثُ جال وحيثُ صالا
إذا مرّتْ به الأَجيالُ تَتْرَى   سمِعْتَ لها أزيزاً وابتهالا
تَعلَّق في ضمائرهم صليباً   وحلَّق في سرائرهم هلالا

تِمثالُ نَهْضةِ مِصْر

جـعلتُ حُلاها وتمثالها   عيونَ القوافي وأمثالَها
وأرسلتُها في سماءِ الخيال   تجرُّ على النجم أذيالها

وإني لغرِّيدُ هٰذي البِطاحِ تَغَذَّى جَناها وسَلْسالها
ترى مِصرَ كعبةَ أشعاره وكلٌّ معلَّقةٍ قالها
وتلمَحُ بين بيوتِ القصيد حِجالَ العروسِ وأحجالها[1]
أدار النسيبَ إلى حبِّها وولَّى المدائحَ إجلالها
أرَنَّ بغابرها العبقريّ وغنَّى بمِثل البُكا حالها
ويَرْوي الوقائعَ في شعره يَروضُ على البأس أطفالها
وما لمَحوا بعدُ ماءَ السيوفِ فما ضَرَّ لو لمَحوا آلها

* * *

ويومٍ ظليلِ الضحى من بشَنَسَ أفاءَ على مصرَ آمالها
رَوَى ظلُّه عن شباب الزمان رفيف الحواشي وإخصالها[2]
مشَتْ مصرُ فيه تُعيد العصورَ ويغمُرُ ذكرُ الصِّبا بالها
وتَعْرض في المِهرَجان العظيم ضُحاها الخوالي وآصالها

* * *

وأقبل رمسيس جَمَّ الجَلالِ سَنِيَّ المواكب ، مُختالها
وما دان إلا بِشُورى الأمور ولا اختال كِبْراً ، ولا استالها[3]
فحيَّا بأبلجَ مثلِ الصَّباحِ وجوهَ البلادِ وأرسالها
وأوْما إلى ظلماتِ القرونِ فشقَّ عن الفنِّ أسدالها

* * *

فمن يُبْلِغُ الكرنكَ الأقصُريَّ ويُنْبيءُ طيبة أطلالها
ويُسمِعِ ثَمَّ بِوادي الملوكِ ملوكَ الديار وأقيالها

---

١ الحجال : جمع حجلة ، وهي بيت العروس .
الأحجال : الخلاخيل .
٢ أخصل الشيء : ابتل .
٣ استالها : أصله استأله ، أي تشبه بالاله .

وكلَّ مخلَّدةٍ في الدُّمَى هنالك لم نُحْصِ أحوالها
عليها من الوَحْيِ ديباجةٌ ألحّ الزمانُ فمَا ازدالها
تكاد – وإن هي لم تتصل بروحٍ – تُحَرِّك أَوصالها
وما الفنُّ إلا الصريحُ الجميلُ إذا خالَط النفسَ أَوحى لها
وما هو إلا جمالُ العقول إذا هي أَوْلَتْه إجمالها

* * *

لقد بعث اللهُ عهدَ الفنون وأَخرجَت الأَرضُ مَثَّالها
تعالَوْا نرى كيف سوَّى الصَّفاةَ فتاةً تُلمْلِمُ سربالها
دنت من أَبي الهول مَشى الرؤومِ إلى مُقْعَدٍ هاج بَلْبالها
وقد جاب في سَكَرات الكَرَى عُرُوضَ الليالي وأَطوالها
وأَلْقى على الرمل أَرْواقَه وأَرسَى على الأَرض أَثقالها
يُخال لإطراقه في الرِّمال سَطِيحَ العصورِ ورَمَّالها[1]
فقالت : تَحرَّكْ ، فَهمّ الجمادُ كأَن الجمادَ وعَى قالها
فهل سَكَبَتْ في تجاليده شُعاعَ الحياةِ وسيَّالها ؟
أَتذكُر إذ غضِبَت كاللِّباةِ ولمّت من الغيل أَشبالها ؟
وأَلقتَ بهم في غمار الخطوبِ فخاضوا الخطوبَ وأَهوالها
وثاروا ، فجنّ جُنونُ الرياحِ وزُلزِلتِ الأَرضُ زِلزالها
وبات تَلَمُّسُهم شيخَهم حديثَ الشعوب وأَشغالها
ومن ذا رأَى غابةً كافحتْ فردَّت من الأَسْرِ رِئبالها ؟
وأَهْيَبُ ما كان بأْسُ الشعوبِ إذا سلَّح الحقُّ أَعزالها

* * *

[1] سطيح : اسم لكاهن من كهان العرب . والسطيح أيضاً : البطيء القيام لضعف أو زمانة

فؤادُ ، ارفع السِّترَ عن نهضة تقدّم جَدُّك أبطالها
وربّ امرئٍ لم تَلِده البلادُ نماها ، ونبّه أنسالها[1]
وليس اللآلئ مِلْكَ البحورِ ولكنها مِلْكُ من نالها
وما لعليٍّ ولا جيلِه إذا عرَضت مصرُ أجيالها
بَنَوا دولةً من بنات الأسِنَّـ ـةِ لم يشهد النيل أمثالها
لئن جلَّل البحرَ أسطولُها لقد لبس البرُّ قَسطالها[2]
فأما أبوكَ فدنيا الحضا رةِ لو سالم الدّهرُ إقبالها
تخيّر إفريقيا تاجهُ وركّب في التاج صومالها
ركابُك يا ابن المُعِزِّ الغُيوثُ ويفضُلْنَ في الخير مِنوالها
إذا سِرْن في الأرض نَسَّيْنها ركابَ السماءِ وأفضالها
فلَم تبرح القصرَ إلا شفيتَ جُدوبَ العقول وإمحالها
لقد ركَّب اللهُ في ساعديك يمينَ الجدود وشمآلها
تخُطُّ وتبني صُروحَ العلومِ وتفتح للشّرق أقفالها

الحُرِيّة الحمْراءُ*

في مِهرجانِ الحقِّ أو يوم الدمِ مُهَجٌ من الشهداء لم تتكلم
يبدو على هاتورَ نورُ دمائها كدمِ الحسينِ على هلال محرّم
يومُ الجِهادِ بها كصدر نَهارِه متمايلُ الأعطافِ مُبْتسِمُ الفم
طلعت تَحُجُّ البيتَ فيه كأنها زُهْرُ الملائكِ في سماء المَوْسم

١ انسال : جمع نسل .
٢ القسطال : غبار الحرب .
* قيلت في احتفال بيوم ١٣ نوفبر .

لم لا تُطِلُّ من السماءِ وإنما ... بين السحابِ قبورُها والأنجم ؟
ولقد شَجاها الغائبون ، وراعها ... ما حلَّ بالبيت المضيءِ المظلم
وإذا نظرتَ إلى الحياة وجدتَها ... عُرساً أُقيم على جوانبي مأتم
لا بُدَّ للحرّية الحمراءِ من ... سَلوى تُرَقِّد جرحَها كالبَلسم
وتبسُّمٍ يعلو أسِرَّتها كما ... يعلو فمَ الثَّكْلى وثغرَ الأَيِّم
يومُ البطولة لو شهدْتُ نهارَه ... لنظمْتُ للأجيالِ ما لم يُنْظَم
غُبنت حقيقتُه ، وفات جمالُها ... باعَ الخيالِ العبقريِّ الملهَم
لولا عوادي النَّفْيِ أو عقباتُه ... والنفيُ حالٌ من عذاب جَهَنَّم
لجمعتُ ألوان الحوادثِ صورةً ... مَثَّلتُ فيها صورَةَ المُسْتَسلِم
وحكيتُ فيها النيلَ كاظمَ غيظِه ... وحكيتُه مُتغيِّظاً لم يَكْظِم
دَعَت البلادَ إلى الغِمار فغامرتْ ... وطنيّةٌ بمُثَقَّفٍ ومُعلِّم
ثارتْ على الحامي العتيدِ ، وأقسمتْ ... بسواه جلَّ جلالُه لا تَحتمي
نثر الكنانَة ربُّها ، وتخيَّرتْ ... يدُه لنُصرتها ثلاثة أسهم
من كلِّ أعزلَ حقُّه بيمينه ... كالسيف في يُمْنى الكَميِّ المُعْلَم
لم يُحجموا في ساعةٍ قد أظفرتْ ... مَلِكَ البحارِ بكلِّ قيْصَرَ مُحجِم
وقفوا مَطِيَّهمو بسُلَّم قصرِه ... والبأْسُ والسلطانُ دون السُّلَّم
وتقدّموا ، حتى إذا ما بلَّغوا ... أَوْحَوْا إلى مصرَ الفتاةِ : تقدّمي
سالت من الغاب الشُّبولُ غَلا بها ... لبنُ اللُّباةِ ، وهاج عِرْقُ الضَّيْغَم
يومَ النضالِ ، كَسَتْكَ لونَ جمالها ... حرّيةٌ صَبَغَتْ أديمَكَ بالدم
أَصبحتَ من غُرَر الزمان ، وأصبحت ... ضحكتْ أَسِرَّةُ وجهكَ المتجهِّم
ولقد يتِمْتَ ، فكنت أعظم رَوْعةً ... يا ليت من «سعد» الحمى لم تَيتم
لِيَنمْ أبو الأَشبالِ ملءَ جفونه ... ليس الشُّبولُ عن العرين بنوَّم

وقال في تكريم الدكتور علي بك إبراهيم الجراح العبقري :

ابتغوا ناصِيةَ الشمس مكاناً وخُذوا القمَّةَ علماً وبيانا
واطلبوا بالعبقريات المدى ليس كلُّ الخيلِ يشهدن الرِّهانا
ابعثوا سابقاتٍ نُجُباً تملأُ المضمارَ معنىً وعِيانا
وثِبوا للعزِّ من صَهْوَتِها وخذوا المجدَ عِناناً فعنانا
لا تُثِيبوها على ما قلَّدَتْ من أيادٍ ، حسداً أو شنَآنا

* * *

وضئيلٍ من أُساةِ الحيِّ لم يُعْنَ باللحم وبالشحم اختزانا
ضامرٍ في سُفْعَةٍ تحسبه نِضْوَ صحراءَ ارتدى الشمسَ دِهانا
أو طبيباً آيباً من طِيبَةٍ لم تَزَلْ تَنْدَى يداه زَعْفَرانا
تُنكر الأرضُ عليه جسمَه واسمُه أعظمُ منها دَوَرانا
نال عرشَ الطبِّ من «أمحوتبٍ» وتَلقَّى من يَدَيه الصَّوْلَجانا
يا لأمحوتبَ من مُسْتأْلِهٍ لم يلد إلا حواريًّا هِجانا
خاشعاً لله ، لم يُزْهَ ، ولم يُرْهِق النفسَ اغتراراً وافتتانا
يلمس القدرة لمساً كلّمَا قلب الموت وجسَّ الحيوانا
لو يُرى اللهُ بمصباح لمَا كان إلا العلمَ جلّ اللهُ شانا
في خلالٍ لفتَتْ زهرَ الرُّبى وسجايا أنسَتْ الشَّرْبَ الدِّنانا
لو أتاه موجعاً حاسدُه سَلّ من جنب الحسودِ السرطانا
خيرُ مَنْ علَّم في «القصر» ومَن شقّ عن مُستتِر الداءِ الكِنانا
كلُّ تعليمٍ نراه ناقصاً سُلَّمٌ رَثٌّ إذا استعمل خانا
دَرَكٌ مُستحدَثٌ من دَرَجٍ ومن الرِّفعة ما حطَّ النخانا

* * *

لا عَدِمْنا «للسيوطيِّ» يداً خُلقَتْ للفتْقِ والرتْقِ بَنانا
تَصْرِف المِشْرَطَ للبُرْءِ كمَا صرف الرّمْحُ إلى النصر السِّنانا
مَدّها كالأَجل المبسوطِ في طلب البُرْءِ اجتهاداً وافتنانا

تجد الفولاذَ فيها محسناً أخذ الرفقَ عليها واللَّيانا
يدُ «إبراهيمَ» لو جئتَ لها بذبيح الطيرِ عاد الطيرانا
لم تَخِطْ للناس يوماً كفناً إنمَا خاطت بقاءً وكِيانا
ولقد يُؤْسَى ذوو الجرحى بها من جراح الدهر، أو يُشْفَى الحزانى
نَبغَ الجيلُ على مِشْرطها في كفاح الموتِ ضرباً وطِعانا
لو أتت قبل نضوج الطبِّ ما وَجَدَ التنويمُ عوناً فاستعانا

* * *

يا طِرازاً يبعث اللهُ به في نواحي مُلْكِهِ آناً فآنا
من رجالٍ خُلِقوا ألويةً ونجوماً ، وغيوثاً ، ورعانا
قادة الناسِ وإن لم يقربوا طَبَعَاتِ الهندِ والسُّمْرَ اللِّدانا
وغذاءَ الجيلِ فالجيلِ وإن نَسيَ الأجيالُ كالطفل اللِّبانا
وهمو الأبطالُ كانت حربُهم منذ شبُّوها على الجهل عَوانا

* * *

يا أخي – والذخرُ في الدنيا أخٌ – حاضرُ الخيرِ على الخير أعانا
لك عند ابْنِيَ – او عندي – يدٌ لستُ آلوها ادكاراً وصِيانا
حَسُنَتْ منّي ومنه موقعاً فجعلنا حِرْزها الشكرَ الحُسانا
هل ترى أنتَ؟ فإني لم أجِدْ كجميلِ الصُّنْعِ بالشكر اقترانا
وإذا الدنيا خلَتْ من خيِّرٍ وخلَتْ من شاكر هانت هَوانا
دفع اللهُ حُسَيْناً في يدٍ كيد الألطاف رِفْقاً واحتضانا
لو تناولتُ الذي قد لمستْ منه ما زدْتُ حِذاراً وحَنانا
جرحُه كان بقلبي ، يا أباً لا أُنبِّيه بجُرْحي كيف كانا ؟
لطف اللهُ فعوفينا معاً وارْتهنّا لكَ بالشكر لسانا

وقال وهي القصيدة التي أُلقيت في دار الأوبرا الملكية في حفلة افتتاح مؤتمر

تكريمُه الذي انعقد فيها :

مرحباً بالربيع في رَيْعانِهْ ... وبأنوارِه وطيبِ زَمانِهْ
زَفَّت الأرضُ في مواكب آذا ... رَ ، وشبَّ الزمانُ في مهرَجانِه
نزل السهلَ ضاحكَ البِشْرِ يمشي ... فيه مَشْيَ الأميرِ في بُستانه
عاد حَلْياً براحتَيْهِ ووَشْياً ... طولُ أنهارِهِ وعَرْضُ جنانه
لفَّ في طَيْلَسانِه طُرَرَ الأر ... ضِ ، فطاب الأديمُ من طيلسانه
ساحرٌ فتنةُ العيونِ مُبينٌ ... فصَّل الماءَ في الرُّبا بجُمانه
عبقريُّ الخيالِ ، زاد على الطَّيْـ ... ـف ، وأَرْبَى عليه في ألوانه
صِبغَةُ الله ! أين منها رفائيـ ... ـلُ ومِنقاشُه وسحرُ بَنانه
رنَّم الروضُ جَدولاً ونسيماً ... وتلا طيرَ أيْكِهِ غصنُ بانه
وشدَت في الرُّبا الرياحينُ هَمساً ... كتَغَنِّي الطَّروبِ في وجدانه
كلُّ رَيْحانةٍ بلحنٍ كعرسٍ ... أُلفَتْ للغناءِ شتَّى قِيانه
نَغَمٌ في السماءِ والأرضِ شتَّى ... من معاني الربيعِ أو ألحانه
أين نوْرُ الربيعِ من زهر الشعـ ... ـرِ إذا ما استوى على أفنانه ؟
سَرْمَدُ الحسنِ والبشاشةِ مهما ... تلتمسْهُ تجدْه في إبانه
حَسَنٌ في أوانهِ كلُّ شيءٍ ... وجمالُ القريضِ بعدَ أوانه
مَلَكٌ ظِلُّهُ على رَبْوَة الخُلْـ ... ـدِ ، وكُرسيُّه على خُلجانه
أَمَرَ اللهُ بالحقيقةِ والحكـ ... ـمةِ فالتفَّتا على صَولجانه
لم تُثِرْ أُمَّةٌ إلى الحَقِّ إلا ... بهُدى الشعرِ أو خُطا شيْطانه
ليس عَزْفُ النحاسِ أوقعَ منه ... في شجاعِ الفؤادِ أو في جبانه

* * *

ظلَّلَتني عنايةٌ من «فؤادٍ» ... ظلَّل اللهُ عرشَهُ بأمانه
ورعاني ، رعَى الإلهُ له «الفارو ... قَ» طفلاً ، ويوم مُرْجُوٌّ شانه
مَلِكُ النيل من مَصَبَّيْهِ بالشـ ... ـطِّ ، إلى مَنْبَعَيْهِ من سودانه

هو في الملك بَدْرُهُ المُتجلِّي حفَّ بالهَالَتَيْنِ من برلمانه
زادهُ اللهُ بالنيابة عِزًّا فوقَ عِزِّ الجلالِ من سلطانه

* * *

منبرُ الحقِّ في أمانةِ «سعدٍ» وقِوامُ الأُمورِ في ميزانه
لم يَرَ الشرقُ داعياً مثلَ «سعدٍ» رَجَّه من بِطاحه ورِعانه[1]
ذكَّرتْه عقيدةُ الناسِ فيهِ كيف كان الدخولُ في أَديانه[2]
نهضةٌ من فَتَى الشيوخِ وروحٌ سَرَيا كالشبابِ في عُنْفُوانه
حرَّكا الشرقَ من سكونٍ إلى القيـ ـدِ ، وثارا به على أَرسانه
وإذا النفسُ أُنهِضَتْ من مريض دَرَجَ البُرءُ في قُوَى جُثْمانه

* * *

يا عُكاظاً تألَّفَ الشرقُ فيه من فِلسطينِه إلى بَغْدانِه
افتقدْنا الحجازَ فيه ، فلم نعْـ ـثُرْ على قُسِّه ولا سَحْبانه
حملَتْ مصرُ دونَه هيكلَ الدِّ ين ، وروحَ البيانِ من فُرْقانه
وُطِّدَتْ فيكَ من دعائمها الفُصْـ ـحى ، وشُدَّ البيانُ من أَركانه
إنَّما أنتَ حَلْبةٌ لم يُسخَّر مثلُها للكلامِ يومَ رِهانه
تتبارى أَصائلُ الشامِ فيها والمَذاكي العِتاقُ من لُبنانه
قلَّدتني الملوكُ من لؤلؤ البحرَيْـ ـنِ آلاءها ومن مَرْجانه
نَخْلة لا تزال في الشرق معنىً من بداواته ومن عُمرانه
حنَّ للشامِ حِقبةً وإليْها فاتحُ الغرب من بني مَرْوانه
وحبتْني بُمبْايُ فيها يَراعاً أُفرِغَ الوُدُّ فيه من عِقْيانه
ليس تَلْقَى يراعَها الهندُ إلا في ذَرَا الخُلْقِ أَو وراءَ ضَمانه

١ الرعان : رؤوس الجبال .
٢ الضمير عائد على الشرق .

أَنْتَضيه انتضاءَ موسى عصاه يَفْرَقُ المستبدُّ من ثعبانه
يَلْتقِي الوحيَ من عقيدةِ حُرٍّ كالحواريِّ في مَدَى إيمانه
غيرَ باغٍ إذا تطلَّبَ حقًّا أو لئيمِ اللَّجاجِ في عُدوانه
مَوكِبُ الشعرِ حرّكَ المتنبي في ثراهُ ، وهزَّ من حَسّانه
شرُفَتْ مصرُ بالشموسِ من الشر ق نجومِ البيانِ من أعيانه
قد عَرَفْنا بنجْمَةٍ كلَّ أُفْقٍ واستبنّا الكتابَ من عُنوانه
لستُ أنسى يداً لأخوانِ صدقٍ منحوني جزاءَ ما لمْ أُعانِه
رُبَّ سامي البيانِ نَبَّهَ شأْنِي أنا أَسمو إلى نَباهة شانه
كان بالسبقِ والميادينِ أولَى لو جرى الحظُّ في سواءِ عنانه
إنّما أظهروا يدَ اللهِ عندي وأذاعوا الجميلَ من إحسانه
ما الرحيقُ الذي يذوقون من كرْ مي ، وإن عِشْتُ طائفاً بدِنانه
وهَبوني الحَمامَ لذَّةَ سجعٍ أين فضلُ الحمام في تَحنانه ؟
وَتَرٌ في اللّهاةِ ، ما للمغنِّي من يدٍ في صَفائه وليانه[1]

* * *

رُبَّ جارٍ تَلفَّتَتْ مصرُ تُوليـ ـه سؤالَ الكريمِ عن جيرانه
بَعَثَتْني مُعزِّياً بمآقي وطني ، أَو مُهنِّئاً بلسانه
كان شعري الغناءَ في فرحِ الشر قِ ، وكان العَزاءَ في أحزانه
قد قضى اللهُ أن يؤلِّفنا الجر حُ ، وأن نلتقي على أشجانه
كلما أنَّ بالعراقِ جريحٌ لمس الشرقُ جَنْبَه في عُمانه
وعلينا كما عليكم حديدٌ تَتنزَّى اللُّيوثُ في قُضبانه
نحن في الفقه بالديارِ سَواءٌ كلُّنا مشفِقٌ على أوطانه

تم بحمد الله

[1] اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم .

الفهارس

فهرس

الجزء الأول من الشوقيات

فهرس
الجزء الثاني من الشوقيات

باب الوصف

باب النسيب

متفرقات